بسم الله الرحمن الرحيم
إنا نحن نزلنا الذكر
وإنا له لحافظون...
صدق الله العظيم

الجمع الصوتي الأول للقرآن

أو

المصحف المرتل

عرض ودراسة لبواعث المشروع ومخططاته

بقلم صاحب الفكرة والمخطط لها

الدكتور لبيب السعيد

دار المعارف

الجمع الصوتي الأول للقرآن

أو

المصحف المرتل

عرض ودراسة لبواعث المشروع ومخططاته

الجمع الصوتي الأول للقرآن

أو

المصحف المرتل

عرض ودراسة لبواعث المشروع ومخططاته

بقلم صاحب الفكرة والمخطط لها

الدكتور لبيب السعيد



دار المعارف

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

تصـــدير

بقلم الأستاذ
الدكتور حسن الساعاتى
عميد كلية الآداب بجامعة عين شمس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صديق « لبيب السعيد » هو صاحب فكرة « المصحف المرتل » ، أو الجمع الصوتيّ الأوّل للقرآن الكريم ، بكل رواياته المتواترة وغير الشاذّة . وستظلّ ماثلةً في سمعي وفي قلبي أحاديث الأمل والعمل والحزم والقلق التي كان يتحدث بها عن مشروعه العظيم قبل إعلانه للناس بعام أو بعض عام : كانت فكرة الجمع الصوتي ، منذ ذلك الوقت ، مادة حديثه الأولى ، وكانت – فيما لمستُ ولمس المتصلون به وقتئذ – هي شغل قلبه ، ومحتوى دمه وعصبه ، وموضوع جِدّه ودأبه .

ولئن راعتْني الفكرة آنئذ كلمحة من لمحات الإلهام ، لقد بَهَرَتْني أيضاً كعمل عِلميّ يحتاج المخطّط له إلى المعرفة الدقيقة بقراءات القرآن ورواياته ، والتبحر في علوم القرآن ، ثم إلى العزيمة التي لا تنال منها الصعوبات ولا الأيام .

* * *

وَوُلد المشروع سريعاً ، وأحسَنت الدّنيا استقبالَه ، وعرفت له خطره وجلاله ، واحتضنه صاحبه وفيًّا له غاية الوفاء ، ولكنّه ما لبث أن أدرك أنه غير قادر بذاته على أن يكفل مشروعَه ماليًّا بما يضمن له النّماء فضلاً عن البقاء ، فَحَمَلَه يأتي به كلَّ جهة مأمولةِ العوْن ، وقاسى في هذا حَرَجاً شديداً ؛ وأخيراً رحَّبَت وزارة الأوقاف بالمشروع ، ومَضَت تُنفق عليه من مالها تاركةً لصاحب المشروع كلَّ ما وراء الإنفاق من تخطيط وتنفيذ .

وسدَّد الله على الهدى خُطى هذا الرجل ، وحقَّق به للإنسانية وللمسلمين وللعرب عامة خيراً كثيراً ، وحقّق به لجمهوريتنا خاصة شرفاً ومجداً باذخين ، فكنت أقول لـ « لبيب السعيد » : « إن نجاح مشروعك – وإن كان فوق الكفاية حقًّا – لا يكفي المجتمَع المتطلّع إلى كلام مفصَّل عن المشروع ، وإنّ على عاتقك أنت أن تؤرخ لمشروعك الذي سيظل – على تعاقب القرون – مِلء الأفواه والأسماع ، وإنه أولى بالإنتاج الإسلامي الذي تخرجه أن يشمل هذا المشروعَ الفذَّ » ، فكان « لبيب السعيد » يخرج حينا بالصمت عن القبول أو الرفض ، وحيناً يجيب في تصريح قريب من التلميح بأنه يتهيّب الكتابة المطلوبة ، لأنها – بالضرورة – ستتناول شخصه ، وعندئذ – فيما يحسب – قد يظن الظانّون أنه يزكّي نفسَه ، أو يَتيه بعمله .

وبقى « لبيب السعيد » على العزوف واستشعار الغضاضة .

* * *

وفى سنة ١٩٦٤ ، لقى « لبيب السعيد » بسبب مشروعه ، ومن بعض العاملين معه فيه ، صعوبات يبدو أنها كانت عليه جبّارة ، وجثّم الضيق عليه وقتئذ فترة غير قصيرة ، فكانت فرصتى السانحة والناجحة لاستنهاض همّته ، كى يسجل كل شىء عن المشروع ، فيكون ذلك أليقَ بصاحب الفكرة الجليلة ، وأنفعَ للعلم ، وأحزمَ فى كفِّ المعتدى ، والردِّ على المسىء.

* * *

وأحمد الله على ما وفّق ، فالكتاب الذى كان لى فخر الحضّ على إخراجه جاء مُوفِياً على الغاية منه . . جاء عملاً علمياً جليلاً يُضيف جديداً نفيساً إلى ثروتنا العلمية فى ميدان القرآن أصل كلِّ الأصول عندنا . وأظنه بموضوعه الرفيع جداً ، ومنهجه الدقيق جداً ، ومادته الغزيرة جداً ، سيظل – مثل مشروع « المصحف المرتل » نفسه – عملا ماجداً باقياً على الزمن .

وسيرى القراء معى أنّ مؤلفنا لم يُعْنَ إلا بالحق ، وأنه فى بحثه متعمق مثابر ، وقوىٌّ أمين ، وأنه – فى تهدّيه للحقيقة وابتغائه طريقها – يتحاكم دائماً إلى المنطق والعقل والنصوص الممحّصة ، ولا يحيد أبداً عن المحجّة المستقيمة التى لا أمْت فيها ولا اعوجاج ، كما لا يحيد عن الموضوعية الكاملة التى يحترمها العدوّ الشانئ ، والولىّ الحميم . وبهذه الطريقة ناقش المؤلف أئمة كباراً وعلماء أعلاماً ، قدامى ومحدثين ، فكانت له فى مناقشتهم نظرات أحسب أن فيها أقوم الرأى وأحقّه بالاعتبار .

وسيرى القراء معى أيضاً أن من فصول هذا البحث الدقيق فصولا تجلو للدارسين أشياء كثيرة لم يكن أغلبهم يعرفها ، وتسهّل عليهم أشياء كثيرة أيضاً كان أغلبهم يراها غاية فى الصعوبة .

وحواشى الكتاب التى تربو على ألفين ، مليئةٌ بمعارف وشروح وتعليقات هى وحدها ثروة غنية مبذولة للقارئ فى سخاء . وإنّ كل باحث مكابد ليعرف أن كتابة الحواشى على هذا النحو الأكاديمىّ المثالىّ تقتضى صاحبها جهداً هائلا يتضاءل فى جانبه كل ثناء .

وقد عرفت لصديقى « لبيب السعيد » – منذ قديم – خصِيصةً علميةً فائقة ، هى قدرته العجيبة على التقاط النفائس المخبوءة فى طوايا كل إنتاج عربى قديم ، والإفادة من هذه النفائس فيما يعالج من بحث مهما يكن غريب الموضوع والشكل والاتجاه . وقد وجّه إلى هذا

دفعات من طلبته بقسم الاجتماع فى كليتنا . وهذه الخصيصة الجليلة القدر تتجلّى فى هذا الكتاب على النحو الذى يقتضينا الإكبار والإعجاب .

ولئن كان الفلك الذى سارت فيه ثقافة « لبيب السعيد » ليس أزهريًّا ، لقد أضحى بمادته العلمية القرآنية الخارقة ، وضميره العلمى القوى الحىّ ، ومثابرته الصابرة الكادحة ، وخدماته الإسلامية الكبرى ، أضحى – حتى من الناحية الرسمية – عَلَماً من أعلام الإسلام ، ولساناً من أجهر وأقوى ألسنة الدعوة الإسلامية .

وقد قيل إن الجمع الكتابىّ الذى فعل أبو بكر كأنما استحيا به طائفة من القراء الذين استحرّ بهم القتل فى المواطن التى شهدوها ، وأحسبنى لست مسرفاً ولا خاضعاً لسلطان الصداقة التى بينى وبين « لبيب السعيد » إذا قررت أن فكرة المصحف المرتل – عندما يكمل تنفيذها على النحو الذى خطط له صاحبها – ستكون استحياء للمبرزين من القراء ، والرواة ، وأصحاب الطرق ، وأصحاب الأوجه ، ثم لملايين القراء الآخذين منهم .

وفى الحديث الشريف : « من سنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها . . » ، ومِنْ مُقْتَضَى هذا أنه ما سَجَّل إنسان أو جمْعٌ من الناس القرآن صوتيًّا ، وما أفاد من هذا التسجيل إنسان أو جَمْعٌ من الناس إلا كانَ لـ « لبيب السعيد » مثل أجورهم إلى يوم القيامة .

« ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » .

حسن الساعاتى

عميد كلية الآداب بجامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، والصّلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فأظن أنّ التّصدير البليغ المشكور الذى كتبه صديقنا وعالمنا الأستاذ الدكتور حسن السّاعاتى عميد كلية الآداب بجامعة عين شمس يُغْنِى عن سرد قصّة هذا الكتاب .

وأظن التمهيد الذى سَيَلى هذه المقدمة يُغْنى أَيضاً عمّا تواضع المؤلفون عليه فى المقدمات من التّنبيه على أهمية ما يتناولونه من موضوعات .

وهذا الكتاب المتواضع هو – من مشروع الجمع الصّوتىّ الأول للقرآن أو المصحف المرتل – بمثابة الدّليل الموضّح ، أو الملحق الشارح .

وسيرى القارئ أنى أخذت نفسى بالموضوعيّة إلى أبعد مدًى استطعتُه ، وأَنّىَ – فى مناقشتى لكثير من الآراء – لم أنفعل قطّ ، ولم أتعصّب ؛ كما سيرى أنى – على ما تعوّده منى فى كل إنتاجى المتواضع – أعزو كلَّ شيء أوردته للاستشهاد أو للاعتضاد إلى صاحبه فى أمانة وتحرّز بالغَيْن .

وسيرى أنّ مراجعى لم تقِفْ عند كتب العلوم القرآنية ، وإنما تَعَدَّتْها إلى المتفرقات المبعثرة والشوارد البعيدة فى كتب التاريخ والفقه والأصول واللغة والأدب والشعر وغيرها .

هذا ، وفى كل رأى أحببتُ أن يُشاركنى فيه القارئ ، عرضت عليه – بادئ ذى بدء – من المعارف الموثّقة ما أظنه يُرضِى حاجتَه ويَشْفِى غُلّته ، ولم أَدَعْه يُلِمّ بهذه المعارف إلمامة المتعجّل الخاطف ، بل لعلّى مكّنْتُه مِن أن يقف وقفة المطمئنّ المُستأْنى .

وأظنّنى – فى ثنايا كتابى – جلوتُ فى الموضوعات القرآنية كثيراً مما يَخْفَى مثلُه على الكثيرين ، وسهّلْتُ ما يصعب مثلُه على غير المتخصّصين .

* * *

والكتاب من قسمين ، يسبقهما التّمهيد الذى أشرتُ إليه آنفاً ، وتليهما الخاتمة .

فأمّا القسم الأول فهو تاريخ مفصَّل للمرات الثلاث لجمع القرآن : جمع أبى بكر ، وجمع عثمان ، ثم هذا الجمع الصوتى الأول .

وأظنّ هذا القسم قد استنبط – فى توفيق – مِنْهاجَى الجمعين المكتوبين ، وأبطل دعاوى الطاعنين عليهما ، بما لا حاجة بعده – غالباً – إلى مزيد .

وفى الحديث عن الجمع الثالث أو الصوتىّ الأول أو المصحف المرتّل : فكرتِه ، وتنفيذِه ، وردَتْ تفاصيلُ كثيرةٌ أرجو أن لاينكرها القارئ ، فإنّ ذِكْرها هو من مقتضيات الأمانة التاريخية ، وإسقاطَها – عند أصحاب أصول البحث – ليس سديداً .

وأما القسم الثانى وهو الخاصّ بالأغراض التى يقصدها مشروع الجمع الصوتى الأول للقرآن فهو فى أبواب ثلاثة : (أولها) عن حفظ القرآن فى ذاته ، و (ثانيها) عن الغاية التعليمية للمشروع ، و (ثالثها) عن مهمته الدفاعية .

وأظنّ الباب الأول ، فى شأن التّلقّى الشفوىّ كوسيلة للحفظ السليم ، وفى شأن القراءات المتواترة والمشهورة ، والتى يجب الحرص عليها ، والإكثار من حفّاظها حتى لا يقلّ عددهم – فى كل بلد به مسلمون – عن عدد التواتر ، وفى شأن المنع من القراءة بالشواذّ . . . أظنّ ذلك البابَ ، فى كلّ هذه الشئون ، مع التزامه النصوصَ السليمة والإجماعَ المستفيض ، أزال عن الحقائق كلّ الأستار : كثيفها ، فضلا عن خفيفها ، ولم يدعْ شيئاً مهمًّا فى تاريخ القراءات إلاّ أورده .

وقد أبدى المؤلف أن من الواجب تقرير منع القراءات الشواذّ منعاً باتًّا من أن تسجّل صوتيًّا ، حتى لا يَقْرأَ بها مسلم ، أو يُظَنَّ أنها والقراءات المتواترة والمشهورة على سويّة من الأمر ، وحسْبُ القراءات الشواذ أنها فى الكتب يَرجع إليها أصحاب الدّراسات الأكاديمية .

* * *

وفى باب التعليم ، تحدثت عن المصاحف المرتّلة كنماذج صوتية ممتازة للأداء الشرعىّ الذى تستطيعه الكافة ، ووددت لو صادف الجهد هنا قبولا ، ثم تحدثت عن تيسير هذه المصاحف لتعلّم القرآن ، وكيف أنها الحلّ الوحيد لمشكلة اختلاف الرّسم العثمانى الاصطلاحى عن الرسم الإملائى .

* * *

وأما باب الدفاع عن القرآن وعن الإسلام كهدف من أهداف المشروع ، فقد استقصى أحد فصول هذا الباب – ضِمْناً – أهمَّ المطاعن التى وُجّهت إلى القرآن ، ثم استحضرها ، ثم لَقِفَها جميعاً ، وإنّها لمطاعن مختَلَقَةٌ طالما ضاق بها الدارسون ، وانخدع بها بعض البسطاء .

وتكلّم فصل آخر عن درء التّحريف عن القرآن ؛ وعندما تكلم عن الكتب الدينية الأخرى ، التزم الحياد ، ولم يفعل غالباً سوى أن نَقَلَ عن نَفْس أتباع هذه الكتب .

وأخيراً ، تكلّم فصل « التمكين للغة العربية ، وللوحدة الإسلامية » عن أثر المصحف المرتل فى هذا التمكين.

* * *

وتكلمت « الخاتمة » عن تقييم المشروع كحدث له فى تاريخ المسلمين أثر بعيد ، وذكَرَتْ – فى شيء من التفصيل كيف ارتضاه النّاس ، وعرفوا له جلاله وخطره .

وأوردت هذه « الخاتمة »فى تقدير المشروع نصوصاً لم يكن من إيرادها بدٌّ ، وهى حَرِيّة أن تدلّ فى صدق على موقف المسلمين من المشروع ، وليس إيرادها – على أية حال – انحرافاً عن الجادّة العلمية ، حتى مع ما تضمنّته من حديث عن صاحب المشروع .

* * *

وبعدُ ، فإنّ الفضل من الله وإليه . وأمنيّةُ هذا العبد الضعيف أن يتفضل المولى بمنّه فيجعل هذا العمل كلّه خالصاً لوجهه ، وأن يتقبله بإحسانه .

« رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » .

« رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » .

لبيب السعيد

تمهيد

١

القرآن أساس الإسلام وقاعدته ، وهو كتاب العربية الأول والأكبر ، وعليه يتوقّف دين المسلمين ودنياهم : هو – عندهم – سبيلهم إلى الفوز العظيم فى الآخرة التى إليها معادهم ، وهو – عندهم – سبيلهم إلى الإمامة والسعادة فى الدنيا التى فيها معاشهم . هو أساس وجودهم السيّاسىّ والاجتماعىّ واللغوىّ والأدبىّ ، ولديه – فيما يعتقدون – حلول كلّ مشكلات هذا الوجود . يقول الشافعى : « فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها » [١] .

* * *

وعظّم الله حال القرآن « تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَىٰ » [٢] فمن التنويه بعظمة القرآن ذِكْر عظَمة منزله القادر الذى خَلَق الأرض إحدى سيارات المجموعة الشمسيّة .

والأرض بما فيها من بشر لا يُحْصَوْن مختلفى الصفات البدنيّة والنفسية والذهنية ، وما فيها من برّ وبحر وسهول وجبال وزروع ومناجم وينابيع للبترول ، وما فيها أيضاً من أجواء وأزمان وحياة وموت . . الأرض ، بهذا كلّه ، هى ما هى سعةً وعجائب .

ومن التنويه كذلك بعظمة القرآن ذكر عظمة منزله القادر الذى خلق السموات العُلى ، وهى لا حصر لكواكبها ونجومها وتوابعها وأجرامها وسدائمها ، أى السُّحُب الملتهبة التى هى أصل النجوم فى مجاميعها .

وبحسْب المتفكّر فى الأكوان السماويّة أن يذكر أنّ الشمس – وهى كما أثبت علم الفلك مجرّد نجم متوسّط القدْر – جعلها الله سبحانه مصدر الحياة فى الكوكب الأرضىّ ، ومصدر النّور وكلّ طاقة حتى طاقة الفحم والبترول المخزونين تحت أطباق الثرى .

---

(١) الرسالة ص ٢٠ .

(٢) سورة طه / ٤ .

ولم يَعْىَ – جلّ شأنه – بخلق هذه الأكوان جميعها ، ولم يؤدْه رفعها إلى ما هى فيه من علوّ ، ولم يغب عن علمه شىء من أسرارها [١].

والقرآن – فيما يؤمن به المسلمون – أنزله الله مفصحاً عن جلاله ، وحُجَّةً لرسوله باقية الإعجاز على الأحقاب ، وبيّنة على أمانته فيما بلّغ من وحى .

وهم يعدّونه كتاب العقائد السّامية ، وأوّلها عقيدة التوحيد .

ويعدونه كتاب العبادات ، حيث هو الذى يُقررها [٢] .

ويعدونه كتاب الأخلاق ، إذ يحثّ على الفضائل كلّها ويحذّر من الرّذائل كافّتها .

وهم يعدّونه كتاب التّشريع بعامـة : الجنائىّ ، والمدنىّ ، والاقتصادىّ ، والاجتماعىّ ، والسياسىّ ، والدولىّ والحربىّ ، ويعدّونه « حجّة الله عليهم وميثاقه الذى واثقهم به » [٣] .

وهم – بالضرورة – يؤمنون به إذ يقول عن نفسه : « قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ » [٤] . « وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَيۡءٍ وَهُدًى وَرَحۡمَةً وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ [٥] . « إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَبِيرًا » [٦] .

والقرآن يَعرض على الناس أحوال أمم أو جماعات أو أفراد غَبَروا بحسناتهم أو بقبائحهم ، ويذكر ما انتهى إليه أمرهم من خير إن كانوا عملوا خيراً ، ومن سوء إن كانوا عملوا سوءاً . وكما يعبّر : « لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ » [٧] ، « لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ » [٨] .

---

(١) انظر : محمد بن أحمد الإسكندرانى : كشف الأسرار النورانية القرآنية حـ ٢ ص ٧٦ ، ومحمد أحمد الغمراوى : الإسلام فى عصر العلم ص ٤٩ – ٥٥.

(٢) ولا يطامن من هذا أنه يدع للرسول أن يبين للناس بعض أحكام هذه العبادات ، بل أن يدع للاجتهاد فرصة هذا التبيين « وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ » (سورة النحل / ٤٤) ، « وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ » (سورة النساء / ٨٣) .

(٣) انظر خطبة منسوبة إلى على بن أبى طالب فى « نهج البلاغة » جـ٢ ص ١٩٩ و ٢٠٠.

(٤) سورة المائدة / ١٥ و١٦ .

(٥) سورة النحل / ٨٩ .

(٦) سورة الإسراء / ٩ .

(٧) سورة الأنفال / ٤٢ .

(٨) سورة يوسف / ١١١ .

ويقول على بن أبى طالب فى القرآن : « ألا إنّ فيه علمَ ما يأتى ، والحديثَ عن الماضى ، ودواءَ دائكم ، ونظمَ ما بينكم »[١] .

وكان ابن مسعود يقول : « من أراد علم الأولين والآخرين فليثّلُ القرآن[٢] » ، وهذا يمثّل غالباً اعتقاد المسلمين فيما حواه هذا الكتاب من نفع علمى شامل .

* * *

والقرآن – من الناحية الموضوعية البحث ، وبنصّ آياته الصريحة – يحرّر النّاس من ذِلّة الخضوع لغير جلال الله وسلطانه ، ولا ينافر العلم ولا يخاصمه ، بل يُعلى سلطانه وسلطان العقل ، ويحفز الناس إلى النظر والتفكير ، ويحفظهم من مزالق الأوهام والخرافات ، ويعتقهم من الجمود والرقّ ، ويسوّى بينهم ، ويبثّ فيهم الشعورَ بحقوقهم والإيمان بكرامتهم . وفى ظلّه عرفت البشريةُ العدل الأمثل حقيقة واقعة لا حلماً ولا أمنيةً يحلّق بها خيال فيلسوف ، ولا نظنّ أن هناك من يردّ هذا ومعه حجّة علمية .

* * *

والقرآن – وهذه حقائق تاريخية واقعةٌ وذائعة – أنجب عبقريات كثيرة أفاءت على الإنسانية خير نتاج فى الميادين الشرعية والأخلاقية والعقلية والإنسانية والاجتماعية والرياضية والفلكية والفنون التطبيقية ، وأوجد أدباء وخطباء ووعّاظاً وعلماء خبراء فى النقد الأدبىّ ، وهو الذى أوجد علماء القراءة والنحو والبلاغة والأصول والفقه والكلام ، وهيّأ العقول لفهم حضارات الأمم الأخرى وفلسفاتها ونقلها عَبْرَ القرون مزيدةً مهذّبة . ولقد نشر القرآن لغتَه وآدابها فى أصقاع ما كانت لِترِدَها لولاه . وقد صفّى هذه اللغة من شوائب اللهجات الضعيفة ، ولولاه لاختلفت لغات الشعوب العربية اختلاف فروع اللاتينية أو الجرمانية مثلا .

والقرآن ، بهذه الخصائص كلّها ، ولأنه أطول من الكتب السماوية التى تقدّمته ، وبكون الإعجاز فيه يفوق سائر معجزات النّبيين ، لأنه – على عكسها – لم ينقرض بانقراض عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وبكون هذا الإعجاز لا ينحصر فى الإخبار عن المغيّبات والإعلام بالأحكام كما هو الشأن فى تلك الكتب ، وإنما يشمل النطق والأسلوب . . . القرآن ، بهذا كلّه ، يعلو هذه الكتب جميعاً ، وكما بقرر هو : « وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا

---

(١) نهج البلاغة جـ٢ ص ١٣١ .

(٢) الألوسى : روح المعانى جـ١ ص ٧ .

لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ »[١] ، « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ » [٢] .

ومن الواضح الذى لا تجافيه نتيجة أىّ استقصاء أن الدنيا لم تعرف – منذ كانت – كتابا تجرّد أتباعه لحفظه ، وبذَلُوا أنفسهم فى إتقانه وتفهّمه ، وعُنوا به حرفاً حرفاً ، كما فعل أتباع القرآن .

وقد قيل – فى الهجوم عليه ، وفى محاولة صرف أتباعه عنه – إنه مكتوب بلغة ميّتة لا يستطيع المسلم أن يفهمها إلاّ بدراسة خاصة[٣] ، ولكنّ الواقع الذى يلمسه كلُّ ذى بَصَر بالتاريخ أن الدنيا لم تشهد كتاباً يُدانى القرآن فى إقبال أتباعه عليه واستهدائهم به ، وتقريرهم – فى صدق – أنّهم دائماً يقرأونه ويكتبونه ويسمعونه ، وهم – مع ذلك – لا يملّونه[٤] .

والمشاهد : أنهم – عرباً وغير عرب – سواءٌ فى تعلّقهم بالقرآن ، برغم الجهود المعادية المختلفة الألوان ، والتى كانت وما برحت تُبذل لصرفهم عنه . ومن المؤثر حقًّا : أن نرى المسلمين غير العرب يردّدون آيات القرآن مغالبين لُكنَتَهم فى محاولات غير هيّنة ، حتى إذا سمعوه من أخ لهم عربىّ أصغَوْا إليه بملء قلوبهم وأسماعهم ، وعدّوها فرصة ثمينة يستديمونها ويستزيدون منها .

وكذلك لم تشهد الدنيا كتاباً يُدانى القرآن فى اعتقاد أتباعه الخير فيه ، وطلبهم النفع عنده ، وأخذهم بأوامره وانتهائهم عن نواهيه . وهم – مع توزّعهم فى أرجاء الأرض واختلاف ألسنتهم وأصولهم – يَدَعُونه يترك فيهم انطباعاتِه الموحّدة غالباً .

ولقد وَضَح هذا كلّه للولىّ والعدوّ ، فقال قائل المستعمرين « جلادستون » الإنجليزى ، فى أخريات القرن الماضى ، فى مجلس اللوردات البريطانى ، و هو يمسك بالمصحف : « ما دام هذا الكتاب على الأرض فلا سبيل لنا إلى إخضاع المسلمين[٥] » . ومن قبلُ ، وبُعَيْد سنة ١٥١٦م التى طبع فيها الزَّبور للمرة الأولى فى إيطاليا ، طُبِعَ القرآن الكريم فى البندقية ، ثم ما لبث النصارى أن أعدموا طبعته خوفاً من تأثيره على معتقداتهم[٦] .

---

(١) سورة الزخرف / ٤ . (٢) سورة المائدة / ٤٨ .

(٣) André Servier : Islam and the Psychology of the Musulman. p. 197.

(٤) الحصرى القيروانى : زهر الآداب وثمر الألباب جـ١ ص ١٠١ .

(٥) هذه القصة ثابتة مستفيضة . (٦) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية حـ ٤ ص ٤٣ .

٢

وإقراء القرآن هو – وهذا شيء طبيعي – أوّلُ ما عمد إليه النبي (ص) في إبلاغ دعوته الكبرى. وقد كان مبعوثوه إلى مختلف الجهات يقومون – أول ما يقومون – بإقراء الناس القرآن:

كتب النبي لعمرو بن حزم، حين وجهه إلى اليمن، كتاباً أَمَرَه فيه بأشياء منها أن «يعلّم الناسَ القرآن ويفقههم فيه»[١].

وروى البخاري عن أبي إسحٰق، عن البراء، قال: «أول من قدم علينا من أصحابِ النبي – صلّى الله عليه وسلّم – مصعب بن عمير، وابن أمّ مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن»[٢]. وكان مصعب يسمّى المقرئ[٣].

وكان الرجل من المسلمين إذا هاجر إلى المدينة دفعه النبي (ص) إلى رجل من الحفظة ليعلّمه القرآن.

ولما فتح النبي مكّة خلّف عليها معاذ بن جبل يقرئهم القرآن ويفقّههم[٥].

وعن أنس بن مالك، قال: جاء ناس إلى النبي – صلّى الله عليه وسلّم – فقالوا: أنِ ابعث معنا رجالا يعلّمونا القرآن والسّنّة، فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار، يقال لهم القراء... إلخ[٦].

وأوصى النبي بإكرام أهل القرآن، وسمّاهم اسماً ينبض بأعظم المعاني: سمّاهم: «أهل الله

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي حـ ٤ ص ٢٠٥.

(٢) انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ص ٢٦١.

والفراء (البغوى الحسين بن مسعود): مصابيح السنة جـ ٢ ص ١٩١.

والطيالسيّ: مسند أبي داود الطيالسي ح ٧٠٤.

(٣) ابن هشام: المرجع السابق حـ٢ ص ٤٢.

وانظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى حـ٨ ص ١١٧ و١١٨ (ط. بيروت)

والزرقاني: شرحه على المواهب اللدنية حـ ١ ص ٣٧٩.

(٤) انظر: أبو على القارى: شرح العقيلة – الورقة ٦ (مخطوطة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، رقمها ٢٣ قراءات).

(٥) انظر نفس المرجع. (٦) انظر: مسلم: الجامع الصحيح حـ ٦ ص ٤٥ – باب ثبوت الجنة للشهيد.

وخاصّته »[١] ، وقال فيهم : « أشراف أمتى حملة القرآن »[٢] ، وقال : « خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه »[٣] . ومن أجل هذا الحديث ، قعد أبو عبد الرحمن السلمى أربعين عاماً يقرئ الناس بجامع الكوفة ،مع جلالة قدره وكثرة علمه[٤] ،

وقد سئل سفيان الثورى عن الجهاد وتعليم القرآن ، فرجّح الثانى ، واستَدلّ بهذا الحديث[٥]

بل إن النبىّ يُعْلى مرتبة أصحاب القرآن أيّما إعلاء ، إذ يقول إنهم يكادون يحوزون فى صدورهم ما حاز الأنبياء ، لولا أنهم لا يتلقّوْن وحى السّماء : عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : « من قرأ القرآن فقد استدرج النّبوة بين جَنْبَيْه ، غير أنه لا يُوحَى إليه »[٦] .

والنبى يؤثر أهل القرآن بإمامة الصلاة ، فيقول : « يؤمُّ القومَ أكثرهم قرآناً ، فإن كانوا فى القرآن واحداً فأقدمهم هجرةً ، فإن كانوا فى الهجرة واحداً فأفقهم فقهاً ، فإن كانوا فى الفقه واحداً فأكبرهم سنّاً »[٧] .

وكان القراء أصحابَ مجلس عمر بن الخطاب وأصحاب مشاورته كهولاً كانوا أو شباناً[٨]

---

(١) رواه ابن ماجه ، وأحمد ، والدارمى ، من حديث أنس
وانظر : المناوى : فيض القدير شرح الجامع الصغير حـ٣ ص ٦٧
وعلى بن سلطان القارى : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح حـ٢ ص ٥٧٣.

(٢) عن ابن عباس ، ورواه الطبرانى فى : « الكبير »
وانظر : المناوى : المرجع السابق حـ ٢ ص ٥٢٢ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه ، فى كتاب فضائل القرآن – كتاب ٦٦ باب ٢١
وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ٩ ص ٦١ وما بعدها (ط . المطبعة البهية المصرية – سنة ١٣٤٨) .
وأبو داود : كتاب ٨ باب ١٤ والترمذى . كتاب ٤٢ باب ١٥
وابن ماجه : حـ١ ص ٩٢ و٩٣ والدارمى : كتاب ٢٣ باب ٢
والطيالسى : حديث ٧٣ .

(٤) ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر جـ١ ص ٣ .
وأبو نعيم : حلية الأولياء حـ ٤ ص ١٩٤ .

(٥) ابن الجزرى : نفس المرجع حـ١ ص ٥٥٢ .

(٦) انظر : الحاكم النيسابورى : المستدرك جـ١ ص ٥٥٢ .

(٧) انظر : نفس المرجع جـ ١ ص ٢٤٣ .
والبغوى الفراء : مصابيح السنة جـ ١ ص ٥٥ و٥٦ .

(٨) هذا قول ابن عباس . .
وانظر : صحيح البخارى – كتاب التفسير – باب « خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ » ح ٤٦٤٢ ، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسّنّة – باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وانظر أيضاً ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ٨ ص ٣٠٤ وما بعدها و حـ٣ ص ٢٥٠ وما بعدها (ط . محب الدين الخطيب).

والقرآن يغنى صاحبه عن كلّ حسب ونسب ، وشرفُ التّفقّه فيه فوق كلّ شرف ، ألا ترى أنه لا يصدّ واحداً من أهل القرآن عن إمامة الناس أن يكون أعرابياً أو عبداً مملوكاً أو حتى ولد زنا[1] .

والقيام على خدمة المصحف وتعليمه للناس هو فخر الفاخرين . يقول العجّاج فى رَجَزِه :

ثم رأى أهل الدّسيع الأعظم   خندف الجدّ الخِضَمّ المخضَّم
وذروة النّـــاس وأهل الحكّم   ومستقرّ المصحف المـــرقّمِ
عنـــد كريم منهم مـــكرّم   معلّمٍ آىَ الهـــدى معلّمِ
مبـــاركٍ للأنبيـــــاء خـــاتمِ   فخندف هـامة هـذا العألم[2]

* * *

وسمّى الله القرآن ذكراً ، وتوعّد المعرض عنه ، فقال : « وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْراً * خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلاً »[3] *

وقال : « وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ »[4] .

---

(١) هذا قول أبى حنيفة ، وبه يأخذ صاحبه محمد بن الحسن الشيبانى
وانظر : محمد بن الحسن الشيبانى : كتاب الآثار ص ١٧

(٢) مجموعة أشعار العرب ، وهو يشتمل على ديوانى الأراجيز للعجاج والزّفيان ص ٦٠ الأبيات ٨١ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ .
وقيل إنّ العجاج كان يهمز (العالم) و (الخاتم) ونحوهما . (انظر : محمد على النجار : مباحث لغوية—الإبدال — بحث فى مجلة الأزهر ، مجلد العام ١٣٦٦ هـ ص ٤٥٥) .
والدسيع من الإنسان : العظم الذى فيه الترقوتان ؛ وقيل : هو مركّب العُنُق فى الكاهل ؛ وقيل : الدسيع : الصّدر والكاهل .
وخندف : امرأة إلياس بن مضر بن نزار ، واسمها ليلى ؛ والخندفة : مشية كالهرولة ، قالت خندف لزوجها : ما زلت أخندف فى إثركم ، فقال لها : فأنت خندف ، فذهب لها اسماً ، ولولدها نسباً ، وسميت بها القبيلة .
والخضم : السيد المحمول الجواد المعطاء الكثير المعروف والعطية .
والمخضم : الموسّع عليه من الدنيا .
وانظر : ابن منظور : لسان العرب ، فى المواضع المختصة .

(٣) سورة طه / ٩٩ – ١٠١ .

(٤) سورة طه / ١٢٤ و١٢٥ و١٢٦ .
يقول ابن قيّم الجوزيّة فى (مفتاح دار السعادة جـ١ ص ٤٢ ، نشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض) فى شأن قوله تعالى : « وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى . . . » : وليس المعنى : ومن أعرض عن أنْ يذكرنى . . . وأحْسَنُ من هذا الوجه أن يقال : الذكْرُ هنا مضاف إضافة الأسماء لا إضافة المصادر إلى معمولاتها . . . والمعنى : ومن أعرض عن كتابى ولم يتبعْه . . . فإنّ القرآن يسمّى ذِكْرًا : =

والقرآن يَعجب من المعرضين عنه والنافرين منه ، ويتهكم عليهم : « فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ » .

وخوّف النبيّ المسلمين من نسيان القرآن تخويفاً فعّالا ، فقال : « ما من امرئٍ يقرأ القرآن ثم ينساه إلاّ لقى اللهَ يوم القيامة أجْذم » (٢) .

وكما أنّ الناس مُتعبَّدون باتّباع أحكام القرآن وحفظ حدوده ، فهم مُتَعَبَّدون بتلاوته وحفظ حروفه (٣) ، بل إنّه ورد فى الحديث « أفضل العبادة قراءة القرآن » (٤) ، كما ورد « أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن » (٥) .

وقد أثنى الله على من كان دأبه تلاوة القرآن ، فقال « يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَاءَ ٱلَّيْلِ » (٦) ، « إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ » (٧) .

والنبى يحض على حفظ القرآن ودوام تلاوته والعمل به ، فيقول : « مَثَلُ المؤمن الذى يقرأ القرآن مَثَلُ الأُتْرجّة (٨) : ريحها طيّب ، وطعمها طيّب ؛ ومثَل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثَل الثمرة : لا ريح لها ، وطعمها طيّب حلو ؛ ومثَل المنافق الذى يقرأ القرآن مثَل الريحانة : ريحها طيّب ، ولا طعم لها ؛ ومثَل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثَل الحنظلة : ليس لهـا ريح وطعمها مرٌّ » (٩).

= قال تعالى : « وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ » (سورة الأنبياء / ٥٠) .
وقال تعالى : ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ » (آل عمران / ٥٨) .
وقال تعالى : « إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ » (فصّلت / ٤١) .
وقال تعالى : « إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ » (يس / ١١) .

ويقول ابن كثير الدمشقى فى الكلام عن شروح آية : « ومن أعرض عن ذِكْرِى . . . » : إن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان ، وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد ، نعوذ بالله منه (انظر : فضائل القرآن ص ٦٩) .

(١) سورة المدّثّر / ٤٩ – ٥١ .   (٢) انظر : البغوى الفراء : مصابيح السنة جـ ١ ص ١٠٥ .
(٣) ابن الجزرى : النشر جـ١ ص ٣٨.   (٤) المناوى : فيض القدير جـ٢ ص ٤٤.
(٥) أخرجه البيهقى فى « شعب الايمان » ، وانظر المرجع السابق .
(٦) سورة آل عمران / ١١٣ .   (٧) سورة فاطر / ٢٩ و ٣٠ .
(٨) هى ثمر جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون.
(٩) أخرجه البخارى فى ٧٠ – كتاب الأطعمة : ٣ – باب ذكر الطعام ، (رواه مسلم ، والنسائى، وابن ماجه ، عن أبى موسى الأشعرى)
وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ٩ ص ٥٤ و ٥٥ (ط . البهية) .

وفى صحيح مسلم[١] عن عائشة قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن : مع السَّفَرَةِ[٢] الكرام البَرَرَةِ ، والذى يقرأ القرآن ويَتَتَعْتَعُ[٣] فيه ، وهو عليه شاقّ : له أجران »[٤] .

وعن ابن عبَّاس ، أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : « أحبُّ الأعمال إلى الله الحالُّ المرتحل » .

قالوا : ومن الحالُّ المرتحل يا رسول الله ؟

قال : صاحب القرآن يقرأ من أوّله لآخره ، كلّما حلّ ارتحل[٥] .

* * *

وقد جاز التبديل والتغيير على أهل الكتب الدينية الأخرى ، فقد حرّفوا الكلم من بعد مواضعه[٦] ، وشهد شهود منهم أنّ بعضهم كتبوا الكتاب بأيديهم ، وكما عبّر القرآن – « وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ ويَقُولُونَ عَلى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ وهُمْ يَعْلَمُونَ »[٧] . واندرست على الأيام الكتب القديمة التى ذكرها الله فى كتابه فى قوله : « إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَى »[٨] ، ولا يُعرف اليومَ منها شيءٌ ، أما القرآن فمحفوظ أبداً فى الصّدور ، وفى السُّطور ، « لا يغسله الماء » كما جاء فى حديث قدسىّ[٩] .

---

(١) حـ٦ ص ٨٤

(٢) يعنى : فى منازل الملائكة ، لأنه يحمل – مثلهم – كتاب الله تعالى .

(٣) يتردد فى تلاوته لضعف حفظه .

(٤) أجر القراءة ، وأجر المشقة .

(٥) انظر : القرطبي المفسر : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٣٠ .

(٦) سيكون لنا فى أحد فصول الكتاب حديث مفصل فى هذا الشأن ، إن شاء الله .

(٧) سورة آل عمران / ٧٨

(٨) سورة الأعلى / ١٨ و١٩

(٩) أى أن محوه من الصحف بالماء لا يؤثر فيه ولا يزيله .

وانظر : مسلم بن الحجاج : الجامع الصحيح حـ٨ ص ١٥٨ و١٥٩ ، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

وانظر : ابن الجزرى : النشر حـ١ ص ٦

٣

ويقول « يوسف على » مترجم معانى القرآن إلى الإنجليزية : « ليس فى الدنيا كتاب وُضِعت فى خدمته مثل هذه الكثرة من المواهب التى وُضِعَتْ فى خدمة القرآن ، ولا مثل هذه الوفرة من العمل والوقت والمال »[1]. وهذا حقّ ، فقد عنى المسلمون بالقرآن عناية لم يظفر بها – على مدى التاريخ – أىّ كتاب سماوى أو غير سماوىّ . ولعلّ من مصاديق هذه العناية هذه الأعداد الضخمة من الكتب الجليلة التى خَدَمَتْ علوم القرآن منذ أقدم القرون الإسلامية ، وهذه البحوث والفنون التى كان القرآن دائماً موضوعها[2] .

(ا) فقد عنى القراء بضبط لغات القرآن ، وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه ، وعددها ، وعدد كلماته وآياته ، وسُوَره وأحزابه ، وأنصافه ، وأرباعه ، وعدد سجداته ، وحصر الكلمات المتشابهة ، والآيات المتماثلة .

(ب) واشتغل النحاة بالمعرب منه من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها ، وتكلموا فى الأسماء ، وتوابعها ، وضروب الأفعال ، واللازم ، والمتعدى ، ورسوم خطّ الكلمات ، وتوسعوا فى شواهده ، حتى لقد أحصوا منها – فيما قيل – ثلثمائة ألف بيت من الشعر . يقول « مصطفى صادق الرافعى » تعقيباً على هذا : « ولعمر أبيك إنها لمعجزة فى فنها[3] » . وبَلَغ من عناية بعضهم بالقرآن أن أعربه كلمة كلمة[4] .

(حـ) والتفت المفسرون إلى ألفاظه وإلى معانيه ، فأوضحوا الخفىّ منها ، وخاضوا فى ترجيح المعانى التى يختارونها للألفاظ . وقد ذكر « حاجى خليفة » من تفاسير القرآن وكتب

---

(١) Commentaries on the Quran, p. IX.

(٢) نقلاً عن : السيوطى : الإتقان جـ٢ ص ١٢٦ و ١٢٧ بتصرف ، ويذكر السيوطى أن أبا بكر بن العربى ذكر فى قانونه « التأويل » أن علوم القرآن ٧٧٤٥٠ ، على عدد كلم القرآن مضروبة فى ٤ ، على أساس أن لكل كلمة ظهراً وبطناً وحّداً ومطلعاً ، وذلك فى المفردات وحدها ، فأما إذا اعتبرت التراكيب وما بينها من روابط كان ما لا يحصيه إلا الله تعالى (نفس المرجع ص ١٢٨) .

وانظر أيضاً الكتب المصنفة فى الموضوعات القرآنية فى : ابن النديم : الفهرست ص ٣٣ – ٣٥ (ط ، أوربا)

(٣) إعجاز القرآن – هامش ص ١١٩

(٤) انظر مثلاً :

العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه إعراب القرآن .

وابن خالويه : كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم .

معانيه ومشكله ومجازه وغريبه ولغاته وقراءاته ، ذكَرَ من هذا بعض ما عرف فى زمنه ، فبلغ ما ذكره مئات كثيرة [١] .

(د) واتجه الأصوليون إلى القرآن يستنبطون مما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية علم أصول الدين ، كما يستنبطون منه أحكام اللغة : من الحقيقة ، والمجاز ، والتخصيص ، والإخبار ، والنص ، والظاهر ، والمحتمل ، والمحكم ، والمتشابه ، والأمر ، والنهى ، والنسخ ، إلى غير ذلك من الأقيسة ، واستصحاب الحال ، والاستقراء .

(هـ) وتخصص علماء الفروع فى إحكام النظر والفكر فيما فى القرآن من الحلال ، والحرام ، وسائر الأحكام .

(و) وأخذ أهل التاريخ والقصص من معين القرآن تاريخَ الأمم الخالية وقصص القرون السالفة .

(ز) واعتمد الخطباء والوعاظ — فى وعظهم — على ما فى القرآن من الوعد ، والوعيد ، والتحذير ، والتبشير ، وذكر الموت ، والميعاد ، والحشر ، والحساب ، والعقاب ، والثواب ، والجنة ، والنار .

(ح) وأقام علماء الفرائض علمهم على نصوص القرآن وشروحها .

(ط) كما استخرج أصحاب علم المواقيت قواعد علمهم من آيات القرآن .

(ى) وكذلك استنبط البلاغيّون علوم المعانى والبيان والبديع من نظرهم إلى ما فى القرآن من جزالة اللفظ وبديع النظم ، وحُسْن السّياق ، والمبادئ ، والمقاطع ، والمخالص ، والتّلوين فى الخطاب ، والإطناب ، والإيجاز ، وغير ذلك .

(ك) ومن معانى القرآن ودقائقه أخَذَ الصوفية مصطلحات فنّهم ، وقبسوا أنوار طريقهم .

٤

والقرآن فى كل بلد إسلامى هو دستوره الحى الأصيل . ومصر بالذات تأخذ بالقرآن منذ دخلها الإسلام . وقد نصّت دساتيرها المتعاقبة فى العصر الحديث على أن دينها الرسمى هو الإسلام دين القرآن ، وأن لغتها الرسمية هى اللغة العربية لغة القرآن ؛ وهذه الجمهورية — فوق

(١) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣٣ — ٣٦ .

ذلك – هى الآن ، ومعها بلاد إسلامية شقيقة ناهضة ، موئل الدراسات الإسلامية والآداب العربية ، وكلها تعتمد – أولَ ما تعتمد – على القرآن .

* * *

وقد يعترض معترض على الأخذ بالقرآن بإطلاق ، وعلى اتخاذه دستوراً وسبيلا إلى الإمامة فى الأرض ، فيقول إن الأعصر الحديثة غير العصر الذى جاء فيه ، ولكن هذا الاعتراض محجوج بما ذكرنا مضمونه فى أكثر من كتاب من كتبنا ، وهو أن للقرآن منهجاً خاصاً فى تقرير الأحكام ، فهو يضع – بما يناسب روحه ويساير وجهته – الأصول الكلية والمبادئ العامة ، ثم يدع للسّنّة تفسير هذه الأصول والمبادئ ، ويدع للمجتمع – بعد الرسول – تطبيقها بما يكفل مواجهة ظروف الحياة المتجددة ومطالب الأزمنة والبيئات المتغيرة .

وعندنا – فى غير خروج على الموضوعية – أنه ليس يصعب على أهل القرآن – إذا عرفوا الأشباه ، وقاسوا الأمور بنظائرها ، ورجعوا إلى أعراف الناس ، فى الاستطابة والاستخبات ، وانتفعوا بالاستدلالات ، والتفريعات ، وسائر قوانين الاستمداد ، وقوانين الاستنباط . مما عُنى به علم الأصول . . . ليس يصعب – إذا فعلوا ذلك – أن يستخلصوا من آى الكتاب ، ومن السّنّة الشارحة ، ومن تطبيقات السَّلف : مبادئ مثالية على الدوام ، توائم أحوالهم ، وتحقق مصالحهم ، وأن يطبقوها متميزين ، آخذين من كتابهم : نصوصِه وروحِه ومعقولِه ، مسيغين ما يأخذون ، متبوعين لا تابعين [1] .

(١) انظر : لبيب السعيد : العلاقات العمالية الإنسانية وأيديولوجيتها فى المجتمع العربى ص ١٩١ (الطبعة الثانية) .

القسم الأول

جمع القرآن كتابيًا وصوتيًا

البَـابُ الأولـ

الجمعان الكتابيان

- جمع أبي بكر
- جمع عثمان

الفصل الأول

جمع أبي بكر

١

يطلق « الجمع » – فى كلام أهل القرآن – إما على حفظه جميعه عن ظهر قلب ، ومنه قوله تعالى : « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ »[١] ، وإما على جمع متفرّقه فى صحف ، ثم جمع تلك الصحف فى مصحف واحد ، مرتب الآيات والسّور على النحو الذى تلقَّته الأمة من النبى[٢] (ص).

والجمع بالمعنى الثانى هو الذى نقصده هنا .

٢

والثابت أن القرآن لم يُجمع على عهد النبى فى مصحف واحد :

عن زيد بن ثابت ، قال : « قُبِض النبي – صلى الله عليه وسلم – ولم يكن القرآن جُمِع فى شيء »[٣] .

وربما كان ذلك لأنّ القرآن ظلّ عشرين سنةً أو يزيد ينزل منجّماً ، ولأنّ النسْخ كان يرد على بعض الآيات ، فلو جُمِعَ القرآنُ وقتئذ ، ثم رُفِعَتْ تلاوة بعضه « لأدّى إلى الاختلاف واختلاط الدين ، فحفظه الله فى القلوب ، إلى انقضاء زمان النسخ »[٤] .

وقيل فى هذا أيضاً إن الله تعالى كان أمّن النّبي من النسيان بقوله : « سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تنسَىٰٓ .

---

(١) سورة القيامة / ١٧ .

(٢) عن ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ٩ ص ٨ – بتصرف – (ط . البهية) .

(٣) نقله ابن حجر عن الجزء الأول من فوائد الدير عاقولى – انظر : فتح البارى جـ٩ ص ٩ ، وانظر : السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ١ ص ٥٧.

(٤) الزركشى : البرهان فى علوم القرآن جـ١ ص ٢٣٥ .

إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ »[١] ، أى ما شاء الله أن يُرفع حُكْمُه بالنسخ ؛ فلما تُوفى النبي (ص) أصبح النسيانُ ممكنَ الوقوع من الناس ، ومن هنا أصبحت الحاجة ماسّة إلى جمع القرآن وحفظه وتدوينه [٢] .

والنبي – فى حياته – كان بين ظهرانى المسلمين ، يقرأون القرآن بين يديه ، ويملكون الاسترشاد به هو نفسه فى شأن هذا الكتاب ، وفى كل شأن ، ولذلك كان الخطأ فى القرآن – على عهده – مأموناً تماماً .

وفى ذلك العهد ، كان الإسلام الناشئ لا يزال محدود الرقعة ، فلم تكن الحاجة إلى جمع القرآن فى نفس شدّتها على عهد أبى بكر ثم على عهد عثمان .

على أن الثابت أنّ النبيّ كان يستحفظ أصحابه ما ينزل عليه من القرآن عَقِب نزوله ، وكان له كتّاب ، يكتبونَ – بين يديه ، وبأمره ، وإقراره – ما ينزل عليه . روى أحمد ، وأصحاب السّنن الثلاثة ، وصحّحه ابن حِبّان ، والحاكم ، عن ابن عباس ، عن عثمان ، قال :

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، مما يأتى عليه الزمان ، ينزل عليه من السّوَر ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعضَ من يكتب عنه ، فيقول : ضعوا هذا فى السّورة التى يذكر فيها كذا [٣] .

وكانوا – على ما اعتاد العرب – يكتبونه فى اللّخاف [٤] والعُسُب [٥] والأكتاف [٦]

---

(١) سورة الأعلى / ٦

(٢) انظر : الزركشى : البرهان جـ١ ص ٢٣٨

وعلى ذكر النّسْخ ، نذكر أنه ثبت فى الصحاح ، عن عائشة وابن عباس ، أن جبريل كان يعارض النبى – صلى الله عليه وسلم – بالقرآن ، فى كل عام مرة ، فلما كان العام الذى قُبض فيه عارضه به مرتين ، والعرضةُ الأخيرة هى قراءة زيد بن ثابت وغيره ، وهى التى أمر الخلفاء الراشدون بكتابتها فى المصاحف (ابن تيمية : فى قول النبى – صلى الله عليه وسلم – نزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبعة ص ٥٠ و ٥١)

وقد شهد زيد بن ثابت العرضة الأخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى ، وكتبها لرسول الله ، وقرأها عليه ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ولهذا اختير للجمعين الكتابيَّين البكرى والعثمانى (انظر : الزركشى : المرجع السابق ص ٢٣٧).

(٣) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ٩ ص ٢٢ (ط . محبّ الدين الخطيب) .

(٤) واحدتها لخفة – بضم اللام وسكون الخاء – وهى الحجارة الدقاق ؛ وقال الخطابى : صفائح الحجارة الرقاق ؛ قال الأصمعى : فيها عرض ودقة ؛ وفسره أبو ثابت أحد شيوخ ابن حجر بالخزف ، وهى الآنية التى تصنع من الطين المشوىّ (ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ٩ ص ١١ (ط . البهية) . وانظر : السيوطى : الإتقان جـ١ ص ٥٨ و ٥٩) .

(٥) جمع عسيب ، وهو جريد النخل . كانوا يكشطون الخوص ، ويكتبون فى الطرف العريض (السيوطى : نفس المرجع ص ٥٨).

(٦) جمع كتف ، مثل كَذِب وكِذْب ، أنثى ، وهو العظم العريض الذى للبعير أو الشاة ، كانوا إذا جفّ كتبوا عليه . وفى الحديث : « إيتونى بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً » (انظر : ابن منظور : لسان العرب . مادة (ك ت ف) وانظر : السيوطى نفس المرجع ص ٥٩) .

والرقاع [١] والأقتاب [٢] وقطع الأديم [٣] .

روى البخارى عن البَرَاء قال : لما نزلت « لاَ يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ » [٤] ، قال النبى ، صلى الله عليه وسلم : « أُدع لى زيداً (يريد زيد بن ثابت) ، وليجىء بالكتفِ والدواة » . والمسلمون مجمعون على أن الصحابة ما كانوا يكتبون إلا ما كانوا يقطعون بسماعه من النبى ، صلى الله عليه وسلم [٥] .

والثابت أيضاً أنه ، فى زمن النبى (ص) ، كان تأليف ما نزل من الآيات المفرّقة فى سورها ، وجمعها فيها بإشارة منه . أخرج الحاكم – بسند على شرط الشيخين – عن زيد بن ثابت ، قال : كنا عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نؤلف القرآن من الرقاع [٦] . قال البيهقى : الشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرَّقةِ فى سورها ، وجمعها فيها ، بإشارة من النبى، صلى الله عليه وسلم [٧] .

وقد كان كل ما يكتب من القرآن – على عهد النبى (ص) – يُحفظ فى بيته . والشيعة يروون فى هذا « أن رسول الله – صلى الله عليه وآله – قال لعلى – عليه السلام – : يا علىّ ، إن القرآن خلف فراشى فى الصحف والحرير والقراطيس ، فخذوه ، واجمعوه ، ولا تضيعّوه . . . إلخ » [٨] .

ولئن قيل إن الثابت المتواتر هو ما ألمعنا إليه قبلا ، وهو أن النبى (ص) لحق بالرفيق الأعلى والقرآن غير مجموع فى موضع واحد ولا مرتب السور [٩] ، لقد علمنا – وهذه حقيقة بالغة الأهمية – أن هذا كان من حيث الكتابة فقط لا من حيث الحفظ فى الصّدور .

---

(١) جمع رقعة . وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد (ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ٩ ص ١١ – ط . البهية ، والسيوطى : المرجع السابق) .

(٢) مفرده قتب وقَتَب ، وقد يؤنث ، والتذكير أعمّ ؛ وهو إكاف البعير ، أى الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه (انظر : لسان العرب – مادة (ق ت ب) وانظر : السيوطى : المرجع السابق)

(٣) الجلد المدبوغ (المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير – مادة « أدم »)

(٤) سورة النساء / ٩٥ .

(٥) انظر : محمد بخيت المطيعى : الكلمات الحسان ص ٤٨

(٦) المستدرك حـ٢ ص ٦١١ .

(٧) السيوطى : المرجع السابق حـ١ ص ٥٧ .

(٨) الكاشانى ملا حسن فيض : الصافى ص ٩ .

(٩) السيوطى : المرجع السابق .

٣

وتوفى النبي (ص) ، فقام بالأمر بعده أبو بكر ، وارتدّ بعض العرب عن الإسلام ، وظهر مسيلمة وأصحابه يدّعون النبوة ، فتصدّى أبو بكر لقتال هؤلاء جميعاً ، وقُتِلَ من الصحابة وقتئذ ممن حَفِظَ القرآنَ جَمْعٌ كبير ، فأثار ذلك الخوف على القرآن[1] فكان أول جمع كتابي له .

يروى البخارى فى صحيحه قصة هذا الجمع ، فيقول :[2] .

« . . . عن زيد بن ثابت ، قال :

أوسل إلىّ أبو بكر – مقتل أهل اليمامة [3] – فإذا عمر بن الخطاب عنده .

قال أبو بكر – رضى الله عنه – :

إن عمر أتانى ، فقال : إنّ القتل قد استحرّ يومَ اليمامة بقرّاء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحرَ القتل فى المواطن[4] ، فيذهب كثير من القرآن [5] . وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن

---

(١) فى قصّة هذا القتال . فيا ذكر الحافظ ابن كثير : أن مسيلمة الكذّاب التفّ معه من المرتدّين قريب من مائة ألف ، فجهّز الصّدّيق لقتاله خالد بن الوليد ، فى قريب من ثلاثة عشر ألفاً ، فالتقَوْا معهم ، فانكشف الجيش الإسلاميّ لكثرة مَنْ فيه من الأعراب .

فنادى القراء من كبار الصحابة : يا خالد ، خَلِّصْنا ! يقولون : ميِّزْنا من هؤلاء الأعراب ، فتميزُوا منهم ، وانفردوا ، فكانوا قريباً من ثلاثة آلاف ، ثم صدقوا الحملة ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، وجعلوا يتنادَوْن : يا أصحاب سورة البقرة ! فلم يزل ذلك دأبهم ، حتى فتح الله عليهم ، وولّى جيش الكفر فارًّا ، وأتبعَتْهم السيوف المسلمة فى أقفيتهم قتلاً وأسْراً ، وقتل الله مسيلمة ، وفرّق شمل أصحابه ، ثم رجعوا إلى الإسلام .

ولكن ، قُتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة رضى الله عنهم ، فلهذا أشار عمر على الصِّدّيق بأن يجمع القرآن . . إلخ (فضائل القرآن ذيل تفسير الحافظ ابن كثير ص ١٥) .

ويشذّ المستشرق بروكلمان ، فيبدى تشككه من أن تكون معركة اليمامة تلك هى التى قدّمت الداعى إلى جمع القرآن (تاريخ الأدب العربى ، ترجمة عبد الحليم النجار حـ ١ ص ١٣٩) وقول بروكلمان هنا سيئ القصد وغير علميّ ، والمسلمون لن يتركوا صحيح البخارى لتشككك يكذّب بالقرآن أصلاً .

(٢) انظر : كتاب فضائل القرآن . وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ ٩ ص ٨ – ١٣ (ط . البهيّة) .

(٣) اليمامة واقعة اشتبك فيها المسلمون بمسيلمة الكذاب ، فى أهل اليمامة ، زمن الرِّدّة ، وفيها استشهد من الصحابة نحو ٤٥٠ ، وقيل ٧٠٠ ، وقيل : أكثر ، وجملة القتلى من المسلمين ٩٦٠ أو يزيدون .

(انظر : الطبرى : تاريخ الأمم والملوك حـ٣ص ٢٥٢ ، فى حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة) .

(٤) المراد : الأماكن التى يقع فيها القتال .

(٥) يعنى بموت حفاظه ، ونقص من يبقون عن عدد التواتر فى نقل القرآن . مما يجعله ظنياً لا يؤمن الغلط فيه .

قلت لعمر :

كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ .

فقال عمر :

هذا والله خير

فلم يزل عمر يراجعنى ، حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك رأى عمر .

قال زيد :

وقال أبو بكر :

إنك رجلٌ شابٌّ [١] عاقل لانتَّهمك ، وقد كُنت تكتب الوحى لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فتتبعْ القرآنَ واجْمعْه [٢]

قال زيد :

فوا الله لو كلّفونى نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علىّ مما أمرونى به من جمع القرآن !

قلت :

كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟

فقال :

هو والله خير .

فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب ، واللّخاف ، وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر التوبة « لَقَـدْ جَآءَكُمْ . . . » [٣] مع أبى خزيمة الأنصارى الذى جعل النبى ، صلى الله عليه وسلم ، شهادته بشهادة رجلين ، لم أجدها مع أحد غيره ، فألحقتها فى سورتها .

---

(١) كان زيد وقتها فى الثانية والعشرين ، ذلك أنه كان ابن إحدى عشرة سنة ، حين قدم النبى (ص) المدينة (أبو الفدا : البداية والنهاية جـ ٥ ص ٣٤٦) .

(٢) فى شأن تردّد أبى بكر آنفاً ، يقول محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة الإسلامية ، فى دار الخلافة العثمانية، والمتوفى بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ :

« وتردّدُ الصدّيق رضى الله عنه – بادئ ذى بدء – إنما كان بملاحظة أنّ ذلك ربما يكون سبباً للتواكل فى حفظه ، والتكاسل فى استظهاره ، لا باعتبار التحرج فى الكتابة ؛ قال الله تعالى : « رَسُولٌ مِّنَ اللهِ يتلواْ صُحُفاً مُطَهَّرَة » (سورة البينة / ٢) . فأنّى يتصور التحرج من كتابة آيات السّور فى الصحف مع وجود هذه الآية الكريمة ؟ » (مقالات الكوثرى ص ٨) .

وهذا فهم واضح السّلامة .

(٣) سورة التوبة / ١٢٨

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قُبض ، ثم عند حفصة بنت عمر »[١] .

وحفصة هى إحدى زوجات الرسول ، وكانت تحفظ القرآن ، وكانت قارئة كاتبة وكان أبوها عمر أوصى إليها .

* * *

وفى شأن آيتى (التوبة) آنفًا ، نقول إنّ إجماع الصحابة على كتابتهما فى المصحف يستحيل أن يُبنى على رواية فردية .

وواضح من كلام زيد بن ثابت نفسه أنه كان يعرف هاتين الآيتين .

وإذا كان لا يعرفهما ، فكيف افتقدهما ؟

ويقول ابن حجر العسقلانى – معتضداً بعدة روايات موثّقة – إنّ أبا خزيمة لم ينفرد بها . بل كان معه عمر . وزيد بن ثابت . وعثمان ، وأبىّ بن كعب [٢] .

وقد أخطأ بعض الرافضة فهم أقوال زيد بن ثابت آنفاً ، فادّعوا أن الواحد يكفى فى نقل الآية والحرف ، وجعلوا هذا من مطاعنهم فى القرآن الكريم . وقد أورد القرطبى – فى الرد عليهم [٣] – إجابتين فحوى أولاهما ما ذكرناه الآن .

٤

ومع أن الصحابة كانوا قد شاهدوا تلاوة القرآن من النبى عشرين سنة ؛

ومع أن القرآن كان – كما قلنا – مكتوباً فعلا على عهد النبى (ص) إلاّ أنه كان مفرّقا ؛

ومع أن تزوير ما ليس منه كان مأموناً ؛

ومع أن هذا الجمع جمعَ أبى بكر كان – كما قال الحارث المحاسبى فى كتاب « فهم السنن » – « بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله . صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) انظر : مكى بن أبى طالب : الإبانة عن معانى القراءات ص ٢٣ و ٢٤
والزركشى : البرهان حـ ١ ص ٢٣٣ و ٢٣٤
والسيوطى : الإتقان حـ ١ ص ٥٧ .

(٢) انظر : فتح البارى حـ ٩ ص ١١ – ١٦ (ط . محبّ الدين الخطيب) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن حـ ١ ص ٥٦ .

فيها القرآن منتشراً ، فجمعها جامع ، وربطها بخيط ، حتى لا يضيع منها شيء »[١] ؛

ومع أن زيد بن ثابت – الذى كان فى حكم رئيس لجنة الجمع – كان هو وغيره من الصحابة يحفظون القرآن ؛

ومع أنهم كانوا حُرَّاساً أمناء على القرآن ؛

فقد اتُّبع فى هذا الجمع منهجٌ دقيق حريص متحرِّج أعان على وقاية القرآن من كلّ ما لحق النصوص الأخرى من مظنّة الوضع والانتحال ، وعوامل النسيان والضياع :

١ – كان كلّ من تلقّى من رسول الله شيئاً من القرآن يأتى به[٢] . ومعلوم أن ذلك كان بكل الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، والتى سنبسط القول فيها فى موضع آخر من هذا البحث إن شاء الله .

٢ – وكانوا يكتبون ذلك فى الصحف والألواح والعُسُب[٣] .

٣ – وكان لا يُكتب إلّا :

(أ) من عين ما كُتِب بين يدى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، لا من مجرد الحفظ[٤] ، مع المبالغة فى الاستظهار والوقوف عند هذا[٥] .

(ب) وما ثبت أنه عرض على النبى ، صلى الله عليه وسلم ، عام وفاته ، دون ما كان مأذوناً فيه قبلها[٦] .

(ج) وما ثبت أنه من الوجوه التى نزل بها القرآن[٧] .

٤ – وكانت كتابة الآيات والسور على الترتيب والضبط اللذين تلقاهما المسلمون عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم[٨] .

---

(١) انظر : الزركشى : البرهان حـ١ ص ٢٣٨
والسيوطى : الإتقان حـ١ ص ٥٨
وعبارة المحاسبى الآنفة مسبوقة بقوله : « كتابة القرآن ليست محدثة ، فإنه صلى الله عليه وسلمّ كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرّقاً فى الرقاع والأكتاف والعُسُب ، وإنما أمر الصّديق بنسخها من مكان إلى مكان ».

(٢) انظر : ابن الجوزى : تاريخ عمر بن الخطاب ص ١٢٩ . (٣) انظر : نفس المرجع .

(٤) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ٩ ص ١٠ (ط . البهية) .

(٥) نفس المرجع ص ١٢

(٦) انظر : القسطلانى : لطائف الإشارات . الورقة ٦ من المخطوطة رقم ٤٦ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٧) السيوطى : المرجع السابق

(٨) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ٩ ص ١٢ (ط . البهية) .

٥ – وكان لا يقبل من أحد شيء حتى يشهد شهيدان ، أى أنه لم يكن يُكتفى بمجرد وجدان الشيء مكتوباً حتى يشهد به من تلقّاه سماعاً [١] .

٦ – وبأمر أبى بكر ، كان عمر وزيد يقعدان على باب المسجد – وهو وقتئذ مقرّ لجنة الجمْع – ليكتبا ما يشهد عليه الشاهدان .

* * *

والتزمت اللجنة بهذه القواعد التزاماً كاملا وصادقاً ، حتى قيل إن عمر نفسه أتى بما سمّوه بآية الرجم ، فلم يكتبها زيد ، لأن عمر كان وحده [٣] .

وكذلك من دلائل الالتزام بتلك القواعد ، ما أخرجه ابن الأنبارى فى (المصاحف) ، ونقله السيوطى فى تفسيره للآية : « حَـٰفِظُوا عَلَى الصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ »[٤] من أنّ حفصة أمّ المؤمنين وابنة عمر بن الخطاب – كما أسلفنا – قالت : إذا انتهيتم إلى هذه الآية فأخبرونى ، فلما بلغوا إليها ، قالت : اكتبوا : « والصلاة الوسطى وهى صلاة العصر » ، فقال لها عمر أبوها : ألكِ بيّنة بهذا ؟ قالت : لا . قال : فوالله لا نُدخل فى القرآن ما تشهد به امرأة بلا إقامة بيّنة [٥].

---

(١) قال ابن حجر : وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب (فتح البارى : حـ ٩ ص ١١ – ط . البهية) .

(٢) عند السخاوى : المراد أنهما يشهدان على أنّ ذلك المكتوب كُتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو أنهما يشهدان على أنّ ذلك من الوجوه التى نزل بها القرآن .

وعند السّيوطى : المراد أنهما يشهدان على أنّ ذلك مما عُرِض على النبى صلى الله عليه وسلّم ، عام وفاته . (انظر : الإتقان حـ١ ص ٥٨)

(٣) نفس المرجع

وقد أخرج أحمد ، والطبرانى فى « الكبير » ، من حديث أبى أمامة بن سهل ، عن خالته العجماء : « إن فيما أنزل الله من القرآن : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة بما قضيا من اللذة » ؛ وأخرجه ابن حبّان ، فى صحيحه ، من حديث أُبىّ بن كعب بلفظ : « كانت سورة الأحزاب توازى سورة البقرة ، وكان فيها آية الرجم : « الشيخ والشيخة . . . الحديث » (انظر : الشوكانى : نيل الأوطار حـ٧ ص ٩١)

والشك فى قرآنية هذا القول كبير جداً ، وله ما يبرره . يقول مصطفى صادق الرافعى تعقيباً عليه : « فانظر أى نظم هذا . . ونحن لا نتحرج أن نقسم أن (الشيخ والشيخة) و (فارجموهما ألبتة) مما لا يمكن بحال أن يكون من نظم القرآن ، وأن ذلك من اللفظ الفجّ والكلام المعسول الذى لا يشابه القرآن فى جزالته ، وقوة أسره ، ودقة نظمه ، وصلابة معجمه ، وأوْلى لمن جاء بها ثم أوْلى » (إعجاز القرآن ص ٢٩) .

وهذا – طبعاً – لا ينفى علم المسلمين الوثيق بأنّ الرجم من فرائض الله تعالى .

(٤) سورة البقرة / ٢٣٨ .

(٥) انظر : السيوطى : الدر المنثور حـ١ ص ٣٠٢ و٣٠٣ .

٥

وحَظِيَ عمل أبي بكر هذا برضي المسلمين : أخرج ابن أبي داود في (المصاحف) بسند حسن عن عَبْد خير ، قال : سمعت علياً يقول : أعظم الناس في المصاحف أجراً : أبو بكر ، رحمة الله على أبي بكر ! هو أول من جمع بين اللوحين[١] .

والحقّ أن لهذا الجمع فضلاً كبيراً ، فقد تدارك – في وقت مبكّر – كلّ الأصول التي كُتِب فيها القرآن ، وأفاد منها، قبل أن يتفرّق شيء منها ، أو يضيع ، أو تعدو عليه عوامل البِلَى .

٦

ولقد اعترض بعض الروافض – بَعْدُ – على جمع القرآن . ولعلّ ابن حجر العسقلاني أن يكون قد جمع كلَّ الرّدود على هذا الاعتراض .

قال ابن حجر :

« سُوِّل لبعض الروافض أن يوجّه الاعتراض على أبي بكر بما فعل من جمع القرآن في المصحف ، فقال : كيف جاز أن يفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال :

والجواب عن ذلك :

أنه لم يفعل ذلك إلاّ بطريق الاجتهاد السّائغ الناشئ عن النصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامّتهم .

وقد كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أذن في كتابة القرآن ، ونهى أن يكتب معه غيره ، فلم يأمر أبو بكر إلاّ بكتابة ما كان مكتوباً ، ولذلك توقف زيد عن كتابة الآية من آخر سورة « براءة » حتى وجدها مكتوبةً ، مع أنه كان يستحضرها ومن ذكر معه .

وإذا تأمل المنصف ما فعله أبو بكر من ذلك جزم أنه يُعدّ في فضائله ، وينوّه بعظم منقبته ، لثبوت قوله ، صلى الله عليه وسلم : « من سنّ سنّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » ، فما جمع القرآن أحدٌ بعده إلا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة .

---

(١) المصاحف ص ٥ .

وقد كان لأبي بكر من الاعتناء بقراءة القرآن ما اختار معه أن يردّ على ابن الدَّغِنَة جواره بجوار الله ورسوله[١] .

وقد أعلم الله تعالى فى القرآن أنه مجموع فى الصحف فى قوله : « يَتْلُواْ صُحُفاً مُّطَهَّرَةً »[٢] . وكان القرآن مكتوبا فى الصُّحف ، لكن كانت مفرّقة ، فجمعها أبو بكر[٣] » .

٧

وقد قيل إنّ آخرين من الصحابة سبقوا أبا بكر إلى جمع القرآن . ونحن مناقشو هذه الروايات :

١ — روى بعض الشيعة أن عليًّا ، لما أراه النبي (ص) القرآن خلف فراشه فى الصّحف والحرير والقراطيس ، وطلب إليه جمعه ، انطلق فجمعه فى ثوب أصفر ، ثم ختم عليه فى بيته ، وقال : لا أرتدى حتى أجمعه .

وقال راوى الخبر :

إنْ كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه [٤] .

ويردّ هذه الرواية أنّ فى أعقابها — فى مصدرها — قصةً لم يروها غير غلاة الشيعة ، ومؤداها أنّ عليًّا جَمَع القرآن ، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار ، « فلما فتحه أبو بكر ، خرج فى أول صفحة فتحها فضائح القوم ، فوثب عمر ، وقال : يا علىّ ! اردُدْه ، فلا حاجة لنا فيه » .وتقول القصة : إن عمر دبّر فى قتل علىّ ، على يد خالد بن الوليد . وإن عليًّا قال لعمر لما سأله إحضار مصحفه : « إنّ القرآن الذى عندى لا يمسّه إلاّ المطهَّرون والأوصياء من وُلْدى » . فقال عمر : « فهل وقتٌ لإظهاره معلوم ؟ » قال علىّ : « نعم ، إذا قام القائم من وُلْدى يُظهره ، ويحمل الناس عليه ، فتجرى السنة به »[٥] .

والوضع ظاهر فى هذه القصة الحاشدة بالأقوال الخطيرة ، وذات اللون الشيعىّ الفاقع ، والتى سنناقشها فى فصل تال فنجدها تحمل أسباب رفضها .

---

(١) انظر هذه القصة فى : ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٣٩٥ و ٣٩٦.

(٢) سورة البينة / ٢ .

(٣) انظر : فتح البارى ج ٩ ص ١٠ (ط البهية) . وانظر . محمد بخيت المطيعى : الكلمات الحسان ص ٢١

(٤) الكاشانى ملا حسن فيض : الصافى ص ٩ (٥) نفس المرجع ص ١٠ .

وثمة رواية أخرى بأن علياً جَمَع القرآن عقب وفاة النبي (ص) مباشرة ، وأن ذلك شَغَلَه عن بيعة أبي بكر [١] ، ولكن التحقيق يثبت أن بعض طرق هذه الرواية – وهو ما أخرجه أبو داود عن طريق ابن سيرين – ضعيف ، وبعض طرقها – وهو ما أخرجه غير واحد من رواية أبي حيان التوحيدي – موضوع . أما الذي صحّ – كرواية أبي الضريس في فضائل عليّ فمحمول على الجمع في الصدر ، أي على الحفظ عن ظهر قلب [٢] .

يقول السجستاني : « لم يذكر (المصحف) أحد إلاّ أشعث ، وهو ليّن الحديث ، وإنما قال (أي علي) : حتى أجمع القرآن ، يعني أتمّ حفظه » [٣] .

هذا ، وقد قيل إن جمع عليّ كان أشبه بكتاب علم ، وكانت فيه أشياء كالناسخ والمنسوخ ، وإذن فصورته غير صورة الجمع البكري ، وغرضه غير غرضه [٤] .

على أن وجود هذا الكتاب مشكوك فيه أصلاً ، فابن سيرين يقول : « تطلّبتُ ذلك الكتاب ، وكتبتُ فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه [٥] » .

وربّما عضد أولية جمع أبي بكر ما أوردناه آنفاً عن عليّ نفسه ، حيث يقول : « أعظم الناس في المصاحف أجراً : أبو بكر ، رضي الله عنه ! رحمة الله على أبي بكر ! هو أول من جمع بين اللوحين [٦] » .

* * *

٢ – ورواية أخرى أخرجها ابن أبي داود من طريق الحسن ، ونصها : « أن عمر سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل : كانت مع فلان ، قُتِل يوم اليمامة ، فقال : إنّا لله ! وأمر بجمع القرآن ، فكان أول من جمعه في الصحف [٧] » .

---

(١) ابن أبي داود السجستاني : المصاحف جـ ١ ص ١٠ ، والسيوطي : الإتقان جـ ١ ص ٥٧ و ٥٨ .

(٢) انظر : الألوسي : روح المعاني جـ ١ ص ٢١.

(٣) السجستاني : المرجع السّابق.

وانظر : ابن كثير الدمشقيّ : فضائل القرآن ص ٢٥.

(٤) انظر : السجستاني : المرجع السابق . (٥) انظر : الألوسي : المرجع السابق .

(٦) انظر : السيوطي : الإتقان جـ ١ ص ٥٨.

(٦) نفس المرجع ، وانظر : ابن أبي داود السجستاني : المصاحف جـ ١ ص ٥.

(٧) نفس المرجع ؛ وبهذا عبر القرماني في مختصره ، وابن الجوزي في « تاريخ عمر بن الخطاب » .

وانظر : ابن أبي داود : المصاحف ص ١٠

والسيوطي : الدر المنثور جـ ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ .

وابن عساكر : التاريخ الكبير جـ ٥ ص ١٣٣ .

ولكن إسناد هذه الرواية منقطع[١] . والظن أنها لا تقصد أن تعدو رواية البخارى التى أسلفناها ، والتى تُقرر أن عمر هو فعلاً صاحب فكرة الجمع الأول ، وأنه أشار بها على أبى بكر ، ولم يزل يراجعه حتى شرح الله لها صدره[٢] .

وقد تلقَّف بعض المستشرقين هذه الرواية الثابت انقطاعها ، واتخذوها – مع وَهَنها – أساساً لأفكار تضادّ الروايات الإسلامية ولو كانت موثَّقَة فى (صحيح البخارى) وباقى (الصِّحاح) :

ف (شفالى) Schwally – كما يقول بروكلمان –« أيَّد الشكّ فى صحة الرواية القائلة بأنّ أبا بكر الذى أمر بجمع القرآن »[٣] .

ومثل هذا الشك المجانف للتاريخ الثابت صدر أيضاً عن بروكلمان ، فهو يقول فى جزم : « على أنّ الخليفة عمر هو الذى أمر زيد بن ثابت . . أن يقوم بجمع القرآن وكتابات الوحى »[٤]

بل إن بروكلمان تعمّد الشكّ فى الباعث الذى دعا إلى الجمع البكرى ، وهو – كما تذكر الروايات الإسلامية الوثيقة – قتل عدد كبير من القراء فى معركة اليمامة ، فقال متحكّما وبغير بيّنة : « ومما يَحتمل كثيراً من الشك ما ذكرته الرواية من أنّ معركة اليمامة الحاسمة مع مسيلمة . . . . . . والتى قتل فيها عدد كبير من قراء الصَّحَابة هى التى قَدّمت الداعى إلى جمع القرآن »[٥].

ويخْبط بروكلمان – وهو يتحدث عن جمع القرآن – فى أخطاء مسمومة المقصد ، فهو يقول : « لقد جمعت قديماً – بلا ريب – سور متفرّقة فى مجموعات تتميز بأحرف من الهجاء فى فواتحها ، فبقيت لذلك على تأليفها ، ومن أقدم هذه السّور وأهمّها على وجه الخصوص مجموعة آل حاميم »[٦].

ويمضى بروكلمان فى منافرة العلمية ، وفى ترويج الزائف والمعتلّ ، فيقول عن ابن مسعود ما لم تَقُله أية رواية معترف بصحتها ، يقول : « إنّ ابن مسعود أبقى الحواميم على طولها فى الجمع الأول ، وكان يَقْسم سوراً أخرى لطولها »[٧].

* * *

---

(١) السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٥٨

(٢) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ ٩ ص ١٠ (ط . البهية) .

(٣) تاريخ الأدب العربى (ترجمة عبد الحليم النجار) حـ ١ ص ١٤٠ و ٢٢٦

(٤) نفس المرجع .

(٥) نفس المرجع ص ١٣٩ .

(٦) نفس المرجع .

(٧) نفس المرجع .

٣ – وروى عن أبى بريدة أنه قال :

« أول من جمع القرآن فى مصحف سالمٌ مولى أبى حذيفة : أقسم لا يرتدى برداء حتى يجمعه ، فجمعه[١] » .

والشك يحيط بهذه الرواية أيضاً إحاطة تُسقطها :

ففى رأى السيوطى – كما يذكر الألوسى – أنّ قول أبى بريدة ، مع غرابته وانقطاعه ، محمول على أنّ سالماً هو أحد الجامِعِين بأمر أبى بكر .

ولكن الألوسىّ يصف قول السّيوطى بأنه عثرة لا يقال لها : لعاً ، لأنّ سالماً قُتل فى وقعة اليمامة التى كان موت الحفّاظ فيها هو سبب الجمع[٢] .

* * *

٤ – وقد أورد أبو عبيد القاسم بن سلام[٣] فى أول كتابه فى القراءات أسماء من نُقل عنهم شىء من وجوه القراءة من الصحابة ، فذكر منهم ابن عباس ، وذكر ذلك ابن الجزرى فى « النشر »[٤] فقال آرثر جفرى(Arthur Jeffery)فى غير تثبيت : « إن اسم ابن عباس ورد فى قوائم الذين جمعوا القرآن فى حياة النبى »[٥] . ولكن هذه الرواية – بهذا الفهم الخاطئ – تتعرض للشك إذا عرفنا أن ابن عباس وُلِدَ – على الأثبت – قبل الهجرة بثلاث ، وكان له ثلاث عشرة سنة عند وفاة الرسول[٦] ، وهذه سنّ لا يقوى صاحبها – غالباً – على مثل هذه المهمّة الدقيقة . وقد عاد جفرى فعبّر هو نفسه عن مثل هذا الشك[٧] .

* * *

تلك بواعث الجمع الأول للقرآن ، وتلك مخطّطاته ، فماذا عن الجمع العثمانى ؟

---

(١) السيوطى : المرجع السابق .

(٢) روح المعانى ج ١ ص ٢٢ .

(٣) كان أبو عبيد مفتيا فى القرآن والفقه والأخبار والعربية ، حسن الرواية ، صحيح النقل . وكان أول أمره حمّالا . وعرف من كتبه نيف وعشرون كتاباً ، وهو أول من استقصى وجوه القراءات فى كتاب ، وقد روى القراءة عن الأعمش . مات بمكة سنة ٢٢٣ أو ٢٢٤ عن ٦٧ سنة ، وقيل سنة ٢٣٠ ؛ (انظر السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ج ٢ ص ٢٥٣ و ٢٥٤ ، وابن النديم : الفهرست ص ٧١ ، وابن الجزرى : طبقات القراء ج ١ رقم ٢٥٢٢) .

(٤) ج ١ ص ٦ .

(٥) انظر : Materials for the History of the Text of the Quran, p. 193.

(٦) ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة ج ٤ ص ٩٠ .

(٧) Jeffery, p. 193.

الفصل الثانى

جمع عثمان

١

تلَقّى الصحابة القرآن ، عن النبى (ص) ، ثم انتشروا بعيداً عن منزل الوحى ، يلقّنون الناس القرآن على النحو الذى تلقوه من النبى ، فوقعت بينهم اختلافات يسيرة :

(ا) إما بألفاظ مختلفة فى السّمع لا فى المعنى ، كقراءة « جذوة » مثلثة الجيم[1] .

(ب) وإما فى السمع والمعنى ، كقراءة « يُسَيِّرُكُمْ » و « يَنْشُرُكُمْ »[2]

(حـ) وإما مخالفة للخط وغير مخالفة :

١ – بزيادة ونقص ، نحو : « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى »[3] بنقص لفظ « ومَا خَلَقَ »[4]

٢ – واختلافات حركات وأبنية ، نحو « فَيَقْتُلُونَ »[5] مبنية للفاعل فى إحدى الكلمتين ، و « يُقْتَلونَ » مبنية للمفعول فى الكلمة الأخرى[6] .

---

(١) سورة القصص ، من الآية ٢٩ .

ويقرأ عاصم بفتح الجيم ، ويفتحها حمزة وخلف ، ويكسرها الباقون .

(انظر : ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر حـ٢ ص ٣٤١) .

(٢) سورة يونس ، من الآية ٢٢ .

والثانية قراءة ابن عامر وأبى جعفر (انظر : ابن الجزرى : نفس المرجع حـ ٢ ص ٢٨) .

واللفظان بمعنى واحد ومتلازمان ، فإنّ التيسير يلزمه النشر .

(٣) سورة الليل / ٣ .

(٤) روى أن ابن مسعود وأبا الدرداء كانا يسقطان « وما خلق » (انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن حـ ٢٠ ص ٨١) . ومعلوم أن هذه القراءة شاذة ولا يقرأ بها .

(٥) سورة التوبة : من الآية ١١١ .

(٦) أهل الكوفة – غير عاصم – يقرأون : « فيقتلون » بضم الياء ، ويقتلون بفتح الياء . والباقون يقرأون : الأولى بفتح الياء ، والثانية بضمها . (انظر : الطبرسى : مجمع البيان فى تفسير القرآن حـ ١٠ ص ١٤٥ و١٤٦ وانظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير حـ ١٦ ص ٢٠٠) .

٣ – واختلاف حروف فى موضع أحرف أخر ، مثل : « طَلْحٍ مَّنْضُودٍ »[١] و « طلع منضود »[٢] .

وكما يقول مكّى بن أبى طالب : « وكان ذلك قد تعارف بين الصحابة على عهد النبى – صلى الله عليه وسلم – فلم يكن ينكر أحدٌ ذلك على أحد ، لمشاهدتهم من أباح ذلك ، وهو النبى – صلى الله عليه وسلّم – ، فلما انتهى ذلك الاختلاف إلى مالم يعاين صاحبَ الشرع ، ولا علم بما أباح من ذلك ، أنكر كلٌّ قوم على الآخرين قراءتهم ، واشتدّ الخصامُ بينهم »[٣] .

على أنه من الواضح أن الاختلاف فى نصٍّ ما قد يُفْضِى إلى مخالفته ، وقد يُسهِّل تحريفَه وتبديلَه ، فوق ما يؤدِّى إليه من المناقضة والملاحاة .

٢

وفى سنة ٢٥ من الهجرة : السنة الثالثة أو الثانية من خلافة عثمان ، بعد أن قُبِض الرسولُ بخمس عشرة سنة ، فُتحت أرمينية ، وكان عثمان أَمَّـر أهلَ الشام وأهلَ العراق أن يجتمعوا على ذلك[٤] ، وكان حذيفة بن اليمان[٥] من جملة من غزا معهم ، وكان هو على أهل المدائن ، وهى من جملة أعمال العراق .

« وتنازع أهل الشام وأهل العراق فى القرآن : أهل الشام يقرأون بقراءة أبىّ بن كعب ، فيأتون بمالم يسمع أهل العراق ، وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود ، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام ، فيكفّر بعضهم بعضاً »[٦] .

---

(١) سورة الواقعة / ٢٩

(٢) رُوى أن على بن أبى طالب قرأ : « وطلع » بالعين ، ثم عاد فرجع إلى ما فى المصحف ، وعلم أنه هو الصواب . (القرطبى : الجامع لأحكام القرآن حـ١٧ ص ٢٠٨ و٢٠٩) .

(٣) انظر : الإبانة عن معانى القراءات ص ٢٧ و٢٨ و٢٩ .

(٤) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى حـ٩ ص ١٣ (ط . البهية) .

(٥) صحابى مشهور ، وشهد أحُدًا مع أبيه ، وروى عنه جماعة من كبار الصحابة ، وكان صاحب سر رسول الله ص) فى المنافقين ، يعلمهم وحده ، وكان يكتب خرص ثمر الحجاز .

وانظر ترجمته فى :

ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة حـ١ ص ٣٣٢ و٣٣٣ .

والنووى : تهذيب الأسماء واللغات حـ١ ص ١٥٣ و١٥٤ و١٥٥

والثعالبى : لطائف المعارف ص ٤٠.

(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى حـ٩ ص ١٤ (ط . البهية) .

ورأى حذيفة ناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، وأنهم أخذوا القرآن عن المِقداد ، ورأى أهلَ البصرة يقولون مثل ذلك ، وأنهم قرأوا على أبي موسى ، ويسمّون مصحفه « لباب القلوب »[١]

وغضب حذيفة لما سمع ، و « احمرّت عيناه » كما تقول الرواية[٢]. وقيل فى سبب غضبه إنّ اثنين اختلفا فى آية من سورة البقرة : قرأ هذا : « وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ »[٣] ، وقرأ هذا : « وأتموا الحج والعمرة للبيت »[٤] .

فقام حذيفة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : هكذا كان مَنْ قَبْلَكم ، اختلفوا ! والله لأركبن إلى أمير المؤمنين .

وجاء مفزعاً إلى المدينة ، ولم يدخل بيته حتى أتى عثمان ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! أدرك هذه الأمّة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ![٥] ، أو قال : أنا النذير العريان ! فأدركوا الأمة ![٦].

وصادف أن عثمان أيضاً كان وقع له نحو ذلك : « كان المعلم يعلِّم قراءة الرجل ، والمعلم يعلِّم قراءة الرجل ، فجعل العلماء يتلقّونه فيختلفون ، حتى كفّر بعضُهم بعضاً ، فبلغ ذلك عثمان ، فتعاظم فى نفسه ، فقال : أنتم عندى تختلفون ؟ ! فمن نأى عنى من الأمصار أشد

---

(١) انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حـ٣ ص ٨٥ و٨٦

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ٩ ص ١٤ (ط . البهية) .

(٣) سورة البقرة / من الآية ١٩٦ ، وهكذا هى فى المصحف العثمانى .

(٤) قيل إنها كانت هكذا فى قراءة : عبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وعلقمة .

(انظر : الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن حـ٢ ص ١٢٠)

والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن حـ٢ ص ٣٦٩ .)

ويقول أبو حيان الأندلسى : ينبغى أن يُحمل هذا كلّه على التفسير ، لأنه مخالف لسواد المصحف الذى أجمع عليه المسلمون . (البحر المحيط حـ٢ ص ٧٢ .)

(٥) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ٩ ص ١٤ و١٥ (ط . البهية) .

ويقول ابن كثير الدمشقى تعقيباً على قول حذيفة بن اليمان : « قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » :

« . . . وذلك أنَّ اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب :

فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة

والسّامرة يخالفونهم فى ألفاظ كثيرة ومعان أيضاً . وليس فى توراة السّامرة حروف الهمزة ، ولا حرف الهاء ، ولا الياء .

والنصارى أيضاً بأيديهم توراة يسّمونها (العتيقة) ، وهى مخالفة لنسختى اليهود والسّامرة .

وأما الأناجيل التى بأيدى النصارى فأربعة : إنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل متى ، وإنجيل يوحنّا ، وهى مختلفة أيضاً اختلافاً كثيراً . . . إلخ (فضائل القرآن – ذيل تفسير الحافظ ابن كثير ص ١٩) .

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حـ٣ ص ٨٦

اختلافاً ! »[١] .

وهكذا ، لما جاء حذيفة عثمان ، وأعلمه باختلاف أهل الأمصار ، تحقق عند عثمان ما ظنه من ذلك[٢] .

واستشار عثمانُ الصحابةَ ، قال : ما تقولون فى هذه القراءة ، فقد بلغنى أن بعضهم يقول إن قراءتى خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفراً ؟

قال الصحابة[٣] :

فما ترى ؟

قال : أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ولا اختلاف .

قال الصحابة : فنعم ما رأيت ![٤] .

٣

هنالك أرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخْها فى المصاحف ، يريد ما كان أبو بكر قد أمر زيد بن ثابت بجمعه[٥] .

وتقول بعض الروايات إن حفصة أبَتْ ، حتى عاهدها عثمان ليردّنّ المصحف إليها ، فنسخ منها ، ثم ردّها[٦] .

---

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ٩ ص ١٤

(٢) روى مسلم أن حذيفة قال : أخبرنى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة (الجامع الصحيح حـ٨ ص ١٧٢ و١٧٣)

وقد قيل – بناء على ذلك – إنه لا يبعد أن يكون النبى قد أسرّ إلى حذيفة بدعوة عثمان إلى جمع القرآن على حرف واحد إذا رأى اختلاف الناس فى قراءته ، فكتم حذيفة هذا الأمر حتى جاء وقته (انظر : محمد طاهر بن عبد القادر الكردى : تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه – هامش ص ٣٣) .

(٣) الرواية هنا رواية على بن أبى طالب الذى حكى أن عثمان ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملأ من الصحابة.

(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ١٥ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) فلم تزل عندها ؛ وكان مروان أمير المدينة من جهة معاوية يسألها هذه الصحف فتأبى أن تعطيه . فلما توفيت حفصة ، ورجعوا من دفنها ، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه تلك الصحف ، فأرسل بها إليه ، فأمر بها مروان فشققت . وقال : إنما فعلت هذا لأنى خشيت – إن طال بالناس زمان – أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب (ابن حجر العسقلانى : نفس المرجع ص ١٦ ط . البهية) .

واللافت أن المحافظة على هذه الصحف كانت بالِغَةً ، فقد كانت عند أبى بكر لم تفارقه فى حياته ، ثم عند عمر أيَّامَه ، ثم كانت عند حفصة لا تُمكِنُ منها كما أوضحنا[١] .

وأمر عثمانُ زيدَ بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص[٢] ، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام[٣] ، فنسخوا هذه الصّحف فى المصاحف .

وفى رواية مصعب بن سعد بن أبى وقاص أن عثمان قال : مَنْ أكْتَبُ الناس ؟

قالوا : كاتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – زيد بن ثابت .

قال : فأى الناس أعرب ؟ (وفى رواية : أفصح) .

قالوا : سعيد بن العاص .

قال عثمان : فَلْيُمْلِ سعيد ، ولْيَكْتُب زيد[٤]

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نَزَلَ بلسانهم[٥] .

كان اختيار زيد وسعيد للمعنى المذكور فيهما فى رواية مصعب ، ثم احتاجوا إلى من يساعد فى الكتابة ، بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التى تُرسَل إلى الآفاق ، فأضافوا إلى زيد جماعة ، منهم : مالك بن أبى عامر جدّ مالك بن أنس ، وكثير بن أفلح ، وأبىّ ابن كعب ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس[٦] .

وعن محمد بن سيرين : أن عثمان جمع اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار ، فيهم أبىّ ابن كعب ، وزيد بن ثابت فى جمع القرآن[٧] .

بيد أن الذهبى يقول . « وما أحسب أن عثمان نَدَبَ للمصحف أبيـًّا ، ولو كان كذلك لاشتهر ، ولكان الذِّكْر لأبىّ لا لزيد »[٨] .

وتفيد بعض الروايات أن هذه اللجنة ضمّت أيضاً عبد الله بن عمر بن الخطاب ،

---

(١) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٢٣٩ .

(٢) فى البرهان للزركشى (جـ ١ ص ٢٣٦) : سعد بن أبى وقاص . ولعله خطأ فى النسخ .

(٣) انظر : ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر جـ ١ ص ٧ .

(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ١٥ (ط . البهية)

(٥) نفس المرجع ص ١٦ .

(٦) نفس المرجع ص ١٥ و ١٦ .

(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى – فى ترجمة أبىّ بن كعب جـ ٣ ص ٦٣ (ط . ليدن سنة ١٣٢١ هـ) .

(٨) سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ٢٨٧ .

وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأَبَانَ بن سعيد (١) .

وفى شأن « أبان » ، تذكر بعض الروايات أن عثمان قال لزيد : « إنى جاعل معك رجلاً لبيباً فصيحاً ، فما اجتمعتما عليه فاكتباه ، وما اختلفتما فيه فارفعاه إلىّ » ، فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص (٢) .

وربما كان القصد من كل هذه الجماعة المساعدة المشتهر أعضاؤها بالضبط والمعرفة أن ينضمّ العدد إلى العدالة ، وإلا فقد كان زيد قادراً بذاته على هذه المهمة (٣) .

وهكذا – كما قال القاضى أبو بكر فى « الانتصار » – : « لم يقصد عثمانُ قَصْدَ أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قَصَدَ جَمْعَهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وإلغاء ما ليس كذلك ، وأَخْذَهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ، ولا تأويل أثبت مع تنزيل ، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشُّبْهة على من يأتى بعدُ » (٤) .

٤

وقد أثار تشكيل لجنة الجمع على ذلك النحو عبدَ الله بن مسعود الذى شقّ عليه صرفه عن كتابة المصحف ، حتى قال : يا معشر المسلمين ! أُعزل عن نسخ كتابة المصاحف ، ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفى صُلْبِ رجل كافر ، يريد زيد بن ثابت (٥) .

وابن مسعود حقيق أن يكون حاضرَ لجنةٍ تجمع القرآن :

---

(١) انظر : الحداد خلف الحسينى : الكواكب الدرية ص ٢١ .

(٢) انظر : الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١ ص ٦٠ (ط . المعارف بمصر) .
والطّحاوى : مشكل الآثار جـ ٤ ص ١٩٣ .
ويقول القرطبى ، فى شأن اشتراك (أبان) فى الجمع العثمانى :
« قال الطبرى فيما روى : إنّ عثمان قَرَن بـ (زيد) أبان بن سعيد بن العاص وحده ؛ وهذا ضعيف ، وما ذكره البخارى والترمذىّ أصحّ (انظر : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٢) .

(٣) انظر : الحداد خلف الحسينى : الكتاب السابق ص ٢١ و ٢٢ .

(٤) نقلاً عن الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ ، والسيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٦٠ .

(٥) انظر : فتح البارى جـ ٩ ص ١٦ (ط . البهية) . وانظر أقوالاً أخرى من هذا القبيل فى : ابن أبى داود . المصاحف جـ ١ ص ١٣ – ١٨ .

١ – فهو أول من جَهَر به ، بعد رسول الله (ص) ، بمكة ، أيام شدّة المسلمين وضعفهم .

روى ابن إسحاق :

« اجتمع يوماً أصحاب رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، فقالوا : والله ما سَمِعَتْ قريش هذا القرآن يجُهر لها به قطّ ، فَمَنْ رَجَلٌ يُسْمِعُهُمُوه ؟

فقال عبد الله بن مسعود : أنا !

قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه .

قال : دعونى ، فإنّ الله سيمنعنى .

قال راوى القصة عروة بن الزّبير : فغدا ابنُ مسعود حتى أتى المقام فى الضُّحى ، وقريش فى أنديتها ، حتى قام عند المقام ، ثم قرأ : « بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ » ، رافعاً بها صوته ، « الرَّحْمَٰنُ ، عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ » [1] .

قال : ثم استقبلها يقرؤها .

قال : فتأملوه ، فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أمّ عبد ؟

قال : ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربونه فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثّروا فى وجهه .

فقالوا : هذا الذى خشينا عليك .

فقال : ما كان أعداء الله أهونَ علىّ منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها غداً .

قالوا : لا ! حسبك ! قد أسمعتَهم ما يكرهون »[2] .

٢ – وقد أعطى ابن مسعود حظاً عظيمًا فى تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله ، حتى لقد كان النبى نفسه يقول : « من أحبّ أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أُنزل فليقرأه قراءة ابن أمّ عبد » .

يعنى : عبد الله بن مسعود[3] .

وقد أحبَّ النبى (ص) أن يسمع القرآن منه ، ولما قرأ أبكى رسول الله [4] .

---

(١) سورة الرحمن / ١ و ٢ .

(٢) انظر : ابن هشام : سيرة النبى جـ ١ ص ٣٣٦ و ٣٣٧ .
والمقريزى : إمتاع الأسماع جـ ١ ص ٢٠ .

(٣) انظر : مسند أحمد بن حنبل ، باب فضل القراءة على قراءة عبد الله بن مسعود ، وانظر : أحمد عبد الرحمن البنا : الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى جـ ١٨ ص ٢١ .

(٤) أخرجه البخارى فى : ٦٦ – كتاب فضائل القرآن و ٣٥ – باب البكاء عند قراءة القرآن ، وانظر : الفتح الربانى جـ ١٨ ص ٢١ .

٣ – بل إن النبي أمر بتعلّم القرآن من أربعة : أولهم عبد الله بن مسعود . روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : سمعت النبي – صلى الله عليه وسلّم – يقول : استقرئُوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود (فبدأ به) ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبىّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل[1] .

٤ – وكان ابن مسعود يقول : « لقد أخذت من فى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سبعين سورة ، وإنّ زيد بن ثابت لصبى من الصبيان »[2] وفى رواية : « وزيدٌ له ذؤابةٌ يلعب مع الغلمان »[3] . وكان يقول : « والله الذى لا إله غيره ! ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ، ولا أُنْزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما أُنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلمَ منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه »[4] .

٥ – وثمة رواية تقرر أنّ ابن مسعود شهد ، عقب العرضة الأخيرة ، ما نُسخ من القرآن وما بُدّل[5] .

٦ – وكان ابن مسعود – فيما يذكر الرّواة – « ممن يتحرَّى فى الأداء ، ويشدّد فى الرواية ، ويزجر تلامذته عن التّهاون فى ضبط الألفاظ »[6] .

---

(١) أخرجه البخارى فى : ٦٢ – كتاب فضائل أصحاب النبى – صلى الله عليه وسلم – و ٢٦ – باب مناقب سالم مولى أبى حذيفة . وسالم قتل يوم اليمامة شهيداً . (وانظر : النووى : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٠٦ رقم ١٩٥) .

أما أبىّ بن كعب فقد روى البخارى أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال له : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك : « لم يكن الذين كفروا » قال : وسمانى ؟ قال : نعم ، فبكى . (أخرجه البخارى فى : ٦٣ – كتاب مناقب الأنصار : ١٦ – باب مناقب أبىّ بن كعب .

ومفهوم أنّ قراءة الرسول صلّى الله عليه وسلّم على أُبىّ هى للإرشاد والتعليم .

وعن أبى عبيد الله القاسم بن سلّام ، قال : معنى هذا الحديث : أنْ يتعلم أُبَىّ قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلّم قراءة أبىّ رضى الله تعالى عنه (انظر : ابن مجاهد : السبعة فى القراءات ص ٥٥) .

وأما معاذ بن جبل ، فأحد الذين كانوا يفتون على عهد الرسول ، وظفر منه بالثناء الكثير (انظر : الفتح الربانى ج ١ ص ٩٩ رقم ١٤٣) .

(٢) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ١٦ (ط . البهية) .

(٣) الذهبى : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٣٩ .

(٤) أخرجه البخارى فى : ٦٦ كتاب فضائل القرآن : ٨ – باب القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

(٥) ابن الجزرى : النشر ج ١ ص ٢٢ .

(٦) انظر : الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣ .

وانظر ترجمة ابن مسعود فى :

النووى : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ .

وابن الأثير : أسد الغابة ج ٣ ص ٢٥٦ – ٢٦٠ .

ولكن ، لعلّ لعثمان عذراً فى هذا الشأن :

(ا) فقد جُمِع القرآن بالمدينة ، وعبد الله بن مسعود وقتئذ بالكوفة ، ولم يؤخّر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر(١) .

(ب) وأيضاً ، فإن عثمان إنما أراد نسخ الصحف التى كانت جُمعت فى عهد أبى بكر ، وأن يجعلها مصحفاً واحداً ، وكان الذى نسخ ذلك فى عهد أبى بكر هو زيد بن ثابت ، لكونه كان كاتب الوحى ، فكانت له فى ذلك أوّلية ليست لغيره (٢) . وكما قيل : فهلاّ عبتَ على أبى بكر ؟(٣)

(حـ) وزيد شهد – بيقين – العرضة الأخيرة التى بيّن فيها ما نسخ وما بقى ، وكتبها لرسول الله ، وقرأها عليه ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات (٤) .

(د) وكان زيد معروفاً بكمال الدين ، وحسن السيرة ، والعدالة ، والعلم .

وَصَفَه النبى (ص) – فيما روى أحمد ، والنسائى من حديث أبى قلابة ، عن أنس – بأنه أعلم أصحابه بالفرائض (٥) .

وكان زيد بن ثابت – مثل ابن مسعود – من السّتّة الصّحابة أصحاب الفتوى ، وهم : عمر ، وعلىّ ، وابن مسعود ، وأُبىّ بن كعب ، وأبو موسى ، وزيد بن ثابت(٦) .

ويقول سعد بن أبى وقاص فى شىء من القضاء : ما عرفناه حتى عَلَّمَنَاه زيد بن ثابت (٧) .

(هـ) وكان زيد يكتب ، للنبى (ص) ، إلى الملوك ، مع ما كان يكتبه من الوحى(٨)

وقد اختصّه النبى بمهمٍّ خطير هو أن يتعلم لغة اليهود ، ليكتب – للنبى – إليهم ، وليقرأ

= وابن حجر العسقلانى : الإصابة جـ ٢ ص ٨٩٠ – ٨٩٣ .
وابن الجزرى : غاية النهاية ١٩١٤ .

(١) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ١٦ (ط . البهية) .

(٢) نفس المرجع .

(٣) انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ٣٤٩ .

(٤) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٥٠ ، والزركشى : البرهان جـ ١ ص ٢٣٧ .

(٥) انظر : أبو الفدا الدمشقى : البداية والنهاية فى التاريخ جـ ٥ ص ٣٤٦ .

(٦) انظر : ابن حجر العسقلانى : الإصابة جـ ٣ ص ٢٣ .
وانظر : وكيع محمد بن خلف بن حيان : أخبار القضاة جـ ١ ص ١٠٥ .

(٧) وكيع محمد بن خلف بن حيان : المرجع السابق جـ ١ ص ١٠٧ .

(٨) الثعالبى : لطائف المعارف ص ٤٠ .

له ما يكتبون [١] ، وهذا دليل ثقة النبي (ص) بفهم زيد وأمانته .

(و) وأعطاه النبي (ص) – يوم تبوك – راية بني النجار ، وقال : القرآن مُقدَّم ، وزيدٌ أكثر أخذاً للقرآن [٢] .

(ز) وكان عمر يستخلفه إذا حجّ ؛ وكان معه حين قدم الشام [٣] .

(ح) وزيد هو الذى تولى قَسْم غنائم اليرموك ، واشترك فى واقعة اليمامة ، ورُمِىَ فيها بسهم لم يضرَّه [٤] .

(ط) ولزيد عند الصحابة منزلته الكريمة كعالم :

روى الشّعْبى : وضع زيد بن ثابت رِجْله فى الركَاب ليركب ، فأمسكه له ابن عباس ، فقال له : تنحّ يا بن عمّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : إنا هكذا نصنع بالعلماء أو قال : بأهل بيت نبينا [٥] .

وكان ابن عباس يقول عن زيد : إنه من الراسخين فى العلم [٦] . ولعل مما يزيد من قيمة هذا التكريم أن ابن عباس ، فوق كونه ابن عمّ النبى ، كان له من الشأن فى الإسلام ما جعله يُلقّب بربّانىّ الأمة ، وقد دعا له النبى (ص) أن يفقّهه الله فى الدين ، ويعلّمه التأويل [٧] وقد كان ابن عباس هذا وأبو عبد الرحمن السّلمى ممن قرأوا على زيد [٨] .

(ى) ويفيد قول أبى بكر ، وهو يخاطب زيداً يوم طلب إليه الجمع الأول : « إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى » أن لزيد – كما يقول ابن حجر العسقلانى [٩] – أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك :

كونه شابا ، فيكون أنشط لما يطلب منه

---

(١) انظر : البخارى : الصحيح – باب ترجمة الحكام ج ٦ ص ٩٤ .
وانظر : الحاكم النيسابورى : المستدرك ج ١ ص ٢٧٥ .
والبلاذرى : فتوح البلدان – ١١١٥ القسم الثالث ص ٥٨٣ .

(٢) النووى : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٠١ .
وانظر : وكيع محمد بن خلف بن حيان : أخبار القضاة ج ١ ص ١٠٨ .

(٣) المرجعان السابقان .

(٤) المرجعان السابقان .

(٥) انظر : أبو حيان التوحيدى : البصائر والذخائر ، المجلد الأول ص ١١٢ .

(٦) انظر : الحداد خلف الحسينى : الكواكب الدرية ص ١٨ .

(٧) انظر : الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٧ و ٣٨

(٨) نفس المرجع ص ٢٩ .

(٩) فتح البارى ج ٩ ص ١٠ (ط . البهية) .

وكونه عاقلا ، فيكون أوعى له .

وكونه لا يتهم ، فتركن النفس إليه .

وكونه كان يكتب الوحى ، فيكون أكثر ممارسة له [١] .

وهذه الصفات التى اجتمعت له قد توجد فى غيره لكن مُفرّقة .

(ك) ولئن كان النبى (ص) أثنى على ابن مسعود قارئ القرآن ، كما أثنى على غيره ، إن ذلك لا يمنع أن يكون زيدٌ أحفظ وأوثق .

وثمة روايتان جديرتان — لو صحّتا — أن تردّا ابْنَ مسعود عن مهمة الجمع :

يقول القرطبى : « فالشائع الذائع المتَعَالَم عند أهل الرواية والنقل : أنّ عبد الله بن مسعود تعلّم بقيّةَ القرآن ، بعد وفاة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » ، ويقول : « وقد قال بعض الأئمة : مات عبد الله بن مسعود قبل أن يختم القرآن » [٢] .

٥

وأرسل عثمان إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف ، والمشهور أن هذه المصاحف خمسة ، وقيل : أربعة . قال أبو عمرو الدانى فى « المقنع » : « أكثر العلماء على أنّ عثمان — رضى الله عنه — لما كتب المصاحف جَعَلَه على أربع نسخ ، وبعث إلى كل ناحية من النواحى بواحدة منهن : فوجَّه إلى الكوفة إحداهن ، وإلى البصرة أخرى ، وإلى الشام الثالثة ، وأمسك عند نفسه واحدة . وقد قيل إنه جعله سبع نسخ ، وَوَجَّه من ذلك أيضاً نسخةً إلى مكة ، ونسخةً إلى اليمن ، ونسخة إلى البحرين . والأول أصحّ ، وعليه الأئمة »[٣]

وأمر عثمان بما سِوَى مصحفه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يُحْرَق ، وبعث إلى الأمصار أنّى قد صنعتُ كذا وكذا ، ومحوتُ ما عندى ، فامْحُوا ما عندكم [٤] . يقول ابن قيّم الجوزية — فى هذا التحريق — إنه « كان رأيا اعتمدوا فيه على مصلحة الأمة »[٥] .

---

(١) لكثرة ما تعاطى زيد الكتابة للنبى (ص) ، أطلق عليه « الكاتب » بلام العهد .
(انظر : نفس المرجع ج ٩ ص ١٨) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٣ .

(٣) النسخة المخطوطة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة رقم ٢٦٣ قراءات ص ١٠ و ١١ ، والنسخة المطبوعة ص ٩ .

(٤) فتح البارى ج ٩ ص ١٧ (ط . البهية) .

(٥) الطرق الحكمية ص ١٤ .

ورضى الناس هذا .

قال زيد بن ثابت : فرأيت أصحاب محمد يقولون : أحسن والله عثمان ! أحسن والله عثمان !(١) .

وروى ابن أبى داود ، بإسناد صحيح ، عن مصعب بن سعد بن أبى وقّاص قال : « أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمانُ المصاحف ، فأعجبهم ذلك ، ولم ينكر عليه أحد(٢) . »

ويقول الذهبى فى عثمان بن عفان : « مَن نَظَر فى تحرّيه – وقت أمره بجمع القرآن – عَلم مرتبته وجلالته(٣) . »

ويقول الزَّركشى ، فى حديثه عن صنيع عثمان أيضاً : « ولقد وُفِّق لأمر عظيم ، ورفَعَ الاختلاف ، وجَمَع الكلمة ، وأَرَاحَ الأمة »(٤) .

وقد ردّ الزركشى أيضاً على اعتراض بعض الروافض على هذا العمل بقوله :

« وأما تعلّق الروافض بأنّ عثمان أحرق المصاحف فإنه جهلٌ منهم وعمًى ، فإن هذا من فضائله وعلمه ، فإنه أصْلَحَ ، ولَمَّ الشَّعَثَ ، وكان ذلك واجباً عليه »(٥) .

ويقول :

« وفى الجملة ، إنه إمام عدْل غير معاند ، ولاطاغ فى التنزيل ، ولم يحرق إلاّ ما يجب إحراقه ، ولهذا لم ينكر عليه أحد ذلك ، بل رضوه ، وعدّوه من مناقبه »(٦) .

وقد ألمعنا قبلا إلى تحبيذ علىّ لهذا الصنيع ، ونضيف أنه قال : « لو وَليتُ ما وَلِىَ عثمان لعَمِلْتُ بالمصاحف ما عمل »(٧) . وفى رواية : « لو لم يصنعه هو لصنعتُه »(٨)

وقد نُقل عن ابن مسعود أنه قال : لما أُحرق مصحفه : « لو مَلَكْتُ كما مَلَكُوا لصنعتُ

---

(١) انظر : نظام الدين النيسابورى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ ١ ص ٢٧ .

(٢) المصاحف ص ١٢ .

(٣) تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٩ .

(٤) البرهان جـ ١ ص ٣٤٠ .

(٥) نفس المرجع جـ ١ ص ٢٤٠ .

(٦) نفس المرجع .

ويقول القرطبى : وقد قال القاضى أبو بكر لسان الأمّة : « جاز للإمام تحريق الصحف التى فيها القرآن إذا أدّاه الاجتهاد إلى ذلك » . (انظر : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٤ و ٥٥) .

(٧) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٢٤٠ .

(٨) ابن أبى داود : المصاحف ص ١٢ .

بمصحفهم كما صنعوا » . والألوسي يرى هذا كذباً ، شأنه شأن ما زعمه الشيعة من سوء معاملة عثمان معه حين أخذ الصّحف منه[١] .

٦

وربما انضاف إلى مبررات رضى الناس عن تصّرف عثمان ، إذْ جَمعَ النّاسَ على مصحف واحد ، أن الضرورة الوقتية – التى كان القرآن قد نزل ، من أجلها ، على سبعة أحرف – كانت قد ارتفعت ، فارتفع حكمها ، ولهذا بيان أطول فى مواضع أخرى من هذا البحث . يقول الطحاوى ، فى شأن تلك الضرورة :

« فكانت هذه السبّعة للناس ، فى هذه الحروف ، لعجزهم عن أخذ القرآن على غيرها مما لا يقدرون عليه . . . فكانوا على ذلك حتى كثر من يكتب منهم ، وحتى عادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقرأوا بذلك – على تحفّظ – القرآن ، بالألفاظ التى نزل بها ، فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوه بخلافها ، وبان – بما ذكرنا – أن تلك السبّعة الأحرف إنما كانت فى وقت خاصّ ، لضرورة دَعَتْ إلى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف ، وعاد ما يُقرأ به القرآن على حرف واحد »[٢] .

ومثل هذا رأى الباقلانى وأبى عمر بن عبد البرّ ، ومؤداه : أنّ القراءة بالسبعة الأحرف كانت رخصة فى أول الأمر ، ثم نسخت بزوال العذر ، وتيسّر الحفظ ، وكثرة الضبط ، وتعلّم الكتابة[٣] .

على أنّ ابن حزم يردّ على من يقولون بأن عثمان – إذْ كتب المصحف الذى أجمع النّاس عليه – أسقط ستة أحرف من الأحرف المنزلة ، واقتصر على حرف منها ، بأن قولهم باطل « ببرهان كالشمس ، وهو أن عثمان – رضى الله عنه – لم يك إلا وجزيرة العرب كلّها مملوءة بالمسلمين والمصاحف والمساجد ، والقرّاء يعلّمون الصِّبيان والنّساء ، وكلّ من دَبَّ وهَبَّ ، واليمن كلّها ، وهى فى أيامه مدن وقرى ، والبحرين كذلك ، وعمان كذلك ، وهى بلاد واسعة : مدنٌ وقرى ، وملكها عظيم ، ومكة ، والطائف ، والمدينة ، والشام ... كلّها كذلك ، والجزيرة

(١) روح المعانى ج ١ ص ٢٢ .

(٢) مشكل الآثار ج ٤ ص ١٩٠ و ١٩١ .

(٣) انظر : ابن كثير الدمشقى : فضائل القرآن ص ٣٧ .

كذلك ، ومصر كلّها كذلك ، والكوفة ، والبصرة كذلك ، فى كلّ هذه البلاد من المصاحف والقراء مالا يُحصِى عدَدهم إلا الله تعالى وحده ، فلو رام عثمانُ ما ذكروا ما قدَرَ على ذلك أصلاً »[1] .

ويردّ ابن حزم أيضاً على من يقولون إن عثمان جمع الناسَ على مُصحف ، فيقول : « وأما قولهم كذا فباطل ، ما كان يقدر على ذلكلما ذكرناه ، ولا ذهب عثمان قطّ إلى جمْع الناس على مصحف كَتَبَه ، إنما خَشِيَ - رضى الله عنه - أن يأتى فاسقٌ يسعى فى كيد الدين ، أو أن يَهِمَ واهِم ، فيكونَ اختلاف يؤدِّى إلى الضلال ، فكتب مصاحفَ مُجْتَمَعاً عليها ، وبعث إلى كلّ أفق مصحفاً ، لكى - إن وَهِمَ وَاهِمٌ أو بَدَّلَ مبدّلٌ - رُجع إلى المصحف المجتَمَع عليه ، فانكشف الحقُّ ، وبَطَل الكيدُ والوهم ، فقط »[2] .

ويقول ابن قيم الجوزية ، وهو يعرض سياسة الإسلام فى بعض النواحى :

« ومن ذلك جمع عثمان - رضى الله عنه - الناسَ على حرف واحد ، من الأحرف السبعة التى أطلق لهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلّم - القراءةَ بها ، لمّا كان ذلك مصلحة .

فلما خاف الصحابة - رضى الله عنهم - على الأمة أن يختلفوا فى القرآن ، ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الاختلاف فَعَلوا ذلك ، ومنعوا الناس من القراءة بغيره . وهذا كما لو كان للناس عدَّة طرق إلى البيت ، وكان سلوكهم فى تلك الطرق يوقعهم فى التفرّق والتشتّت ، ويُطْمِع فيهم العدوَّ ، فرأى الإمام جمْعَهم على طريق واحد ، وتَرْك بقية الطرق ، جاز ذلك ، ولم يكن فيه إبطال لها ، لكون تلك الطرق موصّلةً أيضاً إلى المقصود ، وإن كان فيه نهى عن سلوكها لمصلحة الأمة »[3] .

ويصف طه حسين عمل عثمان هذا بأنّ فيه كثيراً من الجراءة ، ولكن فيه من النصح للمسلمين أكثر مما فيه من الجراءة[4] ، ثم يقول : « فلو قد ترك عثمان الناس يقرءون القرآن قراءات مختلفة بلغات متباينة فى ألفاظها لكان هذا مصدر فُرقة لا شكّ فيها ، ولكان من المحقّق أنّ هذه الفُرقة حوْل الألفاظ ستؤدّى إلى فُرقةٍ شرٍّ منها حول المعانى . بعد أن كان الفتح ، وبعد أن استعرب الأعاجم ، وبعد أن أخذ الأعراب يقرءون القرآن »[5] .

---

(١) الفصل فى الملل والنحل ج ٢ ص ٧٧ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) الطرق الحكمية ص ٢٠ .

(٤) الفتنة الكبرى - عثمان ص ١٨٢ .

(٥) نفس الكتاب ص ١٨٣ .

٧

ويمكن أن يتّسق لنا – فيما يلي – منهج الجمع العثمانى :

١ – الاعتماد على عمل اللجنة الأولى التى تولت الجمع على عهد أبى بكر ، أى على رَبْعة حفصة التى أشرنا إليها[١] ، والتى هى – كما يستفاد من منهج جمعها آنفاً – مستندة إلى الأصل المكتوب بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم بأمره ، وبذلك ينسدّ باب القالة [٢] ، فلا يزعم زاعم أنّ فى الرَّبْعة شيئاً لم يكتب فى المصحف العثمانى ، أو أنه كُتِب فى هذا مالم يكن فى تلك [٣] .

٢ – أن يتعاهد اللجنةَ خليفةُ المسلمين نفسه [٤] .

٣ – أن يأتى كلّ مَن عنده شىء من القرآن سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم بما عنده[٥]. وأن يشترك الجميع فى علم ما جُمعَ ، على نحو ما اتبع فى الجمع البكرىّ ، فلا يغيب فى هذه المرة أيضاً عن جمع القرآنَ أحدٌ عنده منه شىء ، ولا يرتاب أحدٌ فيما يودَعُ المصحف ، ولا يُشَكُّ فى أنه جُمع عن ملأ منهم[٦] .

٤ – إذا اختلفوا فى أيّة آية ، قالوا : هذه أقرأها رسولُ الله – صلى الله عليه وسلّم – فلاناً ، فَيُرسَل إليه ، وهو على رأس ثلاث[٧] من المدينة ، فيقال له : كيف أقرأك رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – آية كذا وكذا ؟ فيقول : كذا وكذا . . . فيكتبونها ، وقد تركوا لذلك مكاناً [٨] .

---

(١) فتح البارى حـ٩ ص ١٥ (ط . البهية) .

(٢) انظر : الحداد خلف الحسينى : الكواكب الدرية ص ٢١

(٣) انظر : على سلطان القارى : شرح العقيلة – المخطوطة رقم ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، الورقة ١٤

(٤) انظر : السيوطى : الإتقان حـ١ ص ٥٩

(٥) ابن أبى داود : المصاحف حـ١ ص ٢٤

(٦) الزركشى : البرهان حـ١ ص ٢٣٩

(٧) المقصود : ثلاث ليال . (انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن حـ١ ص ٥٤)

(٨) أبو عمرو الدانى : المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار – المخطوطة رقم ٢٦٣ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ص ٨و٩ ، والنسخة المطبوعة ص ٧ ، والسيوطى : الإتقان حـ١ ص ٥٩ .

٥ – يقتصر – عند الاختلاف – على لغة قريش[١] .

٦ – والمقصود من الجمع على لغة واحدة : الجمع على القراءة المتواترة المعلوم عند الجميع ثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلّم ، وإن اختلفت وجوهها ، حتى لا تكون فُرقة واختلاف ، فإنّ ما يَعلم الجميع أنّه قراءة ثابتة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – لا يختلفون فيها ، ولا يُنكر أحدٌ منهم ما يقرأه الآخر [٢] .

٧ – وعند كتابة لفظٍ تواتر – عن النبي صلى الله عليه وسلم – النطق به ، على أكثر من وجه ، تُبقى اللجنة هذا اللفظ خالياً من أية علامة تَقْصِر النُّطق به على وجه واحد ، « لتكون دلالة اللفظ الواحد على كلا اللفظين المنقولَيْن المسموعَيْن المتلوَّيْن شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المنقولَيْن المفهومَيْن »[٣] .

٨ – وخشية دخول الفساد والشبهة على من يأتى بعدُ ، يمنع كما مُنع فى الجمع البكرىّ عن كتابة ما يأتى ، فضلا عن قراءته وسماعه :

(ا) ما نُسخت تلاوته [٤] .

(ب) وما لم يكن فى العرضة الأخيرة [٥] .

(جـ) وما لم يثبت من القراءات ، وما كانت روايته آحاداً [٦] .

(د) وما لم تُعْلم قرآنيته ، أو ماليس بقرآن ، كالذى كان يكتبه بعض الصحابة فى مصاحفهم الخاصّة ، شرحاً لمعنى أو بياناً لناسخ أو منسوخ أو نحو ذلك[٧] .

٩ – فيما خلا ما قد يختلف فيه أعضاء اللجنة ، وما تصدر تعليمات الخليفة المعبّرة عن رأى

---

(١) احتجّ عثمان فى هذا بأن القرآن نزل بلغة قريش ، وإن كان قد وُسّع فى قراءته بلغة غيرهم ، رفعاً للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر ، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت ، فاقتصر على لغة واحدة (السيوطى : الإتقان حـ١ ص ٦٠) .
وقد اختلفوا فى كتابة كلمة « التابوت » فقال زيد : « التابوه » بالهاء ، وقال القرشيون : « التابوت » بالتاء المفتوحة ، لأنه كذلك فى لغة قريش (ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ ٩ ص ١٦ – ط . البهية) ، فرفعوا ذلك إلى عثمان ، فقال : اكتبوه : « التابوت » ، فإنما أنزل القرآن على لسان قريش (انظر : أبو عمرو الدانى : المقنع ص ٤ ط . دمشق) .

(٢) انظر : محمد بخيت المطيعى : الكلمات الحسان ص ٢٨ .

(٣) ابن الجزرى : النشر حـ١ ص ٣٣ . وواضح أن الكتابة العربية كانت بطبيعتها خالية وقتئذ من النقط والشكل .

(٤) انظر : السيوطى : الإتقان حـ١ ص ٦٠
والزركشى : البرهان حـ١ ص ٢٣٥ و٢٣٦

(٥) السيوطى : الإتقان حـ١ ص ٥٩

(٦) نفس المرجع ص ٦٠

(٧) انظر : الزركشى : البرهان حـ١ ص ٢٣٥ و٢٣٦

الصحابة صريحة بالاقتصار فيه على حرف قريش ، يشتمل الجمع على الأحرف التى نزل عليها القرآن ، والتى لم تغيّر فى العرضتين الأخيرتين ، وذلك على النحو الآتى :

(ا) الكلمات التى اشتملت على أكثر من قراءة تجعل – حسبما أوضحنا آنفاً – خالية من أية علامات ضابطة تحدد طريقة واحدة للنطق بها ؛ وبذلك تكون هذه الكلمات محتملة لما اشتملت عليه من القراءات ، وتكتب برسم واحد فى جميع المصاحف ، مثل :

١ – « فَتَبَيَّنُوا »[١] التى رُوِيَتْ أيضاً « فَتَثَبَّتُوا »[٢]

٢ – « نُنْشِزُهَا »[٣] التى رويت « نُنْشِرُهَا » و « نَنْشُرُها »[٤]

٣ – « هَيْتَ لَكَ »[٥] التى قرئت بسبع قراءات ، مع بقاء رسمها كما هو[٦] .

٤ – « أفٍّ »[٧] التى قرئت بثلاث قراءات دون تغيير فى رسمها[٨] .

---

(١) سورة الحجرات / من الآية ٦

(٢) هكذا يقرؤها حمزة ، والكسائى ، وخلف (ابن الجزرى : النشر جـ٢ ص ٢٥١)

(٣) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩

(٤) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو : « نُنْشِرُها » بضم النون الأولى ، وبالراء .
وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائىّ ، وخلف : « نُنْشِزُها » بالزّاى .
وروى أبان عن عاصم : « نَنْشُرها » ، بفتح النون الأولى وضمّ الشين والراء .
(انظر : ابن مجاهد : كتاب السبعة فى القراءات ص ١٨٩
وابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر جـ٢ ص ٢٣١
والدمياطى البنّا : إتحاف فضلاء البشر ص ١٦٢)

(٥) سورة يوسف / من الآية ٢٣

(٦) قرأ ابن كثير : « هَيْتُ لَكَ » ، بفتح الهاء ، وتسكين الياء ، وضمّ التاء .
وقرأ نافع ، وابن عامر ، وابنُ ذكوان (أحد الراويين الأشهرين لابن عامر) ، وأبو جعفر : « هِيتَ لَكَ » ، بكسر الهاء ، وتسكين الياء ، ونصْب التّاء .
وقرأ ابن عامر أيضاً : « هِئْتُ لَكَ » من تهيّأتُ لك ، بكسر الهاء ، وهمز الياء ، وضمّ التاء .
وعن هشام (وهو أيضاً أحد الراويين الأشهرين لابن عامر) : « هِئْت لك » ، بكسر الهاء ، وهمز الياء ، وفتح التاء .
وقرأ عاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائى : « هَيْتَ لك » ، بفتح الهاء ، وسكون الياء ، وفتح التّاء .
(انظر : ابن مجاهد : كتاب السبعة ص ٣٤٧ .
وابن الجزرى : النشر جـ ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ .
والدمياطى البنا : الإتحاف ص ٢٦٣ .

(٧) سورة الإسراء / من الآية ٢٣ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٦٧ ، وسورة الأحقاف / من الآية ١٧ .

(٨) قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، ويعقوب : « أفَّ » ، بفتح الفاء .
وقرأ نافع ، وحفص ، وأبو جعفر : « أفٍّ » بالتنوين .
وقرأ أبو عمرو ، وعاصم (فى رواية أبى بكر) ، وحمزة ، والكسائى : « أفِّ » خفضاً بغير تنوين .
(انظر : السبعة ص ٣٧٩ ، والنشر جـ٢ ص ٣٠٦ ، والإتحاف ص ٢٨٣)

(ب) الكلمات التى تضمنت قراءتين أو أكثر ، والتى لم تُنسخ فى العرضة الأخيرة ، والتى لا يجعلها تجريدها من العلامات الضابطة محتملة لما ورد فيها من القراءات لا تكتب برسم واحد فى جميع المصاحف ، بل تُرسم فى بعض المصاحف برسم يدلّ على قراءة ، وفى بعضها برسم آخر يدلّ على القراءة الأخرى[1] .

وأهمّ الأمثلة على هذا :

١ - « وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدا » [2]. تُكتب فى أحد المصاحف (وهو الشامى) بغير واو [3]

٢ - « وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَٰهِيمُ » [4] تُرسم ، فى بعض المصاحف ، بواوين قبل الصاد ، من غير ألف بين الواوين ، وفى بعضها ، بإثبات ألف بين الواوين[5] .

٣ - « وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ »[6] ، تُرسم ، فى بعض المصاحف ، بواو قبل السين ، وفى بعضها ، بحذف الواو[7] :

٤ - « وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ »[8] ، بزيادة الباء فى الاسمين أى « وبِالزُّبُرِوبِالْكِتَابِ »

---

(١) انظر : على محمد الضباع : سمير الطالبين - مبحث ما فيه قراءتان ، وورد برسمين على حسب كل منهما ص ١٠١ - ١٠٦

ويستبعد القلقشندى ، عند حديثه عن نقْط المصاحف الذى كان أبو الأسود الدؤلى قد وضعه ، أن تكون حروف القرآن - قبل ذلك - مع تشابه صورها ، ظلت عريّة عن النقط إلى حين نقط المصحف (انظر : صبح الأعشى جـ٣ ص ١٥١) .

(٢) سورة البقرة / ١١٦ .

(٣) انظر : السبعة فى القراءات ص ٢٦٨ . والنشر جـ١ ص ١١ . والإتحاف ص ١٤٦ :

وعلى أساس ما ورد فى المصحف الشامى ، يقرأ ابن عامر « قالوا » بغير واو ، أما الباقون فيقرءون بالواو (الطبرسى : مجمع البيان فى تفسير القرآن حـ١ ص ٤٣٣)

(٤) سورة البقرة / ١٣٢

(٥) أبوعمروالدانى : المقنع ص ١٠٢ فى النسخة المطبوعة .

ونتيجة هذا الاختلاف ، يقرأ أبو جعفر ، ونافع ، وابن عامر : (أوصى) من الإيصاء ، والباقون يقرءون : (وصّى) بالتشديد . (انظر : نظام الدين النيسابورى : غرائب القران ورغائب الفرقان حـ١ ص ٤٤٨)

(٦) سورة آل عمران / ١٣٣

(٧) ونتيجة هذا الاختلاف ، يقرأ نافع ، وابن عامر : « سارعوا » ، بغير واو ، وكذلك هو فى مصاحف أهل المدينة وأهل الشام ، ويقرأ باقى السبعة « وَسَارِعُوا » بالواو . وكذلك هو فى مصاحف مكة والعراق .

(انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٤ ص ٢٠٣ .

والفخر الرازى : التفسير الكبير حـ٩ ص ٤

والطبرسى : مجمع البيان حـ٤ ص ١٩٧

(٨) سورة آل عمران / ١٨٤

يثبت ذلك فى أحد المصاحف (وهو الشامى[١]) .

٥ – « جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ »[٢] ترسم بأحد المصاحف (وهو المكى) بزيادة « من » قبل « تحتها » ، وفى بقية المصاحف بحذفها[٣] .

٦ – « مِنْهَا مُنْقَلَباً »[٤] ، تُثبت فى بعض المصاحف بالتثنية[٥] .

٧ – « فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ »[٦] ، تُثْبَتُ فى أحد المصاحف (وهو المكّى أيضاً) بحذف « هو »[٧] .

١٠ – فى شأن ترتيب آيات كل سورة يُلتزم ما كان النبى صلى الله عليه وسلم قد اتّبعه فى العَرْضَة الأخيرة ، فى السَّنَة التى تُوفى فيها ، ويعتبر هذا الترتيب توقيفاً من الله[٨] .

وكذلك تلتزم اللجنة فى ترتيب السور ما كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وما روعى فى جمع أبى بكر أيضاً .

١١ – بعد الفراغ من كتابة المصحف الإمام ، وقبل حمل الناس على كتابة المصاحف على نمطه ، يراجعه زيد بن ثابت المرات المناسبة[٩] ، ثم يراجعه خليفة المسلمين بنفسه ، تأكيداً

---

(١) النشر حـ١ ص ١١

يقول الطبرسى : « . . . ويقرأ ابن عامر الشامىّ بالباء ، وكذلك هى فى مصاحف الشام ، والباقون بغير باء » (مجمع البيان حـ٤ ص ٢٨٧) .

(٢) سورة التوبة / ١٠٠

(٣) النشر حـ١ ص ١١

ولهذا ، قرأ ابن كثير بزيادة « من » ، وكذلك هو فى مصاحف مكة ، وقرأ الباقون بغير « من » ، وعليه سائر المصاحف (الطبرسى حـ١٠ ص ١٢٦)

(٤) سورة الكهف / من الآية ٣٦

(٥) النشر حـ١ ص ١١

وفى مصاحف مكة والمدينة والشام « منهما » . وفى مصاحف أهل البصرة والكوفة « منها » ، على التوحيد (القرطبى حـ١٠ ص ٤٠٤ ، والفخر الرازى : حـ٢١ ص ١٢٦)

(٦) سورة الحديد / من الآية ٢٤

(٧) النشر حـ١ ص ١١ .

ونتيجةً لهذا الاختلاف ، يقرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر ، بحذف « هو » ، والباقون يبقونها . ومصاحف أهل المدينة والشام على الحذف . (انظر : الفخر الرازى : حـ٢٩ ص ٢٤٠ ، والقرطبى : حـ١٧ ص ٢٦٠)

(٨) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ٩ ص ٣٢ – ٣٦ (ط . البهية) .

(٩) ذكر الطبرىّ أن زيد بن ثابت راجع المصحف ثلاث مّرات (جامع البيان ج ١ ص ٦٠ و ٦١ ط . محمود محمد شاكر) :

فى الأولى ، لم يجد فيه هذه الآية : « مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً » (سورة الأحزاب / ٢٣) . قال زيد : فاستعرضتُ المهاجرين أسألهم عنها ، فلم أجدْها عند أحد =

للأمان من أيّ نسيان(١) .

هذا هو منهج الجمع العثمانى فيما اتسق لنا ؛ ومن قبل أوضحنا – بطريقة مماثلة – منهج الجمع البكرى ؛ والحق أن المنهجين كليهما – بدقتهما ، وإخلاص القائمين عليهما ؛ وبما أديا من خدمة بالغة العظمة للقرآن – حقيقان بأن يكون منهما قدوة للتخطيط والعمل فى الجمع الصوتى الأوّل للقرآن : الجمع الذى يعتبر الثالث فى الترتيب التاريخى لمرات جمع هذا الكتاب العظيم .

فإلى مشروع هذا الجمع الأخير . . .

= منهم ، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها ، فَلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتُها عند خزيمة بن ثابت فكتبتُها (ابن أبى داود : المصاحف حـ ١ ص ١٩) وفى المراجعة الثانية ، لم يجد زيد هاتين الآيتين : « لَقَدَ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عليكم . . . » إلى آخر السّورة (سورة التوبة / ١٢٨ و ١٢٩) . قال زيد أيضاً : فاستعرضتُ المهاجرين ، فلم أجدْها عند أحدٍ منهم ، ثم استعرضتُ الأنصار أسألهم عنها فلم أجدْها عند أحدٍ منهم ، حتى وجدتُها مع رجل آخر يُدْعى خزيمة أيضاً ، فأثبتُّها فى آخر (براءة) إلخ . . .

وفى المراجعة الثالثة ، لم يجد شيئاً .

* * *

والذى يتّضح لنا من الصحيح أنّ قصّة آيتى (التوبة) كانت عند الجمع البكرى ، وقد تحدثنا فى الفصل السابق عن أنّ إثبات هاتين الآيتين فى المصحف لم يكن أبداً من رواية أبى خزيمة الأنصارى وحده .

أما قصّة آية الأحزاب التى أوردها الطبرى فلم تكن فى جمع أبى بكر ، وإنْ صَحَّتْ – وهو بعيد – فإنها تكون فى جمع عثمان . وواضح حتى من نصّها أنّ زيد بن ثابت كان يحفظ الآية الكريمة ، ولذلك سأل عنها المهاجرين ثم الأنصار ، حتى وجدها عند خزيمة بن ثابت ، فكتبها . فهكذا يقطع النصّ بأنّ الآية إنما أثبتت بشهادة اثنين – على الأقّل – هما : خزيمة وزيد .

وقد قيل إنّ فقد زيد هذه الآية يستدعى – بظاهره – أنّ فى المصاحف العثمانية زيادة لم تكن فى مصحف أبى بكر . وقد صّدّق الألوسىّ المفسّر أنّ هذه القصّة صحيحة ، فقال مدافعاً : « والأمر – فى ذلك – هيّن ، إذْ مثل هذه الزيادة اليسيرة لا توجب مغايرةً يُعبأ بها . . » إلى أن قال : « ولو كان هناك غيرها لذكر ، وليس فليس . . . » .

وقال : « ولا يقدح أيضاً فى الجمع السّابق ، إذْ يحتمل أن يكون سقوطها منه من باب الغفلة ، وكثيراً ما يعترى السّارحين فى رياض حظائر قدس كلام ربّ العالمين ، فيذكّرهم سبحانه بما غفلوا ، فيتداركون ما أُغفلوا . . . وزيد هذا كان فى الجمعين ، ولعلّه الفرد المعوّل عليه . . . لكن عراه فى أولهما ما عراه ، وفى ثانيتهما ، ذكّره من تكفّل بحفظ الذكر فتدارك ما نساه » (روح المعانى جـ ١ ص ٢٣) .

والحقّ أن هذه القصّة لا يمكن علمياً أن تثبت أصلاً . وقد ذهب ابن حجر العسقلانى إلى أنّ الطبرى إذْ أوردها (وَهِمَ » فيها ، وأنه « أدرج بعض الأسانيد على بعض » (فتح البارى حـ ٩ ص ١٢ ط . محبّ الدين الخطيب) ، ومن ثَمَّ ، فإننا نرفُض هذه القصة برُمَّتها رفضاً .

(١) الطبرى : جامع البيان جـ ١ ص ٦١ (ط . محمود محمد شاكر) .

الباب الثانى

الجمع الصّوتى الأوّل
أو
المصحف المرتل

الفصل الأول

الفكرة

١

لفظ « المصحف »[1] اسم مجموعة صحائف القرآن مرتّبَةَ الآيات والسّور على الوجه الذى تلقتّه الأمة الإسلامية من النبي (ص) .

حكى المظفرى فى تاريخه ، قال :

لما جمع أبو بكر القرآن ، قال : سمّوه .

فقال بعضهم : سمّوه إنجيلا ، فكرهوه .

وقال بعضهم : سمّوه : السِّفْر ، فكرهوه من يهود .

فقال ابن مسعود : رأيت بالحبشة كتاباً يدعونه المصحف ، فسمَّوْه به[2] .

وأخرج ابن أشته ، فى كتاب « المصاحف » ، من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، قال :

لما جمعوا القرآن ، فكتبوه فى الورق ، قال أبو بكر : التمسوا له اسماً ، فقال بعضهم : السِّفْر ؛ وقال بعضهم : المصحف ، فإن الحبشة يسمّونه « المصحف » .

وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله ، وسماه « المصحف »[3] .

* * *

على أن هذا اللفظ ، وإن يكن – حسب هذه الرواية – معرَّبا عن الحبشية [4] ، كان

---

(١) المصحف بضم الميم وكسرها ، والأصل والأشهر هو الضم لأنه مأخوذ من (أصحف) ، أى جمعت فيه الصحف (انظر : ابن منظور : لسان العرب – مادة ص ح ف) .

(٢) انظر : السيوطى : الإتقان حـ١ ص ٥١

(٣) المرجع السابق

(٤) الكلمة الحبشية Mashaf ، وهى – فى رأى بعض الباحثين – دخلت العربية مع اصطلاحات دينية أخرى مثل : (الحواريين) و (المنافق) و (المشكاة) وما إليها . ومما يستدل به على حبشية هذا اللفظ أنه ليس فى العربية =

– منذ ما قبل الرواية – مما استعمل العرب . يقول امرؤ القيس فى إحدى قصائده :

أتت حجج بعدى عليها فأصبحت كخط زبور فى مصاحف رهبان

بل لا يبعد أن يكون لفظ « المصحف » مما تداول المسلمون أنفسهم قبلا بنفس المعنى الذى قَصَدَتْه التسمية البكرية ، بل لعله الأقرب والأكثر قبولا :

فعن أبى هريرة أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : الغرباء فى الدنيا أربعة ، (وعدّ منها مصحفاً فى بيت لا يُقرأ فيه)[1] .

وروى ابن ماجة ، وغيره ، عن أنس – مرفوعاً – : سَبْعٌ يجرى للعبد أجرهُنَّ بعد موته وهو فى قبره (وعدّ منهم أيضاً من ورّث مصحفا)[2] .

وعن نافع ، عن ابن عمر ، قال : نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يسافر بالمصاحف إلى أرض العدوّ مخافة أن ينالوها ، وفى رواية : مخافة أن يُتَنَاول منه شىء ، وفى رواية أخرى : مخافة أن يناله العدوُّ [3] .

٢

وكما طلب أبو بكر اسما للجمع القرآنىّ المكتوب ، كان ضرورياًّ أن يحتاج صاحب فكرة الجمع الصوتى إلى اسم لهذا الجمع . وكان طبيعيًّا جداً أنه آثر تسميته (المصحف) :

= فعل ثلاثى من مادة (صحف) يمكن أن تشتق منه كلمة (المصحف) . بينما فى الحبشية يستعملون الفعل (صحف) بمعنى (كتب) .

(انظر : بول كراوس : بحث بعنوان (المصحف) بمجلة الثقافة ع ١١ مايو سنة ١٩٤٣) .

(١) انظر : المناوى : فيض القدير شرح الجامع الصغير حـ٤ ص ٤٠٩

(٢) انظر : ابن أبى داود : المصاحف حـ٥ ص ١٨٠ و١٨١
والسيوطى : الإتقان حـ٢ ص ١٧٣

(٣) انظر : ابن أبى داود : المصاحف جـ٥ ص ١٨٠ و١٨١
والسيوطى : الإتقان حـ٢ ص ١٧٣

وذكر السيوطى هذا الحديث فى « الجامع الصغير » ، ورمز له بالصحة . ولكن المناوى فى شرح الجامع الصغير المسمى بالتيسير قال عن هذا الحديث إن إسناده ضعيف ، وان المصنف وهم حيث رمز لصحته (حـ٢ ص ٥٢) .

وذكر المناوى أيضاً فى شرح حديث : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أوعلم ينتفع به ، أوولد صالح يدعو له » إنه وَرَدَت – فى أحاديث أخر – زيادة على هذه الثلاثة تتبّعها ، فبلغت احد عشر . نظمها فى خمسة أبيات ، منها :

وراثة مصحف ، ورباط ثغر وحفراً لبئر أو إجراء نهـــر

نفس الاسم الذى ورد فى الأحاديث النبوية ، أو الذى اختاره المسلمون – على عهد الخليفة الأول ، لمجموعة القرآن المكتوبة المرتّبة الآيات والسوَر ، على الوجه الذى تلقته الأمة من النبيّ (ص) ، مع زيادة الصفة الجوهرية التى تميزه عن المصحف المكتوب ، وهى أنه « المسموع ». وذكر صاحب الفكرة هذا الاسم فى كل ما أذاع ونشر عن فكرته فى مستهل عهدها .

* * *

وواضح أنّ هذه التّسمية مأخوذة مما ورد فى القرآن نفسه فى شأن سماع الوحى :

« أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وقدِ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهم يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بعْدِ مَا عَقلُوهُ »(١) .

« وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَـرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ »(٢)

« وَمِنْهم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْنَا على قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ »(٣)

« وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا »(٤) .

« وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى »(٥) .

« مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنْ رَبِّهِمْ مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يلْعَبُونَ »(٦) .

« إن تسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بآيَـٰتِنا فهم مُّسْلِمُونَ »(٧) .

« وَإِذَا تُتْلى عليْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّى مُسْتكبِراً كأن لَّمْ يَسْمَعْهَا »(٨) .

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهـٰذا الْقُرْءَانِ والْغوْا فِيهِ »(٩) .

« يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ اللهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكبِرا كأن لَّمْ يَسْمَعْهَا »(١٠)

« وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءانَ »(١١) .

« قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى »(١٢) .

« وَمِنْهُم مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذا خَرَجُواْ مِنْ عِنْدِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُتوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفاً »(١٣)

« وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ »(١٤) .

---

(١) سورة البقرة / ٧٥
(٢) سورة المائدة / ٨٣
(٣) سورة الأنعام / ٢٥
(٤) سورة الأعراف / ٢٠٤
(٥) سورة طه / ١٣
(٦) سورة الأنبياء / ٢
(٧) سورة النمل / ٨١
(٨) سورة لقمان / ٧
(٩) سورة فصلت / ٢٦
(١٠) سورة الجاثية / ٨
(١١) سورة الأحقاف / ٢٩
(١٢) سورة الأحقاف ٣٠
(١٣) سورة محمد / ١٦
(١٤) سورة القلم / ٥١

« قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا »[١]
« وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ »[٢]

* * *

ومنذ أوائل القرن الخامس الهجرىّ ، قال إمام الحَرَمَيْن الجُوَيْنِيُّ (٤١٩ - ٤٧٨ هـ) :[٣]
« كلام الله تعالى مسموع فى إطلاق المسلمين ، والشّاهد لذلك - من كتاب الله تعالى - قوله تعالى : « وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ »[٤] .

وقال عن لفظة « السَّماع » : فقد يُراد بها الإدراك ، وقد يُراد بها الفهمُ والإحاطة ، وقد يُراد بها الطاعةُ والانقياد ، وقد يُراد بها الإجابة[٥] .

وقال : فإذا سُمِّى كلامُ الله تعالى مسموعاً ، فالمعنىّ به كونه مفهوماً معلوماً عن أصوات مُدْرَكة ومسموعة . . إلخ[٦]

٣

على أنه بدا لنا ، بعد مَوْلد المشروع بقليل ، لسبب سنذكره تفصيلا فى الفصل التالى ، استبدال كلمة « المرتّل » بكلمة المسموع ، فَحَمَل مشروعُ الجمع الصوتىّ الأول منذ وقتئذ اسم « مشروع المصحف المرتل »[٧]

والمرتّل مأخوذ من (رَتِلَ) الثّغر ، فهو رَتِلٌ - من باب تَعِبَ - إذا استوى نباتُه وحَسُنَ تنضيده ، وكان مُفْلِجاً لا يركب بعضه على بعض . ويستعمل الترتل فى حسن تناسق الشىء . ومن المجاز : « رتَّلَ القرآن ترتيلاً » إذا تَرسَّل فى تلاوته ، وأحسن تأليف حروفه ؛ وهو يترسّل فى كلامه ويترتّل .[٨]

---

(١) سورة الجن / ١ (٢) سورة الجن / ١٣

(٣) أنظر كتابه : « الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد » بتحقيق محمد يوسف موسى ، وعلى عبد العظيم عبد الحميد .

(٤) سورة التوبة / ٦ - وانظر : الجوينى : المرجع السابق ص ١٣٣

(٥) الجوينى : نفس المرجع

(٦) نفس المرجع ص ١٣٤

(٧) أبدى المرحوم الشيخ محمود شلتوت خوفه من أن يفهم بعض العامة كلمة « المسموع » بمعناها الغالب عندهم وهو المشهور .

(٨) انظر : الزمخشرى : أساس البلاغة : (ر ت ل) ،
وفخر الدين الطريحى النجفى : مجمع البحرين فى غريبى القرآن والأحاديث ص ٤٣٦ .
ومجمع اللغة العربية بمصر : معجم ألفاظ القرآن الكريم حـ ١ ص ٤٣٥ .

والقرآن نفسه يقول :

« كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلاً » [١] .

« أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً » [٢]

والّترتيل – اصطلاحاً – هو القراءة بتؤدة واطمئنان ، وإخراج كلّ حرف من مخرجه ، مع إعطائه حقهّ ومستحقّه ، ومع تدبرّ المعانى .

وقيل : هو رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف .

وقيل أيضاً : هو خفض الصوت ، والتّحزين بالقراءة [٣] .

والتّرتيل – بهذا ، وبما هو الكيفية التى نزل بها القرآن « وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلاً » [٤] – هو أفضل مراتب القراءة الأربع : التّرتيل ، ثم التحقيق الذى هو أكثر اطمئناناً ، والذى يُؤخذ به فى مقام التعليم ، لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ ، ثم الحَدْر الذى هو الإسراع فى القراءة مع مراعاة الأحكام ، ويكون لتكثير الحسنات فى القراءة ، فيما يرى بعض المسلمين ، ثم التدوير الذى هو مرتبة متوسطة بين الترتيل والحدْر [٥] .

والنبى نفسه صلى الله عليه وسلم كانت قراءته ترتيلاً ، فقد كان – تنفيذاً لأمر ربّه – يقرأ القرآن « عَلَىٰ مُكْثٍ » [٦] ، أى على مَهَل ، وباطمئنان وتؤده ، ليتيسّر لسامعيه تلقّيه وفهمه

---

(١) سورة الفرقان / ٣٢

ومعنى « وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلا » : أنزلناه على الترتيل ، وهو ضدّ العجلة ، وبيّناه ومكنّاه . (أنظر : مجمع اللغة العربية بمصر : معجم ألفاظ القرآن الكريم حـ١ ص ٤٥٤)

(٢) سورة المزمّل / ٤ .

قال ابن عباس فى تفسيره : « وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً » : بيّنه .

وقال مجاهد : تأنّ فيه .

وقال الضحاك : انبذه حرفاً حرفاً ، يقول الله تعالى : تثّبت فى قراءته ، وتمهّل فيها ، وافصل الحرف من الحرف الذى بعده (انظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٢٠٨) .

وعن علىّ : الترتيل : تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف (نفس المرجع ص ٢٠٩) .

(٣) انظر : على الجرجانى : التعريفات ص ٥٧

(٤) سورة الفرقان / ٣٢

(٥) الترتيل : مذهب ورش ، وعاصم ، وحمزة .

والحدْر : مذهب ابن كثير ، وأبى عمرو وقالون .

والتدوير : مذهب ابن عامر ، والكسائى .

(التهانوى : كشاف اصطلاحات العلوم والفنون حـ١ ص ١٩٦)

(٦) يقول تعالى : « وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلاً » (سورة الإسراء / ١٠٦) .

وتدبّره والانفعال به ، وكان صلوات الله عليه – فيما ذكر أبو داود والنَّسائى من حديث أُبَىٍّ ابن كعب – يقطع قراءته ، ويقف عند كل آية ، فيقول : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ (١) » ، ويقف . « الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ »(٢) ويقف . وثابت أنه كان يرتّل السورة حتى تكون أطول منها ، وأنه قام بآية يردّدها حتى الصباح(٣) . وهو يحبّب فى الترتيل ، فيقول : يقال لصاحب القرآن : اقرأ ، وارق ، ورتِّلْ ، كما كنت تُرتِّل فى الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها(٤) .

يقول الشافعى : « أقلّ الترتيل : ترك العجلة فى القرآن عن الإبانة ، وكلما زاد على أقل الإبانة فى القرآن كان أحبّ إلىَّ ، مالم يبلغ أن تكون الزيادة فيه تمطيطا(٥) » .

ويقول الغزالى : « واعلم أن الترتيل مستحبّ لا لمجرد التَّدبُّر ، فإنَّ العجمىّ الذى لا يفهم معنى القرآن يُستحبّ له أيضاً فى القراءة الترتيل والتُّؤدة ، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام »

وحتى أرباب السّياسة ممن لم يرتفع لهم ذكر بين علماء القرآن كانوا يوصون بالترتيل فى القراءة :

فى الكتاب المشهور الذى وجّهه طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر – لمَّا ولّاه المأمون الرّقّة ومصر وما بينهما – وهو الكتاب الذى وصّاه فيه بكثير من الآداب والسياسة يحتاج إليها فى دولته وسلطانه ، يقول طاهر : « ورتّل فى قراءتك ، وتمكّن فى ركوعك وسجودك وتشهّدك . . . إلخ »(٧)

ويقول الوصَّابى الحبشى المتوفى سنة ٧٨٢هـ : ويسنّ ترتيل القرآن ولو لمن لا يفهم(٨) .

* * *

وقد استهزئ بمشروع المصحف المرتل غداة الإعلان عنه ، وعُدَّ بدعةً محدثةً لا يجرؤ عليها إلا عابث أو مأجور(٩) .

---

(١) سورة الفاتحة / ١ . (٢) سورة الفاتحة / ٢ .

(٣) انظر : شرح الزرقانى على المواهب اللّدنية للقسطلانى حـ١ ص ٣٢٥ و٣٢٦

(٤) انظر : القسطلاّنى : لطائف الإشارات حـ١ الورقة ٤ – المخطوطة رقم ٤٠٦ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، والورقة ٥ من المخطوطة رقم ٤٩ قراءات بنفس الدار .

وانظر : البغوى الفراء : مصابيح السنّة حـ ١ ص ١٠٣ .

(٥) انظر : كتاب أحكام القرآن للشافعى – جمعه البيهقى حـ١ ص ٦٤

(٦) انظر : ابن الجزرى : النشر حـ١ ص ٢٠٩

(٧) انظر : ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٠ (ط . التحرير)

(٨) انظر كتابه : البركة فى فضل السعى والحركة ص ١٦

(٩) نشر فى صحيفة « الجمهورية » . يوم ١٩٥٩/٣/١٤ . ما مؤداه أن البحث عن طريقة جديدة للمحافظة

والرَّدُّ أنَّ كتابة المصحف نفسها ، على نحو ما فصّلناه آنفا ، كان عملاً مستحدَثاً لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنَّ الصحابة – لِمُطلق المصلحة – فعلوه . وقد أصبحت هذه الكتابة المثل المختار لمن يؤكدون العمل بالمصلحة المرسلة :

يتكلم الشاطبي صاحب « الموافقات » و« الاعتصام » عن المصالح المرسلة ، « وهى التى يرجع معناها إلى اعتبار المناسب الذى لا يشهد له أصل معيّن » ، ويبسطها بأمثلة أوّلها : « أن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اتفقوا على جمْع المصحف ، وليس ثمَّ نصٌّ على جمعه وكتْبه أيضاً ، بل قد قال بعضهم : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله – صلى الله عليه وسلم [1] – ؟ » ، ثم يقول الشاطبي فى هذا الشأن : « ولم يَرِدْ نصٌّ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – بما صنعوا من ذلك ، ولكنهم رأوه مصلحة تناسب تصرفات الشّرع قطعاً ، فإن ذلك راجع إلى حفظ الشريعة ، والأمرُ بحفظها معلوم ، وإلى منع الذريعة للاختلاف فى أصلها الذى هو القرآن ، وقد عُلِمَ النهى عن الاختلاف فى ذلك بما لا مزيد عليه »[2]

وسيظل هذا الاجتهاد محل التفات المسلمين وإعجابهم[3] .

٤

وقد رأى بعضهم فى سنة ١٩٦٤م ، – بباعث غير علمّى ولا جدّىّ – أن يطلق – على مجموعة « أسطوانات » القرآن – اسم « القرآن المرتّل » ، بدلا من « المصحف المرتل » .

ونودّ أن نُذكّر أصحاب هذا الرأى بأنّ المسلمين الأوّلين لمّا جمعوا القرآن كتابةً احتاجوا إلى اسم لهذا الجمع ، فكان أن اختاروا له اسم « المصحف » على نحو ما قدّمنا . وهم – بدهيًّا – لم يفُتْهم أنّ ما جمعوه هو القرآن ، ولو استَساغوا إطلاق اسم « القرآن » على الجسم المادىّ الذى سُجّل فيه القرآن لفعلوا ، ولكنهم لاحظوا – بالضرورة – أن القرآن هو « كلمات غيبيّة

= على القرآن تعنى أن المصاحف أصبحت « مودة » قديمة ، وأن الحفظ « مافيش حدّ يضمنه » .

وجاء بعد هذا ما نصه :

« ويقول الشيخ أبو زهرة : إن هذا عبث لا يجب أن يقول به أحد . إن الذين يقومون بهذه الدعوات ناس مأجورون ، فقراءة القرآن هى التى تجعل الإنسان يحسّ بروحانيته » .

(١) الاعتصام جـ٢ ص ٢٨٧

(٢) نفس المرجع ص ٢٩٠

(٣) انظر مثلا : محمد الخضر الجكنى الشنقيطى مفتى المالكية بالمدينة المنورة : قمع أهل الزيغ والإلحاد عن الطعن فى تقليد أئمة الاجتهاد ص ٤٥

مجردة عن المواد »(١) ، وأنه كما يقول السّنّيون : « كلام الله تعالى غير مخلوق ، وهو مكتوب فى المصاحف ، محفوظ فى الصّدور ، مقروء بالألسن ، مسموع بالآذان ، غير حالّ فى شىء منها »(٢) ، وكما يقول الألوسىّ : « فقولهم غير حالّ إشارة إلى مرتبته النفسية الأزلية ، فإنه من الشؤون الذاتية ، ولم تفارق الذات ولا تفارقها أبدا ، ولكن الله تعالى أظهر صورها فى الخيال والحسّ ، فصارت كلمات مخيّلة وملفوظة مسموعة ومكتوبة مرئيّة ، فظهر فى تلك المظاهر من غير حلول »(٣) .

وقد كان القسطلاّنى يعبّر – عن هذه العقيدة السّليمة الغالبة – بقوله : « القرآن غير مخلوق ، ولا حالّ فى المصاحف ولا فى القلوب والألسنة والآذان ، بل معنى قائم بذات الله . . . وهذا كما يقال : النار جوهر محرق ، يذكر باللفظ ويكتب بالقلم ولا يلزم منه كون حقيقة النار صوتاً وحروفاً »(٤)

وأحمد بن حنبل يقول (٥) : إنّ الله أبطل أن يكون القرآنُ شيئاً غير الوحى ، لقوله : « إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَىٰ » (٦)، وقوله : « فَأَوْحَى إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَى »(٧) .

والأشاعرة يروْن ما لا يمكن أن يسمح للمسلمين أن يقبلوا إطلاق اسم « القرآن المرتل » على « الأسطوانات » آنفا :

فمؤدّى كلام أبى الحسن الأشعرىّ أنه إن يكن القرآنُ كلامُ الله غيرَ مغيَّر ولا مخلوق ولا حادث ولا مبتدع ، فإنّ الحروف المقطعة فيه والألوان والأجسام والأصوات مخلوقة لا مخترعة (٨).

والسُّبكى – فى تلخيصه لكلام الأشعرى والمسلمين غير المبتدعين عن القرآن – يقول : « ولا يجوز الانفصال – على القرآن – عن ذات الله ، ولا الحلول فى المحالّ ، وكون الكلام مكتوباً على الحقيقة فى الكتاب لا يقتضى حلوله فيه ، ولا انفصاله عن ذات المتكلّم » (٩)

---

(١) الألوسى : روح المعانى جـ ١ ص ١١
(٢) نفس المرجع
(٣) نفس المرجع
(٤) لطائف الإشارات : الورقة ٥ من المخطوطة رقم ٤٩ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(٥) انظر كتابه : « الرد على الجهمية والزنادقة فيا شكّوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله » ص ١٦
(٦) سورة النجم / ٤
(٧) سورة النجم / ١٠
(٨) انظر : ابن عساكر : تبيين كذب المفترى فيما نُسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى ص ١٥٠
(٩) طبقات الشافعية جـ٣ ص ٤١٧ و٤١٨ (بتحقيق الطناحى والحلو)

والفخر الرازى يقرر أيضاً – فى شدّة – أنّ الأصوات التى نقرأ بها ليست كلام الله . يقول :

« زَعَمَت الحشوية أن هذه الأصوات التى نسمعها من هذا الإنسان عين كلام الله تعالى ، وهذا باطل ، لأنّا نعلم – بالبديهة – أن هذه الحروف والأصوات التى نسمعها من هذا الإنسان صفة قائمة بلسانه وأصواته ، فلو قلنا بأنها عين كلام الله تعالى لَزِمَنَا القول بأنّ الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى ، وحالّةٌ بدنَ هذا الإنسان . وهذا معلوم الفساد بالضرورة .

وأيضاً ، فهذا عين ما يقوله النصارى من أن أقنوم الكلمة حلّت فى ناسوت صريح ، وزعموا أنها حالّةٌ فى ناسوت عيسى عليه السلام . ومع ذلك فهى صفة الله تعالى ، وغير زائلة عنه .

وهذا عين ما يقوله الحشوية من أن كلام الله تعالى حالٌّ فى لسان هذا الإنسان ، مع أنه غير زائل عن ذات الله تعالى ، ولا فرق بين القولين ، إلا أنّ النصارى قالوا بهذا القول فى حق عيسى وحده ، وهؤلاء الحمقى قالوا بهذا القول الخبيث فى حقّ كلّ الناس من الشّرق إلى الغرب[1] » .

وينفى أبو الحسين الخياط المعتزلى المعروف عن فرقته ما نُسب إليهم من أنهم قالوا إن الناس لم يسمعوا القرآن على الحقيقة ، وإنّ ما فى المصاحف ليس بكلام الله إلا على المجاز[2] .

وما انفكّ المسلمون – حتى عصرنا الحاضر وإلى ما شاء الله – يقصرون إطلاق اسم (القرآن) على كلماته الأزلية فحسب ، ومن ثمَّ ، فكلّ جسم وكلّ جِرْم مُبْعَدٌ تماماً عن هذا الاسم .

يقول صاحب (مناهل العرفان) ، وهو من المعاصرين :

« القرآن يطلق على الصفة القديمة ، ويطلق على الكلمات الحكمية الأزلية ، وهذان الإطلاقان لا تعدّد فيهما ألبتّة ، لا حقيقةً ولا اعتباراً . بل هما منزّهان عنه ، لأنّ التعدّد من أمارات الحدوث ، كيف وهما قديمان ؟ »[3] .

* * *

وشىء اصطلح عليه الذين شاهدوا نزول القرآن ، ورأوه ضروريًّا ، وتبّين صوابه للمسلمين

---

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير حـ١ ص ٣١ و٣٢

(٢) انظر : الانتصار والردّ على ابن الراوندى الملحد ص ٨٢

(٣) محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن ص ١٤ (الطبعة الثانية)

جيلا بعد جيل ، ولم يختلف فيه عامّة فقهائهم وعلمائهم ، ووردت روايات بأن النبى صلى الله عليه وسلم قاله ، لماذا نعدل عنه ؟

ثم إنه لا ضير – ديناً وذوقاً – أن نقول فى شؤون « اسطوانات » المصحف : مشروع المصحف ، وبيع المصحف ، وشراء المصحف ، ومخزن المصحف ، وإيراد المصحف ، وسرقة المصحف ، والخطأ فى المصحف . . إلى آخر التعبيرات التى هى من لوازم المخلوقات والمحدثات ، بينما الواضح كل الوضوح أن استعمال كلمة « القرآن » فى هذه المجالات غير سديد ومجانف للدين والذوق . وكم يؤذى القرآن وأتباعه أن يُعْلَن عن المصحف المرتّل ، فيقال : إن « لجنة القرآن المرتّل » تعلن عن بيع كذا وكذا فى « مخازن القرآن المرتل ! »

والظن أن أصحاب هذا الاستعمال يجهلون أنه هو نفسه استعمال الطاعنين على القرآن ، والظانّين به ظن السَّوْء ، فقد عثر أحد المستشرقين – كما هو موضّح فى موضع آخر من هذا الكتاب – على أوراق من مصاحف قديمة ، فنشرها بعنوان : أوراق من ثلاثة قرآنات ! ! قديمة .

وكتب ليفى بروفنسال بحثاً عن مصحف قديم ، فجعل عنوان بحثه : بيان عن قرآن من القرن الرابع عشر [١] ! !

ثم إنّ ذلك الاستعمال يجرّ قطعا إلى مشكلة طالما أثارت الفتنة ، وكانت لبعض أئمة المسلمين مصدر محنة ، وهى مشكلة : هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق

عن وكيع قال : من زعم أن القرآن مخلوق ، فقد زعم أنه محدث ، ومن زعم أنه محدث فقد كفر[٣] .

وإذا كانت القراءة نفسها التى هى عند المسلمين أصواتُ القراء ونغماتُهم ليست هى نفس كلام الله تعالى ، لأنها « هى التى تُستطاب من قارئ ، وتُستبشع من آخر ، وهى التى قد تكون ملحونة ، وقد تكون قويمة مستقيمة ، وهى الْجَهْوَرِية حينا والخفيّة حيناً آخر » [٤] .

---

(١) انظر : نجيب العقيقى : المستشرقون حـ١ ص ٢٧٦

(٢) انظر : السخاوى : جمال القراء ص ٣٤ و٣٥ – المخطوطة رقم ٢٩ قراءات بدارالكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

والسبكى : طبقات الشافعية (بتحقيق الطناحى والحلو) حـ٣ ٤١٧ و٤١٨

(٣) أحمد بن حنبل : كتاب السنة حـ١ ص ٢٥٢

(٤) أنظر : الجوينى : المرجع السابق ص ١٣٠ و ١٣١

. . . إذا كان هذا من أصول الاعتقاد عند المسلمين ، أفلا تكون الأسطوانات المادية أوْلى بألا تسمىّ القرآن المرتل ؟ أليس الواجب أن ننزّه القرآن عن أن يكون متصلا بالأجسام وقائماً بالأجرام ؟

٥

وقد عرفنا من الباب الأول بواعث الجمعين الكتابيين ، فما هى بواعث التفكير فى الجمع الصوتى ؟

لعل أول هذه البواعث اقتضاء المحافظة على القرآن ، وذلك – فى رأينا – عن طريق :

(ا) تحقيق التلّقىّ الشفهىّ الذى لا محيص عنه لطالب القرآن ، والذى من غيره لا يُؤْمن التصحيف .

(ب) المحافظة على القراءات التى نزل بها القرآن ، وأجمع عليها المسلمون ، وثبت لهم – منذ زمن النبى صلى الله عليه وسلم – تواترها وعدم شذوذها .

(حـ) المنع من القراءة بالشواذ التى تعلّق بها أفرادٌ من القرّاء ، والتى نرى – مع أغلب المسلمين – أنها الآن ، ومنذ جمع عثمان ، مجرّد وسيلة من وسائل تفسير القرآن ، وتبيين معانيه ، وترجيح تأويلاته ، والتى نرى أن التّلاوة بها تُفضى إلى الاختلاف والبلبلة والفتنة .

ومن هذه البواعث الحاجةُ الماسّة إلى تيسير تحفيظ القرآن وتعليمه ، وأحسب أن الجمع الصوتىّ الأول سدّ هذه الحاجة :

(أ) لأن المصاحف المرتلة نماذج صوتية ممتازة للترتيل الشّرعى الذى تستطيعه الكافة .

(ب) ولأنها تيسّر القرآن للحفظ والتعلّم ، وخاصّة فى المجتمعات الإسلامية غير العربية التى يُعْوِزُها غالباً المعلّم الضابط المتقن .

(حـ) ولأنها تطبّ لمشكلة اختلاف الرسم العثمانىّ للمصحف المكتوب عن الرسم الإملائىّ المألوف .

وثمة بواعث أخرى دعتنا إلى الجمع الصوتى . . . هى ضرورة الذود عن القرآن ضدّ الطاعنين عليه ، والمتشككين فيه من قدامى ومحدثين ، وضدّ كلّ محاولة لتحريفه ، وكلّ

عقبة توضع أمام لغته ، أو أمام وحدة أتباعه .

وأظن أنّ مشروعى يحقّق أيضاً :

(ا) معاضدة المصحف العثمانى الذى أجمع المسلمون عليه .

(ب) درء أىّ تحريف عن القرآن .

(حـ) نشر لغة القرآن وتوطيد الوحدة بين المؤمنين به .

وفى الأبواب والفصول الآتية تفصيل هذا الإجمال ، مع ذكرٍ لمخطّطات المشروع .

الفصل الثانى

التنفيذ وتاريخياته

هنا الشبهة التى قد تُوهم أنى أشير إلى شخصى وعملى مزكيّا ، فإنّ الحديث عن مشروع الجمع الصوتى للقرآن برواياته المتواترة والمشهورة سيتضمن بالضرورة إشارات كثيرة أو قليلة إلى شخص صاحب المشروع وعمله . ولذلك كان طبعياً أنّى لبثت سنين أوجب على نفسى التحرّج من هذا الحديث .

وقد نصح لى أصدقاء علماء بأن أكتب عن مشروعى : بواعثِه كما استشعرتها ، ومخطَّطاتِه كما وضعتُها ، وكيف سار تنفيذ المشروع إدارياً وفنياً ، وماذا لاقى من ميسّرات ، وماذا عانى من معوِّقات . وأشهد أن نُصْح أصدقائى كان حافزاً قوياً لى على الكتابة التى أنا بسبيلها ، بيد أنى لا أكذب الحقّ إذا قررت أنّ رأس الحوافز كان حرصى على أداء واجب تجلّت لى أهميته الكبرى ، وأخافنى إثم تركه .

نعم ، بدا لى أنّ حدثاً كهذا عظيمَ الشأن فى تاريخ القرآن ، فضلا عن التاريخ العام ، حرىٌّ جداً أن يستجْلىَ المسلمون كلَّ شىء عنه ، وبدا لى أن مسؤولية هذا تقع – أوّلَ ما تقع – على صاحب فكرة هذا الحَدَثِ التاريخى ، وهى مسؤولية تناقشه حسابها الأجيال إلى يوم القيامة ، لا سيما إذا كان هو وحده أقدر الناس على ذكر التفاصيل الصحيحة والدقيقة ، بحكم أنّ الفكرة عاشت فى خَلَده أمداً تتغذى من عقله وقلبه وضميره ، ثم بحكم أنه هو الذى بشّر بها ، وحمل أمانة الدعوة إليها ، والتخطيط لها ، ثم حمل طويلاً أمانة تنفيذها عاملاً ومُشْرِفاً .

وينضاف إلى هذا أنى أمّلت فى هذه الأجيال – إذا ما بسطت لها الأمر كاملاً أميناً – أن يتبيّنوا أشياء ربما أعانتهم على إكمال بناء أو إتمام خطة ، وأخذ أسلوب فى العمل أو ردّ أسلوب .

وقد رأى القارئ أن الطريق إلى معرفة الحقائق المفصّلة عن الجمعين الكتابيين لم يكن كلّه سهلا ، ولا تثريب فى هذا على معاصرى هذين الجمعين ، فإنّ زمنهم نفسه كان شحيحاً

عليهم بإمكانيات التسجيل المفّصل للتاريخ ، أما الأجيال القادمة التى ستدرس مشروع الجمع الصوتى الأول للقرآن برواياته المتواترة والمشهورة ، هذه الأجيال التى ستعرف ما وفّرته لنا أيامنا من وسائل ومعارف . . . ستكون فى حلٍّ من أن تُنْحى علينا باللّائمة إذا بخسناها حقها فى الوقوف على كلّ شىء .

وقد جرت على أعين الناس – فى شأن مشروع المصحف المرتل بالذات – عجائب جريئة ، وصاحب المشروع حىّ يروح بين الناس ويغدو : يدعو لفكرته ، وينافح عنها ، ويخطّط لها ، ويتولاّها بالتنفيذ والمراجعة ، فكيف ستكون الحال فى يوم قريب أو بعيد ؟ ألا فلتعرف أجيال المسلمين الحقائق عن هذا المشروع فى غير تلوين أو تزييف ، وليس على صاحب المشروع جُناح أو بأْس أن يُشَار قليلا أو كثيراً إلى شخصه وعمله المتواضعَيْن ، ما دام لا يبغى غير وجه الحق والعلم .

على أننا لن نتوسّع فى بيان أشياء يحتمل أن تقطعنا عما نقصد إليه ، وسنجتزئ من ذلك بالإلماع دون الإفاضة والإسهاب .

ورجائى أن أتعلّق بأسباب الله وحده ، لعلّه أن يهدينى المحجّة المستقيمة .

٢

وأعود إلى ما قبل إعلانى عن مشروع المصحف المرتل ببضع سنين لا أستطيع تحديدها بدقة .

منذ يومئذ وأنا أحسّ أن جمع القرآن جمعًا صوتيًّا بكل قراءاته المتواترة والمشهورة أمر يجب أن ينهض به أهل هذا الزمان .

وكنت أتابع ، فى المقارئ الكبيرة بالقاهرة ، الممتازين من علماء القراءات ، وكان يؤلمنى أنه كان إذا مات منهم أستاذ حاذق خَلَفَه أحياناً من لا يعدله أستاذية وحذقاً ، وضاعت على المسلمين – إلى الأبد – مواهب الميّت لأنها لم تُسَجَّل .

ما كان أعظم شعورى بالخسارة الفادحة المستمرة على مدى الزمن فى القراء الذين يموتون ! ذلك أن إنتاجهم – بطبيعته – غير إنتاج غيرهم من أصحاب العلوم والفنون ، فهؤلاء يستطيع

الواحد منهم – بفضل الكتابة – أن يواصل – بعد موته – الحياة فى إنتاجه ، أما أصحاب التراث الصوتى ، وفى مقدمتهم القراء ، فكان تراثهم يفنى بفنائهم ، لأن العلم لم يكن اهتدى بعدُ إلى طرائق تسجيل هذا التراث . وحتى بعد الاهتداء ، تأخر تسجيل المصحف أمداً غير قصير

كان هذا الشعور ، ومعه شعور قوىّ آخر بمدى الحاجة إلى تحقيق كل الأغراض التى سنعقد لها هنا فصولا طويلة ، وهى أغراض خطيرة الشأن ، كان ذلك كله مبعث أمشاج من الافكار سُوِّيت ، فيما بعد ، فكانت فكرةَ جمع القرآن صوتيًّا بكل رواياته المتواترة والمشهورة وغير الشاذة .

٣

ولا أكتم أنى كنت أعلم أن مشروع الجمع القرآنى الذى أنشده هو سيرٌ فى الطريق التى نهجها – قبل ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن – الخليفة الأول أبو بكر بمشورة عمر ، ونهجها بعده عثمان بن عفان ، بمشورة الصحابى حذيفة بن اليمان ، فكنت أستهْول جراءتى على الطموح إلى محاولة تقليدهما فى أمر القرآن ، وكان الحياءُ الشديد أحياناً ينهرنى ، وكانت جلالة المشروع تبهرنى . ولكنى – مع ذلك ، ومع ضعفى وتخلّفى وسوء حالى – مضيت أرسم لمشروعى أحسن ما قدرت عليه من منهج .

وكنت أحدّث بالفكرة بعض أقربائى واصدقائى ، وبعض زملائى فى الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم التى كنت أحد المسؤولين فيها ، ثم كنت رئيساً لها ، فكنت أجد من بعض مَنْ أُحدِّثهم تقديراً واستبشاراً .

٤

وتقدمت فى أواخر فبراير ، أو أوائل مارس ١٩٥٩ إلى مجلس إدارة الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم باقتراح أسجله هنا بنصّه :

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتراح مقدم إلى مجلس إدارة الجمعية من رئيسها

لبيب السعيد

بشأن تسجيل القرآن الكريم صوتيًّا بكل رواياته المتواترة والمشهورة وغير الشاذة

« يمكن الآن أن يتجاوز المسلمون التسجيل الكتابي للقرآن الكريم إلى تسجيله صوتيًّا ، فيصبح لديهم التسجيلان كلاهما . وقديماً تطور تسجيل الكتاب العزيز من الكتابة على العِظام واللِّخَاف وعَسِيبِ النخل إلى تسطيره على الجلد والقماش ثم الأوراق بأنواعها . وكما تطورت طريقة كتابة المصحف بأن أضيف إليه النَّقْط والتشكيل والضوابط والمحسنات الخطية تطورت أيضاً طريقة التسجيل مع الكتابة باليد إلى الطباعة .

على أن أهم وسيلة لنقل القرآن الكريم عَبْر الدهور كانت وما زالت روايته وتلقينه مباشرة وشفاهاً ، فَماً لفَمٍ ، وهذا هو المعتمد عند علماء القرآن ، لأنّ فى القراءة مالا يمكن إحكامه إلا عن طريق السماع والمشافهة .

ومتابعةً للتطور ، وتأكيداً لطريقة النقل الشفوى ، وتطويراً لها ، يمكن الآن الاتجاه إلى تسجيل القرآن الكريم تسجيلاً صوتيًّا . ولعلّ هذا الأسلوب أن يكون هو أصلح أساليب العصر وأكثرها تيسيراً على المسلمين فى تلقّى الكتاب العزيز مجوّداً ومتْلُوًّا بمختلف القراءات .

* * *

ومعلوم أن لدى دور الإذاعة تسجيلات من آى الذكر الحكيم من ترتيل بعض القارئين ، ولكن التسجيلات التى نريدها هى من طراز آخر ، فالتطريب ليس من أغراضها ، وإنما التعليم هو غرضها الأول . ومفهوم أن الفرد العادىّ لا يستطيع ، ولا يجب عليه ، فى حياته العملية ، أن يقرأ القرآن بالطريقة التلحينية التى يذيعه بها الآن القراء ، فى دور الإذاعة ، وفى المحافل .

والملاحظ الآن أن كثيراً من المسلمين لا يُحسنون — مع الأسف — أَداءَ الكتاب العظيم حسب أصولِ التجويد ، مع أنهم بالضرورة يؤمنون بهذا الكتاب ، ويحبّونه ، ويستهدونه .

والملاحظ أيضاً أن أغلب حفاظ القرآن الكريم لا يعرفون غير قراءة « حفص » ؛ وهذا وذاك أمران بالغا الخطورة ، ويتعين تلقاءهما على الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم – وهى التى تعمل ليظل ميراث القرآن محفوظاً أحسن حفظ على مدى الزمن – أن تطبَّ لهذه الحال عاجلا . وربما كان مشروع تسجيل القرآن صوتيًّا من كبار علماء القرآن هو السبيل العملية السهلة إلى العلاج المنشود .

ولست هنا بصدد التنويه بفضل القرآن الكريم على العاملين ، ولا الإشارة إلى ما يُرْجَى من وراء تعلّمه واتباعه وتلاوته حق التلاوة من خير يعم البشرية ، ويهيئ للمسلمين والعرب الإمامة فى الأرض ، فهذا كله أوضح من أن يوضح . ولكن الذى أشير إليه هو أن المسلمين – فى مختلف البقاع – يتلهفون على وسيلة ميسورة يتعلمون عن طريقها كتابهم الأقدس ، ويتلونه على نَسقها تلاوة صحيحة يقوى عليها الفرد العادىّ . ولا ريب أن الحاجة إلى هذه الوسيلة – بالنسبة للدول الإسلامية غير العربية – أَمَسّ ، وأن انتشار القرآن بفضل هذه الوسيلة سيكون أوسع ، وطلابه سيكونون أكثر ، وأن المصحف المسموع سيكون سبباً خطيراً لزيادة توثيق العلاقات بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، ... ...

... ...

* * *

ولقد عنيَتْ الهيئات الثقافية فى الإقليم المصرى بتسجيل الأغانى ، ولذلك ليس غريباً أن نسمع فِتْيانَنا وفَتَياتِنا يُكثرون تَرْديدها ، مع ما فى عباراتها – أحياناً – من معان غير باعثة ولا نظيفة . ولا ريب أن كلام الله المكنون أحق بهذه العناية ، وبما هو أكثر منها .

وهذه الجمعية ، بحكم رسالتها وتخصصها وإمكانياتها القرآنية ، هى أَوْلى الهيئات بالقيام على مشروع التسجيل ، على أن لا تحرم الهيئات الأخرى القادرة على المعاونة من شرفِ الإسهام فى هذا المشروع البالغ الجلالة .

* * *

وفيما يختص بالتسجيل نفسه ، أقترح أن يشمل تلاوة الكتاب العزيز كله بقراءة حفص ، ثم بمختلف القراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، على أن لا تُردَّدَ الآية الواحدة بأكثر من قراءة واحدة فى التلاوة الواحدة ؛ كما يشمل التسجيل دروساً عملية فى أحكام التجويد بطريقة سهلة ميسرة تمكن الجمهور العادى من الانتفاع بها .

أما فيما يختص بمن يتولّون القراءة والتدريس العملى ، فيجب أن يكونوا من أعلم علماء

القرآن ، مع مناسبة أصواتهم للتسجيل ، وأن تختارهم لجان لها خبرتها القرآنية العظمى ، ويشارك فيها الأزهر الشريف والهيئات العلمية واللغوية والثقافية الأخرى .

وأقترح تشكيل لجنة من أعضاء الجمعية تضم إليها من تشاء ممَّنْ يُرْجى نفعُه لأعمالها ، وتضع هذه اللجنة منهاجاً كاملا مفصَّلا لتنفيذ المشروع سواء من الناحية القرآنية ، أو ناحية التسجيل الفنى ، أو من الناحيتين التمويلية والإدارية ، كما تحدد المعاونات الممكن الحصول عليها من الجهات الحكومية والشعبية المختلفة . وكذلك تتولى اللجنة ترشيح أعضاء اللجان التى يعهد إليها باختيار علماء القرآن الكريم ممن سيناط بهم التسجيل . . . . إلخ .

* * *

وقررت الجمعية المبادرة إلى تنفيذ اقتراحى ، على أن تتصل فوراً بالجهات الحكومية التى أشار إليها المشروع من أجْل الأغراض المفصَّلة فيه ، وأُلفّت لذلك لجنة برياستى .

ودعوت إلى اجتماع عامٍّ بمقر الجمعية (شارع الشيخ ريحان – عطفة زاوية أبى الوفا رقم ٥ بعابدين) ، فى مساء ١٤ من رمضان ١٣٧٨ (٢٣ من مارس ١٩٥٩) ، وكان ضمن الحاضرين مندوب عن وزارة الثقافة والإرشاد القومى(١) ، وممثل لهيئة الإذاعة (٢) ، ومندوب عن الإدارة العامة للمعاهد الدينية بالأزهر(٣) ؛ ومندوب عن الإدارة العامة للثقافة بالأزهر أيضاً(٤) .

* * *

وفى هذا الاجتماع ، ذكر أحد الحاضرين(٥) أن شيخ الأزهر كلفه إبلاغنا خَشْيَتَه من أن يقع للقراءة المقترحة للتسجيل ، وهى غير المنغمة ؛ ما وقع للأذان الخالى من التطريب ، حيث اختلف الناس فيه : فريق يؤيده ، وفريق لا يرضاه بديلا بالطريقة التطريبية ، وأثبت المتكلم كتابةً نصّها : « وإن الأستاذ الأكبر طلب أن يظلّ القرآن بجلاله ، فلا تكثر الاقتراحات حوله » .

أما مندوب وزارة الثقافة والإرشاد القومى فكتب أنه كبير الأمل فى أنّ وزارته ستولى المشروع رعايتها بعد أن يقرّه الأزهر .

وأما كبير المهندسين بالإذاعة فاقترح – كتابةً – لتمويل المشروع إحدى طريقتين :

(الأولى) : تكوين شركة مساهمة للتنفيذ .

---

(١) هو الأستاذ عبده بدوى (٢) هو كبير مهندسى الإذاعة وقتئذ المهندس طه نصر

(٣) هو الأستاذ الشيخ على جعفر (٤) هو الأستاذ عبد الرحمن العدوى .

(٥) وهو المرحوم الأستاذ الشيخ حسن مصطفى وهدان ، وكان عضواً بالجمعية وقتئذ .

(والثانية) : ترك التنفيذ لإحدى الشركات التجارية تلقاء ربح تستفيد به الجمعية التى يرأسها صاحب المشروع .

واقترح من الناحية الفنّية أن يكون الامتياز فى صوت القارئ المسجّل مقدّماً على باقى الشروط بما فيها جودة الحفظ ودقة الأداء ، لأن هذين – فيما يرى – يمكن تعهدهما بالتوجيه من جانب المتخصصين .

وأيد مندوب المعاهد الدينية بالأزهر المشروع بالشرط الوارد فيه ، وهو أن يكون القرّاء والمدرسون من أعلم علماء القرآن ، وتختارهم لجان لها خبرتها القرآنية العظمى . . إلخ .

وأما مندوب الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر ، فأيّد فكرة البدء بتسجيل رواية حفص ، وطلب – فيما يختصّ بتسجيل دروس التجويد المقترحة – الإكثار – عند تعليم الأداء – من الأمثلة المنطوقة .

* * *

وعقدتُ مؤتمراً صحفيًّا فى صبيحة اليوم التّالى ، ورجوت ممثلى الصحف دعوة رجال الفكر إلى موافاتى بتوجيهاتهم وملاحظاتهم ، حتى يتحقق لفكرة المصحف المسموع ما هى كفاؤه من تنفيذ دقيق سليم . وتحدثتُ إليهم عن بعض تفاصيل المشروع ، وكتبَتْ الصُّحف بَعدها عن المشروع منوّهةً مشجعةً ، ولكن محرراً فى إحداها ، وهى « الجمهورية » عرّض بالمشروع ، وذكر أنه سألَ أحد أساتذة الشريعة بكليّة الحقوق[1] رأيه فى الفكرة ، فقال إنها عبث لا يفعله إلا عابث أو مأجور . واتصلت بأستاذ الشريعة شارحاً ، فاعتذر بأنه إنما قال الذى قاله لأنّه كان يظن المشروع يرمى إلى تلحين القرآن .

وأبلغنى زميلٌ فى الجمعية[2] أن شيخ الأزهر يعترض أيضاً على اسم المشروع ، ويقول إن العامة تجعل « المسموع مرادفاً لِ« المشهور » ، ولذلك يرى تغيير الاسم .

وفكرت فى التغيير ، ووردت على خاطرى هذه الصفات : المرتل – الناطق – الصائت – فاخترت أوّلها .

وقصدتُ ، ومعى بعض أصدقائى[3] ، إلى شيخ الأزهر فى بيته ، وكان قد أبلّ من مرض شديد ، وتحدثتُ إليه فى شأن المشروع والتخطيط له ، وأبلغته أنى اخترت كلمة

---

(١) هو المرحوم الأستاذ الشيخ محمد أبو زهره

(٢) هو أيضاً المرحوم الأستاذ الشيخ حسن مصطفى وهدان ، وكان وقتها دائم الاتصال بشيخ الأزهر .

(٣) أذكر منهم المرحوم الأستاذ الشيخ أحمد أحمد على الأستاذ بكلية أصول الدين

« المرتل » بدل « المسموع » ، فتلقى الشيخ مشروعى بالرضى الأتمّ ، وأصدر بياناً نشرْته كافة الصحف فى ٣ و ٥ أبريل ١٩٥٩ ، ونشرته مجلة الأزهر فى أول عدد صدر منها بعد هذا التاريخ[١] .

* * *

وأردت أن يأنس الرأى العام إلى التلاوة المرسلة التى سيسجَّل بها الجمع الصوتى ، فطلبتُ إلى الشيخ محمود الحصرى أن يقرأ بها فى حفل الجمعية الذى أقيم بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر يوم ٤ يونية ١٩٥٩ ، فلاقت هذه التلاوة — من أَغلب الحاضرين — استحساناً ، وقرروا أَنها تصرفهم إلى تتبّع آيات القرآن نفسها دون تتبّع النغم .

٦

وفاوضت مصنع الشرق للأسطوانات فى شأن التنفيذ[٢] ، وطالت المفاوضات حتى انتهت إلى « مشروع عقد » بعث به المصنع إلىّ فى ١٩٥٩/٩/٥ .

وعجزت عن تدبير « استوديو » للتسجيل فيه بالمجان ، فرغبتُ إلى نائب وزير الدولة لشئون رياسة الجمهورية [٣] ، وإلى المدير العام للإذاعة أن يأذنا لى بالتسجيل فى استوديوهات الإذاعة ، وسعيت فى ذلك سعياً ، حتى استُجيب لطلبى ، بشرطٍ أُصرّت عليه الإذاعة ، وهو أن يكون لها الحق المطلق فى أن تذيع من « محطاتها » ما يتم تسجيله لديها ، ولعلّ سرورى بهذا الشرط وأنا أقدّم به إقراراً كتابيًّا كان أكبر كثيراً من سرور الإذاعة .

---

(١) ع شوال ١٣٧٨ (إبريل ١٩٥٩) . وهذا نص البيان .

المصحف المرتل

قدم السيد الأستاذ لبيب السعيد رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم اقتراحاً إلى فضيلة الأستاذ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بتلخّص فى أن يسجل القرآن الكريم تسجيلاً صوتياً مجوّداً ، وذلك لتمكين المسلم العادىّ من تلاوة آى الذكر الحكيم تلاوة مجوّدة فى سهولة ويسر . ومعنى الترتيل المرسل : القراءة على نحو ما يكون فى الصلاة .

وقد أبدى فضيلة الأستاذ الأكبر ارتياحه ورضاه عن هذه الفكرة ، لأنها طريقة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والصحابة من بعده .

(٢) وأعاننى فى هذه المفاوضة ، وزوّدنى بالمعلومات الهندسية السّيدان : المرحوم المهندس عز الدين فؤاد ، والمهندس طه نصر .

(٣) السيد القائمقام محمد عبد القادر حاتم (فيما بعد : الدكتور محمد عبد القادرحاتم نائب رئيس مجلس الوزراء ، ووزير الإعلام .)

ودعوت جهات كثيرة إلى تمويل المشروع ، عن طريق تلك الجمعية ، فلم تتلقّ – فيما أذكر – غير مبالغ قليلة جداً ابتلعتْها بنودٌ أخرى فى ميزانيتها المتواضعة ، كانت شديدة العطش .

ودعوت مع ذلك إلى التسجيل ثلاثةً من أشهر القراء والعلماء [١] ، فبدأوا فعلا عملهم فى استوديوهات الإذاعة .

غير أن العجز عن تمويل المشروع كان يجعل العمل بطىء الخُطَى ، وبدا أن لا مناص من تكرار التماس العون المالى من كل مقتدر ، بيد أنى – لطبيعة خاصّة فىّ – أعوزتنى القدرة على هذا الالتماس . ولست أنسى يوماً من أيام رجب سنة ١٣٧٩ (يناير ١٩٦٠) سعيت فيه ، بناء على نصيحة أحد المخلصين للمشروع [٢] ، إلى ثرى كبير كان وقتئذ وزيراً فى إحدى الدول العربية ، وكان يقيم فى مصر فى حىّ الدقى ، فتلقّى هذا الثّرى حديثى عن المشروع بعدم الاكتراث ، وخرجتُ يومها من لدنه خجلان آسفاً نادماً .

٧

وحفزنى الإخفاق فى تمويل المشروع إلى التفكير فى وضعه تحت الرعاية المالية للدولة نفسها .

وفى يوم الأربعاء ٢٤ من فبراير ١٩٦٠ ، قابلت وزير الأوقاف [٣] ، ورجوته مساعدة المشروع ماليًّا ، فاستجاب فوراً وفى حماسة ، وكانت استجابته مبعث طمأنينة واستبشار وأمل .

وأصبح العمل شغل الوزير نفسه ومحلّ اهتمامه ، فأفاد ذلك كثيراً .

* * *

واقترحت على الوزير ، فى ٣ مارس سنة ١٩٦٠ ، تشكيل لجنة عامة للإشراف على

---

(١) هم : الشيخ محمود الحصرى ، وكان وقتئذ وكيل مشيخة المقارئ بوزارة الأوقاف ، واتُّفق على أن يسجّل القرآن برواية حفص عن عاصم ، والمرحوم الشيخ مصطفى الملوانى ، وكان شيخ مقرأة بوزارة الأوقاف ، وكان حاذقاً فى القراءات ، واتُّفق على أن يسجّل رواية خلف عن حمزة ، والشيخ عبد الفتاح القاضى ، من علماء الأزهر ، ورئيس لجنة مراجعة المصاحف ، واتُّفق على أن يسجّل برواية ابن وردان عن أبى جعفر ، مع الإشراف الفنىّ على التّسجيل .

(٢) وهو صديقى المرحوم المهندس عز الدين فؤاد ، أجزل الله ثوابه .

(٣) كان وقتئذ هو السيد أحمد عبد الله طعيمه .

تنفيذ المشروع ، فأخذ باقتراحى[1] .

ورغبت إليه فى توقيع خطاب لوزير الاقتصاد[2] ، للسماح بتحويل ثمن الأشرطة والخامات اللازمة للمشروع إلى الخارج ، مع إعفائها من العلاوات والرسوم النقدية التى كانت مقررة وقتئذ ، فاستجاب الوزيران لرغبتى .

واتُّخِذت – عن طريق وزيرى الخزانة والأوقاف – إجراءات استصدار قرار جمهورى بإعفاء مستلزمات المشروع من كلّ الرسوم الجمركية .

وعدت إلى مفاوضة مصنع الشرق للأسطوانات ، على أساس تخفيض التكاليف بما يناسب المزايا الجديدة التى ستصبح للعقد بعد أن يصير حكومياً ، واشترك معى فى المفاوضات الجديدة – بناء على طلبى – الفنيون الرسميون فى دار الإذاعة ، وفى وزارة الصناعة .

وكان لا بدّ من موافقة مجلس الدولة ، ووزارة الخزانة ، وديوان المحاسبات على العقد الجديد ، فأنابنى الوزير فى شرح الأمر لدى هذه الجهات ، والرد على أسئلتها ، واستنجازها موافقتها .

وكتب الوزير رسمياً إلى الإذاعة والمصنع بأنى مفوض عن الوزارة فى كافة شؤون المشروع ، وأن لهما الرجوع إلىّ فى أى شأن من هذه الشؤون .

ورأيت أن يمضى الشيخ محمود الحصرى فى تسجيل رواية حفص ، على التفصيل الذى سنذكره فى فصل القراءات .

---

(١) شكّلت هذه اللجنة من :
« لبيب السعيد » صاحب المشروع ، ويكون مقرّراً للّجنة
المرحوم الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى المستشار الفنى للوزارة وقتئذ .
المرحوم الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة .
الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى أستاذ الاجتماع بجامعة القاهرة سابقاً
الأستاذ الشيخ محمد الغزالى مدير المساجد بوزارة الأوقاف (وقتئذ)
الأستاذ الشيخ سيد سابق مدير إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف (وقتئذ)
الأستاذ الشيخ عبد الفتاح القاضى رئيس لجنة مراجعة المصاحف .
الأستاذ الشيخ عامر عثمان المدرس بمعهد القراءات (قسم التخصّص) .
الأستاذ الشيخ محمود خليل الحصرى وكيل المقارئ (وقتئذ)
المرحوم المهندس عز الدين فؤاد المدير العام بالإذاعة (وقتئذ)
المهندس طه نصر كبير مهندسى الإذاعة (وقتئذ أيضا)
وقد عدّل هذا التشكيل مرات بعد هذا .

(٢) وكان وقتئذ هو السيد الأستاذ حسن عباس زكى

٨

ولم يسترح فى ذلك الوقت بعض كبار القراء لفكرة التسجيل بالقراءة المرسلة غير التطريبية ، وربما كان ذلك لأسباب :

(أولها) الخوف من أن تعمّ هذه الطريقة التى لم يألفوها فى حياتهم العملية ، فيقلّ الإقبال عليهم .

(وثانيها) أنّ تسجيل القرآن ، من أوله إلى آخره ، وبكل الروايات المتواترة والمشهورة ، يقتضيهم دراسة جديدة شاقة وطويلة ، وهو مالا تسمح به ظروفهم كقراء مشاهير يصعب عليهم تدبير الوقت والطاقة لمثل هذه الدراسة ، ثم إنهم – على الأغلب – تعوّدوا الاقتصار فى قراءتهم بالمحافل على مواضع معينة عرفوا جيِّداً قراءاتها ، وأساليب التغنى بها ، وهم لذلك لا يشعرون بحاجة ماسَّةٍ إلى هذه الدراسة المجهدة التى يتولاها غالباً مدرّسون أقل منهم كثيراً مالاً وشهرةً .

(وسبب ثالث) هو أن القراءة المرسلة النموذجية المطلوبة تعتمد قبل كل شىء على دقة الأداء ، وعمق المعرفة النظرية والعملية بقواعد التجويد ، وطرق القراءات ، أما نصيب الصوت الحلو فى نجاحها فيقع فى المرتبة الثانية ، وهذا – فيما يحسب بعضهم – غير القراءة التنغيمية التى تجعل لحسن الصوت المحلّ الأول .

وقد أوضحت لمن استكْشَفْتُ فيه مثل هذا الخوف أن مشروع الجمع الصوتى للقرآن أو المصحف المرتل لا يحارب أبداً الطريقة التنغيمية فى القراءة ، إلا إذا خَرَجَتْ عن قواعد الأداء القرآنى السليم المأثور ، وأوضحت أن عملهم كقرّاء هو أسمى من أن يقف – ولو مدة يسيرة – عن التزوّد بالعلم المتخصص .

٩

وأحسست بجلالة المسؤولية الفنية تلقاء تسجيلات يراد أن تكون مصاحف مرتلة أئمة ، كما كانت المصاحف الأئمة التى كتبها الصحابة على عهد عثمان ، فطلَبْتُ إلى أعضاء لجنة

التسجيل[1] :

١ – اقتضاء كل قارئ غاية الدقة فى الأداء ، مع إلغاء كل تسجيل لا يصل الأداء فيه إلى حدّ الامتياز ، واعتبار هذا مبدأً لا يجوز أبداً التّرخص فيه .

٢ – الاستماع جميعاً إلى الحصة القرآنية المراد تسجيلها للتأكد – مقدّما – من دقّة أداء القارئ ومراعاته الأحكام ، وتزويده بما قد يلزمه من توجيهات ، وبصفة خاصّة لتحديد مواضع الوقف بحسب السّنّة ، وبحسب ما تقتضيه المعانى ، وما اتفق عليه علماء القرآن .

* * *

ومضى العمل فى تسجيلات رواية حفص عن عاصم ، بصوت الشيخ الحصرى الذى كنت اخترته لتسجيل هذه الرواية ، منذ ما قبل وضع المشروع تحت الرعاية المالية لوزارة الأوقاف ، حسبما أوضحت آنفاً .

ولم يكن التسجيل شيئاً هيّناً ، فمع امتياز القارئ ، وكونه قد أصبح آنئذ شيخ المقارئ كانت اللجنة تستوقفه كثيراً ليعيد التسجيل على النحو النموذجى المطلوب .

وبدأ الطبع فى مايو سنة ١٩٦٠ ، وأمكن الانتهاء من الطبعة الأولى فى ٢٣ يوليو ١٩٦١ : عيد الثورة التاسع ، حيث بدئ بتوزيع المصحف المرتل للمرة الأولى فى تاريخ الإسلام .

وأذيع المصحف المرتل من دار الإذاعة بالقاهرة للمرة الأولى فى الساعة السادسة من صباح الاثنين ٨ من ربيع الثانى سنة ١٣٨١ هـ (١٨ من سبتمبر ١٩٦١ م) .

وتقرّر وقتئذ إذاعة المصحف المرتّل يوميًّا فى الساعة السّادسة صباحاً ، ثم بعد أذانى الظهر والعصر .

وقامت بعد ذلك للمصحف المرتّل محطة إذاعة قائمة برأسها تذيعه أغلب ساعات النهار واللّيل .

وما لبثت بلاد إسلاميّة أخرى أن مضَتْ على الدرْب ، فأنشأت محطات إذاعيّة خاصّة بالقرآن الكريم .

---

(١) كانت مشكّلة وقتئذ من الأساتذة المشايخ :
عبد الفتاح القاضى (وقد استعفى من اللجنة فى وقت مبكر ، لأسباب منها بُعْدُ عمله وقتئذ عن القاهرة) ، عامر عثمان . وعبد العظيم الخياط ، ومحمد سليمان صالح ، ومحمود حافظ برانق ، والأربعة الأخيرون كانوا من مدرسى معهد القراءات التابع للأزهر .

١٠

وفى سنة ١٩٦٢ م ، شرعنا فى تسجيل قراءة أبى عمرو ، برواية الدورى . وهذه القراءة هى الأكثر ذيوعاً الآن فى السودان ، ونيجيريا ، وأواسط أفريقية بصفة عامّة [١] ، وكانت هى الأكثر انتشاراً فى مصر ، حتى جاء الحكم التركى ، ففاقتها فى الانتشار رواية حفص .

وقد أشرتُ بأن لا يستأثر قارئ واحد بتسجيل المصحف كاملا ، دفعا للملل السّامعين ، واستفادةً بأكبر عددٍ من أصحاب المواهب ، وتحقيقاً لتكافؤ الفرص ، فاختير لتسجيل هذه الرواية ثلاثة من القرّاء [٢] . وبَذَلْتُ – مع زملائى – فى هذا التسجيل نفس الجهود الفنية الضخمة التى بذلناها فى سابقه .

* * *

بيد أنه أثناء هذا التسجيل ، بعثت مشيخة الأزهر [٣] إلى وزير الأوقاف والأزهر [٤] كتاباً تطلب فيه منع ما سوى رواية حفص من الروايات ، وما سوى صوت الشيخ الحصرى من الأصوات ، حتى لا يثير ذلك – حسبما قرر كتاب المشيخة – اختلاف المسلمين حول أىّ القراءات أوْلى ، وأىّ الأصوات أحْلى [٥] .

وفزع صاحبُ المشروع من هذا المنع ، وقابل فى شأنه شيخ الأزهر ، وكان من أوْجُه الاحتجاج فى تلك المقابلة الطويلة التى تحمّلها الشيخ ، وكان وقتئذ مريضاً ، رحمه الله :

١ – أن مرجع الاختلاف بين القراءات هو – على الأغلب – نزول القرآن على سبعة أحرف ، حسبما قرر النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما روى البخارى [٦] ، ومسلم [٧] ، وابن جرير ،

---

(١) رغب إلىّ عدد من العلماء فى هذه البلاد المبادرة إلى تسجيل رواية الدورى ، وأبدوا أن ذلك سيكون عوضا لسائر البلاد التى تقرأ بهذه الرواية عن أمنية سعوا لها عند مصر – قبل الثورة – فأخفق سعيهم . وقدبعث السودان بنسخة خطية من المصحف مضبوطة بالشكل وَفْق هذه الرواية ، للانتفاع بها أثناء التسجيل الصوتى . وقد رأيت تصويرها قبل إعادتها ، وتولّت هذا دار الكتب المصرية (الآن : دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة) لحساب وزارة الأوقاف

وقد استجبت فعلا – ومع زملائى أعضاء لجنة المصحف المرتل – لهذه الرغبة ، وتولىّ التسجيل القراء المشايخ : فؤاد العروسى ، والمرحوم محمد صديق المنشاوى ، والمرحوم كامل يوسف البهتيمى .

(٢) هم المشايخ المذكورون آنفاً .

(٣) بتوقيع المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت .

(٤) وكان هو الأستاذ الدكتور محمد البهى .

(٥) أو كما قال كتاب المشيخة .

(٦) كتاب ٤٤ باب ٤ ، وكتاب ٦٦ باب ٤ و ٢٧ ، وكتاب ٨٨ باب ٩ ، وكتاب ٩٧ باب ٥٣

(٧) كتاب ٦ حديث ٢٧٠ – ٢٧٤

وابن حِبَّان ، والبيهقى [١] ، وفيما روى أحمد [٢] ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى [٣] ، والطيالسى [٤] ، وغيرهم [٥] . فالقراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة هى - بيقين - مما نزل ، وتضمنته العرضة الأخيرة ، ووافق خط المصحف ، فكيف تمنع ؟

* * *

٢ - ثم إن النبى - عليه الصلاة والسلام - لم يوافق الصحابة الذين عارضوا بعض القراءات التى تخالف ما لَقّنوه [٦] :

(ا) سمع عمرُ بن الخطاب هشام بن حكيم يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يقرئ

---

(١) انظر : السيوطى : الدر المنثور جـ ٥ ص ٦٢

(٢) انظر : مسند أحمد بن حنبل ، بتحقيق أحمد شاكر جـ ١ ص ٢٤ و ٤٠ و ٤٢ و ٤٣ .

(٣) انظر : النابلسى : ذخائر المواريث جـ ٣ ص ٤٢ و ٤٣ .

(٤) انظر : مسند الطيالسى ، حديث ٣٩ و ٥٤٣ .

(٥) يقول السيوطى : ورد حديث « نزل القرآن على سبعة أحرف . . . » من رواية جمع من الصحابة : أُبىّ بن كعب وانس ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وسلمان بن صرد ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب ، وعمر بن أبى سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وأبى بكرة ، وأبى جهم ، وأبى سعيد الخدرى ، وأبى طلحة الأنصارى ، وأبى هريرة ، وأبى أيوب ، فهؤلاء أحد وعشرون صحابيا . وقد نص أبو عبيد على تواتره (الإتقان جـ ١ ص ٤٥)

وقال ابن الجزرى : « وقد تتبعت طرق هذا الحديث فى جزء مفرد جمعته فى ذلك ، فرويناه من حديث : عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم بن خزام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأُبىّ بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبى هريرة ، وعبد الله بن عباس ، وأبى سعيد الخدرى ، وحذيفة بن اليمان ، وأبى بكرة ، وعمرو بن العاص ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب ، وعمرو بن أبى سلمة ، وأبى جهم ، وأبى طلحة الأنصارى ، وأم أيوب الأنصارية ، رضى الله عنهم » (النشر : حـ١ ص ٢١)

وروى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده الكبير : « أن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - قال يوماً ، وهو على المنبر : أذكر الله رجلاً سمع النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف » لما قام .

فقاموا حتى لم يحصوا .

فشهدوا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أُنزِل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف » .

فقال عثمان - رضى الله عنه - : وأنا أشهد معهم

(نفس المرجع)

وانظر أيضاً فى هذا الموضوع :

البلوى : ألف باء ص ٢١٠ - ٢١٧

ابن تيمية : الفتاوى الكبرى حـ١ ص ٣١٢ وما بعدها .

ابن جرير الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن - المقدمة ص ٩ - ٢٥

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن حـ١ ص ٤١ - ٤٩

ابن قتيبة الدينورى : القرطين (جمع ابن مطرف) ص ١٥٠ - ١٥٤

(٦) أشرنا إلى هذا إجمالاً فى موضع آخر

النبي بها عمر ، فقاد هشاماً إلى النبي محتكماً ، فسمع النبيُّ الاثنين ، وقال عن قراءة كل منهما : هكذا أُنزلت ، ثم قال : إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسّر منه [١] .

(ب) أنكر أبيّ بن كعب على اثنين من المسلمين قراءتهما ، فدخل معهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فحسّن النبي شأنهما ، ولما غشيت أبيًّا خلجات شكٍّ ضَرَب النبيُّ فى صدره ، ليصرفه بشدة عن الاشتغال بهذه الخلجات ، وقال له : يا أبيّ ، أرسل إلىّ أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه : أَنْ هَوِّن على أُمّتى ، فردّ إلىّ الثانية : اقرأه على حرفين ، فرددت إليه : أن هوّن على أمتى ، فردّ إلىّ الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل ردّة رددتّها مسألة تسألنيها ، فقلت : اللهم اغفر لأمتى ، اللهم اغفر لأمتى ، وأخّرت الثالثة ليوم يرغب إلىّ الخلق كلّهم ، حتى إبراهيم ، صلى الله عليه وسلم [٢] .

(حـ) وسمع ابن مسعود رجلا يقرأ حروفاً ما يقرؤها ، فانطلقا إلى رسول الله ، فأخبراه ، فتغيّر وجهه ، وقال : إنما أهلك من قبلكم الاختلاف ، ثم أسرّ النبي إلى علىّ شيئاً ، فقال علىّ : إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم [٣] .

(د) وسمع عمرو بن العاص رجلا قرأ آية من القرآن ، فقال عمرو : إنما هى كذا وكذا ، فذكر ذلك للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف ، فأىّ ذلك قرأتم أصبتم ، فلا تماروا [٤] .

* * *

٣ – أن الدين نهى عن المماراة فى القراءات ، وأن الفقهاء ذهبوا إلى أن منكر قراءة هو منكر للقرآن ، ومن ثم فهو كافر [٥] .

---

(١) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ١٣ ص ٤٤٦ (ط . البهية) .
والكرمانى : شرح صحيح البخارى حـ ٩ ص ٢١٦ .
ومسلم : الجامع الصحيح جـ٢ ص ٢٠٢ .
ومسند الطيالسى ص ٩ .
وعلى القارى : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح حـ ٢ ص ٦١٩ و ٦٢٠ .

(٢) مسلم : الجامع الصحيح حـ٢ ص ٢٠٣

(٣) رواه الحاكم ، وابن حبان ، وانظر : على القارى : مرقاة المفاتيح حـ٢ ص ٦٢١ – ٦٢٣ .

(٤) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ٩ ص ٢١
وانظر : الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن حـ١ ص ٩ – ٢٥

(٥) انظر فى تكفير الممارى فى القراءات الحداد خلف الحسينى : الكواكب الدرية ص ٤ .
والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن حـ ١ : المقدمة .
وشرح الجمل على تفسير الجلالين : الخاتمة .

على أن اختلاف القراء كلّه حقٌّ وصوابٌ ، نزل من عند الله ، أو أذن فيه الله لنبيّه ، ولا ينكره أحدٌ على أحد ، وليس كاختلاف الفقهاء . . اختلافاً اجتهاديًّا ، هو بالنسبة لصاحبه مجرّد صواب يحتمل الخطأ . ولا تعنى إضافة قراءة إلى قارئ ، أو رواية إلى راوٍ إلا أن ذلك المضاف إليه اختار هذه القراءة أو الرواية ، وكان أضبط لها ، وأدوم ، وألزم قراءة وإقراء بها ، حتى نُسبت إليه أو نُسب إليها ، فهى إضافة اختيار ، ودوام ، ولزوم ، لا إضافة اختراع ، ورأى ، واجتهاد[١] .

* * *

٤ – أن القراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة كلّها صحيحة ، وكلها مقروء بها واقعيًّا منذ كان الوحى ، « وإلا كانوا – أى المسلمون – جميعاً عصاة مخطئين فى ترك ما تركوه منه . كيف وهم معصومون من ذلك ، ولم يدخل الشكّ أو التكذيب قلب أحد ؟[٢] » . والأمة مخيّرة فى القراءات « كتخييرها – إذا هى حنثت فى يمين وهى موسرة – بأن تكفّر بأىّ الكفّارات شاءت : إما بعتق ، وإما بإطعام ، وإما بكسوة »[٣] .

ولا شك أن إهمال ما عدا رواية حفص – كما أراد كتاب شيخ الأزهر – هو سبيل إلى تطرق الظنون إلى باقى الروايات والارتياب فيها .

ومصر التى تسود فيها الآن رواية حفص لم تكن ، فى وقت من الأوقات ، – كما حكى بعضهم – تعرف غير قراءة ورش ، بطريق أبى يعقوب الأزرق[٤] .

والقراءة بالقراءات الثابتة الصحة – فضلا عن المتواترة وغير الشاذة – أمر اتبعه المسلمون منذ عهد بعيد . وقد كان سعيد بن جبير – وهو من التّابعين – « يؤمّ الناس فى شهر رمضان ، فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله (يعنى ابن مسعود) ، وليلة بقراءة زيد بن ثابت »[٥] .

ومما يؤكد تداول القراءات بين المسلمين فى مختلف البلاد الإسلامية ما قاله مكّىٌّ بن أبى

---

(١) انظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٥٢ . .

(٢) نفس المرجع ص ٣٣ .

(٣) أبو عمرو الدانى : جامع البيان فى القراءات السبع المشهورة – الورقة ٣ – مخطوطة ٣ م قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) فى ترجمة « الأزرق » المتوفى فى حدود الأربعين ومائتين ، وأحد تلاميذ ورش . يروى السيوطى ، عن أبى الفضل الخزاعى قوله : أدركت أهل مصر والمغرب على أبى يعقوب – يريد الأزرق – وورش ، لا يعرفون غيرهما (السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة حـ١ ص ٢٧٧ و٢٧٨ ط ، سنة ١٢٩٩ هـ) .

(٥) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء حـ١ ص ٣٠٥ و٣٠٦

طالب من أن الناس بالبصرة – على رأس المائتين – كانوا على قراءة أبى عمرو ، ويعقوب ؛ وبالكوفة على قراءة حمزة ، وعاصم ؛ وبالشام على قراءة ابن عامر ؛ وبمكة على قراءة ابن كثير ، وبالمدينة على قراءة نافع . واستمرّوا على ذلك ، فلما كان على رأس الثلثمائة ، أثبت ابن مجاهد اسم الكسائى ، وحَذَف يعقوب »[1] .

وفى مصر بالذات ، يرفع المسلمون من شأن علماء هذه القراءات وقرائها . وقد أقيم للقراءات – علاوة على دُورِ الإقراء المنتشرة فى الريف والمدن والتى يديرها غالباً مقرئون حاذقون – معاهد خاصة ملحقة بالأزهر .

* * *

٥ – أن مصر ، بما هى زعيمة البلاد الإسلامية ، ومقرّ أكبر عدد من علماء القرآن منذ قرون ، وفيها أكبر عدد من دور الإقراء ، تملك ، إذا هى تولت الجمع الصوتى للقرآن ، بمختلف رواياته المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، أن تبذل له من الإمكانات مالا تستطيعه الآن أية دولة ، فإن انصرفت هى عن هذا الواجب ، فإما أن تنصرف عنه أيضاً الدول الإسلامية الأخرى ، وإما أن تتولاه بعضَه أو كلَّه على نحو تعوزه غالباً الإمكانات العلمية ، والمسلمون – فى الحالين – هم الخاسرون .

ولماذا تدع جمهوريتنا مشروعا يُكسب الوطنَ بل الزمنَ أعظم مجد ؟

* * *

٦ – وإذا كان المجتمع العربى مهتًّا الآن بحفظ تراثه : غاليه ورخيصه ، فمِنْ واجبه – لا ريب – ألا يتقاعس أبداً عن جمع روايات القرآن التى أخذها المجتمع بالتواتر عن الرسول نفسه ، عن طريق صحابته الذين ثبت تلقّيهم القرآن عنه حرفاً حرفاً .

وإذا كنا نجود بالمال والجهد أسخياء على تسجيل اللهجات الغابرة ، بل الأغانى الدائرة ، بل الرقصات الدابرة ، أفلا يجب علينا أن نجود بمثل هذا لروايات القرآن المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، والقرآن هو ما هو فى تاريخ البشرية على مدى الدهور ؟

ثم أليست هذه الروايات المنزلة من عند الله أَوْلى بالحفظ من كل ضروب « الفولكلور » ؟ أليست أجدى نفعاً ، وأشرف غاية ، وأقدس حقًّا ؟

* * *

وأيد الشيخ – رحمه الله – كل أقوالى ، وكان – فى تأييده – يسبق أحياناً إلى إتمام بعض

---

(١) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ٢٦ (ط . البهية) .

عباراتى ، وبادر فكتب – رسميًّا – لوزير الأوقاف بأن القراءات التى لا يوافق على تسجيلها هى فقط : القراءات الشاذة وغير المتواترة ، وأنه يودّ أن يظل التسجيل سائراً على قاعدة عدم خلط القراءات بعضها ببعض ، وأن تكون دقة الأداء ومراعاة الأحكام مقدَّمَتين على حُسْن الصوت ، ورجا أن توجه كل قراءة إلى البلاد التى تختارها ، وبناء على طلب المسلمين فيها .

وأشار فى كتابه – رحمه الله – إلى أمر كنت أجهله وهو أن بعض زعماء المسلمين فى البلاد التى تتداول فيها روايات غير رواية حفص شكوا إليه من ذلك المنع .

١١

ومع أن تعدّد القراءات أمر اشتهر بين المسلمين ، فآمنوا به ، ولم يختلفوا فيه ، على نحوِ ما رأينا قبلُ ، وما سوف نرى ، فى دراسات تالية تشغل صفحات كثيرة من هذا البحث إن شاء الله ؛

ومع أَن الفروق بين القراءات يسيرة ، ومحصورة ، كلّها ، ومضبوطة ، ومعلومة ، ومتلقاة كلّها عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا زيادة فيها ولا نقص ولا تناقض ، ضرورةَ أنّ كلاًّ منها حقّ ، والحقّ لا يناقض بعضه بعضا ، ولا تجهد عامة الناس فى الفهم والتدبّر ، فضلاً عن أَن تجهد الدارس المدقق أَو القارئ المتخصص ؛

مع هذا ، يبدو أَن بعض المسلمين ما يفتأون يظنون أن وراء الجمع الصوتى للقراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة محذوراً يُخاف أَو خطراً يُخشى .

ومن الأمثلة : أَن أَحد المسلمين[1] كتب إلى محافظ القاهرة يقول : « إنه حَسَنٌ جداًّ أَن يسجَّل المصحف المرتل بجميع القراءات ، إذا كان سيذاع على سكان البلاد الإسلامية التى تتحدث العربية ، وتفهمها بسهولة ، لأَنّ هذا سيمكنهم من لغة القرآن ، ويعرّفهم بلهجاتها المختلفة (كذا) ، أَما سكان البلاد الأخرى التى كاد الاستعمار يقضى على تراثهم الدينى واللغوى ، فإنه يخاف عليهم أَن تتشتت أُفكارهم إذا سمعوا إلى عدة قراءات » ، ولذلك يرى أَنه « يكفيهم تسجيل وطبع القرآن الكريم بقراءة واحدة من القراءات التى تناسبهم ، وتقارب لهجاتهم القومية (كذا) ، لتتركز عقولهم وجهودهم فى تلاوتها وتفهمها » .

وحوّل المحافظ الكتاب إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومى التى أُحالته إلى وزارة الأوقاف ، وهذه أَحالته إلى صاحب المشروع .

---

(١) واسمه : محمود أحمد خليفة – بالمعاش

وقد جاء ضمن إجابتى الرسمية على هذا الكتاب [1] ما أُورد بعض نصوصه هنا ، لأنه فى صميم موضوع هذا الباب .

« والقراءات التى دعا مشروعى إلى تسجيلها هى القراءات العشر برواياتها التى تواترت – كما يقول ابن الجزرى – « فى أَصلها ، وأَجزائها ، وفى وضعها وترتيبها ، إلى يومنا هذا ، فى الأعصار والأمصار ، بالأسانيد الصحيحة ، عن أَئمة القراءة والحديث والفقه المشهورين بالثقة والأمانة وحسن الدين وكمال العلم ، والمتصلة أَسانيدهم العادلة الضابطة بالنبى – صلى الله عليه وسلم – ، وهو تواتر مقطوع به ، وشامل للأصول والفَرْش [2] كما قرر المحققون جميعاً .

وهذه القراءات – على خلاف القراءات الشاذة – ليس فيها زيادة كلمة أَو نقصانها ، وتقديمها أو تأخيرها ، وليس فيها إعمال رأى ، أَو اجتهاد ، فى إثبات شىء لم يثبت أَن النبى – صلى الله عليه وسلم – قرأَ به » .

وواضح من هذا ، ومن اشتهاره عند أَئمة هذا الشأن ، أَنه لا وجه أَبداً للمنع من التسجيل بهذه الروايات ، لأنه يُفهم من المنع الإنكار ، وهو مالا يحلّ .

* * *

ويرمى مشروع الجمع الصوتى للقرآن الكريم برواياته المتواترة وغير الشاذة إلى الآتى :

(ا) تحقيق المقاصد التى من أجلها وُضِعت الموازين للقراءات منذ قديم ، وهى مواجهة الملابسات التى أَحدثها تفرّق القراء الذين تلقّوا عن صحابة متعددين فى البلاد ، وقلة الضبط ، والتخليط ، واشتباه المتواتر بالفاذّ ، والمشهور بالشاذّ .

(ب) التعريف بما يقرأً به كل من أَئمة القراءة ، والتمييز بين ما يُقرأً به ومالا يُقرأُ ، وكفالة العصمة للمسلمين من الخطأ فى النطق بالكلمات القرآنية وصيانتها عن التحريف والتغيير .

---

(١) وهى مؤرخة فى ٥ من أغسطس سنة ١٩٦٤

(٢) المقصود (بالأصول) فى مصطلح علماء القراءات : الكلّيّات التى تضمّ الجزئيات المتماثلة ، كقواعد المدّ والقصر ، والتحقيق والتسهيل ، والإمالة والفتح . . . إلخ .

أما (الفَرْش) ، فهو ، فى مصطلحهم : الجزئيات التى يختلف القراء فيها ، والتى لا يقاس عليها ، كقراءة « مَلِكِ يَوْمِ الدِّين » (سورة الفاتحة / ٤) ، فإنه لا يقاس عليها « مَلِكِ النَّاس » (سورة الناس / ٢) : فالأولى يقرؤها عاصم والكسائىّ : « مالِكِ » بألف ، ويقرؤها الباقون بغير ألف ، أما الثانية فيقرؤونها جميعاً بغير ألف .

وانظر : ابن جزى الكلبى : التّسهيل لعلوم التنزيل حـ ١ ص ١٢ ، فثمة تفصيل شارح .

(ﺣ) ضمان وجود الحفّاظ لكل رواية فى كل بلد إسلامى بالعدد الذى يصحّ معه اعتبار الرواية متواترة .

ولا شك أن الاقتصار على تسجيل رواية واحدة يعطّل تلك المقاصد . »

١٢

ووفق الله تعالى ، فنجحتُ فى الاتفاق على طبعة جديدة ، بشروط جديدة أقرها مجلس الدولة ووزارة الخزانة ، ووقّع عقدها وزير الأوقاف [١] ، ورئيس مجلس إدارة المؤسّسة المشرفة على المصنع المتعاقد معه [٢] .

ومن هذه الشروط : أن تكون الماتريسات (أمهات الطباعة) مِلْكاً خالصاً لوزارة الأوقاف تستعملها وقتما تشاء فى أىّ مصنع تشاء . ومنها : إعادة ملء الأسطوانات إلى الحدّ الذى يناسب مساحتها ، وذلك تحت الإشراف الفنى لوزارة الأوقاف ، لتضمن مناسبة المواضع القرآنية التى تنتهى عندها التلاوة فى كل أسطوانة ، على أن يتحمل المصنع كلَّ نفقات هذه الإعادة (أى المونتاج) . وسيؤدى هذا إلى إنقاص عدد أسطوانات المصحف المرتل من ٤٤ أسطوانة إلى ٢٨ أسطوانة .

ونتيجة لهذا كلّه ، ولأن كل مستلزمات المشروع ، حسبما قدمنا ، معفاة فعلا – بقرار جمهورى – من كل الرسوم الجمركية ، فإن الوزارة لن تدفع – فيما لو نفّذت هذا العقد – غير ثمن الخامات ، وأجر الكبس فى المصنع . وسينزل هذا – يقينا – بسعر المصحف المرتل ، فى الطبعات التالية ، إلى نحو جنيهين على أكثر تقدير ، بدلا من حوالى ٢٢ جنيهاً [٣] .

* * *

وأعيد طبع رواية حفص غير مرة .

والمأمول ، إن مدّ الله لى العمر أن أمضى – بمشيئته وبتوفيقه وبعونه – فى إتمام الجمع الصّوتى الأول للقرآن ، بتسجيل سائر رواياته وطرقه وأوجهه ، على النحو الذى سأذكره تفصيلا فى فصل آخر إن شاء الله .

والله أسأل أن يجعله عملا صالحاً متقبلًا .

---

(١) الأستاذ الدكتور محمد البهى .   (٢) المهندس صلاح عامر .

(٣) سأل سائل : وكيف نُفِّذ هذا العقد ؟ ، فأستأذن فى ألاّ أردّ .

القسم الثانى

البواعث والمخططات

الباب الأول

الحفظ

- تحقيق التلقى الشفوى والسماعى
- المحافظة على القراءات المتواترة والمشهورة
- المنع من القراءة بالروايات الشواذ

الفصل الأول

تحقيق التلقى الشفوى والسماعىّ

ا

المعتمد عند المسلمين أن يكون تلقّى العلم النقلىّ بعامة والقرآن بخاصّة من الأفواه .

وهذا قديم :

فابن مسعود أحد كبار الصّحابة وأعلام رواة القرآن وتجويده وتحقيقه وترتيله يقول : حفظت من فى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بضعاً وسبعين سورة [١] .

وعن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأُبىّ [٢] : « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن » . قال : آلله سمّانى لك ؟ قال : « نعم » . . . إلى آخر الرواية [٣]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن أبىّ هذا : أقرأ أمتى أبىّ [٤] .

وليس بعيداً أن يكون سبب هذه الأفضلية أنّ النبى نفسه هو الذى علّمه القراءة .

* * *

وأصبحت قاعدة متبعة – بالنسبة لطالب القرآن – أن يتلقّاه من أفواه المشايخ الضابطين المتقنين ، وأن لا يعتدّ أبداً بالأخذ من المصاحف المكتوبة بدون معلّم ، لما قد يقع في ذلك من تصحيف يتغير به وجه الكلام . وهم يقولون : لا تأخذوا القرآن من مصحفىٍّ ، ولا العلم من صَحَفِىٍّ [٥].

---

(١) انظر : ابن الجزرى : غاية النهاية جـ١ ص ٤٥٨ و٤٥٩

(٢) يعنى : الصحابىّ « أبىّ بن كعب » ، وهو من أشهر من حفظوا القرآن على عهد النبىّ (ص) ، وكان رأساً فى العلم والعمل (الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ٢٨٠ – ٢٨٨) .

(٣) مسلم : الجامع الصحيح جـ٨ ص ١٥٠ .

وانظر : الذهبى : المرجع السّابق ص ٢٨١ .

(٤) الذهبى : المرجع السابق

(٥) انظر : العسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٠

ومن أشهر ما يُروى فى هذا :

أن حمزة الزيات أحد أئمة القراءة السبعة كان يتعلم القرآن من المصحف ، فَتلا ، وأبوه يسمع : « آلم ذلك الكتاب لا زيت فيه » بدلا من « لاَ رَيْبَ فِيه »[١] ، فقال له أبوه : دع المصحف ، وتلقّنْ من أفواه الرجال[٢] .

وحُكى عن آخر[٣] أنه قرأ – من مصحفٍ – الصّادَ ضاداً فى قوله تعالى : « صٓ ، وَالقُـرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ[٤] » .

ورُوى أنّ حماد بن الزبرقان كان حفظ القرآن من مصحف ، ولم يقرأه على أحد ، فصحَّف ألفاظاً فى القرآن ، منها :

(بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فى عِزَّةٍ وَشِقَاق »[٥] ، قرأها : (فى غرة) .

ومنها : « لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ »[٦] ، قرأها : (يعينه) .

ورُوى أن عثمان بن أبى شيبة[٧] قرأ :

« فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » (فظلّ) بدلا من : « فَطَلّ »[٨] .

وأنه قرأ : « مِنَ (الخوارج) مُكَلِّبِينَ » مصحَّفةً من : « الجَوَارِحِ »[٩]

وقرأ : « وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُم (خبازين) » يريد قوله : « جَبّارِين »[١٠]

وأنه أملى : خذوا سورة المدبّر ، قالها بالباء .

---

(١) سورة البقرة / ٢ .

(٢) العسكرى : المرجع السابق ص ١٢ و١٣ .

(٣) نفس المرجع ص ١٣ .

(٤) سورة ص / ١ ، والصاد فى المصحف العثمانى مهملة .

(٥) سورة ص / ٢ .

(٦) سورة عبس / ٣٧ .

(٧) هو أحد شيوخ البخارى ، وتوفى سنة ٢٣٩ هـ . وحكى أنه كان مزّاحاً فيا يتصحف من القرآن (انظر الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ٢ ص ٣٠) .

ولكن ابن كثير (٧٠١ – ٧٧٤ هـ) يقول :

« وما ينقله كثير من الناس عن عثمان بن أبى شيبة ، أنه كان يصحّف قراءة القرآن : فغريب جداً ، لأنّ له كتاباً فى التفسير ، وقد نُقِل عنه أشياء لا تصدر عن صبيان المكاتب ! » (انظر : أحمد محمد شاكر : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ١٩٢ – ط . صبيح)

(٨) سورة البقرة / ٢٦٥ .

(٩) سورة المائدة / ٤ .

(١٠) سورة الشعراء / ١٣٠ .

وقرأ : « فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِى (رِجْل) أَخِيهِ » ، فقيل له : « السِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ »(١) ، فقال : أنا وأخى أبو بكر لا نقرأ لعاصم !

وأنه قرأ : « فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ (سنّور) لَهُ بَابٌ » ، فقيل له : إنما هو « بِسُورٍ لَهُ بَابٌ »(٢) ، فقال : أنا لا أقرأ قراءة حمزة ، قراءة حمزة عندنا بدعة (٣).

ورَوَى الدار قطنى – فى التصحيف – عن عثمان بن أبى شيبة أيضاً ، أنه قرأ على أصحابه فى التفسير : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ »(٤) ، يعنى قالها كأوّل البقرة (٥).

ورَوَى محمد بن جرير الطبرى أن محمد بن جميل الرازى قرأ : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ (يجرحوك) بدلا من « يُخْرِجُوكَ »(٦) .

ورَوَى الدار قطنى أن أبا بكر الباغندى أملى فى حديث ذكره : « وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ (هُوِيًّا) » بضمّ الهاء وياء بدلا من « هَوْناً »(٧) .

ورُوِى أنّ شيخا ظل يقرأ فى مصحفه أربعين سنة : « ولِلهِ (ميزاب) السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ » حتى لُقّنها شفاها « مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ »(٨) ، فاستغفر الله ، وصحّح قراءته(٩) .

وروى أن رجلا اسمه مُشكدانه كان فى حوالى سنة ٢٣٦ هـ ، وكان يقرأ : « وَيَعُوقَ (وبشرا) » ، فقيل له : « وَنَسْراً »(١٠). فقال : هى منقوطة بثلاثة من فوق(١١).

وقد قال فيه أحد معاصريه متهكما : ذاك الذى يصحّف على جبريل !(١٢)

وقيل إن رجلا قرأ : « والغاديات صبحا » بالعين المعجمة والصّاد المهملة بدلا من

(١) سورة يوسف / ٧٠ .
(٢) سورة الحديد / ١٣ .
(٣) انظر : ابن الجوزى : أخبار الحمقى والمغفلين – الباب العاشر : فى ذكر المغفلين من القراء والمصحّفين ص ٥١ – ٥٧ والعسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١١ – ١٣ .
(٤) سورة الفيل / ١ .
(٥) السيوطى : المزهر جـ ٢ ص ٢٣٠ .
(٦) سورة الأنفال / ٣٠ ، وانظر ابن الجوزى : المرجع السابق .
(٧) سورة الفرقان / ٦٣ ، وانظر ابن الجوزى : المرجع السّابق .
(٨) سورة آل عمران / ١٨٠ ، وسورة الحديد ١٠ .
(٩) ابن الجوزى : المرجع السّابق .
(١٠) سورة نوح / ٢٣ .
(١١) ابن الجوزى : المرجع السابق .
(١٢) انظر : العسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١١

« وَالعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحا » (١) ، فامتحنوه بالقراءة فى المصحف ، فصحّف حيث قرأ :

« وَمِمَّا (يغرسون) » بدلا من « يَعْرِشُونَ » (٢) .

و « وَعَدَهَا » (أباه) » بدلاً من « إِيَّاهُ » (٣).

و « أصبْتُ به من أساء » بدلاً من « أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء » (٤) .

و « (فبادوا) وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ » بدلا من « فَنَادَوْا » (٥) .

و « فَأَنَا أَوَّلُ (العائدين) » بدلا من « الْعَـٰبِدِينَ » (٦) .

و « كُلُّ (خباز) بدلا من « جَبَّارٍ » (٧).

وقالوا إنّ رجلاً قرأ : « إِنَّ لَكَ فِى النَّهَارِ (شيخا) طَوِيلاً » بدلا من « سَبْحاً » (٨) .

وعن الكسائى ، قال : كان الذى دعانى أن قرأت بالرِّىّ ، أنى مررت بمعلم صبيان يقرأ : « ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ (وأتل بالتاء) » (٩) بدلاً من « أَثْلٍ » ، فتجاوزته ، فإذا معلم آخر قد ذكرت له ذلك ، فقال : أخطأ ! الصواب : « وإبل » ! فدعانى أنى أقرأت الصبيان (١٠).

وسمع أعرابى إماما يقرأ : « وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يؤْمِنُوا » (١١) بنصب التاء ، فقال : سبحان الله ! هذا قبل الإسلام قبيح ، فكيف بعده ؟ فقيل له : إنه لَحَن ، وإنما القراءة : « وَلاَ تُنْكِحُوا . . . » فقال : قبّحهِ الله : لا تجعلوه بعدها إماماً ، فإنه يُحلّ ما حرّم الله (١٢).

* * *

وهذه الأخبار التى تنافى جلال القرآن ، والتى نشك علميًّا فى صحة أغلبها ، ونعتقد أنها مجّرد نوادر موضوعة تقصد إلى الفكاهة وَوَسْم من رُويت عنهم بالحُمق والغفلة . . . هذه الأخبار التى سقناها كارهين ؛ جديرة أن تنبّه طالبى القرآن إلى وجوب التزام التلقى الصوتىّ من قرّاء ضابطين محققّين ، وجديرة أن تكون من أسباب تخوّفنا من التصحيف فى كتابنا الأكبر .

---

(١) سورة العاديات / ١ . (٢) سورة النحل / ٦٨ . (٣) سورة التوبة / ١١٤ .
(٤) سورة الأعراف / ١٥٦ . (٥) سورة ص / ٣ (٦) سورة الزخرف / ٨١ .
(٧) سورة هود / ٥٩ ، وسورة إبراهيم / ١٥ ، وانظر : ابن الجوزى : المرجع السّابق .
(٨) سورة المزمّل / ٧ ، وانظر : ابن الجوزى : المرجع السّابق .
(٩) صحة اللفظ « أَثْلٍ » بالثاء ، سورة سبأ / ١٦ .
(١٠) ابن الجوزى : المرجع السابق ، الباب الثانى والعشرون ص ١٠٧ .
(١١) سورة البقرة / ٢٢١ ، والتاء مضمومة .
(١٢) البلوى : ألف با حـ ١ ص ٤٣ .

وفى بعض الأخبار . أن التصحيف قد يقع ، حتى من بعض الكبار ، فيبادرون – فور التثبّت – من التصحيح :

فى ترجمة أبى بكر الأنبارى النحوى اللغوى صاحب الاسم الجهير . حكى الدار قطنى أنه حضره فى إملاء ، فصحَّف اسماً فى إسناد .

قال الدار قطنى : « فأعظمت أن يُحمل عن مثله – فى فضله وجلالته – وهْم ، وهبتُه أنْ أوقفَه عليه . فلمّا فَرَغَ ، تقدّمتُ إليه ، وذكرتُ له ذلك ، وانصرفتُ ، ثم حضرتُ المجلس الآتى ، فقال للمستملى : عرِّف الجماعة أنّا صحّفْنا الاسم الفلانى لمّا أملينا كذا فى المجلس الماضى ، ونبّهَنَا ذلك الشابّ على الصّواب ، وهو كذا . . ، وعرِّفْ ذلك الشابَّ أنّا رجعنا إلى الأصل ، فوجدناه كما قال »[1] .

* * *

ولخوف المسلمين من التّصحيف ، أفردوا له علْماً خاصًّا صنّف فيه بعض علمائهم . قال عبد الرحمن البسطامى : « أوّل من تكلم فى التصحيف الإمام على – كرم الله وجهه – ومن كلامه فى ذلك : خراب البصرة بالريح (بالراء والحاء المهملتين بينهما آخر الحروف) . قال الحافظ الذهبى : ما عُلِمَ تَصحيف هذه الكلمة إلا بعد المائتين من الهجرة ، يعنى : خراب البصرة بالزنج (بالزاى والنون والجيم) »[2] .

ومن المؤلفات الإسلامية التى تحارب التصحيف : كتاب أبى أحمد الحسن بن عبد الله ابن سعيد العسكرىّ المتوفّى سنة ٣٨٢هـ ، وهو كتاب فى مائة باب أو ما يقاربها[3] وفى مقدمته يقول مؤلفه : « هذا كتاب شرحتُ فيه الأسماء والألفاظ المُشْكلة التى تشّابه فى صورة الخطّ ، فيقع فيها التصحيف . . إلخ . . »

ومن أقوالهم : « من أعظم البليّة تشييخ الصحيفة » ، أى أن يتعلم الناس من الصُّحُف[4].

وكان الشافعىّ يقول : من تفقَّه من بطون الكتب ضيّع الأحكام[5] .

---

(١) السيوطى : بغية الوعاة حـ ١ ص ٢١٢

(٢) انظر : طاش كبرى زاده : مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة فى موضوعات العلوم جـ ١ ص ٢٧٧ وصديق خالد : أبجد العلوم – ٣٨٣ .

(٣) انظر المخطوطة رقم ٢ ش – مصطلح الحديث ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة . وقد طبع هذا الكتاب أخيرا ، بعنوان : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف بتحقيق عبد العزيز أحمد . وقد نقلنا آنفا عن النسخة المطبوعة بعض ما روى عن المصحّفين

(٤) انظر : ابن جماعة : تذكرة السّامع ص ٨٧ (٥) انظر : نفس المرجع .

وقريب من هذا أنهم كانوا يذمُّون الاكتفاء فى تقييد العلم بالكتابة من دون الحفظ :

عن سفيان الثارى ، قال : بئس المستودِع العلم القراطيسَ . قال الخطيب البغدادى : « وكان سفيان يكتب . أفلا ترى انّ سفيان ذمّ الاتّكال على الكتاب وأَمَر بالحفظ ، وكان مع ذلك يكتب احتياطاً واستيثاقاً » ؟ [١].

وسمع يونس بن حبيب رجلا ينشد :

استودع العلم قـرطاساً فضيّعه وبئس مستودَعُ العِلم القراطيس [٢]

وهم يعرِّفون « التصحيف » بأنه الخطأ فى الصحيفة [٣].

ويسمّون من يأخذ العلم عن الصُّحف فحسْب : مصحِّفاً ، أى يروى الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف مولّدة [٤].

ويقولون : هو لحَّانة مُصَحِّف [٥] ، ويقولون : تَصَحَّفَتْ عليه [٦]. ويسمّون من يخطئ فى قراءة الصحيفة : الصحفىّ [٧].

ويقول المعرى : أَصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظَ من قراءته فى صحيفة ، ولم يكن سمعه من الرجال ، فيغيّره عن الصواب [٨]

* * *

وللمسلمين فى التلقّى الشفوىّ مناهج دقيقة ، وكأنما كانوا يعدّون أفواه الرجال أهم مستودعات العلم الحقيقية ، ويروْن أن النقل من الأفواه هو النقل السليم الذى يظهر كلَّ زيف يعتريه ، فقد كان يحيي بن معاذ يقول : أَفواه الرجال حوانيتها ، وأسنانها صنائعها ، فإذا فتح الرجل باب حانوته تبيّن العطّار من البيطار والتّمار من الزّمار [٩] . . .

ومن أفضل المناقب التى عدّدها أحد الشعراء ، وهو الحسن بن هانئ ، لأحد علماء اللغة ، وهو خلف الأحمر ، أنه :

---

(١) انظر : الخطيب البغدادى : كتاب تقييد العلم ص ٥٨

(٢) انظر : ابن عبد البر : جامع بيان العلم حـ ١ ص ٦٩

(٣) الفيروز ابادى : القاموس المحيط

(٤) العسكرى : المرجع السّابق ص ١٣ .

(٥) انظر : الشّرتونى : أقرب الموارد فى فُصح العربية والشوارد .

(٦) الفيروز ابادى : القاموس المحيط .

(٧) أحمد رضا : معجم متن اللغة .

(٨) نقلا عن السيوطى : المزهر فى علوم اللغة وأنواعها حـ ٢ ص ٢٢٢

(٩) الزركشى : البرهان حـ ٢ ص ١٥٣

لا يَهِمُ الحاء فى القــراءة بالخا ء ولا يأخذ إسناده عن الصحف[١]

* * *

لذلك لم يكن غريباً أن يكون الاكتفاء بالأخذ من المصحف بدون موقف أمراً لا يجيزه المسلمون ، ولو كان المصحف مضبوطاً ، بل إنهم يعدّون هذا الاكتفاء منافياً للدين ، لأنه ترك للواجب ، وارتكاب للمحرّم[٢] . وهم يذهبون إلى هذا بناء على :

١ – أنّ مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، كما هو مقرر فى الأصول .

٢ – أن صحة السند عن النبى ، عن روح القدس ، عن الله – عزّ وجلّ – بالصفة المتواترة أمر ضرورى للقرآن[٣] .

ويقول ابن حجر العسقلانى : « اعلم أن كل ما أجمع القراء على اعتباره من مخرج ، ومدّ ، وإدغام ، وإخفاء ، وإظهار ، وغيرها ، وَجَب تعلّمه وحَرُم مخالفته » .

ويقول السيوطى : « ولا شكّ أن الأمة - كما هم متعبَّدُون بفهم معانى القرآن وإقامة حدوده – هم مُتَعَبَّدُون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصِّفة المتلقَّاة من أئمة القراء المتّصلة بالحضرة النبوية » . ولعلّ قوله : « على الصفة المتلقّاة . . إلخ » أن يكون صريحاً – فيما يرى علماء القرآن – من أنه لا يكفى الأخذ من المصحف بدون تلقٍّ من أفواه المشايخ المتقنين[٦] .

وابن الجزرى – فى تعريفه للمقرئ – يقول إنه « العالم بالقراءات رواها مشافهة ، فلو حفظ (التيسير) مثلا ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه (من شُوفه به) مسلسلا ، لأن فى القراءات أشياء لا تُحكم إلا بالسّماع والمشافهة »[٧].

وقريب جداً من ذلك تعريف الدمياطى البنا للمقرئ [٨].

والثابت فى السّنّة الصحيحة أن النبى نفسه – صلى الله عليه وسلم – مع كمال فصاحته ومع كونه المصطَفَى للرسالة – تعلّم القرآن عن جبريل ، وخاصّة فى السّنة التى انتقل فيها إلى الرفيق

(١) العسكرى : المرجع السابق ص ١٨

(٢) انظر : على الضّبّاع : بحث فى « التجويد » ، بمجلة كنوز الفرقان ، ع . مايو ويونية ١٩٥٠ ص ١٣

(٣) نفس البحث

(٤) نقلا عن نفس البحث

(٥) الإتقان حـ ١ ص ١٠٠

(٦) على الضّبّاع : البحث السّابق

(٧) منجد المقرئين ص ٣

(٨) انظر : الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٥

الأعلى : كان جبريل يعارضه – أي يدارسه – بالقرآن ، في كل سنة مرة ، ثم عارضه عام وفاته مرتين . والعرض على جبريل – فيما يقرر الأئمة – معناه : العرض بتجويد اللّفظ ، وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها ، ليكون سُنّة في الأمة(١) .

والقرآن مطلوب القراءة جهراً ، والصلوات الخمس لا يُخَافَتُ فيها بالقراءة إلا في الظُّهر والعصر(٢) .

* * *

ومنذ عهد النبي (ص) ، وتلقينُ القرآن شفاهاً هو السائد ، وقد أسلفنا أنه كان يبعث إلى من كان بعيد الدار من الصحابة من يعلِّمهم ويقرئهم :

بعث – مثلا – مصعبَ بن عمير وابنَ أم مكتوم إلى أهل المدينة ، قبل هجرته ، يعلّمانهم الإسلام ويقرئانهم القرآن(٣)

ولما فتح النبي مكّة خلّف على أهلها معاذ بن جبل يُقرئهم القرآنَ ويفقّههم(٤) .

وكان عبُادة بن الصّامت يعلّم أهل الصُّفّة القرآن . ولما فُتح الشامُ أرسله عمر بن الخطاب ومعاذا ، وأبا الدرداء ، ليعلّموا الناسَ القرآن هناك(٥) .

ولما أرسل عثمان مصاحفه الأئمة الخمسة إلى الأمصار لم يكتفِ بها ، وإنما أرسل ، مع كلّ مصحف ، عالماً لإقراء الناس بما يحتمله رسمُه . فأَمَرَ زيدَ بن ثابت أن يقرئ بالمدينة ، وبعث عبد الله بن السّائب إلى مكة ، والمغيرة بن شهاب إلى الشام ، وعامر بن عبد قيس إلى البصرة ، وأبا عبد الرحمن السلمي إلى الكوفة(٦) .

وكأنّي بعثمان إذ يبعث – مع المصاحف المكتوبة – علماء يَقرءون ويُقْرِئون ، ولا يعتبر هذه المصاحف قُصارى ما يتوسّل به إلى نشر القرآن ، كأنّي به كان يتلمّس فكرة كفكرة « المصحف المرتل» التي لم يكن العلم أيامها يسمح بها أو بالتفكير فيها .

---

(١) على الضباع : البحث السّابق

(٢) انظر مثلا : الشافعي : الرسالة ص ١٧٧

(٣) انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى حـ ١٤ ص ٢٠٦ (ط . بيروت)

(٤) انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء حـ ١ ص ٣٢١

(٥) انظر : النووى : تهذيب الأسماء واللغات – القسم الأول ص ٢٥٧

(٦) نقله الجعبرى عن أبي على ، وانظر : حفنى ناصف : تاريخ رسم المصحف – مقدّمة كتاب فى قواعد رسم المصحف – نشرت بالمقتطف ، ع . أول يوليو ١٩٣٣ – (٨ ربيع الأول ١٣٥٢) ، الجزء الثانى من المجلد ٨٣ ص ٢٠٣ – ٢٠٦

على أنّ إيفاد هؤلاء المبعوثين لم يمنع الإدّعاء بأنّ المصاحف المكتوبة الأئمة – لخلّوها من النقط والشكل – كانت تدعو القارئ – فيما بعد – أن يتولى بنفسه نقْط النصّ القرآنى وضبْطه بالشكل ، على مقتضى ما يفهمه هو من معانى الآيات ، وضربوا لذلك مثلا كلمة « يعلمه » فقد كان الواحد – بزعمهم – يقرؤها : « يعلّمه » ، والآخر : « نُعلِّمه » ، والثالث : « تَعْلَمُهُ » ، والرابع : « يَعْلَمه » . . إلخ [١] .

ومعنى هذا – فى رأى اصحاب هذا الادعاء – أن القراءات هى من عند الناس ، وبحسب تأويلاتهم ، وبحسب ما يختارون من علامات الشكل . فضلا عما يختارون من حروف [٢] ، وهى دعوى باهظة سنردّ عليها فى فصل تالٍ إن شاء الله ، ولكنها – وليس فى قولنا غلوّ ولا إغراق – ما إن تتكرر هى أو مثلها بعد تسجيل المصاحف المرتلة ؛ وبدهىّ أنها ما كانت لتظهر لو أنّ مصاحف الجمع الصوتىّ سبقتها ظهوراً .

٢

وواضح أنّ من أحكام القراءة مالا يمكن إحكامه أبداً إلاّ بالتلقّى الشفهى ، فالتفخيم ، والترقيق ، والمدّ ، والقصر ، والإدغام ، والإظهار ، والإخفاء ، والرّوم ، والإشمام ، والإبدال ، والنَّقْل ، والإقلاب ، والحذْف ، والإثبات ، والإلحاق ، والإمالة ، والفتح وما بينهما ، وتخفيف الهمزة وما إلى ذلك . كلّ هذا لا يكفى المصحفُ المكتوبُ لتعليمه .

وكذلك إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ، وردّ كلٍّ منها إلى مخرجه وأصله ، والنطق به على كمال هيئته ، من غير إسراف ، ولا تعسّف ، ولا إفراط ، ولا تكلف . . . تلك كلّها لا يحققها المصحف المكتوب إلا أنْ يوجد الملقّن الضّابط ، وتلك كلُّها لا يسهل شرحها المكتوب على طالب القرآن ، بل ربما أدّى به عدم السّماع إلى التفريط أو الإفراط ، فيولّد الحروف من الحركات ، أو يكرر الراءات ، أو يحرّك السواكن ، أو يطنّن النونات بالمبالغة فى الغنّات إلى آخر هذه العيوب .

وقد وُضِعَت كتب غير قليلة لتيسير تعليم التجويد [٣] ، ولكنها لم تغن أبداً عن التعليم

---

(١) آرثر جفرى : مقدمة كتاب المصاحف ص ٧

(٢) آرثر جفرى : نفس الكتاب والصحيفة

(٣) بعض هذه الكتب نفيس ، والكثير منها مخطوط ويستحق النشر .

ومن المخطوطات التى اطلعنا عليها فى دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة والتى تعلّم التجويد : =

الشفهى الذى يذلل صعبها ويوضح غموضها . ومن أمثلة ما ورد فى هذه الكتب من التعريف بمخارج الحروف السبعة عشر ، وهى أمثلة يدل القليل منها على الكثير :

قولهم عن مخرج الضاد المعجمة : « إنه جزء من حافة اللسان بُعَيْد الوسط ، وقبل مخرج اللّام ، مع ما يليه من الأضراس العليا : اليسرى على كثرة ، أو اليمنى على قلّة ، أو منهما على عزّة » [١] .

وقولهم عن مخرج اللام إنه « أدنى إحدى حافتى اللسان بُعَيد مخرج الضّاد إلى منتهى طرفه ، مع ما يحاذيها من لثة الأسنان العليا »[٢]

وعن مخرج النون والميم الساكنتين حالة الإخفاء أو ما فى حكمه من الإدغام والغنّة : إنه « الخيشوم » وهو خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم المركب فوق سقف الفم ، ، وليس بالمنخر[٣] »

(ا) تحفة نجباء العصر فى أحكام النون الساكنة والمدّ والقصر ، لزكريا الأنصارى – مخطوطة رقم ٢١٦ و ٢١٧ و ٣٤ مجاميع .

(ب) تحفة الأنام فى الوقف على الهمز لحمزة وهشام – مخطوطة رقم ٩ و٢١٨ و ٣٣٩ مجاميع .

(جـ) شرح عقيلة أتراب القصائد لملاّ على (مخطوطة رقم ٢٣ و ٢٤٨) .

(د) الفصول العشرة فى ضوابط القراءة لأبى عمرو البصرى (مخطوطة رقم ٥٧)

(هـ) قرة العين فى الفتح والإمالة بين اللفظين لابن القاصح (مخطوطة رقم ٢٦ و ٤٧ و ٣٠٦ مجاميع) .

(و) اللّطائف المحْسَنَّة فى مباحث الغنّة ، لإبراهيم الدسوقى الحضرى (مخطوطة رقم ٢٨٢)

(ز) مرشدة المشتغلين فى أحكام النون الساكنة والتنوين ، لأبى النصر الناصر الطبلاوى (مخطوطة رقم ٣٤٥)

ومن المخطوطات التى اطلعنا عليها فى نفس الدار ، والتى تعلم أحكام الوقف والابتداء وحدها :

(ا) بيان أوقاف الكفر لأبى منصور الماتريدى (مخطوطة رقم ٧ و ٣٥٤ مجاميع) .

(ب) تقييد وقف القراءات لمحمد بن أبى جمعة الهبطى (مخطوطة رقم ٢٤٣)

(حـ) التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات ، لعبد السلام بن أبى الحسن على بن عمر الداودى (ضمن مجموعة خطية رقمها ٢١٠٣ فى علم التفسير) .

(د) مسعف المقرئين ومعين المشتغلين بمعرفة الوقف والابتدا وعدّ الآى ، لمحمد المقرئ الشهير بالقادرى (مخطوطة رقم ١٥٧) .

(هـ) المكتفى فى الوقف والابتداء لأبى عمرو الدانى (مخطوطة رقم ٢١٥) .

وقد ذكر ابنُ النديم أسماء كتب كانت – على عهده – فى الوقف والابتداء فى القرآن ، لكلٍّ من : حمزة ، والفراء ، وخلف ، وابن سعدان ، وضرار بن صُرَد ، وأبى عُمَر الدورىّ ، وهشام بن عبد الله ، وأبى عبد الرحمن اليزيدىّ ، وابن الأنبارى ، وابن كيسان ، والجعدى ، وأبى أيّوب سليمان بن يحيى الضّبّى . (انظر : الفهرست ص ٣٦ – ط . خياط ببيروت) .

وذكر ابن النديم عن نوع واحد من أنواع الوقف ، وهو وقف التّمام أنه كانت فيه تآليف لأحمد بن عيسى اللؤلؤىّ ، والأخفش سعيد ، ونصر ، ويعقوب الحضرمىّ ، ونافع بن عبد الرحمن ، وروْح بن عبد المؤمن . (نفس المرجع) .

(١) انظر مثلاً : الحداد : محمد بن على بن خلف الحسينى : فتح المجيد فى علم التجويد ص ٥ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

فهذه التعاريف – فيما هو ظاهر – ليست سهلة الفهم على كل فرد .

وقد وُجد من المؤلفين فى قواعد التجويد من يعلّمه بالرسم كوسيلة إيضاح[١] ، ولكن جهدهم – على ما فى بعضه من تقدّميّة علمية مبكّرة – لم يمنع الحاجة إلى التلقين الشفهىّ المتكرر .

* * *

ويستصعب بعض الناس تلك الأحكام المأثورة للقراءة ، فينكرونها ، ويُزْرون بها ، ويحاولون صرف الناس عنها . وقد صوّر أحدُ الكتب المعاصرة حركات المدّ والغنّ والإشمام بأنها « حركات بهلوانية غير مفهومة وغير معلومة ، بل غير لازمة كحركات القرود والمهرّجين »[٢] .

وينتقد هذا الكتابُ السكتَ على بعض الكلمات ، فيقول « إن هذه السكتات لا معنى لها إطلاقا ، ولعل أصلها أن أحد القراء القدماء تنفسّ بين الكلمتين ، أو ابتلع ريقه ، أو عاقه عن متابعة القراءة عائق ، فقلدوه فى ذلك بغير علم ولا فهم »[٣] .

ويصف الكتابُ التجويدَ – فى بعض أحكامه – بأنه « باطلٌ مردودٌ ، وسمج مرذول ممجوج »[٤] .

وأظن أن لو كانت تلك الأحكام ميسّرة التَّعلم دقيقة النّماذج الصوتية ، كما حدث – فيما بعد – حين سُجّلَت المصاحف المرتلة ، لسهل على الكافة الأخذ بها ، ولما نُسب إليها ما نُسب .

---

(١) انظر على سبيل المثال :

رسالة فى تجويد القراءات لم يعلم مؤلفها ، فيها رسم اللسان ومخارج الحروف – مخطوطة رقم ١٣٣٣ تيمورية بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

وصورة الفم واللسان وباقى الفم من الأسنان ، مع بيان مخارج الحروف – مخطوطة رقم ٦٠٦ تيمورية بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

وعزت عبيد الدعاس : فن التجويد ص ٥٧ .

(٢) كتاب الفرقان ، لمؤلفه محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ص ١٣٤ – نقلاً عن حكم مجلس الدولة فى القضية رقم ٦٨٥ سنة ٢ القضائية – ١١ مايو سنة ١٩٥٠ المقامة من هذا المؤلف ضد رياسة مجلس الوزراء ووزارة العدل ووزارة الأوقاف والأزهر الشريف – مجموعة أحكام الدولة المجلد ٥ ص ٢٧٥ – ٣٠٥ (ط . لجنة نشر الثقافة القانونية) .

ونذكر أن كتاب « الفرقان » محكوم بمصادرته فى مصر ، ولكننا اطلعنا عليه عَرَضاً فى مكتبة وايدنر بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية .

(٣) نفس الكتاب .

(٤) ص ١٣٥

والوقف والابتداء اللذان لا يتأتّى – غالباً – لأحدٍ معرفةُ معانى القرآن ولا استنباطُ الأدّلة الشرعية منه إلا بمعرفتهما ، واللّذان يخلّان بالفهم ، إذا كانا فى غير مكانهما ، بل إن منهما القبيح [١] الذى يكفر فاعِلُهُ لو تعمّده [٢] . . هذان الموضوعان لا يعلّمهما – فيما هو واضح – مثل التلقين الشفهى من المعلّم المحسن .

٣

والمصاحف المكتوبة لها – لحسن الحظ – أصول أئمة ثابتة ، يسهل على كل من يستطيع القراءة مراجعتها والمطابقة عليها ، ولذلك قلّ ، إن لم يكن انعدم ، التّغيير – بأى شكل – فى كتابة القرآن ، على مدى الزمن ، وأمكن – فى غير صعوبة – درء أى خطأ أو ابتداع كتابى يظهر . أما الابتداع الصوتى ، فقد يصعب على الكثيرين – ولو كانوا على حظّ من المعرفة – أن يستكشفوه . ومصداق ذلك أنه لم يتمكن حتى أعداء القرآن من النجاح فى أىٍّ ابتداع يمسّ حرفاً واحداً فى نصوص القرآن المكتوبة والمجمع عليها ، بينما وقع – فى القراءة – حتى من بعض المسلمين ، من جراء الجهل أو التساهل ، ابتداع ما ليس فى قوانين الأداء القرآنى . وفوق أن الخطأ فى الأداء الصوتى أكثر ، فإنّ المجادلة فيه أيسر .

٤

وكان من أدعى الأمور إلى تفكيرى فى جمع القرآن صوتيًّا أن من العلماء من لم يقولوا بتواتر طرق القراءات . ومنهم من يخرج من التواتر المدّ والتسهيل وما شابههما ، مما يرون أنه لم يوقف على كيفيته بالسمع :

---

(١) من أمثلة الوقف القبيح : الوقف على ما يتعلق به ما بعده لفظا ومعنى ، ولم يُفِدْ ، أو أفاد معنى غير مقصود ، كالوقف على لفظ (بسم) من (بسم الله) و (الحمد) من (الحمد لله) . وكالوقف على (لاَ تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ) .

(انظر : الحداد : محمد بن على بن خلف الحسينى : فتح المجيد فى علم التجويد ص ١٥) .

(٢) من الأمثلة : الوقف على « لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوا » ، ثم الابتداء عمداً بـ « إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ » ، والوقف عمداً أيضاً على نحو : « ما مِنْ إِلَٰهٍ » .

(انظر : أبو منصور الماتريدى : بيان أوقاف الكفر – الورقتان ٢٤ و ٢٥ – المخطوطة رقم ٧ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القوميّة بالقاهرة) .

(ا) يقول ابن الحاجب[١] فى كتابه « مختصر الأصول » : « القراءات السبع متواترة فيما ليس من قِبَل الأداء ، كالمدّ ، والإمالة وتخفيف الهمزة ، ونحوه ، أى فإنه غير متواتر »[٢].

(ب) وورد فى « لطائف الإشارات » للقُسْطلاّنى :

« إن هذه الهيئات غير متواترة ، عند ابن الحاجب وأبى حنيفة ، كما صرّح به آخرون من غير أئمة التحقيق »[٣]

(حـ) وقيل إن أحمد بن حنبل قال عن قراءة حمزة : « لا تعجبنى لما فيها من طول المدّ وغيره » ، فإن صحّت هذه الرواية فإنها تعنى أن أحمد بن حنبل لم يكن يرى المدّ متواتراً [٤] .

(د) ويرى ابن خلدون ذلك الرأى أيضاً ، حيث يقول فى مقدّمته ، فى فصل (بحث علوم القرآن) : « وهذه القراءات السبع معروفة فى كتبها . . وقد خالف بعضُ الناس فى تواتر طرقها ، لأنّها — عندهم — كيفيات للأداء ، وهو غير منضبط ، وليس ذلك بقادح فى تـواتر القرآن ، وأَباه الأكثر ، وقالوا بتواترها . وقال آخرون بتواتر غير الأداء منها ، كالمدّ ، والتسهيل ، لعدم الوقوف على كيفيته بالسمع ، وهو الصحيح » [٥].

(هـ) ويقول الكاتب المعاصر مصطفى صادق الرافعى إن عدم تواتر ما هو من قبيل المدِّ والإمالة ونحوها هو « الوجه المُتَقَبّل » [٦] .

وقد رد العلماء منذ قديم على هذا الرأى :

١ — روى الطبرانى وغيره عن مسعود بن زيد الكندى ، قال : كان عبد الله بن مسعود يقرئ رجلا ، فقرأ الآية : « إِنَّمَا الصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَـٰكِينِ وَالْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا »[٧] مرسلةً — أى من غير مدّ — فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

فقال : كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟

---

(١) من علماء الأصول ، ولد فى إسنا من الصعيد سنة ٥٧٠ هـ ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٦ هـ ، وانظر : السيوطى : بغية الوعاة ص ٣٢٣ .

(٢) انظر : القاسمى : محاسن التأويل حـ ١ ص ٣٠٦ .

(٣) المخطوطة رقم ٦٠٦ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة — الورقتان ١٤ و ١٥ .

(٤) الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣١٩ و ٣٢٠ .

(٥) مقدمة ابن خلدون (بتحقيق على عبد الواحد وافى) حـ ٣ ص ٩٩٤ .

(٦) إعجاز القرآن ص ٥٨ .

(٧) سورة التوبة / ٦٠ .

قال : أقرأنيها : « إِنَّمَا الصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَاءِ » فمدّ « الْفُقَرَاءِ » [١] .

ومما وُصفتْ به قراءة النبي (ص) أنها كانت ترتيلا لا هذًّا ولا عجلةً ، بل قراءة مفسّرة حرفاً حرفاً ، وكان يقطّع قراءته آيةً آيةً ، وكان يمدّ عند حروف المدّ ، فيمدّ « الرَّحْمَـٰنَ » ويمدّ « الرَّحِيم [٢] .

وهكذا ثبت أن النبي صلّى الم عليه وسلم لقّن الصّحابة كيفية المدّ ، وهؤلاء – طبعاً – لقنوها الأمة .

٢ – ويرى الزركشى أنّ رأى ابن الحاجب ضعيف ، ويقول :

والحق أن المدّ والإمالة لا شك فى تواتر المشترك بينهما ، وهو المدّ من حيث هو مدّ ، والإمالة من حيث إنها إمالة ، ولكن اختلف القراء فى تقدير المدّ ، فمنهم من رآه طويلا ، ومنهم من رآه قصيراً ، ومنهم من بالغ فى القصر ، ومنهم من تزايد :

فحمزة وورش : بمقدار ست ألفات ؛ وقيل : خمس ؛ وقيل : أربع .

وعن عاصم : ثلاث

وعن الكسائى : ألفان ونصف .

وقالون : ألفان .

والسّوسى : ألف ونصف [٣] .

٣ – وقد ناقش ابن الجزرى دعوى ابن الحاجب مناقشة تفصيلية انتهى منها – فى شأن تواتر المدّ – إلى ما خلاصته :

(ا) أن المد الطبيعى – كالألف فى (قال) ، والواو من (يقول) ، والياء من (قيل) – لا يقول مسلم بعدم تواتره ، إذ لا يمكن القراءة بدونه .

(ب) وأن المّد العَرَضى ، وهو الذى يعرض زيادة على الطبيعى لموجب إما سكون أو

---

(١) قال الهيثمى : رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ ٧ ص ٥٥) .

(٢) رواه البخارى عن أنس :

وانظر : البغوى الفراء ؛ مصابيح السنّة جـ ١ ص ١٠٦ .

وابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤ .

وابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ٢٠٨ .

وابن كثير الدمشقى : فضائل القرآن ص ١٦٢ و ١٦٣ .

وابن الأثير الجزرى (أبو السعادات) : جامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم جـ ٣ ص ١٧ و١٨ .

(٣) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣١٩ و ٣٢٠ .

همز ، فيلحق بالطبيعي ، ولا يجوز فيه القصر ، وأنه – من حيث هو متواتر – مقطوعٌ به ، وقرأ به النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأنزله الله تعالى عليه .

(حـ) وأن القدر المشترك من المدّ متواتر ، وما زاد فهو صحيح مستفيض متلّقى بالقبول ، إن لم يكن متواتراً (١) .

٤ – ويورد ابن الجزرى – فى شأن الإمالة والتفخيم – أقوال علماء القرآن ، ويقرّر معهم : « أن القرآن نزل بهما جميعاً ، وأن من قال إن الله تعالى لم يُنزل القرآن بالإمالة أخطأ ، وأَعْظَم الفِرْيةَ على الله تعالى ، وظنّ بالصحابة خلاف ما هم عليه من الورع والتقوى »(٢)

وكذلك يرى « أنّ تخفيف الهمزة ونحوه من النّقل ، والإدغام ، وترقيق الراءات ، وتفخيم اللامات ، متواتر قطعاً ، ومعلوم أنه منزل من الأحرف السبعة ، ومن لغات العرب الذين لا يحسنون غيره »(٣) .

وهو يتساءل : « كيف يكون ما أجمع عليه القراء أُمماً عن أُمَمٍ غير متواتر ؟ وإذا كان المدّ ، وتخفيف الهمزة ، والإدغام غير متواتر على الإطلاق فما الذى يكون متواتراً ؟(٤) » .

٥ – ويقول ابن الجزرى ما خلاصته أيضاً : إنه لا يعلم أحداً تقدّم ابن الحاجب إلى ذلك ، وإن أئمة الأصول ، كالقاضى أبى بكر ، وغيره ، قد نصُّوا على تواتر ذلك كلّه ، وهو الصّواب ، لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه ، بل كان هذا من باب أَوْلى ، لأن اللفظ لا يقوم إلاّ به ، أولا يصحّ إلا بوجوده(٥) .

٦ – وهنديّة « الدمامينى » تنفى أن يكون نقل القراء لطرق الأداء أقلّ من نقل ناقلى العربية ، والأشعار ، والأقوال ؛ ثم يقول : « فكيف يطعن فيماَّ نقله القراء الثقات بأنه لم يجئ مثله ؟ ولو نقل ناقلون عن مجهول الحال لقبلوه ، فقبول هذا أَوْلى »(٦) .

٧ – ويوسف الدجوىّ يقول – فى هذا الشأن – إنه جاء عن الذين جمعوا القرآن « أنهم كانوا يرسلون إلى الرجل ، وهو على ثلاث من المدينة ، فيقولون له : كيف أقرأك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم آية كذا ؟ (وقد تركوا لها مكاناً) ، فأنت تراهم قد جاءوا به وهو على ثلاث من

---

(١) انظر : ابن الجزرى : منجد المقرئين ص ٥٧ وما بعدها .

(٢) نفس المرجع

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

(٥) انظر : النشر حـ ١ ص ٣٠ ، والسيوطى : الإتقان حـ ١ ص ٨٠

(٦) انظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية حـ ١ ص ٥٤

المدينة ، ليسألوه عن الكيفية التى أقرأه بها الرسول » . ثم يقول الدجوى مستنبطاً : « فإذاً ، لا بدّ أن تكون الكيفية مأخوذة عن الرسول كما أنّ الأصل مأخوذ عن الرسول »[١]

* * *

وليس الذى يتصل بموضوعنا من سرد الرّدود التى اعتُرض بها على رأى ابن الحاجب والذاهبين مذهبه مجرّد دُحض هذا الرأى ، ولكن الذى يتصل بموضوعنا من ذلك هو أن الوقوف على كيفية الأداء بالسّمع أمرٌ تطلّع إليه السّابقون ، وبَنَوْا على الشكّ فى استيفائه أحكاماً لها خطورتها .

ونظن أن لو تقدم الزمن بمشروع الجمع الصوتى للقرآن لما تشكّك المتشككون فى تواتر ما هو من قبيل الأداء .

* * *

على أن التواتر المشروط فى تلقّى القرآن يقتضى بالضرورة – عدداً من الرواة يصعب تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه[٢]. والقراءات المخالفة لقراءة حفص قلّ عدد العارفين ببعضها فى مصر نفسها فضلا عن البلاد الأخرى . والظنّ أن تسجيل كلّ القراءات المتواترة ونشرها وتمكين المسلمين فى كل بلد من تعلّمها يكفل – ضمن ما يكفل – بقاء التواتر بشكله الشرعى الواجب . وقد كان هذا بالفعل حافزاً خطير الشأن من حوافز دعوتنا إلى الجمع الصوتى للقرآن .

وصحيح أن الله تعالى تكفّل بحفظ القرآن إذ يقول : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ »[٣] ، ولكنّ هذا – بداهةً – لا يتعارض مع التفكير فى المحافظة على هذا الكتاب ، ولا يعنى استغناء المسلمين عن هذا التفكير ، وقد خاف عمر بن الخطاب من ضياع بعض القرآن ، وكان خوفه هو سبب تفكيره فى الجمع الكتابى الأول . وقد قيل إنه ربما كان مما خاف عمر « أنْ ينقطع تواتر القرآن فى بعض الأوقات أو فى الأطراف »[٤] .

وكذلك خاف ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ، وشيخ القراء فى عصره ، والذى حَمَل المسلمين ، فى كل الدنيا ، على القراءات السّبع التى اختارها لهم . . . خاف على القرآن من قراء :

---

(١) الجواب المنيف ص ٣٢ .

(٢) السيوطى : الإتقان حـ١ ص ٧٧ .

(٣) سورة الحجر / ٩ .

(٤) شرح العقيلة – الورقة ١٤ المخطوطة ٣٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

« منهم من يؤدّى ما سمعه ممن أخذ عنه ، ليس عنده إلاّ الأداء لما تعلّم ، لا يعرف الإعراب ولا غيره ، فذلك الحافظ ، فلا يلبث مثله أن ينسى إذا طال عهده ، فيضيّع الإعراب لشدّة تشابهه ، وكثرة فتحه وضمّه وكسره فى الآية الواحدة ، لأنه لا يعتمد على علم بالعربيّة ، ولا به بصر بالمعانى يرجع إليه ، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه .

وقد ينسى الحافظ ، فيضيع السّماع ، وتشتبه عليه الحروف ، فيقرأ بلحن لا يعرفه ، وتدعوه الشّبهة إلى أن يرويه عن غيره ، ويبرئ نفسه ، وعسى أن يكون – عند الناس – مصدَّقا ، فيُحْمَل ذلك عنه ، وقد نسيه ، ووَهِمَ فيه ، وجَسَر على لزومه والإصرار عليه .

أو يكون قد قرأ على من نسى وضيّع الإعراب ، ودخلتْه الشّبهة ، فيتوهم ، فذلك لا يقلَّد القراءة ، ولا يحتجّ بنقله .

ومنهم من يُعرب قراءته ، ويبصر المعانى ، ويعرف اللغات ، ولا علم له بالقراءات واختلاف الناس والآثار ، فربمّا دعاه بصره بالإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز فى العربية لم يقرأ به أحد من الماضين ، فيكون ذلك مبتدعاً ، وقد رُوِيت ، فى كراهة ذلك وحظْره – أحاديث . .[١]»

ولعلَّ فى خوف عمر ، وخوف ابن مجاهد ملحظا يتنبه له من قد يصدفون عن فكرة الجمع الصوتى ، أو من قد يقلّلون من قدرها وأهميّتها .

ولعلَّ المصاحفَ المرتلة التى يسّجلها هذا الجمع الأدق الأضبط أن تكون البديل الأمثل للحافظ المتقن الذى تتحرّاه دنيا الإسلام ، والذى أثنى عليه ابن مجاهد ، ووصفه بأنه « المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات ، العارف باللغات ومعانى الكلام ، البصير بعيب القراءات ، المنتقد للآثار ، فذلك الإمام الذى يفزع إليه حفّاظ القرآن ، فى كل مصر من أمصار المسلمين »[٢].

٥

وقد يقال إن فرصة التسجيل الصوتى القرآنى المطابق لقراءة الصحابة المتلقّين عن النبى صلى الله عليه وسلم قد فاتت ، لأنه مضى على عصرهم نحو ثلاثة عشر قرناً ، ومن ثم لم يعد الإسناد عالياً .

---

(١) ابن مجاهد : كتاب السبعة فى القراءات ص ٤٥ و ٤٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٥ .

والردّ على هذا :

١ – أن القرآن بالإجماع – هو الآن – بألفاظه وكيفية أدائه – القرآن الذى أنزله الله على رسوله ، والذى قرأه الرسولُ ، وصحبهُ ، والتَّابعون ، ولن تُضْعف من هذا الإجماع الدعاوى القليلة التى سنشير إليها فى فصل آخر ، والتى لا تستطيع الثبات أمام التحقيق العلمى ، والتى فُنِّدتْ منذ قديم . وكذلك مُحِّصَتْ تماماً – منذ وفاة الرسول – الخلافات اليسيرة التى قيل إنها وقعت فى المصاحف الخاصة لبعض الصحابة ، على نحو ما سنشير إليه فى مواضع أخرى من هذا البحث ، وقُضِىَ نهائيًّا أمرها جميعاً ، وظلّت نصوص القرآن المتواترة فى كل مكان باقية على القرون ، من غير أية زيادة أو أى نقص ، وصار من خصائص أمّة القرآن أن يفطن – حتى الكثيرون من عامّتها وصغار السّنّ فيها – إلى أىّ خطأ أو سهو يقع فى تلاوته أو كتابته .

وقد عُنِى التابعون وتابعوهم – ماوَسِعتْهم العناية – بصون الألسنة عن الخطأ فى النطق ، بأىّ حرف من حروف القرآن ، ومنع أى لبس أو اشتباه فى القرآن ، فأضافوا إلى النصّ المكتوبِ النقطَ والتشكيلَ والضوابطَ والمحسِّنات الخطيةَ .

ومن أوائل هؤلاء : أبو الأسود الدؤلى [١] الذى تقول إحدى الروايات إن زياداً أمير العراق طلب إليه أن يضع للناس علامات تضبط قراءتهم ، فَشَكَّل أواخر الكلمات ، وجَعَلَ الفتحةَ نقطةً فوق الحرف ، والكسرةَ نقطةً تحته ، والضمةَ نقطة إلى جانبه ، وجعل علامة الحرف المنّون نقطتين [٢] .

وتقول رواية أخرى إنّ على بن أبى طالب سمع قارئاً يقرأ : « أَنَّ اللَّهَ بَرِىءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » [٣] بكسر اللام فى « رسول » وهو كفر ، فتقدّم إلى أبى الأسود « حتى وضع للناس أصلاً ، ومثالا ، وباباً ، وقياساً ، بعد أن فتق له حاشيته ، ومهد له مهاده ، وضرب له قواعده » [٤]

---

(١) انظر ترجمته فى : القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ١٦١ .

وطاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم حـ ١ ص ١٤٨ وما بعدها .

(٢) انظر : أبو عمرو الدانى : النقط – مخطوطة بمكتبة بلدية المنصورة رقم ٢٧ ص ٢ و ٣ ، وابن الأنبارى : نزهة الألبا فى طبقات الأدبا ص ١٠ ، ١١ ، وعز الدين بن عبد السلام : فائدة من أمالى عز الدين بن عبد السلام ص ٦٧ و ٦٨ .

(٣) سورة التوبة / ٣ .

(٤) أبو حيان التوحيدى : البصائر والذخائر مجلد ١ ص ٢١٦ وانظر : ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١٤ ص ٤٢ (ط . أحمد فريد رفاعى) والبلوى : ألف با جـ ١ ص ٦ والعسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٣ .

وقيل فى رواية ثالثة إنما وضع أبو الأسود الدؤلى النحوَ حين سمع رجلا يقرأ : « أَنَّ اللَّهَ بَرِىٓءٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » (١) بالجرّ ، فقال : لا يسعنى إلا أن أضع شيئاً أصلح به لحن هذا ، أو كلاماً هذا معناه (٢).

وكذلك كان من أوائل أولئك : نصر بن عاصم الذى أمره الحجاج بنقط الحروف (٣). ومن أوائلهم أيضاً : الخليل بن أحمد الذى شكل الكلمات : فجعل الفتحة ألفاً مسطوحة فوق الحرف ، والكسرة ياءً تحته ، والضمة واواً فى أعلاه ، وجعل علامات للمدّ والتشديد (٤).

وتعدّدت الكتب المؤلفة فى النقط والشّكل للقرآن . وقد ذكر ابنُ النديم من هذه الكتب

= والبلوى : ألف با ج ١ ص ٤٦ والعسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٣ .

(١) سورة التوبة / ٣

(٢) البلوى : ألف با ج ١ القسم الثانى ص ٢١٠ وما بعدها

ويقول جورجى زيدان ، عن فعل أبى الأسود الدؤلى فى ضبط حركات الألفاظ القرآنية :

« والأرجح : أنه اقتبس ذلك من الكلدان أو السّريان جيرانه فى العراق » (التمدن الإسلامى » ج ٣ ص ٦٠)

ويقول مرة أخرى ، نقلا عمّن يُدعى المطران يوسف داود (المتوفى سنة ١٨٩٠ م) . فى كتاب له اسمه : (اللمعة الشّهيّة فى نحو اللغة السّريانية ط . الموصل سنة ١٨٧٩ م) :

« إنّ هؤلاء – يريد السّريان – كان عندهم أيضاً فقط هى حركات وضعها يعقوب الرُّهاوى ، قُبَيْل ذلك الزّمن . . . ، والظاهر : أنّ أبا الأسود اقتبس هذه الحركات . . . إلخ » (نفس المرجع)

وواضح أنّ هذا يضادّ كلّ الروايات الإسلامية ، وفيه محاولة متعصبة لتجريد أبى الأسود من فضل ابتكاره التّاريخىّ .

وكما رأينا ، لم يعتضد زيدان فى دعواه إلا بمرجع خفيف جداً فى ميزان العلم . ولعل استعمال زيدان لكلمتى : (الأرجح) و(الظاهر) أنْ يفيد بعض التشكك فى دعواه .

وربّما كان أبْين فى تهافت دعوى زيدان وتضارب أدلّتها ، أنه هو نفسه – بعد حديثه عن استعمال النقط فى تحديد حركات الألفاظ القرآنية – ما لبث أن نَفَىَ وجود النقط فى السريانية ، فقال ، وهو يتحدّث عن الإعجام : « كان الخَط – لما اقتبسه العرب من السّريان والأنباط – خالياً من النقط ، ولا تزال الخطوط السريانية بلا نقط إلى اليوم » (نفس المرجع ص ٦١) . وهذا – كما نرى – نفى مطلق حاسم .

وكما يقول أحمد السّكندرى : « دعوى أنّ العربية أخذت من أخواتها ، لا أنّ أخواتها هى التى أخذت منها تحكّم ومجازفة ، بل المعقول أنها جميعاً أخذت من أمها السّاميّة المجهولة ، على أنّ هناك فريقاً من العلماء يستظهر أنّ العربية هى أمّ اللغات السّامية القديمة » (بحث بعنوان : التعريب – مجلة الزهراء التى كان يصدرها محبّ الدين الخطيب ع . ربيع الأول ١٣٤٣ هـ)

وعندنا : أنه حتى لو صحّت دعوى اقتباس أبى الأسود من الكلدان أو السّريان ما نقص ذلك من فضل أبى الأسود شيئاً .

(٣) أبو عمرو الدانى : النقط ص ٣ – المخطوطة السالفة الذكر .

(٤) لمرجع السابق

وانظر ايضاً : عبد الله بن محمد بن عثمان الشهير بفوزى المغربى : القرائد الجليلة والفوائد الجميلة ، منظومة مخطوطة رقم ٢٢٧٣٠ ب بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ص ٧ و ٨ .

واحداً فى النقط لكلٍّ من الخليل ، ومحمد بن عيسى ، واليزيدى ، وواحداً فى النقط والشكل لكلٍّ من ابن الأنبارى والدينورى ، وكتاباً فى النقط والشكل بجداول ودارات لأبى حاتم السجستانى[١] .

ولمْ يكن هذا غريباً ، فاللّحن عندهم هو – لغةً – العدول عن طريق الصواب . يقول أبو سعيد السّيرافى : « ما عرفت حقيقة معنى النحو إلا من معنى اللحن الذى هو ضدّه ، فإن اللحن عدول عن طريق الصواب ، والنحو قصْدٌ إلى الصواب[٢] »

وهم يستقبحون اللحن ويتحرزون منه :

كان مسلمة بن عبد الملك يقول : اللحن فى الكلام أقبح من الجدرى فى الوجه[٣] .

وعبد الملك كان يقول : اللحن فى الكلام أقبح من التفتيق فى الثوب النفيس[٤] .

وقال كشاجم فى كتاب « النديم » : واللحن عندهم (يعنى عند العرب) يجوّر الجمال (أى يقوضه) ، كما أن الفصاحة تُعَفِّى على القبح[٥] .

بل إنّ من المسلمين مَنْ عَدُّوا اللحن فى أية قراءة عربية – ولو فى غير القرآن – ذنباً :

عثر مرة لسان الحسن البصريّ بشىء من اللحن ، فتراجع ، وقال : أستغفر الله !

فسأله من سمع ذلك منه عن سبب الاستغفار ، فقال : من أخطأ فى العربية فقد كذب على العرب ، ومن كذب فقد عمل سوءاً ؛ وقد قال الله عزّ وجلّ : « وَمَنْ يَعْمَلْ سوءًا أَوْ يظْلِمْ نَفْسَه ثمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غفوراً رّحيماً » [٦]

وسمع الخليل بن أحمد أيوبَ السختيانى يحدّث بحديث ، فلحن فيه ، فقال : أستغفر الله ! (يعنى أنّه عدّ اللحنَ ذنباً)

وحتى فى زمننا الحاضر ، تلا الشاعر حافظ إبرهيم شعراً فى مجلس الشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى . فلحن فى حركة العين من أحد الأفعال ، فغضب الشيخ الشنقيطى ، وقال له : كذبت[٧] .

---

(١) الفهرست ص ٣٥ (ط . خياط بيروت) .

(٢) انظر : هامش البيان والتبيين للجاحظ (بتحقيق حسن السندوبى) جـ ١ ص ١٦٠ .

(٣) انظر : ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ ٢ ص ١٥٨ .

(٤) نفس المرجع .

(٥) أبو حيان التوحيدى : البصائر والذخائر المجلد ١ ص ٤١١ .

(٦) سورة النساء / ١١٠ .

(٧) روى هذا المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف ، (وانظر : مجلة الأزهر . المجلد الـ ٢٤ ص ٨٤٢) .

ولا ريب أنهم استهولوا اللحن فى القرآن ، وعدّوه أشدّ بشاعة مما هو فى أى كلام ، فهو قد يغير المعنى تغييراً ينفر منه القرآن نفسه ، فمثلا لو قرأ رجل عامداً الآية : « هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ »[1] بفتح الواو فى المصوِّر لَكَفَر . وقد تقدمت الإشارة إلى مثل هذا اللحن الخطر .

والمأمون يقول لبعض ولده ، حين سمع منه لحناً :

« ما على أحدكم أن يتعلم العربية ، فيقيم بها أوده ، ويزين بها مشهده ، ويفلّ حجج خصمه : يمس كتاب حكمه ، ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه . . . إلخ [2] .

وفى الحديث المرفوع : رحم الله عبداًأصلح لسانه[3] .

وقيل للحسن : إنّ لنا إماماً يلحن .

قال : أخروه[4]

ومن الهزل القبيح الذى نرجو أن يدفعنا إلى الجدّ الصريح فى أمر القرآن : ما رواه الجاحظ من أن ابن ضحيان الأزدى كان من اللحانين الأشراف ، وكان يقرأ : « قُلْ يَاأَيُّهَا (الكافرين)[5] فقيل له فى ذلك ، فقال : قد عرفتُ القراءة فى ذلك ، ولكنى لا أجلّ أمر الكفرة[6] !

وهنا نذكر أن تغيير ألفاظ القرآن عمداً هو – بإجماع العلماء – كفر .

* * *

ولدرء اللحن فى القرآن ، نَشَأَتْ له ، منذ قديم ، علوم خاصة غايتها أن تكفل إحكام قراءته . وقد غدا لهذه القراءة فن تخصصت فيه طبقات متعاقبة من العلماء بَرَزَ منهم أئمه لهم شهرتهم .

وكان الحكام يكتبون المصاحف ، على نَسَق مصحف عثمان ، ويهدونها إلى المساجد ، ويبعثون بها إلى الأمصار ، لتكون مرجعاً للناس يسترشدونه فى تصحيح ما لديهم من مصاحف .

ومن أمثلة الأدلة القوية على عناية المسلمين البالغة بضبط المصحف أنّ والى مصر :

---

(١) سورة الحشر/ ٢٤ .

(٢) انظر : الحصرى القيروانى : زهر الآداب ج ٢ ص ٧١٩ .
والبيهق : المحاسن والمساوىء ص ٤٥٣ .

(٣) انظر : البيهق : نفس المرجع .

(٤) أنظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢٣

(٥) سورة الكافرون / ١ ، واللفظ فى المصحف : « الْكَٰفِرُونَ » .

(٦) يعنى بالرفع ، فهو يرى الرفع إجلالاً لهم ، فيعدل عنه إلى الخفض .
وانظر : الجاحظ : البيان والتبيين (بتحقيق وشرح حسن السندوبى) ج ٣ ص ٣٢٠ .

عبد العزيز بن مروان أمر فكتبوا له مصحفا ، فأعلن – بعد الفراغ من كتابته – أنّ من وجد فيه حرفاً خطأ فله رأس أحمر (أى جمل أحمر) ، وثلاثون ديناراً ، فوجد فيه أحدُ قراء الكوفة لفظة « نجعة » ، بدل « نعجة » ، فأخذ الجائزة[1] .

وقد كُتِبَتْ خلال أربعة عشر قرناً مصاحف لاعدّ لها ، وقد سَلِمَتْ كلّها من التغيير والتبديل . والقليل من التحريف أو التصحيف الذى وقع فى بعض المصاحف لم يستطع الحياة قَطّ ، هذا مع كثرة أعداء القرآن والمتربّصين به .

٢ – ومع أنّ الردّ آنفا كافٍ جداً لإثبات أنّ فرصة الجمع الصوتىّ للقرآن لم تفُتْ ، ولن تفوت ، ما دام القرآن بألفاظه ، وكيفية أدائه ثابت التواتر ، من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى قيام السّاعة ، فإننا نضيف أنه يمكن أن نستنبط أن الإسناد القرآنى لا يزال عالياً ، فقياساً على المتبع ، بالنسبة للحديث النبوى عند أهله ، يمكننا تقسيم الإسناد القرآنى إلى أقسام منها :

(ا)القرب – من حيث العدد – من رسول الله ، وهو صلوات الله عليه المنزل عليه القرآن. على أن يكون هذا القرب بإسناد « نظيف غير ضعيف » كما يعبّر السيوطى[2] . ونعتقد أن ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن تفصل بيننا وبين الرسول ليست زمنا متمادياً يجعل قراءات القرآن ورواياته محفوفة بأىّ شك .

وزمننا – على أية حال – أقرب إلى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من الأزمنة القادمة . وإذا كانت البشرية لم تهتد إلى التسجيل الصوتىّ إلاّ متأخّراً ؛ وإذا كان المسلمون – حتى بعد هذا الاهتداء – لم يفكرّوا فى الجمع الصوتى ، وظلّوا على عدم تفكيرهم فيه قرابة قرن ، فإن الأمر يستلزم ستدراك ما فات ، دون إبطاء جديد .

والقرآن هو آخر الكتب المنزّلة ، وقد جاء مهيمناً على هذه الكتب ، وناسخاً لبعض أحكامها ، ولن يخضع لهيمنة أىّ كتاب ، فعلى المسلمين – حين يجمعونه صوتياً – أن يذكروا أنهم يعملون لمستقبل مديدٍ موصول بيوم القيامة .

(ب) ومن أقسام الإسناد القرآنى التى يمكن التقسيم إليها : القرب من إمام من أئمة القراءات ، وهؤلاء زمنهم أدنى إلينا من زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، فالإسناد الصحيح إليهم له قيمته ، ولا يصحّ إهداره . وقد كان أعلى إسناد للقرآن – على عهد السيوطى –

---

(١) المقريزى : الخطط والآثار جـ ٢ ص ٢٥٤ (٢) الإتقان جـ ١ ص ٧٣

أى منذ أقل من خمسمائة سنة ، إسناداً رجاله أربعة عشر بالنسبة لقراءة ابن عامر ، ومن رواية ابن ذكوان ، ثم خمسة عشر رجلا ، بالنسبة لقراءة عاصم من رواية حفص ، وقراءة يعقوب من رواية رويس[١] .

وفى رأينا : أنّ خمسة قرون أو ما دونَها تفصل بيننا وبين أسانيد محكوم بعلوّها هى فترة لا تفقدنا أسباب الإتقان والدّقة .

(ح) ومن أقسام الإسناد القرآنى : القرب إلى بعض الكتب المشهورة فى القراءة ، كالتيسير ، والشاطبية ، ونحن قريبو العهد بهذه الكتب الموثوق بصحتها فإذا جمعنا القرآن صوتيًّا على أساسها أيضاً فلن يكون جمعنا متأخراً ، ولن تعوزه أمانة النقل ولا كمال الضبط .

* * *

هذا ، والثقة فيما ينقل من القرآن والقراءات تتْبعُ – فى الدرجة الأولى – قوة السند لا مجرّد علّوه .

وقد رأينا آنفا أنه – فى إسناد القرآن – يجتمع الاثنان : العلو والقوة ، وهذا – لا ريب – أقوى وأقوم .

---

(١) نفس المرجع

الفصل الثانى

المحافظة على القراءات المتواترة والمشهورة

١

نزل القرآن بلسان عربى ؛ وهذا اللِّسان – ككلّ الألسنة – انشعبت منه ، منذ قديم ، لهجات متعددة متباينة فى بعض مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات . وقد دعت إلى هذا التباين أسباب لعلّ من أهمها أنّ أعضاء النطق تختلف فى بِنْيَتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لتنوع الخواصّ الطبيعية المزودّ بها كلّ شعب ، والتى تنتقل – عن طريق الوراثة – من السَّلَف إلى الخَلَف[١] .

وبالضرورة ، وإزاء هذه الأسباب القوية ، ليس يسهل على كلّ أحد أن يستبدل لهجة جديدة بلهجة جرى عليها لسانه طفلا وناشئاً وكهلا . وحتى – بعد طول المحاولة والمعالجة – قد يظل الأمر عسيراً على شيخ يأبى لسانه تغيير ما أَلِف السنين ، وامرأة ليس لها غالباً على ما تعوَّدَتْه من طرائق الكلام سلطان . روى الترمذى – فى موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف – أن النبى قال : يا جبريل ! إنّى بُعِثْتُ إلى أمّةٍ أمّيّين ، منهم : العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط[٢] .

وقد باعد أيضاً بين القبائل العربية وبين وحدة لغتهم آنذاك ما كانوا عليه « من شدّة الأنفة وعظم الحميّة ومزيد الجهالة »[٣] .

وقد كان بين القبائل العربية اختلاف فى نبرات الأصوات وطريقة الأداء ، فكان فيهم مَنْ يُدْغِم ومن يُظْهِر ، ومن يُخْفِى ومن يُبِين ، ومن يُميل ومن يَفْتح ، ومن يُفَخِّم ومَنْ يُرقِّق ،

---

(١) انظر فى موضوع اختلاف اللهجات : على عبد الواحد وافى : علم اللغة ص ٢٦٧ .

(٢) انظر : صحيح الترمذى بشرح أبى بكر بن العربى المالكى حـ ١١ ص ٦٣ وما بعدها – كتاب القراءات وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ ٩ ص ٢٠ (ط . البهية) .

(٣) يوسف الدجوى : الجواب المنيف ص ٢٦ .

ومن يمُدّ ومَنْ يَقْصِر ، إلى آخر كيفيات النطق المختلفة .

فتلقاء هذه الفروق التى يصعب على الناس التخلص منها ، وتوسيعاً لطريق الدين الذى نزل به القرآن فى وجه من يريد الدخول فيه ، ولأنّ هذا الدين يُسْرٌ دائماً ، أمر الله نبّيه أن يقرئ كلَّ قبيلة بلغتها وما جرت عليه عادتها ، فعلى سبيل المثال (١) :

يقرأ الأسدى : « يعلمون » ، و « تعلم » ، و « تسودّ وجوه » ، و « ألم أعهد إليكم » بكسر حرف المضارعة .

والتميمى يهمز ، والقرشى لا يهمز .

ويقرأ أحدهم : « عليهم » و « فيهم » بضم الهاء لا بكسرها .

وهذا يقرأ : « قد أفلح » و « قل أوحى » بالنقل .

وآخر يقرأ : « موسى » ، و « عيسى » ، و (دنيا » بالإمالة .

وغيره يلطّف .

وهذا يقرأ : « خبيرا » و « بصيرا » بترقيق الراء .

والآخر يقرأ : « الصَّلَوٰة » و « الطلاق » بالتفخيم .

إلى غير ذلك .

هذا إلى ما هو معروف من الاختلاف الطبيعى بين القبائل فى شهرة بعض الألفاظ فى بعض المدلولات . وإلى ما هو معروف أيضا — عند علماء القراءات — من أن القرآن نفسه اختلفت بعض ألفاظه ، فى الحروف أو كيفيتها ، من حيث الغيبة والخطاب ، والتذكير والتأنيث ، والجمع والإفراد ، والتخفيف والتشديد ، والتحقيق والتسهيل ، وغير ذلك مما هو مقرَّر ومحدّد منذ عهد النبوة . ومما لم تختره القبائل من عند أنفسها ، وإنما تلقّته من نفس النبىّ صلى الله عليه وسلم .

ونظنّ أن لا خفاء فى أن إقراء النبى — عليه الصلاة والسلام — كلَّ قبيلة بلغتها ، وما جَرَتْ عليه عادتها . هو — لكلّ الاعتبارات الطَّبَعِيّةِ والقوية الآنفة — أمر سائغ جدًّا فى العقول ، بل هو ضرورة لا محيص عنها .

---

(١) انظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٢٢ و ٢٣ ؛ ويوسف الدجوى : الجواب المنيف ص ٢٧ .

ونذكر هنا أن التخفيف بذلك كان بعد الهجرة حين كثر دخول العرب فى الإسلام ، وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ ٩ ص ٢٣

(٢) أنظر فى موضوع لغات القبائل : القاسم بن سلام : رسالة جليلة تتضمن ما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل ؛ وابن عباس : كتاب اللغات فى القرآن .

٢

ولكنّ هنا سؤالا يصحّ أن يُسأل :

إذا قرئت آية بقراءتين ، فهل قال الله بهما ؟

وردت فى ذلك آراء أوردها الزركشى فى كتابه « البرهان » :

(**الأول**) أن الله تعالى قال بهما جميعاً [١] .

(**الثانى**) أن الله تعالى قال بقراءة واحدة ، إلا أنه أذن أن يقرأ بقراءتين [٢] .

(**الثالث**) إذا كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر ، فقد قال بهما جميعاً ، وتصير القراءة بمنزلة آيتين ، مثل قوله : « وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ »[٣] .

(**الرابع**) إذا كان تفسير القراءتين واحداً كالبِيوت والبُيوت [٤] والمحصِنات والمحصَنات [٥] بالنصب والجرّ ، فإنما قال بأحدهما ، وأجاز القراءة بهما ، لكل قبيلة على ما تعوّد لسانهم .

(**الخامس**) فإذا صحّ أنه قال بإحدى القراءتين ، فإنه يكون قد قال بلغة قريش [٦] .

---

(١) الزركشى : البرهان حـ ١ ص ٣٢٦

(٢) نفس المرجع

(٣) سورة البقرة / ٢٢٢

ويقرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم بتسكين الطاء .

وقراءة حمزة ، والكسائى ، وعاصم (فى رواية أبى بكر) . والمفضل : « يطّهرن » بتشديد الطاء (انظر : الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن حـ ٣ ص ٨٨ ، وانظر : ابن الجزرى : النشر حـ ٢ ص ٢٢٧)

ولعلّنا من هنا ندرك أنَّ لتعّدد القراءات فوائد ، منها أنها تجعل التنزيل وكأنّه عدّة كتب لا كتاب واحد ، لا سيما إذا كان – كما يقول الدكتور عبد الحليم النجار رحمه الله – « فى كثير من هذه القراءات إن لم يكن أكثرها ثروة جديدة فى تشريع أو حكمة أو نحو ذلك » (مذاهب التفسير الإسلامى – الترجمة العربية ، حاشية فى ص ٤ و ٥) .

(٤) البيوت – بكسر الباء – قراءة قالون ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبى بكر ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف (الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٢٥٣)

(٥) عن الحسن بالكسر ، والباقون بالفتح (نفس المرجع ص ١٨٨)

(٦) انظر فى كل هذه الآراء : الزركشى : البرهان حـ ١ ص ٣٢٦ و ٣٢٧ .

٣

وقد كثر القول فى موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف « إلى حدٍّ كاد يطمس أنوار الحقيقة ، حتى استعصى فهمه على بعض العلماء ، ولاذ بالفرار منه ، وقال إنه مُشْكِلٌ . . »(١)

والذى عليه الجمهور : هو أن الأحرف السبع لغات ، وقد اختلفوا فى تعيينها ، والأشهر أنها لغات : قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ، واليمن .

وربما حقّ لنا أن نذكر أن الخطأ فى هذا الباب « قد يتخذ منه أعداء الإسلام سبيلاً عِوَجاً إلى توجيه المطاعن الخبيثة إلى القرآن »(٢) . وقد كان من تداول هذا الخطأ ومثله أن كتب فعلا بعض أعداء القرآن كتباً باطلة ومتعصبة أسموها « مباحث القرآن » ، ومنها كتاب اسمه : هل من تحريف فى الكتاب الشريف ؟ كتبه قسّيس إنجليزى اسمه جولد زاك Goldsack . وهو كتاب ترفضه مناهج البحث الصحيحة ، لأن حشوه الأخطاء العقلية والنقلية ، والعداوة البيّنة اللّدد ضدّ الإسلام(٣) .

* * *

ويجب أن نذكر أن القراءات التى يُعْنَى الجمع الصوتى الأول بالمحافظة عليها ليست هى الأحرف والمرادفات التى كانت تقام بعضها مكان بعض قبل العرضة الأخيرة للقرآن ، والتى كانت إقامتها لضرورة ماسّة انتهى وقتها عند هذه العرضة ، فضلاً عن عهد عثمان ، كما ذكرنا فى فصْل الجمع العثمانى(٤) ، وإنما المقصودة بالمحافظة هى القراءات التى يحتملها مصحف عثمان المقتصر على حرف قريش كما قال ناس ، أو المشتمل على باقى الأحرف كما قال آخرون وهذه القراءات – على أية حال – ثابتة كلّها بالنّقل المتواتر عن النبى نفسه (ص) .

* * *

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن ص ١٣٠ و ١٣١ .

(٢) نفس الكتاب

(٣) فى سنة ١٣٣١ هـ – ١٩١٣ م ، أصدر الشيخ يوسف أحمد نصر الدجوىّ من علماء الأزهر آنئذ ، رداً على هذا الكتاب أسماه : الجواب المنيف فى الردّ على مدّعى التحريف فى الكتاب الشريف .

(٤) قال الطحاوى فى الأحرف السبعة : « إنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسّر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد ، لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسير الكتابة » (انظر : القاسمى : محاسن التأويل جـ ١ ص ٢٨٨)

وواضحٌ جداً أن اختلاف القراءات لا يعنى أنّ فيها تنافياً أو تضاداً أو تناقضاً . وإنما هو – بإطلاق – اختلاف تنوّع وتغاير فحسب . وقد وُجِّهت كلّ اختلافات القراءات ، فما ظهر أن قراءة اتخذت سبيلا استَدْبَرَتْه قراءة . أو أنّ قراءة أمرت بما نهت عنه أخرى .

ثم إن هذه القراءات بمنزلةٍ سواء فى الأسلوب والغاية ، فهى كلّها معجزة . وتلك حقيقة لا نستغربها ما دامت كلُّ قراءة قد أُنْزِلت من عند الله ، أو أُذن بها الله – كما أوضحنا قبلا وكما سنوضّح فيما بعد – وما دام القراء – فى اختلافهم – مجرّد ناقلين ، وليسوا كالفقهاء يختلفون لأنهم يجتهدون .

٤

وجُمِعَ القرآنُ جمعَيْه المكتوبين ، وانقضى عصر الصحابة ، فكانت جماعات القراء فى مختلف الجهات يقرءون حسبما تلقّوا من أسلافهم ، وكانت كلّ جماعة تستقرّ على الوجوه التى لُقِّنَتْها لا تكاد تتعدّاها ، فاختلفت قراءات الأخلاف باختلاف قراءات الأسلاف . وتفرق هؤلاء وأولئك فى البلاد ، وكما يقول ابن الجزرى : « قلّ الضبط ، واتّسع الخرق ، وكاد الباطل يلتبس بالحقّ ، فقام جهابذة علماء الأمة ، وصناديد الأئمة ، فبالغوا فى الاجتهاد ، وبيّنوا الحقّ المراد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعَزَوْا الوجوه والروايات ، وميّزوا بين المشهور والشاذ ، والصحيح والفاذِّ ، بأصول أَصّلوها ، وأركان فصّلوها »[١] .

ويبدو أنّ الاقتصار على قراءات الأئمة المشهورين بالفقه ، والأمانة فى النّقل ، وكمال الدين ، كان أمراً ضرورياً أوْجَبَتْه بشاعة ما قيل إنه وقع ، فكما عبّر مكىّ بن أبى طالب : « تمادى بعض الناس على القراءة بما يخالف خطّ المصحف مما ثبت نقله »[٢] ، بل إنه كثر الاختلاف فيما يحتمله رسم المصحف ، وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحلّ تلاوته وفاقاً لِبدعهم ، ومن أمثلة ذلك : ما رُوى من أن بعض المعتزلة قرأ : « وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً »[٣] بنصب الهاء[٤]

وقد كثرت الاختيارات فى القراءة كثرة من مظاهرها التى تخفى على كثير من الناس أن

---

(١) النشر جـ ١ ص ٩ . وانظر : السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٣٧

(٢) الإبانة فى معانى القراءات ص ١٠

(٣) سورة النساء / ١٦٤ .

(٤) انظر : محاسن التأويل جـ ١ ص ٢٩٥ و ٢٩٦ ، نقلا عن الكواشى فى أول تفسيره .

الشافعىّ صاحب المذهب كانت له رواية قرأ بها ابن الجزرى من كتاب « المستنير » ، وحدّثه بها – من هذا الكتاب ، ومن كتاب « الكامل » – غير واحد[١] .

وكان لأحمد بن حنبل صاحبِ المذهب أيضاً اختيار ذكره « الهذلى » فى كتابه « الكامل[٢] » .

وقد نُسِبَتْ إلى أبى حنيفة قراءة جمعها الخزاعى ، ونقلها عنه الهذلىّ وغيره[٣] .

وقد عدّ ابن حجر العسقلانى – وهو يتكلّم عن تعيين الأحرف التى اختلف فيها عمر ابن الخطاب ، وهشام بن حكيم ، حين كان هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يكن يعرفها عمر[٤] – عدّ ابنُ حجر ، فى هذه السورة وحدها ، نحواً من مائة وثلاثين موضعاً منها ستة وخمسون ليس فيها من المشهور شيء[٥] .

وربما كانت كثرة عدد القراءات هى التى حَدَتْ ببعض المفّسرين إلى ذكر بعضها غير منسوب لصاحبه[٦] .

على أن إضافة القراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم لا تعنى أكثر من أنهم اختاروها ، وداوموا عليها ، ولزموها ، حتى اشتهروا بها ، وقُصدوا فيها ، وهى – كما يعبر ابن الجزرى – « إضافة اختيار ودوام ولزوم ، لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد »[٧] .

٥

ولا بدّ – فى معرض الحديث عن الجمع الصوتى الأول : بواعثهِ ومخططاتِه – أن نذكر أن القراءات أنواع :

---

(١) ابن الجزرى : غاية النهاية حـ ٢ ص ٧٥ وما بعدها

(٢) نفس المرجع حـ ١ ص ١١٢

(٣) قيل إن الخزاعى وضع كتابا فى الحروف نَسبهُ إلى أبى حنيفة ، وفيه : « إنما يخشى اللهُ مِنْ عِباده العلماءَ » برفع الهاء ونصب الهمزة . يقول ابن الجزرى : « وقد راج ذلك على أكثر المفسرين وتكلف توجيهها ، وإن أبا حنيفة لبرىء منها » . (انظر : النشر حـ ١ ص ١٦) .

(٤) سيشار إلى هذه القصة تفصيلا فيما بعد .

(٥) فتح البارى حـ ٩ ص ٢٧ – ٣١

(٦) انظر مثلا :

الفراء : معانى القراءات (فى كثير من صفحاته)

والبيضاوى : أنوار التنزيل واسرار التاويل : فى تفسير قوله تعالى : « اذكروا نعمة الله عليكم » (سورة البقرة / ٤٠)

(٧) النشر حـ ١ ص ٥٢ .

(ا) المتواتر ، وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه . وغالب القراءات كذلك .

وقد اختيرت سبع قراءات من هذا النوع ، عُرِفت كلّ منها بأسماء أهم من عُرف بالقراءة بها ، وأصحاب هذه القراءات هم : نافع المدنى ، وابن كثير المكى ، وأبو عمرو بن العلاء البصرى ، وابن عامر الشامى ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى : الكوفيون .

وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة هو أبو بكر بن مجاهد ، قبيل سنة ٣٠٠ هـ ، أو ما حولها (١) ، وتابَعه بعد ذلك المسلمون إلى الآن (٢) .

ولكلٍّ من هؤلاء القراء رواة ، وأصحاب طرق ، وأصحاب أوجه ، وسنشير إليهم – فيما بعد – تفصيلا .

والنقل المتواتر هو – عند الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة ، والمحدّثين ، والقراء – عنصر أساسى فى إثبات القرآنية ، حتى ليعرّف الكتاب بأنه « القرآن المنزّل على رسول الله ، المنقول عنه نقلا متواتراً بلا شبهة » (٣) ويقول الشارح : « إنّ قوله : نقلا متواتراً احتراز عما اختصّ بمثل مصحف أبىّ ، ومصحف ابن مسعود ، لما نقل بطريق الآحاد » (٤) .

ويتجوز ابن الجزرى ، فلا يشترط – لصحّة القراءة – غير موافقتها لوجه من وجوه العربية ، ولرسم المصاحف العثمانية ، وغير أن تكون صحيحة السند ، ويقول فى (نشر) ه ، و (طيّبة) ه :

فكلّ ما وافق وجه نحوِ ... وكان للرسم احتمالاً يحوى
وصحّ إسناداً هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان

ولكن الصّفاقسىّ يعيب هذا الرأى ، ويقول عنه :

« هذا قول محدث لا يُعوَّل عليه ، ويؤدّى إلى تسوية غير القرآن بالقرآن » . (٥)

---

(١) أبو شامة : إبراز المعانى من حرز الأمانى ص ٤
وذكر جفرى أن تاريخ الاختيار هو ٣٢٢ هـ (مقدمة كتاب المصاحف لابن أبى داود ص ٨) ، وابن مجاهد توفى سنة ٣٢٤ هـ

(٢) انظر ابن مجاهد : كتاب السبعة فى القراءات
وابن الجزرى : غاية النهاية جـ ١ ص ١٣٩ وما بعدها
وأبو شامة : إبراز المعانى ص ٤
والصّولى : أخبار الراضى والمتقى لله ص ٦٢ و٦٣ (ط هيوارث)

(٣) انظر : عبد العزيز البخارى : كشف الأسرار على أصول البزدوى جـ ١ ص ٢١ .

(٤) نفس المرجع

(٥) غيث النفع فى القراءات السّبع (بذيل شرح ابن القاصح للشاطبية) ص ٦ و ٧ .

وتتضّمن شروط التواتر – عند الأصوليين – شرطاً يهمّنا التنويه به ، ونحن نعمل لحفظ التواتر القرآنى ، فى المشارق والمغارب ، وإلى الأبد الأبيد ، هذا الشرط هو أن يستوى طَرَفَا التواتر وواسطته فى الإخبار عن علم لا عن ظن ، وأن يكون علمهم ضروريًّا مستنداً إلى محسوس ، وأن يستووا فى كمال العدد .

يقول أبو حامد الغزالى فى توضيح هذا الشرط :

« فإذا نقل الخلف عن السلف ، وتوالت الأعصار ، ولم تكن الشروط قائمة فى كلّ عصر لم يحصل العلم بصدقهم ، لأنّ خبر أهل كلّ عصر خبر مستقلّ بنفسه ، فلا بدّ فيه من الشروط ، ولأجل ذلك ، لم يحصل لنا العلم بصدق اليهود مع كثرتهم فى نقلهم عن موسى صلوات الله عليه . . . إلخ »[١] .

(ب) المشهور ، وهو ما صحّ سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، ووافق العربية ورسم المصحف ، واشتهر عند القراء فلم يعدّوه من الغلط ولا من الشذوذ[٢] .

وقد اختير من هذا النوع ثلاث قراءات ، وأصحابها هم : أبو جعفر بن قعقاع المدنى المتوفى سنة ١٣٠ هـ[٣] ، ويعقوب الحضرمى المتوفى سنة ٢٠٥ هـ[٤] ، وخلف البزّار المتوفى سنة ٢٢٩ هـ[٥] .

ولكلٍ من هؤلاء أيضاً رواة ، وأصحاب طرق ، وأصحاب أوجه ، حسبما سيجىء فيما بعد .

ونظراً لأن هذه القراءات الثلاث لا تخالف رسم السبع ، فقد ألحقها المحققون بها ، وعدّوا القول بعدم تواترها « فى غاية السقوط ، ولا يصحّ القول به عمن يعتبر قوله فى الدين »[٦]

ومن هؤلاء المحققين :

البغوىّ الفرّاء الموصوف بأنه أولى من يعتمد عليه فى ذلك المجال ، لأنه « مقرئ فقيه جامع للعلوم »[٧] .

---

(١) المستصفى حـ ١ ص ١٣٤ و ١٣٥

(٢) الإتقان حـ ١ ص ٧٧

(٣) انظر ترجمته فى : ابن الجزرى : غاية النهاية حـ ٢ ص ٣٨٢

(٤) انظر ترجمته فى نفس المرجع ص ٣٨٦ – ٣٨٩

(٥) انظر ترجمته فى نفس المرجع حـ ١ ص ٢٧٢

(٦) ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٤٥

(٧) توفى سنة ٥١٠ هـ أو قبل سنة ٥١٦ .

وانظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٤٤ والزركشى : البرهان حـ ١ ص ٣٣٠ ، والسبكى : طبقات الشافعية حـ ٤ ص ٢١٤ .

وابن تيمية الفقيه المعروف[١] .

والقسطلانى فى كتابه « لطائف الإشارات » ، حيث يقول : « إننا لو اشترطنا التواتر فى كل فرد من أحرف الخلاف انتفى كثير من القراءات الثابتة عن هولاء الأئمة السبعة وغيرهم »[٢] .

وعبد الوهاب السّبكى الذى يقول : « إن هذه القراءات الثلاث – بالإضافة إلى القراءات السبع – معلومة من الدين بالضرورة ، ونزلت على النبى – صلى الله عليه وسلم – لا يكابر فى شىء من ذلك إلا جاهل »[٣] .

وزكريّا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ ، والذى أفتى بأن القراءات العشر متواترة كلّها[٤] .

(حـ) الآحاد ، وهو ما صحّ سنده ، وخالف الرسم أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ، ولم يُقْرأ به[٥] .

(د) الشاذ ، وهو ما لم يصحّ سنده[٦] .

(هـ) الموضوع ، ويمثل له السيوطى بقراءات الخزاعى[٧] .

(و) ما زيد فى القراءات على وجه التفسير ، كالقراءة المنسوبة إلى سعد بن أبى وقاص : « وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ (من أمّ) » ،[٨] وكالقراءة المنسوبة إلى ابن عباس : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَّبِّكُمْ (فى مواسم الحج) »[٩] وكالقراءة المنسوبة أيضاً إلى ابن الزبير : «وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (ويستعينون الله على ما أصابهم) »[١٠].

---

(١) انظر رسالته : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبعة ؟ ص ٤٧ ، ٤٨

(٢) انظر القاسمى : محاسن التأويل حـ ١ ص ٢٩٦

(٣) انظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٤٦

(٤) انظر : الإعلام والإهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبى يحيى زكريا الأنصارى ص ٤٢٥ و٤٢٦ .

(٥) انظر : السيوطى : الإتقان حـ ١ ص ٧٧

(٦) انظر : نفس المرجع

(٧) انظر : نفس المرجع

(٨) فى المصحف العثمانى من غير (من أم) – سورة النساء / ١٢

(٩) فى المصحف العثمانى من غير (فى مواسم الحج) – سورة البقرة / ١٩٨

(١٠) فى المصحف العثمانى بغير « ويستعينون الله على ما أصابهم » – سورة آل عمران / ١٠٤ .

٦

وواضح أن الناس اجتمعوا على القراءات المتواترة والمشهورة لسببين أوضحهما الطبرسيّ فى تفسيره :

(أحدهما) أن أصحابها « تجردوا لقراءة القرآن ، واشتدت بذلك عنايتهم ، مع كثرة علمهم . ومَنْ كان قبلهم أو فى أزمنتهم ممن نسب إليه القراءة من العلماء ، وعُدَّت قراءتهم من الشّواذّ . . . لم يتجرّد لذلك تجرّدهم ، وكان الغالب على أولئك الفقه ، أو الحديث ، أو غير ذلك من العلوم » .

(والآخر) « أن قراءتهم وُجِدَتْ مسندة – لفظاً أو سماعاً – حرفاً حرفاً من أول القرآن إلى آخره ، مع ما عُرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن »[١] .

٧

وكان التوفيق رائد أصحاب الجمع العثمانى ، إذ جعلوا – وقد ألمعنا إلى ذلك قبلا – رسم مصاحفهم محتمِلا لكلِّ القراءات المتواترة والمشهورة تحقيقاً أو تقديراً . وما كان هؤلاء الصّحابة لِيُسْقِطوا قراءة أو يمنعوا من القراءة بها ما دامت تثْبت عن النّبيّ فيما انتهى إليه منهجهم فى الجمع .

وقد أوضح ابن الجزرىّ فى « النشر » كيفية احتمال المصاحف العثمانية للاختلافات المتعدّدة فى القراءات . ومن الأمثلة التى أوردها فى هذا الشأن : الآية « مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ »[٢] ، كُتب فيها لفظ « مَلِكِ » بغير ألف ، فى جميع المصاحف ، فقراءة الحذف تحتمله تقديراً ، أما فى الآية « مَلِكِ النَّاسِ »[٣] ، فقد كتب لفظ « مَلِكِ » بغير ألف ، فى جميع المصاحف ، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً[٤] .

---

(١) مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ ١ ص ٢٥

(٢) سورة الفاتحة / ٤

(٣) سورة الناس / ٢

(٤) جـ ١ ص ١١ ، وانظر : القاسمى : محاسن التأويل جـ ١ ص ٢٩٨ , ٢٩٩

٨

وقد جُمِعَت القراءات منذ قديم . وأول من جمعها فى كتاب هو أبو عبيد القاسم ابن سلاّم ، المتوفى بمكة سنة ٢٢٤ هـ ، والذى جعل القراءات – فيما عدّ ابن الجزرىّ – خمسا وعشرين قراءة مع السبع [١] .

وترادف المؤلفون فى القراءات :

فجمع أحمد بن جبير الكوفى نزيل أنطاكية ، والمتوفى سنة ٢٥٨ هـ كتاباً فى قراءات الخمسة ، من كلّ مصر واحد [٢] .

وألّف إسماعيل بن إسحاق المالكى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ كتاباً جمع فيه قراءة عشرين إماماً ، منهم السبعة [٣] .

وجمع ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ كتابه « الجامع ». وفيه نيّف وعشرون قراءة [٤]

وجمع أبو بكر الداجونى المتوفى سنة ٣٢٤ هـ كتاباً فى القراءات أدخل فيه أبا جعفر أحد العشرة [٥] .

واقتصر ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤ هـ أيضاً على قراءات السبعة ، حسبما ذكرنا قبلا ، وألّف فيها كتابه : السبعة فى القراءات .

وألّف فى القراءات أبو بكر الشذائىّ المتوفى سنة ٣٧٠ هـ [٦] .

وألّف أبو بكر بن مهران المتوفى سنة ٣٨١ هـ فى قراءات العشرة [٧] .

وألف الخزاعى المتوفى سنة ٤٠٨ هـ كتابة : « المنتهى » الذى جمع فيه ما لم يُجمع من

---

(١) النشر جـ ١ ص ٣٤ . وابن سلام لغوى ثقة محدث ، وقد تكلمنا عنه فى حاشية أخرى ، وانظر ترجمته فى : حاجى خليفه : كشف الظنون – ١٢٠٤

وابن الأثير : النهاية جـ ١ ص ٤ و ٥ .

والقفطى : إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ ٣ ص ١٢ – ٢٣ .

(٢) النشر جـ ١ ص ٣٤

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

(٥) نفس المرجع

(٦) نفس المرجع

(٧) نفس المرجع

قبله[١] ، والذى يُمثِّل بقراءاته للقراءات الموضوعة كما ذكرنا قبلا أيضاً .

وألّف ابن سفيان القيروانى المتوفى سنة ٤١٥ هـ كتابه : (الهادى فى القراءات السّبع) [٢]

وكان الطّلمنكى مؤلف « الروضة » والمتوفى سنة ٤٢٩ هـ أول من أدخل القراءات إلى الأندلس[٣] .

وألّف المهدوى المتوفّى سنة ٤٣٠ هـ كتابه : (الهداية فى القراءات)[٤] .

وألّف مكّىّ بن أبى طالب المتوفِّى سنة ٤٣٧ هـ فى القراءات : « التبصرة » ، و « الكشف » ، وغير ذلك[٥] .

وألّف أبو عمرو الدانى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ كتابه : « جامع البيان » فى القراءات ، وفيه أكثر من خمسمائة رواية وطريق عن القراءات السّبع[٦] .

وألّف الأهوازى المتوفى سنة ٤٤٦ هـ فى هذا الشأن[٧] .

وألّف الهذلى المتوفى سنة ٤٦٥ هـ كتابه : « الكامل » الذى جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة ، وتسعاً وخمسين وأربعمائة وألف رواية وطريق[٨] .

وألّف أبو عبد الله محمد بن شريح المتوفِّى سنة ٤٦٨ هـ كتابه : (الكافى فى القراءات السّبع)[٩] .

وألّف أبو معشر الطبرى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ كتاب « التلخيص فى القراءات الثّمان » و « سوق العروس » ، وفيه خمسون وخمسمائة وألف رواية وطريق[١٠].

وألف أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز اللخمى الإسكندرى المتوفى سنة ٦٢٩ هـ كتابه :

---

(١) نفس المرجع

(٢) ذكره صاحب (كشف الظنون)

(٣) ابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ٣٤ .

(٤) ذكره صاحب (كشف الظنون)

(٥) ذكر صاحب (كشف الظنون) كتاب (التبصرة) ، وقال : « فى خمسة أجزاء ، وهو من أشهر مصنّفاته » ، وانظر : الحداد خلف الحسينى : الكواكب الدرية ص ٤٥ .

(٦) ابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ٣٤ و ٣٥

(٧) نفس المرجع ص ٣٥

(٨) نفس المرجع

(٩) ذكره صاحب (كشف الظنون) .

(١٠) ابن الجزوى : المرجع السابق .

« الجامع الأكبر والبحر الأزخر » ويحتوى على سبعة آلاف رواية وطريق[١] .

وقد ذكر ابن النديم – وكانت وفاته فى أواخر القرن الرابع الهجرىّ – اثنين وعشرين كتاباً فى القراءات كانت معروفة له[٢] . ومن مؤلفى هذه الكتب : خلف بن هشام البزّار (المتوفّى سنة ٢٣٠ هـ) ، ومحمد بن سعدان (المتوفى سنة ٢٣٠ هـ أيضاً) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام الذى ألمعنا إليه قبلا ، وأبو حاتم السجستانى (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) ، وثعلب (المتوفّى سنة ٢٩١ هـ) ، وابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ) ، وابن مجاهد الذى تكلمنا عنه آنفاً ، والذى كان له – كما يقول ابن النديم – كتابان : (القراءات الكبير) و (القراءات الصغير) ، وهشام بن بشير ، وأبو الطيب بن أشناس ، وعلى بن عمر الدار قطنى (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ) ، ويحيى بن آدم (المتوفى سنة ٢٠٣ هـ) ، والواقدى (المتوفى سنة ٢٠٩ هـ) ، ونصر بن على[٣] ، وابن كامل ، والفضل بن شاذان .

وقد اندثر بعض كتب القراءات ، وفيها كتب الأهوازى ، وابن عطية والمهدوى ، وكتاب « اللوامع » فى القراءات ، وكتاب « المحتوى » للدّانى[٤] .

* * *

واختار جمهور المسلمين القراءات منذ قرون ، ولكن القرّاء ظلّوا يتداولونها ويَرْوُونها إلى أن كُتِبَتْ العلوم ودُوِّنَتْ ، فكُتِبَت فيما كُتب من العلوم ، وصارت القراءات – كما يقول ابـن خلدون – « صناعة مخصوصة ، وعلْما منفرداً ، وتناقله الناس بالشرق والأندلس ، فى جيل بعد جيل ، إلى أن مَلَكَ بشرق الأندلس « مجاهد » من موالى العامريين ، وكان معتنياً بهذا الفن من بين فنون القرآن ، لما أخذه به مولاه المنصور بن أبى عامر ، واجتهد فى تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته ، فكان سهمه بذلك وافراً[٥] » .

---

(١) ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٣٥ .
وانظر : ابن الجزرى أيضاً : غاية النهاية حـ ١ ص ٦٠٩ – ٦١١ ،
وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ ٩ ص ٣٠ .

(٢) الفهرست ص ٣٥ (ط . خياط بيروت)

(٣) لعلّه نصر بن على المشهور بأبى عمرو الجهضمى ، والمتوفّى سنة ٢٥٠ هـ . وانظر ترجمته فى : ابن الجزرى : غاية النهاية حـ ٢ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ .

(٤) آرثر جفرى ، مقدمة كتاب « القراءات الشاذة لابن خالويه » الذى عنى بنشره وتصحيحه ج . برجستراسر . ص ٤

(٥) مقدمة ابن خلدون : باب علوم القرآن من التفسير والقراءات حـ٣ ص ٩٩٤ و ٩٩٥ .

٩

غير أن بعض المفكرين القدامى والمحدثين . يقولون ما قد يُفهم منه أنّ القراءات مرجعها الاجتهاد لا السماع ، وأنها اختياريَّة تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء :

١ – قرأ ابن عامر أحد القراء السبعة الآية : « وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ »[١] برفع (قتل) ونصب (أولادهم) وجر (الشركاء) ، على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف .

فَوصَف الزمخشرى هذه القراءة بأنها « شيء » لو كان فى مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً . . . إلخ[٢] ، وقال : « والذى حمله على ذلك أنْ رأى فى بعض المصاحف (شركائهم) مكتوباً بالياء ، ولو قرأ بجرّ الأولاد والشركاء ، لأن الأولاد شركاؤهم فى أموالهم ، لوجد – فى ذلك – مندوحة عن هذا الارتكاب[٣] » .

وردّ ابن المنيّر الإسكندرىّ صاحب كتاب « الانتصاف »[٤] بأنّ الزمخشرى « ركب متن عمياء ، وتاه فى تيهاء » وقال ابن المنير : « وأنا أبرأ إلى الله ، وأبرئ حملة كتابه ، وحفّاظ كلامه ، مما رماهم ، فإنَّه تخيّل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كلٌّ منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً ، لا نقلا وسماعاً ، فلذلك غلّط ابنَ عامر ، فى قراءته هذه ، وأخذَ يبيّن أنّ وجهة غلطه رؤيته الياء ثابتة فى « شركائهم » ، فاستدلّ بذلك على أنه مجرور ، وتعيّن عندهم نصب (أولادهم) بالقياس . . . إلخ »[٥] .

ثم قال ابن المنيّر : « فهذا كلّه – ما ترى – ظنٌّ من الزمخشرى أنَّ ابن عامر قرأ قراءته هذه رأياً منه ، وكان الصّواب خلافَه ، والفصيح سواه ؛ ولم يعلم الزمخشرى أن هذه القراءة – بنصب الأولاد ، والفصل بين المضاف والمضاف إليه – بها يعلم ضرورةً أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قرأها على جبريل ، كماأُنزلها عليه كذلك ، ثم تلاها النبى – صلى الله عليه

---

(١) سورة الأنعام / ١٣٧

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل حـ١ ص ٢٥٣

(٣) نفس المرجع .

(٤) انظر ترجمة ابن المنير فى : ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات حـ ١ ص ١٣٢ (بتحقيق محيى الدين عبد الحميد) .

(٥) انظر : ابن المنير الإسكندرى : الانتصاف (بذيل الكشاف) حـ ٢ ص ٤١ وانظر : القاسمى : المرجع السابق حـ ١ ص ٣٠٣ .

وسلّم – على عدد التواتر من الأئمة ، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ، ويقرءون بها ، خلفاً عن سلف ، إلى أن انتهت إلى ابن عامر ، فقرأها أيضاً كما سمعها . فهذا معتقد أهل الحقّ فى جميع الوجوه السبعة : أنها متواترة جملة وتفصيلا . . . فلا مبالاة – بعدها – بقول الزمخشرى ، ولا بقول أمثاله ممن لحن ابنَ عامر ، وظنّ أنّ القراءة بالرأى غير موقوفة على النقل . والحامل هو التغالى فى اعتقاد اطّراد الأقيسة النحوية ، فظنّها قطعية ، حتى يرد ما يخالفها »(١) .

ويقول ابن المنيّر كذلك : « إن المُنْكَر عليه – يعنى ابن عامر – إنما أُنكر ما ثبت أنه براءٌ منه قطعاً وضرورة . ولولا عذر أنّ المنكِر ليس من أهل الشأنين : أعنى علم القراءة ، وعلم الأصول ، ولا يعدّ من ذوى الفنّين المذكورين ، لخيف عليه الخروج من رِبْقَةِ الدين ، وإنه – على هذا العذر – لفى عهدة خطيرة ، وزلّة منكرة ، تزيد على زلّة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواتراً ، فإن هذا القائل لم يُثبتها بغير النقل ، وغايته أنّه ادّعى أنّ نقلها لا يُشترط فيه التواتر ، وأمّا الزمخشرى ، فظن أنها تثبت بالرأى ، غير موقوفة على النقل ، وهذا لم يقل به أحد من المسلمين(٢) . »

* * *

وهنا نذكر آسفين أن كاتباً مسلماً محدثاً هو صاحب كتاب « الفرقان » أورد – فى اعتراضه على القراءات – رأى الزمخشرى فى قراءة ابن عامر(٣) ، ثم لم يورد ما قاله ابن المنيّر وغيره ردّاً عليه .

* * *

وفى هذا الشأن أيضاً ، يقول أبو حيان الأندلسى(٤) :

« . . . وبعض النحويين أجازها ، وهو الصحيح ، لوجودها فى هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربى الصريح المحض : ابن عامر ، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان ، قبل أن يظهر اللحن فى لسان العرب ، ولوجودها أيضاً فى لسان العرب فى عدّة أبيات . . » إلخ .

ويقول أبو حيان ، فى ردّه على الزمخشرى :

« وأعجب لعجمى ضعيف فى النحو يردّ على عربى صريح محض قراءةً متواترةً موجوداً نظيرها فى لسان العرب ، فى غير ما بيت . وأعجب لسوء ظنّ هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين

---

(١) ابن المنير : الإنتصاف (بذيل الكشاف) حـ ٢ ص ٥٣ (ط . الحلبى ١٩٦٦ م) والقاسمى : المرجع السابق .

(٢) ابن المنير : نفس المرجع حـ ٦ ص ٢٥١٨ .

والقاسمى : نفس المرجع ص ١١٦ و ١١٧ .

(٣) ص ١١٦ و١١٧

(٤) البحر المحيط حـ ٤ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ .

تخيّرتهم هذه الأمة ، لنقل كتاب الله ، شرقاً وغرباً ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم ، لضبطهم ، ومعرفتهم ، ودياناتهم »[١].

ويقول النيسابورى :

« والحقّ عندى – فى هذا المقام – أن القرآن حجة على غيره ، وليس غيره حجة عليه . والقراءات السبع كلّها متواترة ، فكيف يمكن تخطئة بعضها ؟ فإذا ورد فى القرآن المعجز مثل هذا الترتيب لزم القول بصحّته وفصاحته . . » إلخ[٢].

والفخر الرازى ، عند تفسيره لقوله تعالى : « وَٱتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ به وَٱلْأَرْحَامَ »[٣] يندد بالنحويين الذين يجيزون إثبات اللغة بشعر مجهول ، ثم ينسَوْن أنّ إثباتها بالقرآن هو الأَوْلى . يقول الرازى :

« وكثيراً ما نرى النحويين متحيرّين فى تقرير الألفاظ الواردة فى القرآن ، فإذا استشهدوا فى تقريرها ببيت مجهول فَرِحوا به ، وأنَا شديد التعجّب منهم ، فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا على صحّتها ، فَلأَنْ يجعلوا ورود القرآن دليلاً على صحتها كان أَوْلى . »[٤]

ويدافع ابن الجزرى عن القراءة المتواترة التى قرأ بها ابن عامر ، فيقول[٥] :

« ١ – والحق فى غير ما قاله الزمخشرى . ونعوذ بالله من قراءة القرآن بالرأى والتشهى . وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد فى الكتابة من غير نقل ؟

٢ – بل الصواب جواز مثل هذا الفصل ، وهو الفصل – بين المصدر وفاعله المضاف إليه – بالمفعول ، فى الفصيح والشائع الذائع اختياراً .

ولا يختص ذلك بضرورة الشعر[٦] .

٣ – ويكفى – فى ذلك – دليلا هذه القراءة الصحيحة المشهورة التى بلغت التواتر .

---

(١) المرجع السابق

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان حـ٨ ص ٣٧

(٣) سورة النساء / ١

(٤) التّفسير الكبير حـ ٣ ص ١٩٣

(٥) انظر : النشر حـ ٢ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ والألفاظ لابن الجزرى ، وليس لنا غير ترقيم فقرات هذا الدفاع .

(٦) انظر فى جواز مثل هذا الفصل : الصبّان – محمد بن علىّ : حاشيته على شرح الأشمونى لألفيّة ابن مالك حـ٢ ص ٢٧٦

٤ – كيف ، وقارئها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة ، كعثمان ابن عفان ، وأبى الدرداء ، رضى الله عنهما ؟

٥ – وهو – مع ذلك – عربى صريح من صميم العرب ، فكلامه حجة ، وقوله دليل ، لأنه كان قبل أن يُوجد اللّحن ويتكلّمَ به .

٦ – فكيف ، وقد قرأ بما تلّقى وروَى وسمع ورأى ، إذ كانت كذلك فى المصحف العثمانى المجمع على اتباعه ، وأنا رأيتها فيه كذلك ؟ (١) .

٧ – مع أن قارئها : لم يكن خاملا ، ولا غير متبع ، ولا فى طرف من الأطراف ليس عنده من ينكر عليه إذا خرج عن الصواب ، فقد كان فى مثل دمشق التى هى – إذ ذاك – دار الخلافة ، وفيها الملك ، والمأْتَى إليها من أَقطار الأرض فى زمن خليفة هو أعدل الخلفاء وأفضلهم بعد الصحابة : الإمام عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه – أحد المجتهدين المتبعين المقتدَى بهم من الخلفاء الراشدين .

٨ – وهذا الإمام القارئ – أعنى : ابن عامر – مُقَلَّد ، فى هذا الزمن الصالح ، قضاءَ دمشق ، ومشيختَها ، وإمامةَ جامعها الأعظم : الجامع الأموى أحد عجائب الدنيا ، والوفود به من أَقطار الأرض ، لمحل الخلافة ودار الإمارة .

هذا ، ودار الخلافة – فى الحقيقة – حينئذ بعض هذا الجامع ، ليس بينهما سوى باب يخرج منه الخليفة .

٩ – ولقد بلغنا عن هذا الإمام أَنه كان فى حلقته أَربعمائة عريف ، يقومون عنه بالقراءة .

١٠ – ولم يبلغنا عن أَحد من السّلف – رضى الله عنهم – على اختلاف مذاهبهم ، وتباين لغاتهم ، وشدّة وَرَعِهم ، أَنه أَنكر على ابن عامر شيئاً من قراءته ، ولا طَعَنَ فيها ، ولا أشار إليها بضعف .

١١ – ولقد كان الناس – بدمشق ، وسائر بلاد الشام ، حتى الجزيرة الفراتية ، وأَعمالها – لا يأخذون إلا بقراءة ابن عامر ، ولا زال الأمر كذلك إلى حدود الخمسمائة . وأَول من نعلمه أَنكر هذه القراءةَ وغَيْرَها من القراءة الصحيحة ، وركب هذا المحذور : ابن جرير الطبرى ، بعد الثلثمائة . وقد عُدّ ذلك من سقطات ابن جرير ، حتى قال السخاوى :

---

(١) وإننا – مع إيماننا بصحّة هذه القراءة وتواترها ، نسأل ابنَ الجزرىّ : هل كانت مصاحف عثمان مضبوطةً بالشكل حتى تتبينّ له فيها قراءة ابن عامر ؟

إنّ المرجع فى تلقىّ القرآن وقراءاته هو التلقىّ الشفهى ، وكفى به مرجعاً .

قال لى شيخنا أبو القاسم الشاطبى :

« إياك وطعن ابن جرير على ابن عامر » .

ولله درّ إمام النحاة : أبى عبد الله بن مالك – رحمه الله – حيث قال فى « كافية الشافية » :

وحجّتى قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر

١٢ – وهذا الفصل الذى ورد فى هذه القراءة ، فهو منقول من كلام العرب من فصيح كلامهم ، جيّدٌ من جهة المعنى أيضاً :

أما وروده فى كلام العرب :

(ا) فقد ورد فى أشعارهم كثيراً :

أنشد من ذلك سيبويه ، والأخفش ، وأبو عبيدة ، وثعلب ، وغيرهم . . مالا يُنكر ، مما يخرج به كتابنا عن المقصود .

(ب) وقد صح من كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « فهل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ »[1] . ففصل – بالجارّ والمجرور – بين اسم الفاعل ومفعوله ، مع ما فيه من الضمير المنوىّ ، فَفَصْل المصدر بخلوه من الضمير أَوْلى بالجواز .

(حـ) وقرئ : « فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ »[2] .

وأما قوته ، من جهة المعنى :

فقد ذكر ابن مالك ذلك من ثلاثة أوجه :

---

(١) قول النبىّ صلىّ الله عليه وسلّم : « فهل أنتم تاركو لى صاحبى » وَرَدَ فى صحيح البخارى ، فى كتاب فضائل الصحابة ، فى حديث أبى الدرداء ، والنص :

« . . . . إنّ الله بعثنى إليكم ، فقلتم : كذبتَ ، وقال أبو بكر : صَدَق ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ (مرتين) . . . . . . »

وينقل ابن حجر العسقلانى أحد توجيهين لهذه العبارة ، وهو أن يكون (صاحبى) مضافاً ، وفَصَل بين المضاف والمضاف إليه بالجارّ والمجرور عنايةً بتقديم لفظ الإضافة ، وفى ذلك جَمَعَ بين إضافتين إلى نفسه تعظيما للصِّديق ، ونظيره : قراءة ابن عامر : « وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِم » ، بنصب (أولادهم) وخفض (شركائهم) . وفصل بين المضافين بالمفعول . (انظر : فتح البارى حـ ٧ ص ٢٦ ط . محب الدين الخطيب) .

(٢) سورة إبراهيم / ٤٧ .

وفى العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن (ص ٧١) :

« الرسل : مفعول أول ؛ والوعد : مفعول ثان ؛ وإضافة (مخلف) إلى (الوعد) : اتّساع . والأصل : مخلف رسله وعده ، ولكن ساغ ذلك لما كان كلّ واحد منهما مفعولاً ، وهو قريب من قولهم : « يا سارق الليلةِ أهلَ الدار » ، حيث اتّسع فى الظرف (أى الليلة) ، فنصب نصب المفعول به ، ثم وقعت الإضافة إليه على هذا الحدّ » .

(أحدها) : كون الفاصل فُضْلة[1] ، فإنه – لذلك – صالح لعدم الاعتداد به .

(الثانى) : أنه غير أجنبى معنىً ، لأنه معمول للمضاف هو والمصدر .

(الثالث) : أن الفاصل مقدّر التأخير لأن المضاف إليه مقدَّر التقديم ، لأنه فاعل فى المعنى ، حتى إن العرب ، لو لم تستعمل مثل هذا الفصل ، لاقتضى القياسُ استعماله ، لأنهم قد فصلوا – فى الشعر – بالأجنبى كثيراً ، فاستحق الفصل بغير أجنبى أن يكون له مزية ، فيحكم بجوازه مطلقاً .

وإذا كانوا قد فصلوا بين المضافين بالجملة فى قول بعض العرب : « هو غلامُ – إن شاء الله – أخيك » ، فالفصل بالمفرد أسهل .

١٣ – ثم إن هذه القراءة قد كانوا يحافظون عليها ، ولا يرون غيرها :

قال ابن ذكوان : (شركايهم) بياء ثابتة فى الكتاب والقراءة .

قال : وأخبرنى أيوب – يعنى : ابنَ تميم شيخَه – قال :

قرأت على أبى عبد الملك قاضى الجند : « زَيَّنَ لكثير من المشركين قتلَ أولادهم شركاؤهم » قال أيوب :

فقلت له : إن فى مصحفى ، وكان قديما ، « شركائهم » ، فمحا أبو عبد الملك الياء ، وجعل مكان الياء واوا .

قال أيوب :

ثم قرأت على يحيى بن الحارث : « شركاؤهم » ، فرد علىّ يحيى : « شركائهم » ، فقلت له : إنه كان فى مصحفى بالياء ، فَحُكَّتْ ، وجُعلت واوا .

فقال يحيى : أنت رجل مَحَوْتَ الصواب ، وكتبت الخطأ ، فرددتُها فى المصحف على الأمر الأول » .

(ب) وكتب الزمخشرى أيضاً عند تفسير آية : « هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ الحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً »[2] أن عمرو بن عبيد قرأ كلمة (الحقّ) بالنصب على التأكيد ، كقولك : هذا عبد الله الحقَّ لا الباطل .

---

(١) الفُضْلة (بالضمّ وسكون الضّاد المعجمة) : ما يقابل العُمْدة ، كالحال والمفعول ونحوهما ، ممّا ليس بجملة مستقلة ولا بركن كلام .

وقد يطلق على ما يزيد على أصل المراد ، ولا يفوت المراد بحذفه .

(انظر مثلا : التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٥ ص ١١٤٢ – الطبعة المصورة – خياط بيروت) .

(٢) سورة الكهف / ٤٤ .

وقال الزمخشري : « وهي قراءة حسنة فصيحة . وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم »[١] .

وهذا – كما يقول ابن المنيّر الإسكندري – « يوهم أن القراءات موكولة إلى رأى الفصحاء واجتهاد البلغاء ، فتتفاوت في الفصاحة لتفاوتهم فيها »[٢] .

وقد هوجم الزمخشري في هذا أيضاً ، فقيل إنّ قوله « منكر شنيع » ، وإن الحق « أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه فوعاه بِفَلْق فيه – صلى الله عليه وسلم – منزّلاً كذلك من السّماء ، فلا وقع لفصاحة الفصيح ، وإنما هو ناقل كغيره »[٣] .

وقيل – في مهاجمة الزمخشري – إنه « لا يفوته الثّناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة ، فإن عمرو بن عبيد أوّلُ مصمّم على إنكار القَدَر ، وهلّم جرّا ، إلى سائر البدع الاعتزالية ، فمن ثَمّ أثنى عليه »[٤] .

وقال الناقدون إن الزمخشري « لم يكن له – على ما عنده من العلم – لقاء ولا رواية[٥] » .

وابن عامر الذى عاب الزمخشري قراءته هو في الطبقة الأولى من التّابعين ، وقراءته ليست هيّنة السَّنَد . وقد كان يقرأ بها المقدسيّ صاحب « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » ، فسأله أحد القضاة :

« أنت رجل متفقّه لأهل الكوفة ، فَلِمَ لَمْ تقرأ بحروفهم ؟ وما الذى أَمَالك إلى قراءة ابن عامر ؟

قال المقدسيّ : قلت : خلال أربع :

قال القاضي : وما هنّ ؟

قلتُ : أما (الأولى) فإنّ ابنَ مجاهد روى – عن ابن عامر – ثلاث روايات :

(إحداهن) أنه قرأ على عثمان بن عفان .

(والثانية) أنه سمع القرآن من عثمان وهو صبيّ .

(والثالثة) أنه قرأ على من قرأ على عثمان .

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل جـ ١ ص ٤٧٤ .

(٢) انظر : الانتصاف (بذيل الكشاف) جـ ٢ ص ٣٩٢ .

(٣) انظر : القاسمي : محاسن التأويل جـ ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ .

(٤) انظر : المرجع السابق .

(٥) انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٨٧ – ترجمة ٢٣٥ ط . محيي الدين عبد الحميد .

وليس هذا لغيره من أئمة القراء ، بل بين كلٍّ واحد وبين علىّ ، وعبد الله ، وأبىّ ، وابن عباس ، رجلان أو ثلاثة .

فَمَنْ بينه وبين عثمان الذى قد أجمع المسلمون على مصحفه ، واتفقوا على جمعه ، وتداولوه رجل : أحقّ بأن يُقْرأ له ممّن بينه وبين من لا يُستعمل جمعهُ ، ولا وقع الاتفاق على مصحفه ، رجلان أو ثلاثة . . » إلخ [١].

وقد كان مما قيل عن ابن عامر « إنه لم يتعدّ – فيما ذهب إليه – الأثر ، ولم يقل قولا يخالف فيه الخبر » [٢].

(حـ) وقد ردّ آخرون – وخاصة من النحويين – على بعض القراء فى اختياراتهم منكرين ومخطّئين [٣] .

ولكن الجمهور على غير رأى النحويين :

يقول الزركشى فى اعتراضاتهم على أئمة القراءة : « وهذا تحامل ، وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة ، وأنها سنّة متبعة ، ولا مجال للاجتهاد فيها . ولهذا قال سيبويه فى كتابه ، فى قوله تعالى « مَا هَـٰذَا بَشَرًا » [٤] : « وبنو تميم يرفعونه إلاّ مَنْ درى كيف هى فى المصحف ، وإنما كان كذلك لأن القراءة سنّة مروّية عن النبى – صلى الله عليه وسلم – ، ولا تكون القراءة بغير ما رُوِى عنه » [٥] .

ويقول الدانى فى كتابه « جامع البيان » :

« وأئمة القراءة لا تعمل فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة ، والأقْيَس فى العربية ، بل على الأثبت فى الأثر ، والأصحّ فى النقل . والرواية – إذا ثبتت عندهم – لا يردّها قياس عربية ولا فشوّ لغة ، لأنّ القراءة سنّة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها » [٦] .

وعلى ذكر الاعتماد على القياس فى أمور الدين ، نشير هنا إلى عبارة لأبى حيّـان التوحيدىّ ؛ يقول : « وما أحوج الناظرَ فى الدين إلى حُسْن الظنّ واليقين ، وإلى متن متين فيه ! فإنه متى حاول معرفة كلّ شىء بالرأى والقياس كلَّ وملَّ ، ومتى استرسل مع كلّ شىء

---

(١) أحسن التقاسيم ص ١٤٢ (ط . ليدن) .

(٢) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ١ ص ٦١ .

(٣) انظر : أمثلة هذا فى النشر لابن الجزرى جـ١ ص ١٠ .

(٤) سورة يوسف / ٣١ .

(٥) انظر : الزركشى : البرهان جـ١ ص ٣٢١ و ٣٢٢ .

(٦) انظر : ابن الجزرى : النشر جـ١ ص ١٠ و ١١ .

زلّ وضلّ » (١) .

هذا ، مع أنّ مواهب التوحيدى الإسلامية لم تكن أنصع مواهبه .

ويقول ابن تيمية ، فى هذا الباب أيضاً : « كان من الأصول المتّفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان : أنه لا يُقْبل من أحد قطّ أن يعارض القرآن ، لا برأيه ، ولا ذوقه ، ولا معقوله ، ولا قياسه ، ولا وجده . . . إلخ » (٢) .

ويقول : « لا يوجد فى كلام أحد من السّلف أنه عارض القرآن بنقل ورأى وقياس . ولا بذوق ووجد ومكاشفة . . إلخ »(٣) .

وكلام الزمخشرى – على ما يبدو – فاتن ، وقد تورّط فى متابعته البيضاوىّ المفسّر ، فكان لذلك نكيرٌ عند علىّ بن سلطان القارى ، إذ يقول : « والعجب من البيضاوى – مع أنه من أئمة أهل السّنة – تبعه (يعنى : الزمخشرى) ، فى هذه القضية ، كما بيّنته فى تخريج قراءاته من تفسيره بالحاشية المستقلة ، وأوضحت فيه من تقصيره وتغييره ، ونقصان فى تعبيره »(٤) .

(د) وورد عن بعض المشتغلين بالقرآن ما يستفاد منه أن القراءات متفاوتة القدر ، كأنها ليست نقلا خالصاً ، وأن إحداها أحبّ إليهم من غيرها(٥) ، وأن لكل قراءة خصيصة مرجعها صاحب القراءة :

روى ابن الجزرى عن أحد من ترجم لهم من القراء ، وهو أبو العباس الطنافسىّ البغدادىّ أنه قال : « من أراد أحسن القراءات فعليه بقراءة أبى عمرو ، ومن أراد الأصل فعليه بقراءة ابن كثير ، ومن أراد أفصح القراءات فعليه بقراءة عاصم ، ومن أراد أغرب القراءات فعليه بقراءة ابن عامر ، ومن أراد الأثر فعليه بقراءة حمزة ، ومن أراد أظرف القراءات فعليه بقراءة الكسائى ، ومن أراد السّنّة فعليه بقراءة نافع »(٦) .

ويستفاد من هذا القول الخطير أن قراءة أحسن من قراءة ، وأن قراءة هى الأصل وغيرها ليس أصلا ، وأن قراءة أفصح وأخرى فصيحة ، وقراءة غريبة وغيرها أقل غرابة أو ليست

---

(١) البصائر والذخائر المجلد ١ ص ٩٨ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية – مقدّمة التفسير حـ ١٣ ص ٢٨ (ط . السعودية) .

(٣) نفس المرجع .

(٤) شرح العقيلة ص ٦ و ٧ من المخطوطة رقم ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٥) انظر على سبيل المثال : الفراء : معانى القرآن جـ ١ ص ١٤٣ ، عند الكلام عن قوله تعالى : « لا يَحزنُهم الفزع الأكبرُ » (سورة الأنبياء / ١٠٣)

(٦) غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٧٥

غريبة ، وقراءة هى الأثر وما عداها ليس أثراً ، وقراءة هى أظرف من قراءة ، وقراءة هى السنّة وغيرها دونها سنّية .

وعندنا أن هذا خطأ غليظ ما كان يحقّ للطنافسى بحال أن يذهب إليه ، فالقراءات – لا بدّ – توقيفية ، وليست اختيارية ، وإلاّ وجد الشكّ والوهمّ سبيليهما إلى آى الكتاب .

والعجيب أنّ مكّى بن أبى طالب ينهج نفس ذلك النهج ، فيقول : « وأصحّ القراءات سنداً : نافع ، وعاصم ، وأفصحها : أبو عمرو ، والكسائى »[1] .

وحتى الطبرى المفسّر يفاضل – أحيانا ، وعلى نحو ما – بين القراءات مفاضلة نسوق هنا لها الأمثلة :

١ – فهو فى تفسير قوله تعالى : « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ، وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ »[2] يتكلم عن كيف قرئت « وأرجلكم » منصوبة وبالخفض ، ثم يقول : « غير أن ذلك وإن كان كذلك ، وكانت القراءتان كلتاهما حسناً صواباً . فأعجب القراءتين إلىّ أن أقرأها قراءة من قرأ ذلك خفضا »[3] .

٢ – وفى قوله تعالى : « وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ »[4] ، يقول الطبرى بعد الكلام عن خفض « الأنصار » ورفعها : « والقراءة التى لا أستجيز غيرها : الخفض فى (الأنصار) »[5] .

٣ – وفى قوله تعالى : « أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ . . . »[6] ذكر الطبرى أن فعل « أسّس » بُنِى للمجهول فى المرتين كلتيهما فى قراءة ، وبُنِى للمعلوم فى قراءة أخرى ، ثم قال : وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى « مَنْ » – إذْ كان « مَنْ » المؤسّس – أعجب إلىّ »[7] .

---

(١) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ٢٦

(٢) سورة المائدة / ٦

(٣) جامع البيان جـ ٦ ص ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ .

(٤) سورة التوبة / ١٠٠

(٥) جامع البيان جـ ١١ ص ٧

(٦) سورة التوبة / ١٠٩

(٧) جامع البيان جـ ١١ ص ٢٤

٤ – وفى قوله تعالى : « قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ »[١] ، قال الطبرى : إنّ أوْلى القراءتين عنده بالصواب قراءة « فعُمّيت » بضم العين وتشديد الميم[٢] .

٥ – وكذلك وصف الطبرى قراءة من قرأ : « ماذا ترى » بفتح التاء فى قوله تعالى : « فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّى أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَٱنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ »[٣] ، بأنها أيضاً أوْلى القراءتين بالصواب[٤] .

٦ – وفى قوله تعالى : « مَا نُنَزِّلُ الْمَلَـٰئِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنظَرِينَ »[٥] ، ذكر الطبرى أنه يحبّ قراءتين يجب أن لا يعدوهما قارئ[٦] .

* * *

ونحن – حتى من الناحيتين البلاغية والذوقية – نقرّر ، بنفس الموضوعية التى نلتزمها فى هذا البحث التزاماً ، أننا نرفض أحكام الطبرى الآنفة ولا نسيغ هواه :

فأيّة قراءة ثابتة القرآنية استجازها الطبرىّ أو لم يستجزها : هى – عند المسلمين خاصّتهم وعامّتهم فى كلّ زمان ومكان – ليست جائزة فحسب ، وإنما هى واجبة وجوباً ، لسبب أساسىّ هو أنها بعض النصّ القرآنى المعجز دائماً بلفظه ومعناه كليهما .

وأيّة قراءة ثابتة القرآنية تعجب الطبرى أو لا تعجبه ، وتنزل على هواه وفهْمه أوْ لا تنزل : هى معجبة لكلّ المسلمين على اختلاف مراتبهم فى الفصاحة والبلاغة ، وفى كلّ زمان ومكان أيضاً . فإذا شذّ عنهم فرد ، فالأصحّ فى الفهم ، والأعدل فى الحكم ، أن يكون هذا الفرد وحده هو الذى زاغ بصره ، ومال ميزانه .

وأيّة قراءة ثابتة القرآنية ينكر الطبرى أوْلويّتها بالصواب ، أو لا ينكرها : هى بالضرورة من الصّواب فى اللُّباب ، لأنها منزّلة هكذا على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ومكتوبةٌ هكذا فى مصاحف المسلمين، ومنقولة هكذا بالتواتر منذ عهد النبوة .

وأية قراءة ثابتة القرآنية يرى الطبرى القراءة بها أوْ لا يرى : هى مما يجب أن يقصد إليه المسلم قصْداً ، لأنها قرآن يُتعبَّد بتلاوته ، ولا يحلّ للمسلمين اتخاذه مهجوراً .

---

(١) سورة هود / ٢٨
(٢) جامع البيان جـ ١٢ ص ١٨
(٣) سورة الصافات / ١٠٢
(٤) جامع البيان جـ ٢٣ ص ٥٠
(٥) سورة الحجْر / ٨
(٦) جامع البيان جـ ٣٠ ص ٢١٩

وهلاّ قال ابن جرير – رحمه الله – عن القراءات التى لزمها إنّه يختارها ، ثم لم يزد ! !

* * *

هذا ، ولو أطعنا الطبرى فى تلك المفاضلات لكنّا ممن يُعْمل الاجتهاد فى القرآن ، وهو مالا يجوز فيه الاجتهاد .

والقرآن – بلا ريب – أجلّ وأخطر من أن يقرأه مسلم برأيه المجرّد .

والقراءة – كما يقرر المسلمون ، وكما ذكرنا قبلا – سنّة متّبعة [١] .

وقد كان رؤساء الصحابة ينكرون تفضيل قراءة على قراءة من أىّ وجه[٢] .

وقد حكى أبو عمر الزاهد فى كتاب « اليواقيت » عن ثعلب أنه قال : إذا اختلف الإعرابان فى القراءات لم أفضّل إعراباً على إعراب ، فإذا خرجتُ إلى كلام الناس فضّلتُ الأقوى [٣] .

وقال أبو جعفر النحاس : « السّلامة عند أهل الدين – إذا صحت القراءتان – أن لا يقال : إحداهما أجود ، لأنهما جميعاً عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فيأثم من قال ذلك »[٤] .

وقال أيضاً – وقد حكى اختلافهم فى ترجيح « فكّ رقبة » فى سورة « البلد » بالمصدريّة والفعلية – : « والديانة تحظر الطعن على القراءة التى قرأ بها الجماعة ، ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلا عن النبى – صلى الله عليه وسلّم – . . » [٥].

وقد رُوى عن صالح بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه : أىّ القراءات أحبّ إليك ؟ قال : قراءة نافع . قال صالح : فإن لم توجد ؟ قال : قراءة عاصم [٦]. بيد أن التعبير الخليق – فى ظنّنا – بأحمد بن حنبل هو ما ورد فى رواية أخرى من أنه أجاب فى شأن عاصم : « أهل الكوفة يختارون قراءته وأنا أختارها » [٧]

* * *

(١) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣٢١ و ٣٢٢
(٢) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٨٣
(٣) انظر : نفس المرجع .
(٤) انظر : نفس المرجع .
(٥) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣٣٩ و ٣٤٠
(٦) السيوطى : المرجع السابق
(٧) انظر : أبو شامة : إبراز المعانى من حرز الأمانى ص ٦

وقد قيل ، فى باب من أبواب اختلاف القراءات من حيث قراءة الضمير للغيبة عند قارئ وقراءته للخطاب عند قارئ آخر : إذا أقرأ بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء لم يكن واحد منهما خارجاً عن المصحف[1] . يقول ابن تيمية ، فى تأييد ما ذكرنا : « ومما يوضح ذلك : أنهم يتفقون فى بعض المواضع على ياء أو تاء ، ويتنوعون فى بعض ، كما اتفقوا فى قوله تعالى : « وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » فى موضع ، وتنوعوا فى موضعين »[2] .

* * *

والمسلمون – منذ كانوا – يمنعون عن قراءة وسماع ما لم تُعلم قرآنيته ، وما لم يُنقل متواتراً عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فإذا عاشت رواية قرآنية ولم ينكرها أحدٌ من المسلمين فلأنها مما ثبت أمام القواعد التى تقرر لإحدى الآيات قرآنيتَها وتواترَها ، ولا تقرر لكلام آخر القرآنيةَ والتواتر .

* * *

ومع ذلك فما زال بعض الناس يطرحون المبالاة بهذا الحق الواضح ، ففى شرح كتاب « كنز العرفان فى فقه القرآن لجمال الدين المقداد بن عبد الله السيورى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ »[3] ، يقول الشارح[4] بأن : « القراءات غير متواترة ، بل إنما هى اجتهاد من القراء ، أو نقل آحاد لم يثبت عن النبى ، صلى الله عليه وسلم »[5] ، وهو قول ينقضه تماماً ما ذكرناه .

١٠

ويعزو « طه حسين » القراءات إلى القراء من القبائل . يقول فى كتابه : « فى الأدب الجاهلى » :

« إن القرآن الذى تُلى بِلُغَة واحدة ولهجة واحدة هى لغة قريش ولهجتها لم يكد يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءاته ، وتعدّدت اللهجات فيه ، وتباينت تبايناً كثيراً جَدَّ القراء والعلماء المتأخرون فى ضبطه وتحقيقه ، فأقاموا له علماً أو علوماً خاصة »[6] .

(١) ابن تيمية : فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبع ص ٥٥
(٢) نفس المرجع ص ٥٦
(٣) مطبوع بطهران سنة ١٣٨٤ هـ
(٤) واسمه محمد باقر شريف زاده
(٥) حـ ١ ص ٤٤
(٦) فى الأدب الجاهلى ص ٩٨

فهو يرى أن القراءات ليس سببها أن القرآن هكذا أنزل ، أو هكذا أذن الله فى أن يُقرأ ، أو هكذا قرأه النبي صلى الله عليه وسلم .

(ا) وهو رأى يقتضى الشك فى أن تكون قراءتنا هى نفس قراءة النبى (ص) . وإذا كان النبي – طبقاً لهذا الرأى – لم يقرأ إلا بقراءة واحدة ، ولم يجز القراءة بغيرها ، فهل قراءته هذه ، هى التى قرأ بها – فيما بعدُ – نافع وراوياه الأشهران ، أم هل هى قراءة ابن كثير وراوييه المختارين ؟ ومَنْ مِنَ القراء العشرة ورواتهم الذين اعتمدهم المسلمون قرأ بهذه القراءة الواحدة ؟

(ب) وإذا سلّمنا – جدلاً فقط – بأنّ اختلاف الإظهار والإدغام والرَّوْم والإشمام ، والتفخيم والترقيق ، والمدّ والقصر ، والإمالة والفتح ، والتحقيق والتسهيل ، والإبدال والنقل مما يعبّر عنه اصطلاحاً بالأصول . . . إذا سلّمنا – جدلاً – بأنّ الوحى لم ينزل بهذا ، فماذا نقول فى اختلاف ضبط الحركات سواء أكانت حركات بِنْيَة أم حركات إعراب ؟ هل نقول إن اختلاف اللهجات هو سبب اختلاف القراء فى مثل نصب « الطير » فى الآية : « يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ » [1] ورفعها ؟ [2]. .

وهل اللهجات هى سبب الاختلاف فى قراءة : « وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ » [3] بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى ، وبكسر الأولى وفتح الثانية [4] ؟

وهل اللهجات هى سبب الاختلاف فى قراءة : « لَن تُخْلَفَه » [5] ، بفتح اللام وبكسرها [6] ؟

وهل اللهجات هى سبب الاختلاف فى قراءة : « رَبَّنا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنا » [7] ، بنصب

---

(١) سورة سبأ / ١٠

(٢) يقرأ رَوْح برفع الراء من « والطيرُ » (الدمياطى البنا : الإتحاف ص ٣٥٨) .

(٣) سورة إبراهيم / ٤٦ .

(٤) يقرأ الكسائىّ بفتح اللام الأولى ورفع الثانية ، والباقون بكسر الأولى ونصب الثانية (انظر : الدمياطى البنا : الإتحاف ص ٢٧٣)

(٥) سورة طه / ٩٧

(٦) قرأ نافع ، وعاصم ، وابنُ عامر ، وحمزة والكسائىّ : « لن تُخْلَفَهُ » بفتح اللام ، وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : « لَنْ تُخْلِفَهُ » ، بكسر اللام (انظر ابن مجاهد : السبعة ص ٤٢٤)

(٧) سورة سبأ / ١٩

لفظِ « رَبَّنَا » على النداء ، وقراءة : « رَبُّنا » بَاعَدَ بَيْن أسفارنا » بضم الباء على الابتداء [1] ؟

وماذا نقول فى اختلافات فى القراءة تقع فى حروف الكلمات دون إعرابها مما يغيّر معناها ولا يغيّر صورتها ، نحو قوله : « تَبْلُواْ » و « تَتْلُواْ » [2] ، ومثل « عِبَادُ الرّحْمَنِ » و « عِنْدَ الرحمن » [3] هل يمكن أن تنشأ – عن تعدّد اللهجات وتباينها – مثل هذه الاختلافات المختارة بغير تعمّل ؟

(ح) والقوانين الطبيعية العامة التى تجعل اللغة تتجه فى تطورها الصوتى عند كلّ جماعة من الجماعات الناطقة بها وجْهة خاصة ، والتى كانت على عهد نزول القرآن قد أحدثت اختلاف اللهجات بين القبائل العربية . . . هذه القوانين ما انفكّت تعمل عملها فى اللغات الإنسانية ، فهى – فى اللغة العربية – ما برحت تولّد اللهجات المتباينة بين الناطقين بها . وهو تباين نلمسه جيداً فى عامية مصر ، وعامية نجد والحجاز ، وعامية العراق ، وعامية اليمن وعامية المغرب .

وإذا كان تعدّد اللهجات سوّغ قديماً لقراء القبائل المختلفة أَن يكثروا من قراءات القرآن بما يوافق لهجاتهم ، وأن يَدَعُوا هذه اللهجات تتعدّد فى القرآن ، وهذا كلّه من تلقاء أنفسهم ، وليس بتوجيه من النبيّ (ص) ، فإنه لا حرج إذن – فى ظلّ هذا المذهب الظاهر الفساد – من أن تمضى قراءات القرآن فى الكثرة ، ولهجاته فى التعدد ، فمثلا ، لا حرج – فى ظل هذا المذهب – وقد تحوّلت الثاءُ إلى تاءٍ ، وأحياناً إلى سين فى بعض المناطق العربية ، وتحولت القاف إلى جيم غير معطّشة فى بعض هذه المناطق ، وإلى همزة فى مناطق

---

(١) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وهشام أحد الراويين الأشهرين لابن عامر بنَصْب لفظ « ربَّنا » على النداء ، و « بَعِّدْ » بكِسر العين المشدّدة بلا ألف : فعل طلب ، اجتراءً منهم وبَطَراً .

وقرأ يعقوب : « رَبُّنا » بضم الباء على الابتداء ، و (باعد) خبر ، على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطا فى الترفّه وعدم الاعتداد بما أنعم الله به عليهم .

وقرأ الباقون : « ربَّنا » بالنصب « باعِد » بالألف وكسْر العين وسكون الدّال . (انظر : الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٣٥٩)

(٢) سورة يونس / من الآية ٣٠

وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر : « تَبْلُواْ » بالباء .

وقرأ حمزة ، والكسائىّ : « تَتْلُوْا » بالتاء (أنظر : ابن مجاهد : السبعة ص ٣٢٥)

ومعنى « تبلوا » : تَخْبُرُ ، ومعنى (تتلوا) تقرأ .

(٣) سورة الزخرف / من الآية ١٩

ويقرأ أبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف : « عباد » بألف بعد الباء ، ورفْع الدال (جمع عَبْد) ويقرأ الباقون : « عِنْدَ » بالنون الساكنة ، وفتح الدال بلا ألف ظرفاً (انظر : الدمياطى البنا : الإتحاف ص ٣٨٥)

أخرى ، وتحوّلت الذال إلى زاى ، وتضاءلت أَصوات اللّين الطويلة حتى كادت تنقرض [١] .

لا حرج من أن يقرأ القارئ : إنّ الله لا يظلم (متآل) أَو (مسآل) أَو (مسجال) زرّة ، بدلا من قوله . « إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ » [٢] ويقرأ : « فإنْ لم يكن لو ولدٌ ، وورثه أَبويه فلأمه التُّلْثْ » ، ويقرأ : « فإن كانوا أكثَر من ذلك فهم شُرَكِهْ فى التِّلْت » ، بدلاً من قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ » . . وقوله « فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ » [٣] . ويقرأ : فإن أَعرضوا « فَجُلْ » أو « فأول » أنزرتكم « صعأة » أو « صعجة » مِسْل « صعأة » أو « صعجة » عاد وسمود ، بدلاً من قوله سبحانه : « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ » [٤] .

ومن أسهل السهل أن نورد من هذا القبيل مئاتِ الأمثلة أو أُلوفَها ، ولكننا نجتزئ بما ذكرنا لكفايته فى إثبات أن تَرْك القرآن للناس يقرأونه بما يشتهون من قراءات وما يُؤْثِرون من لهجات – كما ظنَّ طه حسين – هو ، فى كلمة موجزة ، إلغاء للقرآن .

* * *

ولطه حسين – فى شأن القراءات – رأى خاطئ ثان ، فهو يقول :

« وهنا وقفة لابدّ منها، ذلك أن قوماً من رجال الدين فهموا أنّ هذه القراءات السبع متواترة عن النبيّ ، نزل بها جبريل على قلبه ، فمنكرها كافر من غير شك ولا ريبة ، ولم يُوَفَّقوا إلى دليل يستدلّون به على ما يقولون سوى ما رُوِى فى الصّحيح من قوله صلى الله عليه وسلم : « أُنْزِل القرآنُ على سبعة أحرف » [٥] .

ويمضى فيقول :

« والحق أن ليست هذه القراءات السّبع من الوحى فى قليل ولا كثير ، وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً ولا مُغْتَمِزاً فى دينه ، وإنما هى قراءات مصدرها اللّهجات واختلافها . . للناس أن يجادلوا فيها ، وأن ينكروا بعضها ويقبلوا بعضها . . . وقد جادلوا فيها بالفعل وتماروا ، وخطّأ فيها بعضهم بعضاً ، ولم نعرف أنّ أحداً من المسلمين كفّر أحداً لشىء من هذا . . إلخ » [٦]

---

(١) انظر : على عبد الواحد وافى : علم اللغة ص ٢٦٤ – ٣٠٠

(٢) سورة النساء / ٤٠ .

(٣) سورة النساء / ١١ ، ١٢ .

(٤) سورة فصّلت / ١٣

(٥) فى الأدب الجاهلى ص ٩٨ و ٩٩ .

(٦) نفس الكتاب ص ٩٩

وطه حسين – فى ارتيابه فى الأحاديث الصحيحة – إنما يتابع غالباً ، ولو لم يصرح ، تيودور نولدكه [١] صاحب كتاب « تاريخ القرآن » [٢] الذى سبق إلى مثل هذا الارتياب فى أكثر ما يتعلق بتاريخ القرآن من الروايات والأحاديث وأقوال المفسِّرين .

ولسنا مع طه حسين ولا مع نولدكه فى عدم الاعتداد بالسّنّة الصحيحة فى الاستدلال على قرآنية القراءات ، فالحديث النبوى – إذا صحّ – هو عند المسلمين حجّتهم القاطعة بعد القرآن [٣] .

ومع هذا ، فنحن نناقش تلك الدعاوى أيضاً عن غير طريق السّنّة :

١ – إنه ما دام أمر القراءات – بحسب قول طه حسين – أمراً تجوز فيه المجادلة والإنكار والقبول والرفض ، فإنّ من المنطق أن تجوز فيه الإضافة والاستحداث . ولماذا لا يقرأ كلّ مسلم القرآن بلهجته الخاصة على النّمط الذى أشرنا إليه فى فقرات سابقة ؟ ولماذا لا يقرأ أبناء البلاد الآسيوية والأفريقية القرآن بلهجاتهم ؟ ولماذا لا يقرأ المسلمون : الأمريكى والأوروبى والأسترالى كل منهم بلهجته ؟ هذه نتيجة خاطئة لمقدمة خاطئة . وقد سقنا الشواهد آنفاً على أنّ البشر إذ يُدْخلون اللّهجات من عندهم فى القرآن يلغونه إلغاء ، فضلا عن أن يبدّلوه تبديلا .

٢ – ثم إنه يلزم من إنكار قرآنية القراءات أن يكون رواتها وعلماؤها – منذ فجر الإسلام – جهلة وحمقى ، أو كذابين ومجترئين ، لا يرعون لكتابهم الأكبر حرمة ، بل يتواطؤون ضده ، على مدى الأزمان ، بأعدادهم التى لا تحصى . ويلزم أيضاً أن تكون الأمة ، منذ عهد النبى (ص) إلى يومنا هذا ، تابعت أناساً فيما جاءوا به من عند أنفسهم ، ولم يتابعوا كلام السماء

٣ – فأما قول طه حسين إنه لم يعرف أنّ أحداً من المسلمين كفّر أحداً لشىء من المجادلة فى القراءات ، وإنكار بعضها ، وقبول بعضها ، فيردّه الكثير مما جاء فى كتب علوم القرآن وكتب السّنة والتاريخ والتراجم والأدب :

(ا) فى لفظ لعمرو بن العاص فى حديث الأحرف السبعة التى نزل القرآن عليها :

---

(١) Theodor Nöldeke

(٢) Geschichte des Qorans (Gottingen, 1860)

(٣) انظر فى أهمية السّنة : مصطفى السباعى : السّنّة ومكانتها فى التشريع الإسلامى .
عبد الحليم محمود : السنة فى مكانتها وفى تاريخها .
ومحمد الحافظ التجانى : سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .
والسيّد سليمان الندوى : تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها .

« فأىّ ذلك قرأتم فقد أصبتم ، ولا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر » ، رواه ، أو روى مثله أحمد ، وأبو عبيد ، والطبرى ، والطبرانى ، وابن حبان ، والحاكم[١] .

(ب) ويقول القاضى عياض : « واعلم أنّ من استخفّ بالقرآن أو المصحف أو بشىء منه أو سبّهما ، أو جحده أو حرفاً منه أو آية . . . أو شكّ فى شىء من ذلك فهو كافر – عند أهل العلم – بإجماع »[٢] .

(ح) ويروى عياض ما قاله أبو عثمان الحدّاد من أن جميع من ينتحل التوحيد متفقون على أن الجحد لحرف من التنزيل كفر[٣] .

(د) وكان أبو العالية أحد أئمة القراءات إذا قرأ عنده رجل – أى بقراءة لم يعرفها – لم يقل له : ليس كما قرأت ، ويقول : أما أنا فأقرأ كذا . وهذا – كما يقول على القارى – « من كمال احتياطه فى تورّعه »[٤] .

ويقول على القارئ : « فبلغ ذلك القولُ من أبى العالية إبراهيم النخعى أو التيمى ، فقال : أُراه – بضم الهمزة – أى أظنه سمع أنّ من كفر بحرف منه فقد كفر به كلّه ، لأنّ الكفر ببعضه يؤذن بالكفر بكله ، بخلاف الإيمان ببعضه ، فإنه لا يقوم مقام الإيمان بكلّه »[٥] .

(هـ) ويقول الطحاوى : « إنّ من كفر بحرف منه – فيما خلا روايات الآحاد – كان كافراً حلالَ الدّم إن لم يرجع إلى ما عليه الجماعة »[٦] .

(و) وقد أصدر شيخ الشافعية أبو الحسن على بن عبد الكافى ، فى هذا الشأن فتوى يقول فيها :

« القراءات السبع التى اقتصر عليها الشاطبى ، والثلاث التى هى قراءة أبى جعفر ، وقراءة يعقوب ، وقراءة خلف : متواترة ، معلومة من الدين بالضرورة ، وكلّ حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لايكابر فى شىء من ذلك إلا جاهل ، وليس تواتر شىء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات ، بل هى عند كلّ مسلم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، ولو كان

---

(١) انظر : المناوى : فيض القدير جـ ٤ ص ٥٣٦ . ورواية أحمد فى مسنده : « . . . فإنّ مراء فيه كفر » . ومفهوم أن الأحرف السبعة التى نزل القرآن عليها هى أصل القراءات المتواترة والمشهورة .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ ٢ ص ٢٦٣

(٣) نفس المرجع ص ٢٦٤ .

(٤) شرح الشفا حـ ٢ ص ٤٥٢ (ط . تركيا ١٣١٠) .

(٥) نفس المرجع .

(٦) مشكل الآثار جـ ٤ ص ١٩٤ .

– مع ذلك – عاميًّا جلفاً لا يحفظ من القرآن حرفاً . ولهذا تقرير طويل ، وبرهان عريض لا يسع هذه الورقة شرحه . وحظّ كلّ مسلم وحقه أن يدين الله تعالى ، ويجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين ، لا تتطرق الظنون ولا الارتياب إلى شيء منه »[١] .

(ز) وعندما قرأ ابن شنبوذ وابن مقسم العطار وغيرهما بشواذّ من القراءات غضب المسلمون ، وأزْرَوْا بهم على التفاصيل التى سنبسطها فى فصل آخر ، إن شاء الله .

(ح) هذا ، والمسلمون لا يزالون ينكرون – مثل ما أنكر أوَّلوهُم – على الممارين فى قرآنية القراءات المتواترة وغير الشاذة . وقد وضع أحد شيوخ المقارئ عندنا[٢] كتاباً فى هذا أسماه : « السيوف الساحقة فى الردّ على منكرى القراءات من الزنادقة » .

(ط) والذين رووا القراءات هم الصحابة الذين تلقّوا القرآن عن النبى نفسه ، فهم – بهاتين الصفتين : الصحبة ، والتلقّى عن النبى صلى الله عليه وسلم – أهمّ أصحاب الاختصاص فى ذلك الشأن ، وقولهم هو – منطقيًّا – الأجدر بالقبول . يقول عمر بن الخطاب فى أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام : « إنه سيأتى ناس يجادلونكم شبهات القرآن ، فخذوهم بالسّنن ، فإنّ أصحاب السنن أعلم بكتاب الله »[٣] .

(ى) والصحابة نقلوا الإسلام : عقائده وشرائعه ، فلم يمار أحدٌ فيما نقلوا ، فَلِمَ نماريهم فى روايات القرآن الذى تقتضينا البداهة الحكم بأنه ظفر منهم قطعاً بأدقّ دقّة .

(ك) ولن يُقال إنه لا محلّ للخوف من مثل أقوال طه حسين ، إذا كان الاختلاف الذي يعنيه هو الاختلاف فى الصورة والشكل لا فى المادة واللفظ ، كما قال طه حسين نفسه[٤] ، ذلك أن الاختلاف حتى فى الصورة أو فى الشكل يُفضى إلى تغيير المعانى . وقد ترتّب على مثل هذا الاختلاف اختلاف فى الأحكام ، كما حدث بالنسبة لكلمة « لَمَسْتُمْ »[٥] ، من غير ألف بعد اللام مرة ، وبألف بعد اللّام مرة أخرى[٦] ، وكلمة « يَطْهُرْنَ »[٧] مرة بسكون

---

(١) انظر : ابن الجزرى : كتاب النشر جـ ١ ص ٤٦

(٢) خلف الحسينى الحداد .

(٣) الدارمى – المقدمة ، الباب ١٦ .

(٤) انظر : الأدب الجاهلى ص ٩٩

(٥) سورة النساء / ضمن الآية ٤٣

(٦) بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة فى « لمستم » و « لامستم » (انظر مثلا : الطبرى : جامع البيان جـ ٥ ص ٢٢٣) .

(٧) سورة البقرة / ضمن الآية ٢٢٢

الطاء المخففة وضم الهاء ، ومرّة أخرى بفتح الطاء مشدّدة وتشديد الهاء مفتوحة(١) ، وكلمة « ألا » بالتخفيف والتشديد فى آية : « أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ » (٢) ، وكلمة « أمـرنا » فى قوله تعالى : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَـرْنَا مُتْرَفِيهَا » (٣) بفتح الميم وتشديدها ، ومع الفتح المخفف مرة أخرى ، وهى فى الحالة الثانية بمعنى جعلنا لهم إمرة وسلطاناً (٤) .

(ل) ويستوى عندنا فى الرفض أن يكون المقصود بالإنكار والنسبة إلى العباد هو الأحرف السبعة التى أُنزل القرآن عليها ، والتى كانت ضرورتها قدزالت عند الجمع العثمانى ، أو يكون المقصود هو القراءات السّبع أَو العشر التى اختيرت فيما بعد عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعُرفت بأسماء مختاريها ، والتى تطابق رسم المصحف ، فإنّ أصول الخلاف اليسير فى هذه القراءات الأخيرة ترجع – على الأغلب وكما قلنا قبلا – إلى اختلاف الأحرف السبعة . وإن لهذا لتفاصيل فى مواضع أخرى من هذا البحث(٥) .

* * *

هذا ، وطه حسين فى بعض آرائه تلك – ولو لم يصرّح أيضاً – متأثر بابن جرير الطبرى الذى يرى أن المماراة فى رفع حرف من القرآن وجرّه ونصبه وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف إلى آخر ، مع اتفاق الصّورة لا توجب كفراً (٦) .

---

(١) القراءة الأولى قراءة نافع وأبى عمرو ، وهى تعنى أن ينقطع عنهن الدم ، والثانية قراءة حمزة والكسائى ، وهى تعنى أن يغتسلن بالماء (الفرّاء : معانى القرآن جـ ١ ص ١٤٣ . وانظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٣ ص ٨٨) والرأى الثانى رأى الشافعى ومن وافقه .

(٢) سورة النمل / ٢٥

والتخفيف قراءة الكسائى ، ورويس ، وأبى جعفر ، وَوُجِّهَ بأن « ألا » للإستفتاح ، والباقون بتشديد اللام (الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٣٣٦)

(٣) سورة الإسراء / ١٦

(٤) قال الكسائى : ويحتمل أن « أمرنا » بالتخفيف غير ممدودة ، بمعنى أمّرنا بالتشديد من الإمارة (انظر : ابو عبيد البكرى : التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه ص ٤٢)

(٥) يقول ابن حزم ، فى الرد على من قال إن عثمان أبطل ستة أحرف من الأحرف المنزلة واقتصر على حرف منها : « فقد كذب من قال ذلك : ولو فعل عثمان ذلك أو أراده لخرج عن الإسلام . . . بل الأحرف السبعة كلها موجودة عندنا قائمة ، كما كانت مبثوثة فى القراءات المشهورة المأثورة » (الفصل فى الملل والنحل جـ ٢ ص ٧٧ ، ٧٨)

(٦) أنظر : جامع البيان عن تأويل القرآن جـ ١ ص ٦٥ (ط . محمود شاكر بمصر) والقاسمى : محاسن التأويل جـ ١ ص ٢٩٤

١١

وعند « جواد على » أن اختلاف القراءات لا يرجع إلى الأسباب المألوفة المتواترة ، وإنما يرجع إلى أسباب أهمّها : « مسائل ظهرت بعد نزول الوحى من خاصّية القلم الذى دُوّن به القرآن الكريم ، فرسم أكثر حروف هذا القلم متشابه ، والمميّز فيها هو النقط ، وقد ظهر النقط بعد نزول الوحى بأمد ، ثم إن هذا القلم كان خالياً فى بادئ أمره من الحركات ، وخلوّ الكلم من الحركات يحدث مشكلات عديدة فى الضبط من حيث إخراج الكلمة ، أى كيفية النطق بها ، ومن حيث مواقع الكلام فى الإعراب »(١) .

وأحال « جواد على » إلى الشواهد التى أوردها جولد تسيهر فى كتابه « المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن » ، والتى يعدّها الاثنان أمثلة للاختلاف الحادث من الخطأ ، ومنها :

(ا) « تستكبرون » بالباء الموحدة ، و « تستكثرون » بالثاء المثلثة فى الآية : « وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَٰهُمْ ، قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ »(٢) .

(ب) « بُشْراً » أو « نَشْراً » فى الآية : « وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ »(٣) .

(حـ) « إيّاه » فى الآية : « وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ »(٤) ، إذ وردت أيضاً « أباه » بالباء الموحدة (٥) .

---

(١) لهجة القرآن الكريم — بحث فى مجلة المجمع العلمى العراقى — المجلد الثالث ، الجزء الثانى ٨٩ .

ومثل قول جواد علىّ قول صاحب كتاب « الفرقان » إذ يقرر أنّ اختلاف الرسم أدى إلى اختلاف القراء — ص ١٢٢ و ١٢٣

(٢) سورة الأعراف / ٤٨

وقراءة : « تستكثرون » من القراءات الشاذة المردودة .

(٣) سورة الأعراف / ٥٧

و « بُشرا » لعاصم و « نَشْراً » لحمزة والكسائى وخلف .

وقد قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب : « نُشُرا » . أما ابن عامر فيقرؤها : « نَشْرا » . (أنظر : ابن الجزرى : النشر جـ ٢ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ ، والدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٦)

(٤) سورة التوبة / ١١٤ .

(٥) قراءة شاذة مردودة .

ورأى جواد على – ولو لم يصرّح هو الآخر – هو رأى المستشرقَيْن المعروفَيْن جولد تسيهر ونولدكه الوارد ذكرهما آنفاً [١] ، فهما – فيما استفاض عنهما ، وفيما أوردا فى كتاباتهما – يريان أن القراءات نشأت بعد ظهور الشكل والنقط ، أى بعد انقضاء عهد الصحابة ، وأنّ المرحلة الأولى لتفسير القرآن انقضت فى إقامة النصّ .

وهذا نص كلام أحد هذين المستشرقين ، وهو جولد تسيهر فى هذا الشأن ، لنرى أنه أصل كلام جواد على :

يقول جولد تسيهر :

« وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات (يقصد فى القراءات) إلى خصوصية الخط العربى الذى يقوم هيكله المرسوم على مقادير صوتية مختلفة ، تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعية فوق هذا الهيكل أو تحته ، وعدد تلك النقاط ، بل كذلك فى حالة تساوى المقادير الصوتية يدعو إلى اختلاف الحركات الذى لا يوجد فى الكتابة العربية الأصلية ما يحدّده ، وإلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة ، وبهذا إلى اختلاف دلالتها .

وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات فى المحصول الموحّد الغالب من الحروف الصّامتة ، كانا هما السبب فى نشأة حركة اختلاف القراءات فى نصّ لم يكن منقوطاً أصلاً ، أو لم تُتحرّ الدقة فى نقطه أو تحريكه »[٢] .

ورأى جواد على هو أيضاً رأى المستشرق بروكلمان الذى خبط فى تلك الدعوى ، واستغوى بها جواد علىّ وغيره ، وأوقعهم فى هذه الزّلة العلمية . يقول بروكلمان ، فى شأن اختلاف القراءات :

« فَتَحَت الكتابة التى لم تكن قد وَصَلَتْ بعدُ إلى درجة الكمال مجالاً لبعض الاختلافات فى القراءة ، لا سيما إذْ كانت غير كاملة النقط ولا مشتملة على رسوم الحركات ، فاشتغل القراء – على هذا الأساس – بتصحيح القراءات واختلافاتها »[٣] .

---

(١) كَتَبَ نولدكه كتابه « تاريخ القرآن » الذى أشرنا إليه قبلا فى ردّنا على طه حسين ، ويصف جولد تسيهر هذا الكتاب « بأنه أصيل وبكر » ويلقّب مؤلفه بـ « زعيمنا الكبير » (انظر : مذاهب التفسير الإسلامى – الترجمة العربية – ص ٨ و ٩) .

(٢) انظر الكتاب السابق ص ٨ و ٩ .

ومما يذكر أن بعض الكتاب المحدثين غير جواد على – ادّعوا هذا الرأى لهم . وقد نشر عبد المتعال الصعيدى كلاما ، ككلام جولد تسيهر بعنوان : « سبب مجهول من أسباب اختلاف القراءات » فى مجلة الرسالة ع ٤٨٨ فى ٩ نوفمبر ١٩٤٢

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى – ترجمة عبد الحليم النجار (الطبعة الثانية حـ ١ ص ١٣٤) .

وهؤلاء المستشرقون وشركاؤهم وتلاميذهم يلتقون – كما رأينا – فى دعواهم تلك – عند نقطة معيّنة هى خلوّ الكتابة العربية فى صدر الإسلام من علامات الشكل والنقط ، وإن كان بعضهم ادّعى أن الاختلاف فى القراءات كان قبل تلك العلامات ، وآخرون ادَّعَوْا أنّ الاختلاف كان بعدها .

وهذا الرأى الذى سننقضه الآن هو – على الحقيقة – أقدم حتى من هؤلاء المستشرقين ، ومن حطبوا فى حبلهم من الكتّاب العرب .

فعلماء المسلمين منذ قديم ، وعلى مدى الأجيال ، وكما أوردنا قبلا ، يدفعون هذا الرأى ، ويحاجّون أصحابه ، ويؤكّدون أن ليس لأحد أن يقرأ برأيه المجرّد ، وأنّ القراءة سنّة متبعة ، ونقل محض . . إلخ [١].

وقديماً رأى ابن مقسم العطار جَعْل القراءة تابعة للرسم ، دون الاعتماد الكامل على السَّنَد ، فردّ المسلمون – فى شدّة – قراءته ، ولهذا مزيد بيان فى فصل تال .

وقيل إن بعض الرَّافضة يقرأون : « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً » [٢] بفتح اللاّم وبالسكون على الياء (فى : المضلين) ، يعنون الشيخين : أبا بكر وعمر ، وظاهرٌ أنّ الرّسم – قبل استحداث الشكل – يحتمل هذه القراءة ، ومع ذلك كُفِّر أصحابُها ، لسبب أساسى ، هو أنّ قراءتهم مخالفة للرواية الشفوية المتواترة [٣] .

وعلماء المسلمين يقولون إن إباحة القراءات لم تقع بالتَّشهّى ، وإنما هى بالسّماع من النبى صلى الله عليه وسلم [٤] .

وهم أيضاً يذكرون أن القراءات التى يُقْرأ بها منذ الجمع العثمانى إنما اختلف القراء فيها لأن أهل كل ناحية ثبتوا على ما كانوا تلقوه سماعاً من الصحابة ، بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط امتثالاً للجمع العثمانى الذى أجْمَعَ عليه المسلمون [٥] .

* * *

ولْنَدَعْ نصوص السُّنَّة التى تفنّد فكرة أن القراءات نشأت بعد ظهور الشكل والنقط ،

---

(١) انظر مثلا : ابن تيمية : المرجع السابق ص ٥٥ – ٥٩ .

(٢) سورة الكهف / ٥١ .

(٣) أنظر : ابن الجزرى : منجد المقرئين ص ٢٣

(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ٢٢

(٥) المرجع السابق ص ١٥

مع تسليمنا بأهمية هذه النصوص ما دامت صحيحة ، ثم لنُلْقِ على هذه الفكرة نظرة موضوعية لنرى إلى أيّ مدى تستطيع الثبات :

(ا) إنه يبعد – منطقيًّا – أن يُترك أمرُ القرآن – وهو ما هو بالنسبة للإسلام – إلى البشر يقرءونه بالاجتهاد لا بالتلقى ، فتتعرض نصوصه للاختلاف والتحريف .

وإذا كان أصحاب الأفكار من النّاس – على مدى الزمن – يحرصون على التعبير عن أفكارهم بعباراتهم هم ، ولا يَدَعون لغيرهم التصرف فى هذه العبارات على أىّ نحو ، فكيف يسوغ فى القرآن أن يُترك للبشر قراءتُه بأوجهٍ لم يتلقَّوْها . . أوجه هى من اختراعهم البشرىّ ، وهى وليدة فهمهم الذاتى؟ هذا مع فارقين عظيمين جداًّ :

أولهما : بُعْد ما بين الأفكار البشرية والقرآن الذى لابدّ لأتباعه أن يؤمنوا بإعجازه وقداسته وخطر شأنه .

وثانيهما : ولله المَثَلُ الأعلى ، تقارب القدرات بين الإنسان صاحب الفكرة والإنسان الآخر الذى قد يتصرف فى التعبير عنها . واللهُ الذى ليس كمثله شىء غنىّ عن كلّ خلقه أن يشاركوه – على ما يدركون أوما يحبّون – فى تحديد ألفاظ وَحْيه .

(ب) ولو جاز للناس أن يغيِّروا شيئاً من القرآن عما تلقَّوْا من الرسول ، لأصبح بعض القرآن من كلامهم لا من كلام الله ، وإذن لبطلت صفته الإعجازية التى يؤمن بها المسلمون ، والتى طالما نوّه هو بها ، والتى لا تزال قائمة .

ويستوى فى إحداث التغيير أن يكون مما لا يتجاوز الصورة وطريقة الأداء وكيفية اللهجة ، أو أن يكون ممتداًّ إلى الحروف ، أوالكلمات ، أو الحركات .

وكيف يجتهد مسلم فى هذا القرآن اجتهاداً يؤدّى إلى تبديل شىء منه ، والتبديل لا يرغب فيه إلا كافر يعاديه الإسلام ؟ كيف ، ونبىّ الإسلام نفسه لا يملك أن يبدّل من القرآن شيئاً ، بل إنّ التبديل عنده أمر لو وقع لكان معصية عذابها هائل مخوف فى اليوم الآخر الخطير الشأن ، فضلا عن الحياة الدنيا ؟

« وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا : ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ! قُلْ : مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ، إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ ، وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ »[1] .

---

(١) سورة يونس / ١٥ و ١٦ .

« تَنْزِيلٌ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ »(١) .

يقول الشافعي : « إنّه لا ينسخ كتابَ الله إلا كتابُه ، كما كان المبتدئ لفرضه فهو المزيلُ المثبت لما شاء منه جَلّ ثناؤه ، ولا يكون ذلك لأحد من خلقه »(٢) .

(حـ) والقرآن نفسه ندّد بما وقع للكتب الدينية الأخرى من تحريف وتبديل ، وعاب المحرّفين والمبدّلين بعامة :

« مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ »(٣) ،

« فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ »(٤)

« وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ »(٥) .

« فَبَدَّلَ ٱلَّذِى ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ »(٦)

فكيف يدع المسلمون الذرائع ليقع فى القرآن نفسُ الذى عابه ؟

(د) والمسلمون — لسبب عقيدىّ — هو إيمانهم بالقرآن الذى فيه : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ »(٧) ، وفيه : « وَإِنَّهُ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ »(٨) لا يمكن عقلا أن يكونوا قد سمحوا بأىّ تغيير من عندهم فى القرآن صَغُر هذا التغيير أو كَبُر .

(هـ) ثم هناك حقيقة هامّة أغفلها ذلك الرأى ، وهى أنّ المسلمين لم يعتمدوا فى نقل القرآن على خطّ المصاحف ، وإنما اعتمدوا على حفظ القلوب والصّدور . وقد عُدَّ ذلك من أشرف خَصائصهم ، وجاء فى صفتهم : « أناجيلهم فى صدورهم » ، بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلاّ فى الكُتُب ، ولا يقرءونه كلّه إلاّ نظراً لا عن ظهر قلب . وروت السّنّة أن الله تعالى قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثتُك لأبتليَك ، وأَبتلىَ بك ، وأنزلتُ عليكَ

---

(١) سورة الحاقة / ٤٣ — ٤٧ .
(٢) الرسالة ص ١٠٦ و ١٠٧ .
(٣) سورة النساء / ٤٦
(٤) سورة المائدة / ١٣ .
(٥) سورة البقرة / ٧٥ .
(٦) سورة الأعراف / ١٦٢
(٧) سورة الحجر / ٩ .
(٨) سورة فصلت / ٤١ , ٢

كتاباً لا يغسله الماء ، تقرؤه نائماً ويقظان . . . إلخ »[١] .

والأمثلة التي أوردها جولد تسيهر آنفاً بدعوى أنها أمثلة للاختلاف الحادث عن الخطّ والتي أوضحنا في الحواشي أن بعضها شاذّ ومردود ، وبعضها الآخر مبنيّ على تواتر الرواية لا على هيئة الرسم . . . هذه الأمثلة نفسها تؤيد عكس ما توهمه جولد تسيهر والآخذون منه ، تؤيد أن المعوّل — في صحة القراءة — ليس أبداً على الخطّ ، وإنما على التواتر والتلقّي الشفهي .

ولو كانت المصاحف المكتوبة هي المصدر الأوثق في نقل القرآن ، لكان بحسْب الناس التعويل عليها وحدها ، ولكانت للقراء أنفسهم ندحة عن رَحَلاتهم شرقاً وغرْباً ، من أجل المشافَهة والسّماع ، وهي رحلات طويلة كثيرة ثابتة لنا من إجازات القراءة والإقراء ، وحافلةٌ بأخبارها تراجم القراء والمقرئين .

(و) والاستقراء الموضوعي يؤدي إلينا أنه لم ينقل عَبْر القرون كتاب سماويّ أو غير سماويّ ، بالتواتر القطعيّ ، والإسناد الصحيح ، عن العدول الضابطين ، طبقةً بعد طبقة ، مثلما وقع للقرآن ، وقد تلقّوه من النبي نفسه حرفاً حرفاً ، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يصدع بأمر الله ، فيبلغ القرآن للناس : « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ »[٢] ، وكان الصحابة — ومكانتهم من العدالة والضبط والثقة معروفة — يسارعون إلى تلقّي القرآن وتجويده وحفظه وتتبّع وجوه قراءاته .

وإذن لم يكن ثمة محل — أمام التابعين وتابعيهم — للنظر في قراءة القرآن بقراءات أخرى غير التي تلقّوها عن الصحابة ، وهي نفس ما تلقّاه هؤلاء عن النبي صلى الله عليه وسلّم .

(ز) وقد ثبت أنه في حياة النبي صلوات الله عليه ، سمع عمر بن الخطاب واحداً من الصحابة هو هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يكن عمر يعرفها ، وأن أبيّ بن كعب سمع اثنين من المسلمين يقرآن سورة النحل بقراءة تخالف قراءة أبيّ ، وأن عبد الله ابن مسعود سمع مسلماً يقرأ قراءة تخالف قراءته ، وقد احتكم هؤلاء جميعاً إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأقرّ كلاً منهم على قراءته ، وقال : إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف ،

---

(١) انظر : مسلم : الجامع الصحيح ج ٨ ص ١٥٩ ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

(٢) سورة المائدة / ٦٧

فاقرءوا ما تيسّرمنه [١]. وقد ألمعنا قبلا إلى هذا الحديث .

وفى لفظ « مسلم » عن « أبىّ » : « أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان عند أضاة بنى غفار [٢] ، فأتاه جبريل .

فقال : إن الله يأمرك أن تُقْرِئَ أُمَّتكَ القرآن على حرف .

فقال : سل الله معافاته ومعونته ، فإنّ أمتى لا تطيق ذلك .

ثم أتاه الثانية على حرفين ، فقال له مثل ذلك .

ثم أتاه الثالثة بثلاثة ، فقال له مثل ذلك .

ثم أتاه الرابعة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا »[٣] .

وواضح أنّ هذا الإذن السماوىّ الذى تواترت أخباره هو – كما ألمعنا قبلا – أصل اختلاف القراءات ، وليس ينفيه أن يكون المسلمون – عند جمعهم القرآن على عهد عثمان – حَكَمُوا بالنَّسخ على الأحرف التى خلت منها العرضة الأخيرة ، حسبما أوضحنا فى حديثنا عن هذا الجمع .

(ح) ويدلّ أيضاً على أنّ القراءات ليست مستنبَطَةً من النقْط والشكْل ، وإنما هى متلقّاة بالسّماع والمشافهة من النبى صلى الله عليه وسلم أن المسلمين يتفقون فى بعض مواضع القرآن على ياء أو تاء ، ثم هم فى مواضع أخرى مماثلة لا يتفقون إلاّ على أحد هذين الحرفين . ونجتزئ فى سَوْق الأمثلة بالآيات التّالية :

« وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » ، فى سورة البقرة [٤] .

« هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » ، فى سورة يونس [٥] .

« لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » ، فى سورة القصص [٦] .

---

(١) انظر : الكرمانى : شرح صحيح البخارى جـ ٧ ص ٢١٦ .

(٢) هو مستنقع الماء كالغدير ، وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب إلى بنى غفار ، لأنهم نزلوا عنده (انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ ٩ ص ٢٨)

وقيل : موضع قريب من مكة فوق (سَرِف) قرب (التناضب) .

(وانظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان حـ ١ ص ٢١٤) .

(٣) الجامع الصحيح حـ ٢ ص ٢٠٣ و ٢٠٤ .

ورواه أبو داود ، والترمذى ، وأحمد .

(٤) الآية ٢٤٥

(٥) الآية ٥٦

(٦) الآية ٨٨

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فى سورة يس[١] .

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فى سورة يس أيضاً[٢] .

« ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فى سورة الزُّمَر[٣] .

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فى سورة فُصِّلت[٤] .

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فى سورة الزّخرف[٥].

هذه كلها متفق على أنها بالخطاب ؛ بينما اختلفوا فى :

« ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » فى سورة العنكبوت[٦] ، فقد قرأ شُعْبَةُ عن عاصم بالياء ، وغيرُه بالتاء[٧] .

والآية « ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فى سورة الرُّوم[٨] ، قرأها أبو عمرو ، وشُعبة ، ورَوْح بالياء ، وغيرهم بالتاء[٩] .

وكذلك الآية : « ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » فى سورة الأنعام[١٠] والآية : « وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ فى سورة مريم[١١] متفقٌ على أنهما بالغيبة ، بينما اختلف القرّاء فى آية : « طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » فى سورة آل عمران[١٢]. فإنّ حفصاً ويعقوب يقرآنها بالياء ، وغيرهما بالتاء[١٣].

والآية : « وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » فى سورة البقرة[١٤]. قرأها ابن كثير : « يعملون » بالياء[١٥].

والآية : « قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ

---

(١) الآية ٢٢

(٢) الآية ٨٣

(٣) الآية ٤٤

(٤) الآية ٢١

(٥) الآية ٨٥

(٦) الآية ٥٧

(٧) انظر مثلا : ابن مجاهد : كتاب السبعة فى القراءات ص ٣٤٦ .
الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٥٠٢ .
وعلى الضّبّاع : إرشاد المريد إلى مقصود القصيد ص٤٣٠ .

(٨) الآية ١١

(٩) ابن الجزرى : النشر جـ ٢ ص ٣٤٤

(١٠) الآية ٣٦ .

(١١) الآية ٤٠ .

(١٢) الآية ٨٣ .

(١٣) ابن الجزرى : النشر جـ٢ ص ٢٤١ .

(١٤) الآية ٧٤ .

(١٥) انظر القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٤٦٦ .

تُبْدونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً »(١) : يقرأ أبو عمرو ، وابن كثير : « يجعلونه » و « يبدونها » و « يخفون » بياءات الغيبة ، ويقرأ الباقون على الخطاب(٢) .

والآية : « وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتنذِرَ أُمَّ القُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا »(٣) : يقرأ أبو بكر وحماد : « لِيُنذِرَ » بياء الغيبة ، ويقرؤها الباقون بتاء الخطاب(٤) .

والآية : « لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُوَقِّروه وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً »(٥) ، قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو بالغَيب فى الأربعة ، وقرأ الباقون بالخطاب(٦) .

(ط) وخطّ المصحف – حتى بعد الشكل والضبط اللذين يحتج بهما أصحاب ذلك الرأى – قد لا يطابق – فى بعض المواضع – القراءات . ومن الأمثلة التى يمكن الاجتزاء بها أيضاً فى هذا المقامِ المواضعُ التى يُرسم فيها الهمز المتطرف المرفوع واواً بعدها ألف ، وهى :

أَبْنَـٰٓؤُا (أبناء)(٧) – جَزَٰٓؤُا (جزاء)(٨) – شُرَكَـٰٓؤُا (شركاء)(٩)
مَا نَشَـٰٓؤُا (ما نشاء)(١٠) – نَبَؤُا (نبأ)(١١) – الضُّعَفَـٰٓؤُا (الضعفاء)(١٢)
يَتَفَيَّؤُا (يتفيأ)(١٣) – أَتَوَكَّؤُا (أتوكأ)(١٤) – لاَ تَظْمَؤُا (لا تظمأ)(١٥)
الْمَلَؤُا (الملأ)(١٦) – وَيَدْرَؤُا (ويدرأ)(١٧) – مَا يَعْبَؤُا (ما يعبأ)(١٨)
أَنبَـٰٓؤُا (أنباء)(١٩) – عُلَمَـٰٓؤُا (علماء)(٢٠) – الْمَلَؤُا (الملأ)(٢١)
شُفَعَـٰٓؤُا (شفعاء)(٢٢) – يَبْدَؤُا (يبدأ)(٢٣) – الْعُلَمَـٰٓؤُا (العلماء)(٢٤)

---

(١) سورة الأنعام / من ٩١
(٢) الحسن النيسابورى : غرائب القرآن جـ ٧ ص ١٥٥ .
(٣) سورة الأنعام / من ٩٢
(٤) الحسن النيسابورى : المرجع السّابق .
(٥) سورة الفتح / ٩
(٦) انظر : ابن الجزرى : النشر جـ ٢ ص ٣٧٥ والإتحاف ص ٣٩٥
(٧) سورة المائدة – من الآية ١٨ .
(٨) سورة المائدة – من الآية ٣٣ .
(٩) سورة الأنعام – من الآية ٩٤ .
(١٠) سورة هود – من الآية ٨٧ .
(١١) سورة إبراهيم – من الآية ٩ .
(١٢) سورة إبراهيم – من الآية ٢١ .
(١٣) سورة النحل – من الآية ٤٨ .
(١٤) سورة طه – من الآية ٢٠ .
(١٥) سورة طه – من الآية ١١٩ .
(١٦) سورة المؤمنون – من الآية ٢٤ .
(١٧) سورة النور – من الآية ٨ .
(١٨) سورة الفرقان – من الآية ٧٧ .
(١٩) سورة الشعراء – من الآية ٦ .
(٢٠) سورة الشعراء – من الآية ١٩٦ .
(٢١) سورة النمل – من الآيات ٢٩ و ٣٢ و ٣٨ .
(٢٢) سورة الروم – من الآية ١٣ .
(٢٣) سورة الروم – من الآية ٢٧ .
(٢٤) سورة فاطر – من الآية ٣٧ .

الْبَلَـٰٓؤُا	(البلاء)[١]	—	نَبَـٰٓؤُا	(نبأ)[٢]	—	جَزَٰٓؤُا	(جزاء)[٣]
يَنشَؤُا	(ينشأ)[٤]	—	بَلَـٰٓؤُا	(بلاء)[٥]	—	جَزَٰٓؤُا	(جزاء)[٦]
بُرَءَٰٓؤُا	(برآء)[٧]	—	نَبَؤُا	(نبأ)[٨]	—	يُنَبَّؤُا	(ينبأ)[٩]

وفى فصل آخر من هذا البحث عشرات أخرى من الكلمات القرآنية المرسومة على خلاف الخط الإملائى ، وليس فيها – مع ذلك – غير قراءة واحدة .

وقد يستعجلنا هنا بالمثل دارسٌ ، فنذكر له – على عجل – أنّ القراء السبعة أجمعوا فى سورة قريش على قراءة « إِلَفِهِمْ » بالياء ، مع كتابتها فى المصاحف العثمانية بلا ياء ، واختلفوا فى قراءة « لإِيلَٰفِ » مع كتْبها بالياء[١٠] .

ونذكر له أن كلمة (لؤلؤا) فى الآية الكريمة : « جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أساورَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ولباسهم فيها حَرِيرٌ »[١١] وردت فى بعض المصاحف بغير ألف . ومع ذلك قرأها نافع وأبو جعفر وشيبة وعاصم « لؤلؤاً » بالنصب[١٢]

---

(١) سورة الصافات – من الآية ١٠٦ .

(٢) سورة ص – من الآية ٢١ .

(٣) سورة الشورى – من الآية ٤٠ .

(٤) سورة الزخرف – من الآية ١٨ .

(٥) سورة الدخان – من الآية ٣٣ .

(٦) سورة الحشر – من الآية ١٧ .

(٧) سورة الممتحنة – من الآية ٤ .

(٨) سورة التغابن – من الآية ٥ .

(٩) سورة القيامة – من الآية ١٣ .

(١٠) انظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية جـ ٢ ص ٨٦ .

وفى « لإِيلَٰفِ » .

قرأ ابن عامر بحذف الياء (مصدر أَلِفَ ، مثل : كَتَبَ كتاباً) .

وقرأ أبو جعفر أحد الثلاثة المكملين للعشرة بياء ساكنة بلا همزة .

وقرأ الباقون بياء قبلها همزة (مصدر آلف وباعيا) .

أما فى « إِلَٰفِهِم » :

فالعشرة – باستثناء أبى جعفر – يقرأون بإثبات الياء بعد الهمزة فى اللفظ ، مع كونها ساقطة فى الخط (انظر : ابن مجاهد : السبعة ص ٦٩٨ ، وشعلة : شرحه على الشاطبية ص ٦٢٧ ، والدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٤٤٤ ، وعلى محمد الضباع : إرشاد المريد ص ٦٩٨) .

وواضح أن الياء هنا ليست زائدة ، ولا لاماً للكلمة ، وإنما هى فاؤها ، وأصلها همزة ، فأبدلت ياء لسكونها بعد همزة مكسورة ، وذلك كما فى كلمة (إيمان) . (انظر : أبو زيتحار : لطائف البيان فى رسم القرآن ، شرح مورد الظمآن القسم الثانى ص ١٠) .

(١١) سورة فاطر / ٣٣ .

(١٢) انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٢ ص ٢٩ فى تفسير الآية ٢٣ من سورة الحج ، والدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٣١٤ ، فى الكلام عن سورة الحج . وص ٣٦٢ ، فى الكلام عن سورة فاطر .

ونذكر له أيضاً أن الآية الكريمة : « إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ »[1] وردت فيها كلمة « لؤلؤا » – فى جميع المصاحف – بالألف ، ومع ذلك قرأها بالخفض من عدا عاصم ، ونافع ، وأبى جعفر ، ويعقوب[2] .

وكذلك قد لا يدلّ رسم الكلمة على كلّ وجوه النطق بها ، فكلمة « جبريل » تقرأ بعدة وجوه[3] :

١ – جبريل بكسر الجيم ، وجَبريل ، بفتحها .

٢ – جَبْرَئِيل ، بفتح الجيم والراء ، وبعدها همزة مكسورة ممدودة .

٣ – جَبْرَئِل ، بفتح الجيم والراء ، وبعدها همزة مكسورة غير ممدودة .

وكلمة « ميكال » ، قرئت[4] :

١ – مِيكاَل ، بلا همز .

٢ – مِيكاَئِيل ، بهمزة مكسورة ممدودة .

٣ – مِيكاَئِل ، بهمزة مكسورة غير ممدودة .

(ى) وثمة قراءات كثيرة لا يُقرأ بها أبداً ، مع أنّ الرسم يحتملها ، واللغة تجيزها[5] . ونحن نكتفى هنا بأمثلة لهذه القراءات :

١ – فى اللغة : خطِف يخطَف ، وخَطَف يخطِف ، ولكن القراء لم يقرءوا إلا : يخطَف وخطِف (مثل عَلِمَ) . قال أبو على الفارسى : « ولا نعلم أحداً قرأ الأخرى »[6] .

٢ – والقراء الأربعة عشر مجمعون على ضمّ الميم فى كلمة « مُكْثٍ » فى قوله تعالى : « وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ »[7] مع أن اللغة تجيز فى هذه الميم الضمّ والفتح والكسر[8] .

---

(١) سورة الحج / ٢٣ .

(٢) انظر القرطبى : المرجع السّابق ، وابن الجذرى : النشر حـ ٢ ص ٣٢٦ ، والبنا الدمياطى : المرجع السّابق .

(٣) انظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ٣ ص ١٩٦ .

(٤) نفس المرجع جـ ٢ ص ١٩٨ .

(٥) انظر عدداً طيباً من أمثلة هذه القراءات فى : عبد الفتاح إسماعيل شلبى : رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات ص ٣٣ – ٤٢ .

(٦) الحجة ص ٢٤٧ من المخطوطة رقم ١٩٥٥٣ ب ، بدار الكتب والوثائق القومية بمصر .

(٧) سورة الإسراء / ١٠٦ . (٨) انظر : أبو حيان الأندلسى : البحر المحيط حـ ٦ ص ٨٨

٣ – والقراء أيضاً لا يقرأون كلمة « الرَّضاعة » فى القرآن إلاّ بالفتح ، مع أنه يجوز فيها – لغةً – الكسر أيضاً[1] .

(ك) ومن ملزوم رأى القائلين بأنّ اختلاف القراءات هو وليد النقْطْ والشكل : أن يكون القرآن قد ظلّ طوال عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم طوال عهود الصّحابة والتابعين غير محفوظ ولا مقطوع بكيفيات النطق به ، حتى إذا جاء النَّقْط والشكْل بعد زمن الوحى بأَمَدٍ – حسبما قالوا آنفاً – بدأ الناس يقرأون القرآن على وفق ما يؤديه النقط والشكل إلى أفهامهم .

ولعلّ الرأى وملزومه أن يكونا واضحى البطلان ، وأن يكونا أضعف من أن يواجها الفهم المستقيم ، والحقيقة الغير القابلة للنقض ، فضلاً عما تهدى إليه بديهة العقل .

(ل) والمسلمون مجمعون على أنّ البشر لم يبدّلوا فى هذا القرآن أَلبتة حتى من ناحية قانون أدائه . وإجماعُ المسلمين حجّة تقام لها الموازين . وكما يقول أبو حيّان التوحيدى : « والأمة المجتمعة حجة على من شذّ عنها[2] » .

(م) والثابت تاريخاً أيضاً أن القراء المأخوذ برواياتهم كانوا لا يتعدَّوْن الأثر ، مهما يكن مذهبهم النحوى ، أو مذهبهم فى فهم الكلام . وعلى سبيل المثال ، نذكر :

أنّ نافعاً كان « متّبعاً لآثار الأئمة الماضين ببلده »[3] ، وكان يقول : « قرأت على سبعين من التابعين »[4]

وأنّ أبا عمرو البصرىّ « كان – مع علمه وفقهه بالعربية – متمسكاً بالآثار ، لا يكاد يخرج اختياره عما جاء عن الأئمة قبله »[5] ، وكان يقول : « لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلاّ بما قرئ لقرأت كذا وكذا »[6] .

وقد ذكرْنا قبلا أنه قيل عن ابن عامر « إنّه لم يتعدَّ – فيما ذهب إليه – الأثر ، ولم يقل قولا يخالف فيه الخبر »[7] .

---

(١) انظر : الفراء : معانى القرآن ص ١٤٩ .
(٢) البصائر والذخائر ، المجلد ١ ص ٥١٥و ٥١٦
(٣) ابن مجاهد : كتاب السبعة فى القراءات ص ٥٤ .
(٤) نفس المرجع ص ٦٢ .
(٥) نفس المرجع ص ٨٢ .
(٦) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٢٩٠ .
(٧) نفس المرجع جـ١ ص ٦١ .

وحمزة لم يقرأ حرفاً إلاّ بأثر[١] . حدّث عقبة بن قبيصة بن عقبة ، قال : حدّثني أبي : كنا عند سفيان الثوريّ ، فجاءه حمزة ، فكلمه ، فلما قام ، قال سفيان : أترَوْن هذا ؟ ما قرأ حرفاً من كتاب الله إلاّ بأثر[٢] .

ويحيى بن سلّام المتوفَّى سنة ٢٠٠ هـ « كان له اختيار فى القراءة من طريق الآثار »[٣]

والقاسم بن سلام المتوفَّى سنة ٢٢٤ هـ « وافق اختياره العربية والأثر »[٤] .

* * *

وبعد ، ألا تؤدّى إلينا دعوى اختلاف القراءات بسبب خلوّ الكتابة العربية فى صدر الإسلام من علامات الشكل والنقط ، أنّ أصحاب هـذه الدعوى – حتى ، على فرض بعدهم عن التعصب ، وعن الكيد للتنزيل – لم يستطيعوا فقه لغة القرآن ، ولا استيعاب حقائق الإسلام ؟

١٢

لا بدّ إذن من جمع صوتى للقراءات المجمع على قرآنيتها ، ورأس شروطها التواتر .

والتواتر هو – اصطلاحاً – توافر جمع من الناس يؤمن تواطؤهم على الكذب فى كل طبقة من طبقات الرواية ، أو هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يُتصوَّر تواطؤهم على الكذب[٥] .

وقد توافر هذا الشرط – على مدى الزمن – بالنسبة للقراءات السبع ، والثلاث المتممة للعشر ، ورواياتها جميعاً ، وذلك فى عدد من البلاد الإسلامية ، وفى مقدمتها مصر ، ولكننا – على الحقيقة – نتجاوز الواقع إن قلنا إن هذا التوافر متاح الآن فى كلٍّ من المجتمعات الإسلامية فى الأرض ، ذلك أن مجتمعات إسلامية كثيرة ليس فيها الآن العدد الكافى من الحفاظ وهؤلاء – على فرض وجودهم – لا يعرفون غالباً غير قراءة واحدة هى – على الأرجح – رواية حفص التى عَلَيها مصاحف مصر ، وهى الآن أكثر المصاحف انتشاراً[٦] .

---

(١) نفس المرجع جـ ١ ص ٢٦١ .

(٢) انظر : ابن مجاهد : المرجع السابق ص ٧٦ .

(٣) ابن الجزرى : المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٧٣ .

(٤) نفس المرجع جـ ٢ ص ١٨ .

(٥) أنظر : على الجرجانى : التعريفات ص ٧٤

(٦) مما يساق فى التدليل على نقص العلم بالقراءات غير قراءة حفص ، حتى بين خاصة علماء الدين ، أن المرحوم =

وهذا خطر نقف تلقاءه خائفين شاعرين بالتقصير والقصور .

يقول أبو محمد الجويني : « تعلّم القرآن وتعليمه فرض كفاية لئلا ينقطع عدد التواتر فيه ، فلا يتطرق إليه تبديل وتحريف[١] » .

ويقول الزركشي : « وإذا لم يكن في البلد أو القرية من يتلو القرآن أثموا بأسرهم[٢] » .

ويقول ابن حجر : « يتعين في عدد التواتر المذكور أن يكونوا متفرقين في بلاد الإسلام ، بحيث لو أراد أحد أن يغيّر أو يحرّف شيئا منعوه »[٣] .

ويعقّب « على القاري » على هذا ، فيقول : « وظاهر كلام الزركشي : أن كلّ بلد لا بدّ فيه أن يكون ممن يتلو القرآن في الجملة ، لأن تعلّم بعض القرآن فرض عين على الكلّ ، فإذا لم يوجد هناك أحد يقرأ أثموا جميعا ، وأيضاً لايحصل عدد التواتر إلاّ بما قاله الزركشي ، وإلا فكلّ أهل بلد يقول : ليس تعلّم القرآن فرضاً علينا ، فينجرّ إلى فساد العالم »[٤] .

* * *

والحق أنّ ذلك الاعتبار البالغ الخطر كان من أسباب طموح صاحب مشروع

= الشيخ أحمد محمد شاكر من كبار رجال القضاء الشرعي وعالم الحديث المعروف أراد – في مناسبة تصحيح كتاب « الرسالة » للشافعي – أن يضبط كل آيات القرآن التي يذكر الشافعي ، على قراءة ابن كثير التي ظنها قراءة الشافعي ، ولكنه أحجم عن ذلك ، ويعترف هو بالسبب في صراحة مشكورة ، فيقول : « إذ كان شاقا عليّ عسيراً لأني لم أدرس علم القراءات دراسة وافية ، والرواية أمانة يجب فيها التحرز والاحتياط » (هامش الرسالة للشافعي ص ١٥)

ولابد أن الأمر كان سيكون أشق وأعسر لو أراد الشيخ العالم الضبط على القراءة التي قيل إن الشافعي نفسه اختارها . ومن الفوائد المناسبة هنا أن الإمام أحمد بن حنبل لم يكن يقرأ برواية واحدة ، فقد ورد :

١ – أنه اختار قراءة نافع (انظر : علاء الدين المرداوي : الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، على مذهب الإمام المبّجل أحمد بن حنبل جـ ٣ ص ٥٨) .

٢ – وأنه كان يقول : قراءة أهل المدينة سواء (نفس المرجع) ، وهذا يفيد أنه درس قراءات أبي جعفر وغيره من المدنيين .

٣ – وأنه قرأ برواية شعبة عن عاصم ، فقد نقل الجماعة أنه قرأ لعاصم ، لأنه قرأ على أبي عبد الرحمن السّلمي الذى قرأ عليه عاصم (انظر : نفس المرجع) .

٤ – وأنه قرأ لابن كثير قارئ مكة ، ونحن نبني هذا على ما نُقل عن أحمد من أنّه « اختار قراءة أهل الحجاز » (نفس المرجع ص ٥٩) ، إذ المعلوم أنّ الحجاز يشمل المدينة ومكة .

٥ – وأنّه قرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء ، فقد سأل أحمدَ سائلٌ : أيّ القراءات تختار لي فأقرأ بها ؟ فأوصاه بقراءة أبي عمرو (نفس المرجع) .

(١) انظر : على القاري : مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح جـ ٢ ص ٥٩٥

(٢) نفس المرجع

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

الجمع الصوتىّ الأول للقرآن الكريم إلى تعميم التواتر ، بالنسبة لكل القراءات والروايات المجمع عليها ، وذلك فى كل موطن إسلامى . وقد اتخذ صاحب المشروع إلى تحقيق هذا المطمح الكبير وسيلة المصاحف المرتلة التى يراعَى – كما ذكر فى تخطيطه لتسجيلها – أن تكون من حيث الحفظ ، ودقّة الأداء ، ومراعاة الأحكام ، وسلامة الصوت ، ممتازة أو فوق الممتازة ، وأن لا يُترخّص فى ذلك بحال ، وأن يُنصّ – ولو فى محاضر تحفظ لدى الجهات القائمة على الجمع – على سند كل قارئ متصلا بأئمة روايته .

١٣

وبعد ، فقد دعا صاحب المشروع إلى أن يشمل الجمع الصوتى سائر القراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، وبالفعل بدأ – فى فجر المشروع – التخطيط لجمع روايتين لكل من القراءات العشر ، على أن يُختار لكل رواية طريقان ، كلٌّ منهما من طريقين ، ويُختار للتسجيل أشهر الأوجه لكلّ طريقة ، على نحو ما ورد فى « الشاطبية » وشروحها ، و « جامع البيان » لأبى عمرو الدانى[1] ، وعلى نحو ماورد فى « النشر » و « طيبة النشر » و « الدرّة المضيّة » لابن الجزرى ، وعلى نحو ما ورد فى شروح هاتين الأخيرتين [2] ، وما ورد فى بعض الكتب الأخرى المتخصّصة والمعروفة والتى سنشير إليها عندما ننقل عنها .

والآن ، هذا بيان الطرق التى أختارها للجمع ، وهى – فيما تفيد المراجع – من أشهر

---

(١) انظر مخطوطة منه برقم ٣ م قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) ولعلّه مما يصيب موضع الحاجة عند بعض الدارسين أن نذكر هنا :

١ – أن (القراءة) هى ما ينسب لإمام من أئمة القراءات ، فمثلاً : إثبات البسملة فى أول الفاتحة – عند الأئمة : ابن كثير ، وعاصم ، والكسائى – يعتبر قراءة لكلٍّ منهم .

٢ – و(الرواية) هى ما ينسب للآخذ عن الإمام ولو بواسطة . والأمثلة : رواية ورش عن نافع ، ورواية البزىّ عن ابن كثير ، ورواية روْح عن يعقوب ، وهكذا . . .

٣ – أما (الطريق) ، فينسب لمن أخذ عن الراوى وإن سَفَل . يقال مثلا : طريق الحُلْوانى عن قالون ، وطريق الأصبهانى عن ورش ، وطريق جعفر النَّصيبى عن الدورى ، من طريقَىْ : ابن الجُلَنْدا ، وابن ذيزُوَيْه . . .

٤ – وأما (الوجه) ، فهو على سبيل التخيير والإباحة ، فبأىّ وجه أتى القارئ أجزأ ، ولا يكون ذلك نقصاً فى روايته ، والأمثلة للأوجه : البسملة بين السّور ، والوقف بالسّكون والإشمام والرَّوْم ، وبالمدّ الطويل ، والتوسط والقصر . . . إلخ

(أنظر مثلاً : الصفاقسى : غيث النفع ص ١٤ و ١٥ .

والدمياطى البنا : الإتحاف ص ١٢٠ و ١٢٦) .

الطرق عند علماء القرآن . يقول أبو عمرو الدّانى – بعد أن ذكر هذه الروايات وطرقها – : « فهذه الروايات التى عدّتها أربعون رواية من الطرق التى جملتها مائة وستون طريقاً هى التى أهل دهرنا عليها عاكفون ، وبها أئمتنا آخذون ، وإيّاها يصنّفون ، وعلى ما جاءت به يقولون »[١]

١ – قراءة نافع :

(ا) برواية قالون [٢] :

من طريق : أبى نشيط محمد بن هرون ، من طريقى : ابن بُويَان ، والقزّاز .

ثم من طريقى : الحلْوانى ، من طريقى : ابن أبى مِهران ، وجعفر بن محمد

(ب) برواية ورش [٣] :

من طريق : أبى يعقوب يوسف الأزرق ، من طريقى إسماعيل النحاس ، وابن سَيْف .

ثم من طريق : الأصبهانى ، من طريقى : ابن جعفر ، والمطّوعى .

٢ – قراءة ابن كثير [٤] :

(ا) برواية البزّى[٥] :

من طريق : أبى ربيعة محمد بن إسحاق، من طريقى : النقاش ، وابن بُنان

ثم من طريق : ابن الْحُبَاب ، من طريقى : ابن صالح ، وعبد الواحد بن عمر

(ب) برواية قنبل [٦] :

من طريق : أبى بكر أحمد بن مجاهد ، من طريقى : السّامرى ، وصالح

ثم من طريق : ابن شنبوذ ، من طريقى : ابن فرح ، والشطوى

(١) جامع البيان (المخطوطة السابقة – الورقة ٣) .

وانظر فى أسماء أصحاب الطرق : الصفاقسى : غيث النفع فى القراءات السبع (بذيل : شرح ابن القاصح على الشاطبية) ص ١٥ .

(٢) توفى بالمدينة سنة ١٦٩ هـ .

(٣) توفى بالمدينة قريباً من سنة ٢٢٠ هـ .

(٤) توفى بمكة سنة ١٢٠ هـ .

(٥) توفى بمكة سنة ٢٤٠ هـ .

(٦) توفى بمكة سنة ٢٨٠ هـ .

٣ – قراءة أبي عمرو [١] :

(ا) برواية الدّورى أبي عُمَر [٢] :

من طريق : أبي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس ، من طريقى : ابن مجاهد ، والمعدل .

ثم من طريق : ابن فرح ، من طريقى : ابن أبي بلال ، والمطوّعى

(ب) برواية السّوسى [٣] :

من طريق أبي عمران بن جرير ، من طريقى : عبد الله بن الحسين ، وابن حَبَش

ثم من طريق : ابن جمهور ، من طريقى : الشيبانى ، والشَّنَّبُوذى

٤ – قراءة ابن عامر [٤] :

(ا) برواية هشام [٥].

من طريق : أبي الحسن أحمد بن يزيد الحلوانى ، من طريقى : ابن عَبْدان ، والجمّال

ثم من طريق : الداجونى ، من طريقى : زيد بن على ، والشَّذَائى

(ب) برواية ابن ذكوان[٦] :

من طريق : أبي عبد الله هرون بن موسى الأخفش ، من طريقى : النقاش ، وابن الأخرم

ثم من طريق : الصورى ، من طريقى : الرملى ، والمطوّعى

٥ – قراءة عاصم [٧] :

(ا) برواية شُعبة [٨] :

من طريق : يحيى بن آدم الصلحى ، من طريقى : شعيب ، وأبي حمدون

---

(١) توفى بالكوفة سنة ١٥٤ هـ

(٢) توفى فى حدود سنة ٢٥٠ هـ

(٣) توفى بخراسان سنة ٢٠٢ هـ

(٤) توفى بدمشق سنة ١١٨ هـ

(٥) توفى بدمشق سنة ٢٤٥ هـ .

(٦) توفى بدمشق سنة ٢٤٢ هـ .

(٧) توفى بالكوفة سنة ١٢٧ ، وقيل سنة ١٢٨ هـ

(٨) توفى بالكوفة سنة ١٩٤ هـ

ثم من طريق : العليمى ، من طريق : ابن خُلَيْع ، والرّزاز

(ب) برواية حفص[1] :

من طريق : أبى محمد عبيد بن الصّباح الهشلى ، من طريق : أبى الحسن الهاشمى ، وأبى طاهر بن أبى هاشم .

ثم من طريق : عمرو بن الصّباح ، من طريق : الفيل ، وزرعان [2].

٦ – قراءة حمزة [3] :

(أ) برواية خَلَف [4]:

من طرق : أبى الحسن أحمد بن عثمان ، وابن مقسم ، وابن صالح ، والمطوعى– عن إدريس .

(ب) برواية خلّاد [5] :

من طرق : أبى بكر محمد بن شاذان الجوهرى ، وابن الهيثم ، والوزان ، والطلحى .

٧ – قراءة الكسائى [6] :

(أ) برواية أبى الحارث [7] :

من طريق : أبى عبد الله محمد بن يحيى البغدادى المعروف بالكسائى الصغير ، من طريق : البطّى ، والقنطرى .

ثم من طريق : سلمة بن عاصم ، من طريق : ثعلب ، وابن الفرح .

---

(١) توفى قريبا من سنة ١٩٠ هـ

(٢) بدئ بالتسجيل من طريق الفيل عن عمرو بن الصباح ، على ما أوضحه « المعدّل » المصرى – موسى بن الحسين فى كتابه « الروضة فى اختلاف الأئمة القراء الخمسة عشر » . وسترد ، بعد قليل ، تفاصيل فى هذا الشأن . والمعدل توفى بعيد العشرين وثلثمائة . وكان ثقة ضابطاً إماماً مشهوراً (انظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ١٨٧) .

(٣) توفى بحلوان بالعراق سنة ١٥٦ هـ .

(٤) توفى ببغداد سنة ٢٢٩ هـ .

(٥) توفى بالكوفة سنة ١٨٨ هـ وقيل ١٨٩ هـ .

(٦) توفى برنبوية : قرية من قرى الرى سنة ١٨٩ هـ .

(٧) توفى سنة ٢٤٠ هـ .

(ب) برواية الدورى :

من طريق : أبى الفضل جعفر بن محمد النَّصيبى ، من طريق : الْجُلَنْدا ، وابن دِيزُوَيْه .

ثم من طريق : أبى عثمان الضرير ، من طريق : ابن هاشم ، والشَّذَائى .

٨ – قراءة أبى جعفر [١] :

(ا) برواية ابن وَرْدان [٢] :

من طريق : الفضل بن شاذان ، من طريق : ابن شَبيب ، وابن هرون .

ثم من طريق : هبة الله بن جعفر ، من طريق : الحنبلى ، والحمّامى

(ب) برواية ابن جَمَّاز [٣] :

من طريق : أبى أيوب الهاشمى ، من طريق : ابن رزين ، والأزرق الحمال

ثم من طريق : الدورى ، من طريق : ابن النفاح ، وابن نَهْشَل .

٩ – قراءة يعقوب الحضرمى [٤] :

(ا) برواية رُوَيس [٥] :

من طرق : النحاس ، وأبى الطيب ، وابن مقسم ، والجوهرى (عن التَّمار) .

(ب) وبرواية رَوْح [٦] :

من طريق : ابن وهب ، من طريق : المعدّل ، وحمزة بن على .

ثم من طريق : الزبيرى ، من طريق : غلام بن شنبوذ ، وابن حبشان

---

(١) توفى سنة ١٣٠ هـ .

(٢) توفى سنة ١٦٠ هـ .

(٣) توفى بعيد سنة ١٧٠ هـ .

(٤) توفى سنة ٢٠٥ هـ .

(٥) توفى بالبصرة سنة ٢٣٨ هـ .

(٦) توفى سنة ٢٣٤ أو ٢٣٥ هـ .

١٠ - قراءة خلف البزار [١] :

(ا) برواية إسحق [٢] :

من طريق : السوسنجردى ، وبكر بن شاذان

ثم من طريق : محمد بن اسحق نفسه ، والبرصاطى

(ب) وبرواية إدريس [٣] :

من طرق : الشطى ، والمطوعى ، وابن بويان ، والقطيعى .

١٤

على أنى لم أقف عند منع اختلاط الروايات بعضها ببعض ، بل أوجبتُ عدم التلفيق بين الطرق والأوجه أيضاً ، وجعلت فى مخططات الجمع أن يلتزم تسجيل كل رواية الطريق والوجهَ المختارين من أول القرآن إلى آخره .

وقد أوضحت آنفاً الروايات العشرين والطرق الثمانين المختارة للجمع الصوتى للقرآن .

* * *

وهذا أيضاً بعض تفصيل للأوجه التى أختارها لتسجيل كل من هذه الروايات من إحدى طرقها المشهورة . وآمل أن يكون هذا الاختيار – إن شاءالله – نبراساً لكل من يسجّل – فى مستقبل الأيام – الطرق والأوجه الأخرى لتلك الروايات [٤] .

---

(١) توفى سنة ٢٢٩ هـ .

(٢) توفى سنة ٢٨٦ هـ .

(٣) توفى سنة ٢٩٢ هـ .

(٤) فى هذه الاختيارات ، أفدت أيضاً من خبرة الأستاذين : الشيخ محمد سليمان صالح ، والشيخ محمود حافظ برانق ، المدرسين بمعهد القراءات التابع للأزهر ، فأسجل لهما الشكر هنا .

١ – قراءة نافع

(أ) برواية ورش من طريق الأزرق

١ – بين السورتين :

تقرأ البسملة ، إلا فيما بين سورتى : « الأنفال » و « براءة » ، فلا تقرأ ، ويكون وقف .

٢ – البدل (فى مثل : ءامنوا – إيماناً – أوتوا) :

يراعى التوسط .

٣ – اللِّين (فى مثل : شىْء – سوْء) .

يراعى التوسّط أيضاً ، إلا فى عين : « كٓهيٓعٓصٓ »[١] و « عٓسٓقٓ »[٢] .

٤ – العارض للسّكون (فى مثل : هَاد – قَدِير – غَفُور) .

براعى التوسط .

٥ – الهمزتان المفتوحتان فى كلمة واحدة .

تُبْدَلُ الثانية حرفَ مدّ ، فى مثل « ءَأَنْذَرْتَهُمْ »[٣] .

أما كلمة « ءَامَنتُمْ » فى قوله فى سورة الأعراف : « قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ »[٥] ، وقوله فى سورة طه : « قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَن ءَاذَنَ لَكُمْ »[٤] وقوله مثلَ هذا فى سورة الشعراء ، فتقرأ بتسهيل الهمزة الثانية ، مع التوسط .

وبمثل هذا تقرأ كلمة « ءَأَٰلِهَتُنَا » فى قوله فى سورة الزخرف : « وَقَالُوٓا ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ »[٦]

٦ – الهمزتان المفتوحة أولاهما ، والمكسورة ثانيتهما فى كلمة واحدة (فى مثل : « أإِمة »[٧]

يراعى التسهيل بَيْنَ بَيْنَ .

---

(١) سورة مريم / ١ .
(٢) سورة الشورى / ٢ .
(٣) سورة البقرة / من الآية ٦ ، وسورة يس / من الآية ١٠ .
(٤) الآية / ١٢٣ .
(٥) الآية / ٧١ .
(٦) الآية / ٥٨ .
(٧) سورة التوبة / ١٢ ، وسورة الأنبياء / ٧٣ ، وسورة القصص / ٥ و ٤١ ، وسورة السّجدة / ٢٤ .

٧ – **الهمزتان المتفقتان فى كلمتين (مثل : « جَآءَ أَمْرُنَا »[١] – « مِنَ السَّمَآءِ إِنْ »[٢] – « أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ »[٣] :**

تبدل الهمزة الثانية حرف مدّ .

٨ – **الهمزتان المختلفتان فى الحركة ، والواقعتان فى كلمتين (مثل : « يَشَآءُ إِلَىٰ »[٤] و « يَشَآءُ إِنَّ »[٥] و « يَشَآءُ إِنَٰثاً »[٦] :**

يُقرأ بالتسهيل بَيْنَ بَيْنَ .

٩ – **الفتح والإمالة وما بينهما :**

(ا) يراعى تقليل المدّ فى :

١ – ذوات الياء

٢ – « أَرَىٰكَهُمْ » فى سورة الأنفال[٧] .

٣ – رؤوس الآى غير ما فيه « ها » ، على ما هو مفصّلٌ بعدُ .

(ب) رؤوس الآى التى فيها « ها » مثل : « ضُحَىٰهَا »[٨] .

و « تَلَىٰهَا »[٩] و « سَوَّىٰهَا »[١٠]: تقرأ بالفتح .

(حـ) يُراعى تقليل الإمالة فى : « الْجَارِ »[١١]و « جَبَّارِينَ »[١٢].

١٠ – **الراءات :**

يقرأ بالترقيق فى الراءات ، فيما خلا باب « ذِكْراً » ، وألفاظه : « ذِكْراً »[١٣]– « سِتْرًا »[١٤]

---

(١) سورة هود / ٤٠ و ٥٨ و ٦٦ .

(٢) سورة الشعراء / ١٨٧ .

(٣) سورة الأحقاف / من الآية ٣٢ .

(٤) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة النور / ٤٦ .

(٥) سورة فاطر / ١ .

(٦) سورة الشورى / ٤٩ .

(٧) من الآية ٤٣ .

(٨) سورة الشمس / ١ .

(٩) سورة الشمس / ٢ .

(١٠) سورة الشمس / ٧ .

(١١) سورة النساء / ٣٦ .

(١٢) سورة المائدة / ٢٢ ، وسورة الشعراء / ١٣٠ .

(١٣) سورة البقرة / ٢٠٠ ، وسورة الكهف / ٧٠ و ٨٣ ، وسورة طه / ٩٩ و ١١٣ ، وسورة الأنبياء / ٤٨ ، وسورة الأحزاب / ٤١ ، وسورة الصافات / ٣ و ١٦٨ ، وسورة الطلاق / ١٠ ، وسورة المرسلات / ٥ .

(١٤) سورة الكهف ٩٠ .

- « حِجْراً »[١] - « وِزْراً »[٢] - « إِمْراً »[٣] - « صِهْراً »[٤] .

١١ - اللامات :

تقرأ بالتغليظ مطلقاً .

١٢ - ياءات الإضافة (مثل : « مَحْيَايَ » فى سورة الأنعام[٥]) :

تسكّن ياء الإضافة .

١٣ - أوجه فى بعض السُّور :

(ا) فى سورة آل عمران : « هَاأَنتُمْ »[٦] : تُبدل الهمزة حرف مدّ .

(ب) فى سورة الأنعام : « أَرَأَيْتَكُمْ »[٧] : تُبدل الهمزة حرف مدّ .

(حـ) فى سورة يوسف : « تَأْمَنَّا »[٨] : تُقْرأ بالإدغام مع الإشمام .

(ب) برواية قالون ، من طريق أبى نُشيط

١ - ميم الجمع :

يقرأ بوجه الصّلة .

٢ - هاء الضمير فى قوله تعالى فى سورة طه : « وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً »[٩] :

تُقرأ بصلة الهاء .

٣ - المدّ المنفصل :

يُقرأ بالقصر ؛ وفى « أَنَا إِلاَّ »[١٠] : يقرأ بإثبات الألف مع القصر .

٤ - الهمزتان من كلمة واحدة (مثل : أَئِمَّة) :

يقرأ بالتسهيل .

---

(١) سورة الفرقان / ٢٢ و ٥٣ .

(٢) سورة طه / ١٠٠ .

(٣) سورة الكهف / ٧١ .

(٤) سورة الفرقان / ٥٤ .

(٥) من الآية ١٦٢ .

(٦) من الآية ٦٦ .

(٧) من الآيتين ٤٠ و ٤٧ .

(٨) من الآية ١١ .

(٩) من الآية ٧٥ .

(١٠) سورة الأعراف / من الآية ١٨٨ .

٥ – الهمزتان المتفقتان فى كلمتين ، (مثل : « بالسُّوٓءِ إلاَّ »[١]) :
يقرأ بالتسهيل .

٦ – الهمزتان المختلفتان فى كلمتين ، (مثل ، « يَشَاءُ إِلَىٰ »[٢]) :
يقرأ بالتسهيل .

٧ – الإدغام الصغير :
يقرأ بالإظهار فى : « ارْكَب مَّعَنَا »[٣] :

٨ – الياءات الزوائد فى الكلمات الأربع : « التَّلَاقِ »[٤] – « التَّنَادِ »[٥] – « الدَّاعِ »[٦] « إِذَا دَعَانِ »[٧] :
يقرأ بالحذف .

٩ – أوجه فى بعض السّور :

(ا) فى سورة البقرة : تُقرأ « نِعِمَّا »[٨] بالإخفاء .
(ب) فى سورة آل عمران : تُقرأ « التَّوْرَىٰةِ »[٩] بالفتح .
(حـ) فى سورة النساء : تُقرأ « لاَ تَعْدُوا »[١٠] بالإخفاء .
(د) فى سورة يونس : تُقرأ « لاَ يَهِدِّى »[١١] بالإخفاء .
(هـ) فى سورة مريم : تُقرأ « لأَهَبَ »[١٢] بالياء .
(و) فى سورة يٓس : تُقرأ « يَخِصِّمُونَ »[١٣] بالإخفاء .
(ز) فى سورة الزخرف : تقرأ « أَشَهِدُوا »[١٤] بالفصل مع التسهيل .

* * *

(١) سورة يوسف / من الآية ٥٣ .
(٢) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة النور / من الآية ٤٦ .
(٣) سورة هود / من الآية ٤٢ .
(٤) سورة غافر / من الآية ١٥ .
(٥) سورة غافر / من الآية ٣٢ .
(٦) سورة البقرة / من الآية ١٨٦ ، وسورة القمر / من الآيتين ٦ و ٨ .
(٧) سورة البقرة / من الآية ١٨٦ .
(٨) سورة البقرة / من الآية ٢٧١ .
(٩) من الآيات ٣ و ٤٨ و ٥٠ و ٦٥ و ٩٣ .
(١٠) من الآية ١٥٤ .
(١١) من الآية ٣٥ .
(١٢) من الآية ١٩ .
(١٣) من الآية ٤٩ .
(١٤) من الآية ١٩ .

٢ – قراءة ابن كَثير

(ا) برواية البزّى ، من طريق أبى ربيعة

١ – الهمزتان من كلمة واحدة :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى « أَئِمَّة » ، فى مواضعها (١) .

٢ – الهمزتان المتفقتان فى كلمتين :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى « بِالسُّوٓءِ إِلَّا » فى سورة يوسف (٢) .

٣ – الهمزتان المختلفتان فى كلمتين (فى نحو : « يَشَآءُ إِلَىٰ » (٣)) :

يُقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى الهمزة الثانية .

٤ – الإدغام الصغير :

يقرأ بالإدغام فى : « ارْكَب مَّعَنَا » فى سورة هود(٤) ، ويقرأ بالإظهار فى : « يُعَذِّبُ مَنْ » فى سورة البقرة .

٥ – ياء الإضافة :

يُقرأ بوجه الإسكان فى : « عِندِىَ أَوَ لَمْ يَعْلَمْ » فى سورة القصص(٦) ، ويقرأ أيضاً بالإسكان فى : « وَلِىَ دِينِ » فى سورة « الكافرون »(٧) .

٦ – أوجه فى بعض السّور :

(ا) فى سورة البقرة : يُقرأ بالتسهيل فى : « لَأَعْنَتَكُمْ »(٨) .

(ب) فى سورة يونس : يُقرأ بحذف الألف فى : « وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِ » (٩).

---

(١) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و ١٤ ، وسورة السجدة / من الآية ٢٤ .

(٢) من الآية ٥٣ .

(٣) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ ، ٢١٣ ، وسورة النور / من الآية ٤٦

(٤) من الآية ٤٢

(٥) من الآية ٢٨٤

(٦) من الآية ٧٨

(٧) من الآية ٦

(٨) من الآية ٢٢٠

(٩) من الآية ١٦

(حـ) فى سورة القيامة : يُقرأ أيضاً بحذف الألف فى : « لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ »[١] .

(د) فى سورة يوسف : يُقرأ بالإدغام مع الإشمام فى : « تَأْمَنَّا »[٢]

ويقرأ بوجه القلب مع الإبدال فى : « يايْئَسُ »[٣] وبابه .

(هـ) فى سورة النحل : يُقرأ بإثبات الهمز بعد الألف فى : « شُرَكَآءِىَ الذينَ »[٤] .

(و) فى سورة الأحزاب : يُقرأ بوجه الإبدال ياء ساكنة فى : « الَّـٰئِى »فى مواضعها[٥]

(ز) فى سورة محمد : يُقرأ بوجه حذف المدّ فى : « ءانفاً »[٦] .

(ب) برواية قُنْبُل من طريق ابن مجاهد

١ – الهمزتان من كلمة واحدة :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى: « أئمَّة » فى مواضعها[٧] .

٢ – الهمزتان المتفقتان فى كلمتين :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى نحو : « جَآءَ أَمْرُنَا »[٨] – « هَـٰٓؤُلَآءِ إِنْ »[٩] – « أَوْلِيَآءُ أُولَـٰٓئِكَ »[١٠].

٣ – الهمزتان المختلفتان فى كلمتين :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى نحو : « يَشَآءُ إِلَىٰ »[١١].

٤ – الإدغام الصغير :

يقرأ بوجه الإظهار فى : « يُعَذِّبُ مَن » فى سورة البقرة[١٢].

---

(١) من الآية ١

(٢) من الآية ١١

(٣) من الآية ٨٧

(٤) من الآية ٢٧

(٥) سورة الأحزاب / من الآية ٢٤ وسورة المجادلة / من الآية ١٢ ، وسورة الطلاق / من الآية ٤ مرتين

(٦) من الآية ١٦

(٧) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و ٤١ ، وسورة السجدة / من الآية ٢٤

(٨) سورة هود / من الآية ٤٠

(٩) سورة البقرة / من الآية ٣١

(١٠) سورة الأحقاف / من الآية ٣٢

(١١) سورة البقرة / ١٤٢و ٢١٣ ، وسورة النور / ٤٦ .

(١٢) سورة البقرة / من الآية ٢٨٤

٥ – **ياء الإضافة :**

يُقرأ بوجه الفتح فى : « عِندِىَ أو لَمْ يَعْلَمْ » فى سورة القصص[١] .

٦ – **ياءات الزوائد :**

يُقرأ بوجه الإثبات فى : « جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ » فى سورة الفجر[٢] ، وبالحذف فى : « نَرْتَع » فى سورة يوسف[٣] .

٧ – **أوجه فى بعض السّور :**

(ا) فى سورة يوسف : يُقرأ بوجه الإدغام مع الإشمام فى « تَأْمَنَّا »[٤] .

(ب) فى سورة النمل : يُقرأ بوجه الهمز ساكناً فى « سَاقَيْهَا »[٥] .

(حـ) فى سورة ص : يقرأ بوجه الهمز ساكناً فى « بِالسُّوق »

(ء) فى سورة الفتح : يقرأ بوجه الهمز ساكناً فى « سُوقِهِ »[٧] .

(هـ) فى سورة العَلق : يقرأ بوجه القصر فى : « أن رَّءَاهُ »[٨] .

* * *

٣ – قراءة أبى عمرو البصرى

(ا) برواية الدورى من طريق أبى الزَّعراء

١ – **بين السورتين :**

يقرأ بالبسملة فيما عدا ما بين الأنفال وبراءة ، فيقرأ بالوقف .

٢ – **هاء الكناية :**

يقرأ بوجه الصّلة فى : « يَرْضَهُ لَكُمْ » فى سورة الزُّمَر[٩] .

٣ – **المدّ المنفصل :**

يقرأ بوجه القصر .

---

(١) من الآية ٧٨

(٢) من الآية ٩

(٣) من الآية ١٢

(٤) من الآية ١١

(٥) من الآية ٤٤

(٦) من الآية ٣٣

(٧) من الآية ٢٩

(٨) من الآية ٧

(٩) من الآية ٧

٤ – **الهمزتان من كلمة :**

يقرأ بالتسهيل بَيْنَ بَيْنَ بدون فصل فى : « أَيِمَّة » فى مواضعها [١] .

وبالنسبة للهمزة الثانية المضمومة فى : « أَؤُنَبِّئُكُمْ » فى سورة آل عمران [٢] ، و « أَؤُنْزِلَ » فى سورة ص [٣] ، و « أَؤُلْقِيَ » فى سورة القمر [٤] : يُقرأ بالتسهيل بدون فصل .

٥ – **الهمزتان المختلفتان فى كلمتين :**

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ ، فى نحو : « يَشَآءُ إِلَىٰ » [٥]

٦ – **الراء المجزومة :**

يقرأ بوجه الإدغام فى نحو : « يَغْفِرْ لَكُمْ » [٦] .

٧ – **أوجه فى بعض السّور :**

(ا) فى سورة البقرة : يقرأ بوجه الإسكان فى : « بَارِئِكُم » معا [٧] ، و « يَأْمُرُكُمْ » [٨] .
ويُقرأ بوجه الاختلاس فى عين « نِعِمَّا » [٩] .

(ب) فى سورة آل عمران : يُقرأ بوجه الإسكان فى: « يَأْمُرُكُمْ » [١٠] . و « يَنْصُرُكُمْ » [١١]

(حـ) فى سورة النساء : يُقرأ بوجه الإسكان فى : « يَأْمُرُكُمْ » [١٢] .

(د) فى سورة الأنعام : يُقرأ بوجه الإسكان فى « يُشْعِرُكُمْ » [١٣] .

(هـ) فى سورة الأعراف : يُقرأ بوجه الإسكان فى : « يَأْمُرُهُمْ » [١٤] .

(و) فى سورة يوسف : يُقرأ بوجه الفتح فى : « يَا بُشْرَىٰ » [١٥] .

---

(١) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و ٤١ ، وسورة السجدة / من الآية ٢٤

(٢) من الآية ١٥

(٣) من الآية ٨

(٤) من الآية ٢٥

(٥) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ . وسورة النور / ٤٦

(٦) سورة آل عمران / من الآية ٣١ ، وسورة الأنفال / من الآيتين ٢٩ , ٧٠ ، وسورة الأحزاب / من الآية ٧١ ، وسورة الأحقاف / من الآية ٣١ ، وسورة الحديد / من الآية ٢٨ ، وسورة التغابن / من الآية ١٧ ، وسورة نوح / من الآية ٤ .

(٧) من الآية ٥٤ مرتين .

(٨) من الآيات ٦٨ و ٩٣ و ١٦٩ و ٢٦٨ .

(٩) من الآية ٢٧١ .

(١٠) من الآية ٨٠ (مرتين) .

(١١) من الآية ١٦٠ .

(١٢) من الآية ٥٨ .

(١٣) من الآية ١٠٩ .

(١٤) من الآية ١٥٧ .

(١٥) من الآية ١٩ .

(ز) فى سورة الأحزاب : يُقرأ بوجه الإبدال ياء ساكنة فى : « الَّـٰـئِى »[١] ، وكذلك فى مواضعها .

(ح) فى سورة المُلْك : يُقرأ بوجه الإسكان فى « يَنْصُرُكُمْ »[٢] .

(ب) رواية السوسى من طريق ابن جرير

١ – **بين السورتين** :

تقرأ البسملة ، فيما عدا ما بين الأنفال وبراءة ، فيراعى الوقف بينهما من غير بسملة .

٢ – **الإدغام الكبير** :

يقرأ بالإدغام فى المِثْلين والمتقاربين ، إلاَّ فى : « والَّـٰـئِى يَئِسْنَ » [٣] فيقرأ بالإظهار .

٣ – **الهمزتان من كلمة** .

يُقرأ بالتسهيل فى الهمزة الثانية من « أئِمَّة » فى مواضعها ، وبالنسبة للهمزة الثانية المضمومة ، يقرأ بالتسهيل بدون فصل ، على النحو المختار فى رواية الدّوري آنفا .

٤ – **الهمزتان المختلفتا الحركة فى كلمتين** :

يقرأ بالتسهيل فى الثانية من : « يَشَاءُ إِلَىٰ »[٤] ، ونظيره .

٥ – **الفتح والإمالة وما بينهما** :

يقرأ بالفتح فى « رَأَى » الذى بعده ساكن[٥] ، وبالفتح فى الراء إذا وقع بعده متحرك .
ويُقرأ بوجه الفتح فى « يَا بُشْرَىٰ »[٦] فى سورة يوسف ، وكذا فى ياء « كَهيعَصَ »[٧] .
ويُقرأ بالإمالة وصلاً فى نحو : « القُرَى الَّتِى »[٨] ، و « نَرَى اللَّهَ »[٩] .

---

(١) من الآية ٤ .
(٢) من الآية ٢٠ .
(٣) سورة الطلاق / من الآية ٤ .
(٤) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة النور / ٤٦ .
(٥) كما فى « فَلمَّا رَأى القَمَرَ بازغاً » (سورة الأنعام ٧٧) .
و « فَلما رَأى الشَّمسَ بَازِغَة » (سورة الأنعام / ٧٨) .
و « وَإِذا رَأى الَّذِينَ ظَلَمُوا العَذاب » (سورة النحل / ٨٥) .
و « وَإِذا رَأى الذينَ أشْرَكوا شُرَكاءهُمْ » (سورة النحل / ٨٦) .
و « رَأى المجرِمُونَ النَّارَ » (سورة الكهف / ٥٣) .
و « وَلَمَّا رَأى المُؤْمِنُون الأحْزَاب » (سورة الأحزاب / ٢٢) .
(٦) سورة يوسف / من الآية ١٩
(٧) سورة مريم / ١
(٨) سورة سبأ / من الآية ١٨
(٩) سورة البقرة / من الآية ٥٥

٦ – فى سورة يوسف :

يقرأ بالإدغام مع الإشمام فى « تَأْمَنَّا »[١] .

* * *

٤ – قراءة ابن عامر

(ا) رواية هشام من طريق الحلْوانى

١ – بين السورتين :

يقرأ بالبسملة بين السُّورتين، إلا فيما بين الأنفال وبراءة ، فيراعى الوقف بينهما بدون بسملة .

٢ – هاء الضمير :

يقرأ باختلاس كسرة الهاء فى :

« يؤدِّهِ » معا[٢] – « نُؤْتِهِ » معا[٣] – « نُوَلِّهِ »[٤] – « نُصْلِهِ[٥] – « فَأَلْقِهِ »[٦] – « يَتَّقْهِ »[٧]

ويُقرأ باختلاس الضَّمّ فى :

« يَرْضَهُ لَكُمْ » فى سورة الزُّمر[٨] ، وبإشباع الكسرة فى « يَأْتِهِ مُؤْمِناً » فى سورة طه[٩] .

٣ – الهمزتان فى كلمة :

(ا) المفتوحتان : يقرأ بتسهيل الثانية ، مع الإدخال بينهما ، نحو : « ءأَقْرَرْتُمْ »[١٠]

(ب) المفتوحة فمكسورة : يقرأ بوجه التحقيق مع الإدخال ، نحو : « أئِذَا »[١١] و « أئِنَّا »[١٢] .

---

(١) من الآية ١١

(٢) سورة آل عمران / من الآية ٧٥ (مرتين)

(٣) سورة آل عمران / من الآية ١٤٥ (مرتين) .

(٤) سورة النساء / من الآية ١١٥ .

(٥) سورة النساء / من الآية ١١٥ .

(٦) سورة النمل / من الآية ٢٨ .

(٧) سورة النور / من الآية ٥٢ .

(٨) من الآية ٧ .

(٩) سورة الآية ٧٥ .

(١٠) سورة آل عمران من الآية ٨١ .

(١١) من مواضع هذه الكلمة :

سورة الإسراء / من الآيتين ٤٩ و ٩٨ ، وسورة مريم / من الآية ٦٦ ، وسورة المؤمنون / من الآية ٨٢ ، وسورة الصافات / من الآيتين ١٦ و ٥٣ ، وسورة قٓ / من الآية ٣ ، وسورة الواقعة / من الآية ٤٧ .

(١٢) سورة الإسراء / من الآيتين ٤٩ و ٩٨ ، وسورة المؤمنون / من الآية ٨٢ ، وسورة الصافات / من الآية ١٦ ، وسورة الواقعة / من الآية ٤٧ .

ويقرأ بتحقيق الهمزة الثانية فى « أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ » (١) « من قراءة الدانى على أبى الفتح فارس) .

(حـ) المفتوحة فمضمومة : يقرأ بوجه التحقيق فى الثانية مع الإدخال فى : « أَؤُنَبِّئُكُمْ »(٢) – « أَؤُنزِلَ »(٣) – « أَؤُلْقِيَ »(٤) (من الطريق المذكور) .

٤ – الوقف على الهمز المتطرف :

يتبع فيه المذهب القياسىّ .

٥ – ياءات الزوائد :

يقرأ بإثبات الياء فى : « ثُمَّ كِيدُونِ » ، فى سورة الأعراف(٥) وصلًا ووقفاً .

٦ – أوجه فى بعض السّور :

(ا) فى سورة آل عمران : يُقرأ بوجه الخطاب فى : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا » (٦) (من قراءة الدانى على أبى الفتح) .

(ب) فى سورة الأنعام : يقرأ بوجه التخفيف فى نون : « أَتُحَاجُّونِّي فِى اللَّهِ » (٧) (من قراءة الدانى على أبى الفتح أيضاً) .

(حـ) فى سورة يوسف : يُقرأ بوجه الإدغام ، مع الإشادة فى : « تَأْمَنَّا » (٨) ، وبالهمز وفتح التاء فى « هَيْتَ » (٩) .

(د) فى سورة إبراهيم : يُقرأ بإشباع كسر همزة « أَفْئِدَةً » (١٠) .

(هـ) فى سورة الروم : يقرأ بإسكان السين فى « كِسَفاً » (١١) .

(و) فى سورة الزخرف : يقرأ بوجه التخفيف فى « لَمَّا مَتَاعُ » (١٢) .

(ز) فى سورة الحشر : يقرأ بتأنيث الفعل ورفع الاسم فى « يَكُونَ دُولَةً » (١٣) .

(ح) فى سورة الجنّ : يقرأ بضم اللّام فى « لِبَداً » (١٤) .

---

(١) سورة فصّلت / من الآية ٩ .
(٢) سورة آل عمران / من الآية ١٥
(٣) سورة ص / من الآية ٨
(٤) سورة القمر / من الآية ٢٥
(٥) سورة الأعراف / من الآية ١٩٥ .
(٦) من الآية ١٦٩ .
(٧) من الآية ٨٠ .
(٨) من الآية ١١ .
(٩) من الآية ٢٣ .
(١٠) من الآية ٣٧ .
(١١) من الآية ٤٨
(١٢) من الآية ٣٥
(١٣) من الآية ٧
(١٤) من الآية ١٩

(ب) رواية ابن ذكوان من طريق الأخفش

١ – بين السورتين :

تقرأ البسملة إلا فيما بين الأنفال وبراءة ، فيراعى الوقف من غير بسملة .

٢ – الفتح والإمالة :

يقرأ بوجه الإمالة فى « زاد » مطلقاً [١]، وبالإمالة فى : « هاد » فى سورة التوبة[٢] – « حِمَارِكَ » [٣] – « الْحِمَار » [٤]– « الْمِحْرَابَ » [٥] – « إِكْرَاهِهِنَّ » [٦] – « والإكرام » [٧] – « عمران » [٨] .

٣ – ياءات الزوائد :

يُقرأ بوجه إثبات الياء فى : « فَلاَ تَسْئَلْنِي » فى سورة الكهف[٩].

٤ – أوجه فى بعض السّور :

(ا) فى سورة البقرة : يقرأ بفتح الهاء فى « إِبْرَاهِيم » فى هذه السورة [١٠]، وبكسر الهاء وبعدها ياء فى غيرها من السّور[١١]. ويقرأ بالسين فى : « يَبْسُطُ »[١٢] .

(ب) فى سورة الأنعام : يقرأ بوجه الكسر مع الإشباع فى هاء : « اقْتَدِهْ »[١٣].

(حـ) فى سورة الأعراف : يقرأ بالصّاد فى « بصطة »[١٤]

---

(١) فى خمسة عشر موضعا متفرقة فى القرآن

(٢) من الآية ١٠٩

(٣) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩

(٤) سورة الجمعة / من الآية ٥

(٥) سورة آل عمران / من الآيتين ٣٨ , ٣٩ ، وسورة مريم / من الآية ١١ ، وسورة ص / من الآية ٢١

(٦) سورة النور / من الآية ٣٣

(٧) سورة الرحمن / من الآيتين ٢٧ , ٢٨

(٨) سورة آل عمران / من الآيتين ٣٣ , ٣٥ ، وسورة التحريم / من الآية ١٢

(٩) سورة الكهف / من الآية ٧٠

(١٠) من الآيات : ١٢٤ , ١٢٥ , ١٢٦ , ١٢٧ , ١٣٠ , ١٣٢ , ١٣٥ , ١٣٦ , ١٤٠ , ٢٥٨ , ٢٦٠ .

(١١) فى ٥٤ موضعا متفرقة .

(١٢) البقرة / من الآية ٢٤٥ ، وسورة الرعد / من الآية ٢٦ ، وسورة الإسراء / ٣٠ ، وسورة القصص / من الآية ٨٢ ، وسورة العنكبوت / من الآية ٦٢ ، وسورة الروم من الآية ٣٧ ، وسورة سبأ / من الآيتين ٣٦ , ٣٩ ، وسورة الزمر / من الآية ٥٢ ، وسورة الشورى / من الآية ١٢

(١٣) سورة الأنعام / من الآية ٩٠

(١٤) سورة البقرة / من الآية ٢٤٥ ، وسورة الأعراف / من الآية ٦٩

ويقرأ بكسر التنوين فى : « بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا »(١) – « خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ »(٢) .

(د) فى سورة يونس : يقرأ بفتح « أَدْرَىٰكُمْ »(٣) .

ويُقرأ بتخفيف النون المشدّدة فى « تَتَّبِعَانِّ »(٤) فقط .

(هـ) فى سورة يوسف : يُقرأ بوجه الإدغام مع الإشمام فى : « تَأْمَنَّا »(٥) .

(و) فى سورة النحل : يُقرأ بوجه الياء فى : « وَلَنَجْزِيَنَّ »(٦) .

(ز) فى سورة مريم : يُقرأ بوجه الإخبار فى : « أَءِذَا مَا مِتُّ »(٧) .

(ح) فى سورة الروم : يُقرأ بالبناء للمعلوم فى : « وَكَذَٰلِكَ تَخْرُجُونَ »(٨) .

(ط) فى سورة الصافات : يُقرأ بهمزة وصل فى : « وَإِنَّ إِلْيَاسَ »(٩) .

(ى) فى سورة الحاقة : يُقرأ ؛ « قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ »(١٠) و « قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ »(١١) بالياء فى الفعلين .

* * *

٤ – قراءة عاصم

(ا) رواية حفص ، من طريق عبيد بن الصباح

١ – المدّ المنفصل :

يُراعى فيه التوسط .

٢ – المدّ المتّصل :

يُراعى فيه التوسّط أيضاً .

٣ – المدّ العارض للسكون :

يُقرأ بالقصر .

---

(١) سورة الأعراف / من الآية ٤٩
(٢) سورة إبراهيم / من الآية ٢٦
(٣) سورة يونس / من الآية ١٦
(٤) سورة يونس / من الآية ٨٩
(٥) من الآية ١١
(٦) من الآية ٩٦
(٧) من الآية ٦٦
(٨) من الآية ١٩
(٩) من الآية ١٢٣
(١٠) من الآية ٤١
(١١) من الآية ٤٢

٤ – **أوجه فى بعض الألفاظ :**

(ا) « ءَآلذَّكَرَيْنِ » وبابه[١] :

يُقرأ بالإبدال مع الإشباع .

(ب) « لاَ تَأْمَنَّا »[٢] .

يُقرأ بالإدغام مع الإشمام .

(حـ) « كۤهيعۤصۤ »[٣] و « عۤسۤقۤ »[٤] :

يُقرأ بإشباع العين .

(د) « فِرْقٍ » فى سورة الشعراء[٥] .

يُقرأ بالتفخيم .

(هـ) « ضَعْفٍ »[٦] و « ضَعْفاً »[٧] :

يُقرآن بفتح الضّاد .

(و) « الْمُصَيْطِرُونَ »[٨] :

يُقرأ بالصّاد .

(ز) « أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ »[٩] :

تُقرأ بالإدغام الكامل .

(ب) رواية شعبة ، من طريق يحيى بن آدم

١ – **الفتح والإمالة :**

يُقرأ بوجه الفتح فى الهمز فى نحو : « فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ »[١٠] – « فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ »[١١] .

٢ – **أوجه فى بعض السّور :**

(ا) فى سورة البقرة : يُقرا بوجه إسكان العين فى : « نِعِمَّا » ، وكذلك فى موضعها

---

(١) سورة الأنعام / من الآيتين ١٤٣ و ١٤٤ .

(٢) سورة يوسف / من الآية ١١

(٣) سورة مريم / ١ .

(٤) سورة الشورى / ٢ .

(٥) من الآية ٦٣ .

(٦) سورة الروم / من الآية ٥٤

(٧) سورة الروم / من الآية ٥٤ .

(٨) سورة الطور / من الآية ٣٧

(٩) سورة المرسلات / من الآية ٢٠ .

(١٠) سورة الأنعام / من الآية ٧٧ .

(١١) سورة الأنعام / من الآية ٧٨ .

فى سورة النساء[١] .

(ب) فى سورة الأعراف : يُقرأ « بِعَذَابٍ بَئِيسٍ »[٢] : « بعَذَابٍ بَيْئَسٍ » .

(حـ) سورة يوسف : يُقرأ بوجه الإدغام مع الإشمام فى : « تَأْمَنَّا »[٣] .

(ء) فى سورة الكهف : يُقرأ بوجه الوصل فى : « ءَاتُونِى » فى موضعيها[٤] .

(هـ) فى سورة الرحمن : يُقرأ بكسر الشين فى : « الْمُنْشَئَاتُ »[٥] .

(و) فى سورة المجادَلَة : يُقرأ بكسر الشين فى : « انْشُزُوا » – « فَانشُزُوا »[٦] .

* * *

٦ – قراءة حمزة

(ا) رواية خلف ، من طريق إدريس

١ – **السكت على الهمز** :

يُقرأ بوجه السّكت على : « أل » ، و « شيء » ، والمفصول . (من طريق أبى الفتح فارس) .

ويُلاحَظ التغيير فى الهمز المتوسّط بزائد فى الوقف . (من الطّريق المذكور) .

٢ – **الوقف على الهمز** :

يُختار فى الوقف على الهمز المتوسّط والمتطرف بأنواعه المذهبُ القياسيّ

ويُقرأ بوجه المدّ فى الهمز المتوسّط مع التسهيل فى نحو : « جَاءَكُمْ »[٧] و « جَاءُوكُمْ »[٨] و « أُولَٰئِكَ »[٩] .

---

(١) سورة البقرة / من الآية ٢٧١ ، وسورة النساء / من الآية ٥٨

(٢) من الآية ١٦٥

(٣) من الآية ١١

(٤) من الآية ٦٩ مرتين

(٥) من الآية ٢٤

(٦) الكلمتان من الآية ١١

(٧) وردت فى ٢٦ موضعا من القرآن

(٨) سورة النساء / من الآية ٩٠ ، وسورة المائدة / من الآية ٦١ ، وسورة الأحزاب / من الآية ١٠ .

(٩) وردت فى ٢٠٤ مواضع من القرآن

ويُقرأ بوجه القصر مع الإبدال فى الهمز المتطرف الذى وقع قبله ألف ، نحو : « جَاءَ »[١] – « مِنَ السَّمَاءِ »[٢] – « يَشَـٰٓؤُاْ »[٣] « الْبَلَـٰٓؤُا »[٤] – « الضُّعَفَـٰٓؤُاْ »[٥] – « وَمِنْ ءَانَاىِٕ »[٦]

وتُنقل حركة الهمز إلى ما قبلها ياءً كان نحو : « شَىْءٌ » ، أو واواً نحو : « سُوء » ، مع السّكون المحضر.

ويُقرأ بالتسهيل بَيْنَ بَيْن حيث يقع الهمز متوسّطاً متحركاً وقبله متحرك .

ويُقرأ بوجه ضمّ الهاء وقفاً فى « أَنْبِئْهُمْ »[٧] (وهو مذهب أبى الفتح) .

ويُقرأ بوجه النقل مع السّكون المحض فى نحو : « دِفْءٌ »[٨] – « بَيْنَ الْمَرْءِ »[٩] – « يُخْرِجُ الْخَبْءَ »[١٠].

ويُقرأ بالإبدال ألفاً فى نحو : « يَبْدَؤُاْ »[١١]، وياءً فى نحو : « يَسْتَهْزِئُ »[١٢]، وواواً فى نحو : « إِنِ امْرُؤٌاْ »[١٣].

(ب) رواية خلّاد ، من طريق ابن شاذان

١ – هاء الضمير :

يُقرأ بكسر الهاء وصلتها فى : « يَتَّقْهِ »[١٤] (من قراءة الدانى على أبى الحسن طاهر ابن غلبون) .

---

(١) وردت فى ٦٨ موضعاً من القرآن

(٢) وردت بالكسر فى ٨٦ موضعا من القرآن

(٣) وردت فى ١١٦ موضعا من القرآن

(٤) سورة الصافات / من الآية ١٠٦

(٥) سورة التوبة / من الآية ٩١ ، وسورة إبراهيم / من الآية ٢١ ، وسورة غافر من الآية ٤٧

(٦) سورة طه / من الآية ١٣٠

(٧) سورة البقرة / من الآية ٣٣

(٨) سورة النّحل / من الآية ٥

(٩) سورة البقرة / من الآية ١٠٢

(١٠) سورة النمل / من الآية ٢٥

(١١) سورة يونس / من الآيتين ٤ , ٣٤ ، وسورة النمل / من الآية ٦٤ ، وسورة الروم / من الآيتين ١١ , ٢٧

(١٢) سورة البقرة / من الآية ١٥

(١٣) سورة النساء / من الآية ١٧

(١٤) سورة النور / من الآية ٥٢

٢ – السكت على الهمز :

يُقرأ بالسّكت على : « أل » و « شيء » ، مع مراعاة التحقيق فى المتوسّط بزائد من الهمز وقفا .

٣ – الوقف على الهمز :

يُقرأ بنفس الأوجه المختارة آنفا لخلف ، لأن مذهبهما فى الوقف على الهمز واحد .

ولكن إذا وُقف على : « أَنْبِئْهُمْ »[١] – « وَنَبِّئْهُمْ »[٢]، يُقرأ لخلاّد بوجه كسر الهاء مع الإبدال (وهذا مذهب طاهر بن غلبون) .

٤ – الإدغام الصغير :

يُقرأ بالإظهار فى : « بَلْ طَبَعَ » بالنساء[٣] ، وبالإدغام فى : « وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ » فى سورة الحجرات[٤] ، وبالإظهار فى : « ارْكَبْ مَعَنَا » فى سورة هود[٥] .

٥ – الفتح والإمالة :

يُقرأ بوجه الإمالة فى « ضِعَـٰفاً » فى سورة النساء[٦] ، و « ءَاتِيكَ » – معا – فى سورة النمل[٧] .

٦ – أوجه فى بعض السّور :

(ا) فى سورة البقرة : يُقرأ بالسين فى : « وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ »[٨] .

(ب) فى سورة الأعراف : يُقرأ بالسّين أيضاً فى : « بَصْطَةً »[٩] .

(حـ) فى سورة الطور : يُقرأ بوجه الإشمام فى : « الْمُصَيْطِرُونَ »[١٠] .

(د) فى سورة المرسلات : يُقرأ بالإظهار فى : « فَالْمُلْقِيَـٰتِ ذِكْراً »[١١] .

(هـ) فى سورة الغاشية : يُقرأ بوجه الإشمام فى : « بِمُصَيْطِرٍ »[١٢] .

(و) فى العاديات : يُقرأ بالإظهار فى : « فَالْمُغِيرَٰتِ صُبْحاً »[١٣] .

* * *

(١) سورة البقرة / من الآية ٣٣

(٢) سورة الحجْر / من الآية ٥١ ، وسورة القمر / من الآية ٢٨ .

(٣) من الآية ١٥٥

(٤) من الآية ١١

(٥) من الآية ٤٢

(٦) من الآية ٩

(٧) من الايتين ٣٩ , ٤٠

(٨) من الآية ٢٤٥

(٩) من الآية ٦٩

(١٠) من الآية ٣٧

(١١) من الآية ٥

(١٢) من الآية ٢٢

(١٣) من الآية ٣

٧ – قراءة الكسائى

(ا) رواية أبى الحارث ، من طريق محمد بن يحيى

١ – هاء التأنيث فى الوقف :

يُقرأ بالإمالة فى الحروف التى يجمعها قولهم : « فَجَثَتْ زينب لذود شمس » وحروف « أكهر » بشرطيها .

ويُقرأ بفتح الباقى

٢ – وجه فى سورة الرحمن :

يُقرأ : « لَمْ يَطْمِثْهُنَّ » فى موضعيها[١] بضم الميم فى الأولى ، وبكسر الميم فى الثانية .

(ب) رواية الدّورى ، من طريق جعفر النّصيبى

١ – الفتح والإمالة :

يُقرأ بالفتح فى : « يُوَٰرِى »[٢] و « فَأُوَٰرِىَ »[٣] .

٢ – هاء التأنيث فى الوقف :

مذهبه هنا كمذهب أبى الحارث ، فيُقرأ على النحو المختار آنفا .

٣ – وجه فى سورة الرحمن :

تُقرأ . « لَمْ يَطْمِثْهُنَّ » فى موضعيها ، بعكس قراءة أبى الحارث ، أى بكسر الميم فى الأولى، وضمّها فى الثانية .

* * *

---

(١) من الآيتين ٥٦ , ٧٤

(٢) سورة المائدة / من الآية ٣١

(٣) من الآية السابقة

٨ – قراءة أبي جعفر

(ا) رواية ابن وردان ، من طريق الفضل بن شاذان

١ – الهمز المفرد :

يُقرأ بوجه الإبدال فى : « مَوْطِئاً »[١] ، وبالحذف فى : « الْمُنْشِئُونَ »[٢] .

٢ – الهمزتان فى كلمة وفى كلمتين :

يُقرأ بالتسهيل فى : « أَئِمَّة »[٣] و « يَشَاءُ إِلَىٰ »[٤] .

٣ – أوجه فى بعض السّور :

(ا) فى سورة الأعراف : تُقرأ « وَالَّذِى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً »[٥] بالوجه الثانى لابن وردان ، أى بفتح الياء وضمّ الراء ، أى بالتسمية للمعلوم . (والوجه الأول الذى لم نختره هو ضم الياء وكسر الراء) .

وتُقرأ : « نَكَدا » بفتح الكاف

(ب) فى سورة التوبة : تُقرأ : « سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ »[٦] : « سُقَاةَ » بضم السّين ، وحذف الياء ، و « وَعَمَرَةَ » ، بفتح العين وحذف الألف بعد الميم .

(ح) فى سورة الإسراء : تُقرأ : « فَيُغْرِقَكُمْ »[٧] بتخفيف الإدغام .

(د) فى سورة الزُّمَر : تُقرأ : « يَـٰحَسْرَتَىٰ »[٨] بالإسكان مع الإشباع ، أى « يَا حَسْرَتَایْ »

---

(١) سورة التوبة / من الآية ١٢٠

(٢) سورة الواقعة / من الآية ٧٢

(٣) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الانبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ , ١٤

(٤) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ , ٢١٣ ، وسورة يونس / من الآية ٢٥ ، وسورة النور / من الآية ٤٦

(٥) من الآية ٥٨

(٦) من الآية ١٩

(٧) من الآية ٦٩

(٨) من الآية ٥٦

(ب) رواية ابن جمَّاز ، من طريق أبي أيوب الهاشمي

١ – **الهمز المفرد :**

يُقرأ بوجه الإبدال في : « مَوْطِئاً »[١]

٢ – **الهمزتان في كلمة وفي كلمتين :**

يُقرأ بالتسهيل في :« أَئِمَّة »[٢] و « يَشَاءُ إِلَى »[٣] .

* * *

٩ – قراءة يعقوب

(ا) رواية رُويس ، من طريق التّمار

١ – **بين السورتين :**

يُراعَى السَّكت .

٢ – **الإشمام :**

يُقرأ بإشمام الصّاد زاياً في باب « أَصْدَقُ » ، أي حيث تكون الصّاد ساكنة قبل الدال .

٣ – **هاء الضمير :**

يُقرأ بكسر الهاء في :

« وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ » في سورة الحجْر[٥] – « يُغْنِهِمُ اللهُ » في سورة النور[٦] – « وَقِهِمْ

---

(١) سورة التوبة / من الآية ١٢٠

(٢) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و١٤

(٣) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ و٢١٣ ، وسورة يونس / من الآية ٢٥ ، وسورة النور / من الآية ٤٦

(٤) يعتمد هذا الإختيار والاختيار التّالي له ، وهو الخاص برواية رَوحْ من طريق محمد بن وهب ، على ما رُوى عن كتاب المصباح » لأبي الكرم الشهرزوري .

وأذكر – شاكراً – أني أفدت أيضاً في هذين الاختيارين من آراء عالم القراءات الأستاذ الشيخ عامر السيد عثمان .

(وانظر أسماء الرواه الذين تلقّى عنهم صاحب (المصباح) هاتين الروايتين في : ابن الجزري : النشر جـ ١ ص ١٨١ و ١٨٣) .

(٥) من الآية ٣

(٦) من الآية ٣٢

عَذَابَ » فى سورة غافر[١] – « وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ » فى سورة غافر أيضاً[٢] .

٤ – الإدغام الكبير :

يُقرأ بالإدغام فى :

« لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم » فى سورة البقرة[٣] – « وَجَعَلَ لَكُمْ » فى ثمانية مواضع بسورة النحل[٤] – « لاَ قِبَلَ لَهُمْ » فى سورة النمل[٥] – « وَأَنَّهُ هُوَ » فى أربعة مواضع فى سورة النجم[٦] – « وَأَنْزَلَ لَكُمْ » فى الزُّمر[٧] – « مِن جَهَنَّمَ مِهَادٌ » فى سورة الأعراف[٨] .

٥ – هاء الكناية :

يُقرأ بصلة الهاء فى « يَرَه » فى سورة البلد[٩] ، وفى سورة الزَّلْزَلَة[١٠] .

٦ – المدّ والقصر :

يُقرأ بقصر المنفصل ، وإشباع المتصل .

٧ – الهمزتان من كلمة :

يُقرأ بتسهيل الهمزة الثانية فى جميع القرآن .

٨ – الهمزتان من كلمتين :

يُقرأ بتسهيل الهمزة الأخيرة من الهمزتين المتفقتين من كلمتين ، ومن المختلفتين ، نحو : « تَفِيءَ إِلَىٰ »[١١] – « جَاءَ أُمَّةً »[١٢] – « يَشَاءُ إِلَى »[١٣]

ويُقرأ بإبدال الهمزة الأخيرة واواً فى نحو : « السُّفَهَاءُ أَلاَ »[١٤] ، وبإبدالها ياء فى نحو : « مِنَ السَّماءِ أَو ائْتِنَا »[١٥] .

٩ – الهمز المفرد :

كلمة : « الأُولَى » فى قوله تعالى : « وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَىٰ »[١٦] ، إذا بدئ بها قرئت بهمزة مفتوحة وضم اللاّم .

---

(١) من الآية ٧ .
(٢) من الآية ٩ .
(٣) من الآية ٢٠ .
(٤) من الآيات ٧٢ (مرتين) و ٧٨ و ٨٠ (مرتين) و ٨١ (ثلاث مرات) .
(٥) من الآية ٣٧ .
(٦) من الآيات ٤٣ و ٤٤ و ٤٨ و ٤٩ .
(٧) من الآية ٦ .
(٨) من الآية ٤١ .
(٩) من الآية ٧ .
(١٠) من الآيتين ٧ و ٨ .
(١١) سورة الحجرات / ٩ .
(١٢) سورة المؤمنون / ٤٤ .
(١٣) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة يونس / ٢٥ ، وسورة النور / ٤٦ .
(١٤) سورة البقرة / من الآية ١٣ .
(١٥) سورة الأنفال / من الآية ٣٢ .
(١٦) سورة النجم / ٥٠ .

١٠ – **الإدغام الصغير** :

يُقرأ بالإظهار فى باب : « اتَّخَذْتُمْ » و « أَخَذْتُمْ » .

ويُقرأ بإظهار غنّة النون الساكنة والتنوين عند اللّام فى مثل : « مِن لَّدُنْهُ » (١) – « وَهُدًى لِلْمُتَّقِينَ » (٢)

١١ – **الوقف على مرسوم الخط** :

يُوقف بهاء السكت على :

(ا) جمع المذكر السالم والملحق به ، مثل : « الْعٰلَمِينَ » – « الَّذِينَ »

(ب) ذى النُّدبة فى : « يَـٰوَيْلَتَىٰ »(٣) – « يٰحَسْرَتَىٰ » (٤) – « يَـٰأَسَفَىٰ » (٥) مع إشباع المدّ .

(حـ) نون النسوة ، نحو : « عَلَيْهِنَّ » – « مِنْهُنَّ » – « أَرْجُلِهِنَّ » .

(د) ما « الاستفهامية » التى دخل عليها حرف من حروف الجرّ ، وهى : « فِيمَ » – « مِمَّ » – « عَمَّ » – « لِمَ » – « بِمَ » ، فتُقرأ : « فِيمَهْ » ، و « مِمَّهْ » ، و « عَمَّهْ » و « لِمَهْ » ، و « بِمَهْ » .

١٢ – **ياءات الإضافة والزوائد** :

يُقرأ بإثبات الياء ساكنة فى : « يَـٰعِبَادِ لاَ خَوْفٌ » فى سورة الزخرف(٦) – «يَـٰعِبَادِ فَاتَّقُونِ » فى الزُّمر(٧) .

١٣ – **فرش الحروف** :

يُقرأ بتشديد « فَتَحْنَا » فى الأنعام(٨) والأعراف(٩) ، والقمر(١٠) .

ويُقرأ بقطع همزة « فَأَجْمِعُوا » فى سورة يونس(١١).

ويُقرأ بإبدال همزة الفصل مدًّا فى نحو : « ءَالذَّكَرَيْنِ »(١٢).

---

(١) سورة النساء / ٤٠ ، وسورة الكهف / ٢

(٢) سورة البقرة / ٢

(٣) سورة المائدة / من الآية ٣١ ، وسورة هود / من الآية ٧٢ ، وسورة الفرقان / من الآية ٢٨ .

(٤) سورة الزُّمَر / من الآية ٥٦

(٥) سورة يوسف / من الآية ٨٤

(٦) من الآية ٦٨

(٧) من الآية ١٦

(٨) من الآية ٤٤

(٩) من الآية ٩٦

(١٠) من الآية ١١

(١١) من الآية ٧١

(١٢) سورة الأنعام / من الآيتين ١٤٣ , ١٤٤ .

ويُقرأ بفتح الياء فى : « لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ » فى سورة إبراهيم(١) - لِيُضِلَّ عَنْ » فى الحجّ(٢) والزُّمَر(٣) .

ويُقرأ بضم الياء فى « لِيُضِلَّ عَنْ » فى سورة لُقْمَـٰن(٤) .

ويُقرأ بنقل حركة الهمزة فى قوله تعالى : « عُيُونٍ ادْخُلُوهَا » فى سورة الحِجْر(٥) إلى تنوين مضموم ، مع كسر الخاء .

ويُقرأ بالغيب فى : « عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا » فى سورة الإسراء(٦) .

ويُقرأ بتأنيث « تُسَبِّحُ » فى الإسراء أيضاً(٧) .

ويُقرأ برفع « عَـٰلِمِ الْغَيْبِ » فى سورة المؤمنون ابتداء(٨) .

ويُقرأ « وَلاَ يُنْقَصُ » فى سورة فاطر(٩) بفتح الياء ، وضم القاف .

ويُقرأ بياء الغيب فى : « وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُون » فى سورة الشورى(١٠).

ويُقرأ بتثقيل « وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ » فى سورة الحديد(١١).

ويُقرأ بتخفيف « سُجِّرَتْ » فى سورة التكوير(١٢).

ويُترك تنوين « سَلَـٰسِلَا » فى سورة الدهر(١٣) وصلاً ، ويوقف بسكون اللّام .

ويُقرأ « النَّفَّـٰثَـٰتِ فِى الْعُقَدِ »(١٤) : « النَّافِثَاتِ » .

(ب) رواية روح من طريق محمد بن وهب

١ - **بين السورتين** :

يُراعى السكت .

٢ - **الإدغام السكت** .

يُقرأ كما لأبى عمرو .

---

(١) من الآية ٣٠
(٢) من الآية ٩
(٣) من الآية ٨
(٤) من الآية ٦
(٥) من الآيتين ٤٥ , ٤٦
(٦) من الآية ٤٣
(٧) من الآية ٤٤
(٨) من الآية ٩٢
(٩) من الآية ١١
(١٠) من الآية ٢٥
(١١) من الآية ١٦
(١٢) من الآية ٦
(١٣) من الآية ٤
(١٤) من الآية ٤

٣ – **الإدغام الصغير** :

يُقرأ بغنّة النون الساكنة ، وبالتنوين عند اللّام والراء .

٤ – **الهمز** :

يُقرأ بتحقيقه مطلقاً .

٥ – **المدّ** :

يُقرأ بقصر المنفصل وإشباع المتصل .

٦ – **هاء الضمير** :

يقرأ بصلة الهاءفى « يَرَه » فى سورة البلد[١] ، وفى سورة الزَّلْزَلَة[٢] .

٧ – **الوقوف على مرسوم الخط** :

تترك هاء السكت فى :

(ا) جمع المذكر السّالم والملحق به .

(ب) باب « علىّ » ، وأمثلته : « مُصْرِخِيَّ »[٣] – « بَنِيَّ »[٤] – « لَدَيَّ »[٥] .

ويُقرأ بإثبات هاء السكت فى :

(ا) نون النسوة .

(ب) اسم الاستفهام الذى دخل عليه حرف من حروف الجرّ .

٨ – **من فرش الحروف** :

يقرأ بالغيب فى : « كَلاَّ بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَٰضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّماًّ * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا »[٦] .

* * *

---

(١) من الآية ٧

(٢) من الآيتين ٧ , ٨

(٣) سورة إبراهيم / من الآية ٢٢

(٤) سورة البقرة / من الآية ١٣٢ ، وسورة يوسف / من الآيتين ٦٧ , ٨٧ ، وسورة إبراهيم / من الآية ٣٥ .

(٥) سورة النمل / من الآية ١٠ ، وسورة ق / من الآيات ٢٣ , ٢٨ , ٢٩ .

(٦) سورة الفجر الآيات ١٧ و١٨ و١٩ و٢٠ .

١٠ – قراءة خَلَف البزّار

(ا) رواية إسحاق ، من طريق ابن شاذان

(ب) رواية إدريس ، من طريق المطّوعى

لم ينصّ ابن الجزرىّ فى « الدّرّة المضيّة فى القراءات الثلاث » على خلافٍ بين الراويين الأشهرين لهذه القراءة : إسحاق ، وإدريس ، أو بين أصحاب طرقها .

وخَلَفٌ صاحب هذه القراءة ، هو – كما ذكرنا قبلاً – أحد الراويين الأشهرين لحمزة ، وقد اخترنا – قبلا – لروايته ، من طريق الشاطبية ، ما اخترنا .

لهذا ، رأينا أن نختار لقراءته هنا ما خالف روايته تلك ، وقد نهجنا فى اختيارنا طريق « الدّرّة » و « التّحبير » لابن الجزرى ، وأفدنا كثيراً من كتاب « الوجوه المسفرة فى القراءات الثلاث » ، لمحمد المتولى شيخ القراء بالديار المصرية سابقاً .

١ – **« الصِّرٰط » و « صِرٰط » بمختلف مواقعهما من الإعراب ، و « صِرٰطَك » و « صِرٰطِى »**[1]
تُقرأ بالصّاد الخالصة .

٢ – **« عَلَيْهِمْ » و « إِلَيْهِمْ » و « لَدَيْهِمْ »** .
تُقرأ بالكسر ، إذا وقع بعدها محرك .

٣ – **الإدغام الكبير :**
يُقرأ بإظهار النونين فى : « أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ »[2]
وكذا التاء فى : « وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا * فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا * فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا »[3] ، وفى : « وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْواً »[4] ، وفى : « فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحاً »[5] .
وكذا تظهر التاء عند « بيَّتَ طَآئِفَةٌ » .

(١) وردت مادة هذه الكلمات فى القرآن خمساً وأربعين مرة .
(٢) سورة النمل / من الآية ٣٦
(٣) سورة الصافات / الآيات ١ و ٢ و ٣ .
(٤) سورة الذاريات الآية / ١
(٥) سورة العاديات / الآية ٣
(٦) سورة النساء / من الآية ٨١

٤ – الإدغام الصغير :

يُقرأ بإظهار التاء عند الثاء ، نحو : « كَذَّبَتْ ثَمُودُ »[١] ، و « بَعِدَتْ ثَمُودُ »[٢] .

ويُقرأ بإظهار لام « هَلْ » و « بَلْ » عند التاء والسين

ويُقرأ بإظهار الثاء عند التاء فى : « أُورِثْتُمُوهَا »[٣] ، وكذا فى : « لَبِثْتَ »[٤] بتاء المتكلم وتاء المخاطب .

ويُقرأ بإدغام نون : « يسٓ وَالْقُرْءَانِ »[٥] ، وكذا « نٓ وَالْقَلَمِ »[٦] .

ويُقرأ بإدغام نون : « طسٓمٓ » فى الميم (فى أول سورة الشعراء ، وأول سورة القصص)[٧] .

ويُقرأ بإظهار الباء فى : « ارْكَبْ مَعَنَا »[٨] .

٥ – هاء الكناية :

تُشبع حركة الهاء فيما يأتى :

« يُؤَدِّهِ » – معا – بسورة آل عمران[٩] .

« نُوَلِّهِ »[١٠]، – « وَنُصْلِهِ »[١١] فى سورة النساء .

« نُؤْتِهِ » فى سورة آل عمران[١٢] ، وفى سورة الشورى[١٣] .

« أَلْقِهْ » فى سورة النمل[١٤].

« وَيَتَّقْهِ » فى سورة النور[١٥].

« يَرْضَهُ » فى سورة الزُّمَر[١٦].

« يَأْتِهِ مُؤْمِناً » فى سورة طه[١٧]:

---

(١) سورة الشعراء / من الآية ١٤١ ، وسورة القمر / من الآية ٢٣ ، وسورة الحاقة / من الآية ٤ ، وسورة الشمس / من الآية ١١

(٢) سورة هود / من الآية ٩٥ .

(٣) سورة الأعراف / من الآية ٤٣ ، وسورة الزخرف من الآية ٧٢

(٤) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩ (ثلاث مرات) ، وسورة يونس / من الآية ١٦ ، وسورة طه / من الآية ٤٠ ، وسورة الشعراء / من الآية ١٨

(٥) سورة يس / الآية ١ ومن الآية ٢

(٦) سورة ن / من الآية ١

(٧) الآية الأولى فى كل من السورتين

(٨) سورة هود / من الآية ٤٢

(٩) من الآية ٧٥ (مرتين)

(١٠) من الآية ١١٥

(١١) من الآية ١١٥

(١٢) من الآية ١٤٥ (مرتين)

(١٣) من الآية ٢٠

(١٤) من الآية ٢٨

(١٥) من الآية ٥٢

(١٦) من الآية ٧

(١٧) من الآية ٧٥

« أَرْجِهْ » فى سورة الأعراف[١] ، وسورة الشعراء[٢] .

وتُقرأ « لِأَهْلِهِ امْكُثُوا »[٣] بكسر الهاء .

٦ – **المدّان المنفصل والمتصل :**

يُقرآن بالتوسط معاً .

٧ – **الهمزتان من كلمة :**

تُقرأ : « أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ »[٤] بالإخبار .

٨ – **الهمز المفرد :**

تُقرأ « الذئْبُ » [٥] بالإبدال ، فتكون « الذِّيبُ » .

٩ – **النقل :**

يُقرأ بنقل حركة الهمزة ، وحذفها من فعل الأمر الدّال على السؤال فى « وَسْئَلِ »[٦] – « فَسْئَلِ »[٧] .

١٠ – **الوقف على الهمز :**

يُقرأ بتحقيق الهمز وقفاً .

١١ – **السكت على الهمز :**

يُقرأ بترك السكت على الهمز مطلقاً .

١٢ – **النون الساكنة والتنوينية :**

تُقرأ بالغنّة عند الواو والياء .

١٣ – **الفتح والإمالة :**

يُقرأ بالفتح فى : « الْقَهَّار »[٨] – « الْبَوَار »[٩] – « ضِعَافاً »[١٠]

---

(١) من الآية ١١١

(٢) من الآية ٣٦

(٣) سورة طه / من الآية ١٠ ، وسورة القصص من الآية ٢٩

(٤) سورة القلم / من الآية ١٤

(٥) سورة يوسف / من الآيات ١٣ ، ١٤ ، ١٧

(٦) سورة يوسف / من الآية ٨٢ ، وسورة الزخرف / من الآية ٤٥

(٧) سورة يونس / من الآية ٩٤ ، وسورة الإسراء / من الآية ١٠١ . وسورة المؤمنون / من الآية ١١٣ ، وسورة الفرقان / من الآية ٥٩

(٨) سورة يوسف / من الآية ٣٩ ، وسورة الرعد / من الآية ١٦ ، وسورة إبراهيم / من الآية ٤٨ ، وسورة ص / من الآية ٦٥ . وسورة الزمر / من الآية ٤ ، وسورة غافر / من الآية ١٦

(٩) سورة إبراهيم / من الآية ٢٨

(١٠) سورة النساء / من الآية ٩

ويقرأ بالفتح أيضاً فى « خاب »[١] – « خَافُوا »[٢] – « طَابَ »[٣] – « ضَاقَ »[٤] « حَاقَ »[٥] – « زَاغُوا »[٦] – « زادَ »[٧] .

ويُقرأ بالإمالة فى : « الأبرار »[٨] – إذا كان مجروراً – و « الرُّءْيَا » المحلّى باللّام .

١٤ – **الوقف على المرسوم :**

تُثبت هاء السكت فى : « مَالِيهْ »[١٠] – « سُلْطَـٰنِيَهْ »[١١] – « مَاهِيَهْ »[١٢].

١٥ – **ياء الإضافة :**

يُقرأ بفتح ياء الإضافة فى :

« عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ فى سورة البقرة .

« سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ » فى سورة الأعراف[١٤].

---

(١) سورة إبراهيم / من الآية ١٥ ، وسورة طه / من الآيتين ٦١ و ١١١ ، وسورة الشمس / من الآية ١٠ .

(٢) سورة النساء / من الآية ٩

(٣) سورة النساء / من الآية ٣

(٤) سورة هود / من الآية ٧٧ ، وسورة العنكبوت / من الآية ٣٣

(٥) سورة الأنعام / من الآية ١٠ ، وسورة هود / من الآية ٨ ، وسورة النحل / من الآية ٣٤ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٤١ ، وسورة الزمر / من الآية ٤٨ ، وسورة غافر من الآيتين ٤٥ و ٨٣ ، وسورة الجاثية / من الآية ٣٣ ، وسورة الأحقاف / من الآية ٢٦ .

(٦) سورة الصف / من الآية ٥

(٧) زادَته : (سورة التوبة / من الآية ١٢٤)

زَادَتهم : (سورة الأنفال / من الآية ٢ ، وسورة التوبة / من الآيتين ١٢٤ و ١٢٥) .

زَادَكم (سورة الأعراف / من الآية ٦٩)

زادَهُ (سورة البقرة / من الآية ٢٤٧)

زادهُمْ (سورة البقرة / من الآية ١٠ ، وسورة آل عمران / من الآية ١٧٣ ، وسورة الفرقان / من الآية ٦٠ ، وسورة الأحزاب من الآية ٢٢ ، وسورة فاطر / من الآية ٤٢ ، وسورة محمد / من الآية ١٧) .

زادوكم (سورة التوبة / من الآية ٤٧) .

زَادُوهُمْ (سورة هود / من الآية ١٠١ ، وسورة الجن / من الآية ٦)

(٨) سورة آل عمران / من الآيتين ١٩٣ و ١٩٨ ، وسورة المطففين / الآية ١٨

(٩) سورة الإسراء / من الآية ٦٠ ، وسورة الصافات / من الآية ١٠٥ ، وسورة الفتح / من الآية ٢٧

(١٠) سورة الحاقة / من الآية ٢٨

(١١) سورة الحاقة / من الآية ٢٩

(١٢) سورة القارعة / من الآية ١٠

(١٣) من الآية ١٢٤

(١٤) من الآية ١٤٦

« قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا » فى سورة إبراهيم [١] .
« ءَاتَانِىَ ٱلْكِتَـٰبَ » فى سورة مريم [٢] .
« حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ » فى سورة الأعراف [٣] .
« رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ » فى سورة البقرة [٤] .
« مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ » فى سورة الأنبياء [٥] .
« عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ » فى سورة الأنبياء [٦] .
« مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ » فى سورة صۤ [٧] .
« إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ » فى سورة الزُّمَر [٨] .
« مِنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ » فى سورة سبأ [٩] .
« أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ » فى سورة الملك [١٠] .

١٦ – **ياءات الزوائد :**
تُحذف الياء فى : « دُعَاءِ » فى سورة إبرهيم [١١]، وفى : « أَتُمِدُّونَنِ » فى سورة النمل [١٢].

١٧ – **الساكن الأول تنويناً كان أو غير تنوين :**
يُقرأ بالضمّ ، نحو : « خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ » [١٣]– « قُلِ ادْعُوا » [١٤].

١٨ – **فعل « يَحْسَبُ » [١٥] مضارعاً فى مختلف صوره :**
يُقرأ بكسر السّين .

١٩ – **لفظ « أُمّ » :**
يقرأ : تُقرأ هذه الكلمة – فى الإفراد والجمع – كالآتى :
بضم الهمز وتحريك الميم الحركة المناسبة كـ (حفص) ، وذلك فى الآيات الآتية :

---

(١) من الآية ٣١
(٢) من الآية ٣٠
(٣) من الآية ٣٣
(٤) من الآية ٢٥٨
(٥) من الآية ٨٣
(٦) من الآية ١٠٥
(٧) من الآية ٤١
(٨) من الآية ٣٨
(٩) من الآية ١٣
(١٠) من الآية ٢٨
(١١) من الآية ٤٠
(١٢) من الآية ٣٦
(١٣) سورة إبراهيم / من الآية ٢٦
(١٤) سورة الأعراف / من الآية ١٩٥ ، وسورة الإسراء / من الآيتين ٥٦ , ١١٠ وسورة سبأ / من الآية ٢٢
(١٥) ورد هذا الفعل ٣٢ مرة فى القرآن .

« فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ »[١] – « فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ »[٢] – « أُمِّهَا » فى سورة القصص[٣] – « فى أُمِّ الكِتَـٰبِ »[٤] – وبضم الهمز وفتح الميم فى : « أُمَّهَـٰتِكُمْ » فى سورة النحل[٥] ، وسورة النور[٦] ، وسورة الزُّمَر[٧] ، وسورة النجم[٨]

٢٠ – فاء الكلمة فى بعض الألفاظ .

يُقرأ بضم غين « الغُيُوبِ »[٩] ، وعين « عُيُون »[١٠] ، وجيم « جُيُوبِهِنَّ »[١١] وشين « شُيُوخاً »[١٢]

٢١ – « ثمود » :

تُقرأ بالتنوين فى سُوَرِ : هود[١٣]، والفرقان[١٤] ، والعنكبوت[١٥]، والنجم[١٦].

٢٢ – لفظ « لَمَّا » .

يُقرأ بالتخفيف فى سُوَر : هود[١٧] ، ويس[١٨] ، والزخرف[١٩] والطارق[٢٠]

٢٣ – لفظ « وَلَداً » :

يُقرأ بالفتح فى الواو واللام فى : سورة مريم[٢١] ، وسورة « الزخرف »[٢٢]

٢٤ – لفظ « يُبَشِّرُ » مطلقاً :

يُقرأ كحفص

٢٥ – لفظ « يَقْنَطُ » :

يُقرأ « يَقْنَطُ »[٢٣] و « يَقْنَطُونَ »[٢٤] و « لاَ تَقْنَطُوا »[٢٥] بِكسر النون .

---

(١) سورة النساء / من الآية ١١
(٢) سورة النساء / من الآية ١١
(٣) من الآية ٥٩
(٤) سورة الزخرف / من الآية ٤
(٥) من الآية ٧٨
(٦) من الآية ٦١
(٧) من الآية ٦
(٨) من الآية ٣٢
(٩) سورة المائدة / من الآيتين ١٠٩ و١١٦ ، وسورة التوبة / من الآية ٧٨ ، وسورة سبأ / من الآية ٤٨
(١٠) سورة الحجر / من الآية ٤٥ ، وسورة الشعراء / من الآيات ٧ و١٣٤ و١٤٧ ، وسورة يس / من الآية ٣١ ، وسورة الدخان / من الآيتين ٢٥ و٥٢ ، وسورة الذاريات / من الآية ١٥ ، وسورة المرسلات / من الآية ٤١ ، ويقرأ أيضا بضم العين فى « عيونا » (سورة القمر / من الآية ١٢)
(١١) سورة النور / من الآية ٣١
(١٢) سورة غافر / من الآية ٦٧
(١٣) من الآية ٦٨
(١٤) من الآية ٣٨
(١٥) من الآية ٣٨
(١٦) من الآية ٥١
(١٧) من الآية ١١١
(١٨) من الآية ٣٢
(١٩) من الآية ٣٥
(٢٠) من الآية ٤
(٢١) من الآيات ٧٧ و٨٨ و٩١ و٩٢
(٢٢) من الآية ٨١
(٢٣) سورة الحجر من الآية ٥٦
(٢٤) سورة الروم من الآية ٣٦
(٢٥) سورة الزُّمر من الآية ٥٣

٢٦ – أوجه فى بعض السّور :

سورة البقرة :

تُقرأ « لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ »(١) بتاء الخطاب

وتُقرأ بالغيب : « وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَـٰئِكَ (٢) . . . –وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَلَئِنْ أَتَيْت . . . »(٣)

وتُقرأ « أُسَـٰرَىٰ »(٤) بضم الهمزة وألف بعد السّين .

ويُقرأ برفع الراء فى « لَيْسَ الْبِرَّ »(٥)

ويُقرأ « فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ »(٦) بالباء .

ويُقرأ « إِلاَّ أَنْ يَخَافَا » (٧) بفتح الياء .

ويُقرأ برفع « وَصِيَّةً » فى : « وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً »(٨)

ويُقرأ بهمزة قطع فى : « قَالَ أَعْلَمُ »(٩)

وتُقرأ « فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ »(١٠) (كحفص)

ويُقرأ بفتح همزة « أَن تَضِلَّ »(١١)

ويُقرأ بنصب « فَتُذَكِّرَ »(١٢)

سورة آل عمران :

يُقرأ « وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ »(١٣) (كحفص)

ويُقرأ « أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ »(١٤) بفتح الهمزة

ويُقرأ « لَمَا ءاتَيْتُكُم »(١٥) بفتح اللّام

ويُقرأ بالغيب فى « يَحْسَبَنَّ » المجاورة للكفر والبخل(١٦)

وتُقرأ « سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ » (١٧) (كحفص) .

---

(١) من الآية ٨٣
(٢) من الآيتين ٨٥ و ٨٦ .
(٣) من الآيتين ١٤٤ و ١٤٥
(٤) من الآية ٨٥
(٥) من الآية ١٧٧
(٦) من الآية ٢١٩
(٧) من الآية ٢٢٩
(٨) من الآية ٢٤٠
(٩) من الآية ٢٥٩
(١٠) من الآية ٢٧٩
(١١) من الآية ٢٨٢
(١٢) من الآية ٢٨٢
(١٣) من الآية ٢١
(١٤) من الآية ٣٩
(١٥) من الآية ٨١
(١٦) من الآيتين ١٧٨ و ١٨٠
(١٧) من الآية ١٨١

سورة النساء :

يُقرأ : « وَالْأَرْحَامَ »[1] بالنّصب

ويُقرأ « غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ »[2] بنصب « غَيْرُ »

وتُقرأ « وإن تَلْوُا »[3] بواو مضمومة بعدها واو ساكنة (كحفص)

سورة المائدة :

تُقرأ ألفاظ : « قَاسِيَةً »[4] - « عَبَدَ الطَّاغُوتَ »[5] - « وَلْيَحْكُمْ »[6] (كحفص فى الجميع) .

سورة الأنعام :

تُقرأ « ثُمَّ لَمْ تَكُنْ »[7] بتاء التأنيث .

ويُقرأ برفع « وَلاَ نُكَذِّبَ . . . وَنَكُونَ »[8] معاً .

وتُقرأ « تَوَفَّتْهُ »[9] ، و « اسْتَهْوَتْه »[10] هكذا (كحفص)

ويُقرأ بكسر الهمزة فى : « أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ »[11].

ويُقرأ بالغيب فى : « لاَ يُؤْمِنُونَ » .

ويُقرأ « إلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً »[13] بتذكير الفعل .

وتُقرأ « فَرَّقُوا »[14] معاً بالتشديد .

سورة الأعراف :

تُقرأ « حُلِيِّهِمْ »[15] بضم الحاء .

وتُقرأ « يُلْحِدُونَ »[16] بضم الياء وكسر الحاء .

سورة الأنفال :

تُقرأ « مَنْ حَيَّ »[17] بالإظهار هكذا « حَيِىَ » .

---

(١) من الآية ١
(٢) من الآية ٩٥
(٣) من الآية ١٣٥
(٤) من الآية ١٣
(٥) من الآية ٦٠
(٦) من الآية ٤٧
(٧) من الآية ٢٣
(٨) من الآية ٢٧
(٩) من الآية ٦١
(١٠) من الآية ٧١
(١١) من الآية ١٠٩
(١٢) نفس الآية
(١٣) من الآية ١٤٥
(١٤) من الآية ١٥٩ (مرتين)
(١٥) من الآية ١٤٨
(١٦) من الآية ١٨٠
(١٧) من الآية ٤٢

وتُقرأ « وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا »[١] بتاء الخطاب .

وتُقرا « مِنْ وَلَـٰيَتِهِمْ » [٢] بفتح الواو .

سورة التوبة :

تُقرأ : « وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا » [٣] بالرفع فى « رحْمَةٌ » .

وتُقرأ : « إِلآ أَنْ تَقَطَّعَ »[٤] بضم التاء .

وتُقرأ : « مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ » [٥] بتاء التأنيث .

وتُقرأ : « أَوَ لاَ يَرَوْنَ »[٦] بياء الغيب .

سورة هود :

يُقرأ بفتح همزة : « إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ »[٧] .

ويُقرأ بتنوين « إِنَّ ثَمُودَاْ »[٨] .

وتُقرأ « قَالَ سَلَـٰمٌ »[٩] (كحفص) .

سورة إبراهيم :

تُقرأ « بِمُصْرِخِىَّ »[١٠] بفتح الياء

سورة الكهف :

يُقرأ بالياء فى « وَيَوْمَ يَقُولُ »[١١].

وتُقرأ « ءَاتُونِى » معاً بهمزة قطع محدودة (كحفص) .

وتُقرأ « فَمَا اَسْطَـٰعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ »[١٣] بتخفيف الطاء .

سورة مريم :

تُقرأ « عِتِيًّا »[١٤]– « وبُكِيًّا »[١٥]– « صِلِيًّا »[١٦]– « جِثِيًّا »[١٧] بالضمّ فى الحرف الأول .

وتُقرأ « خَلَقْتُكَ »[١٨] (كحفص)

---

(١) من الآية ٥٩

(٢) من الآية ٧٢

(٣) من الآية ٦١

(٤) من الآية ١١٠

(٥) من الآية ١١٧

(٦) من الآية ١٢٦

(٧) من الآية ٢٥

(٨) من الآية ٦٨

(٩) من الآية ٦٩

(١٠) من الآية ٢٢

(١١) من الآية ٥٢

(١٢) من الآية ٩٦ (مرتين)

(١٣) من الآية ٩٧

(١٤) من الآيتين ٨ و ٦٩ .

(١٥) من الآية ٥٨

(١٦) من الآية ٧٠

(١٧) من الآيتين ٦٨ و ٧٢ .

(١٨) من الآية ٩

وتُقرأ « نِسِيًّا » [١] بكسر النون

وتُقرأ « تُسَاقِطْ »[٢] بالتشديد ، وبالتاء (على التأنيث) .

سورة طه :

تُقرأ « وَأَنَّا اخْتَرْتُكَ » [٣] (كحفص) .

ويُقرأ بالفعل المضارع فى « لاَتَخَافُ دَرَكاً »[٤] بالألف والرفع .

سورة الأنبياء .

تُقرأ «وَحَرَامٌ »[٥] بالفتح والألف ، (كحفص) .

سورة المؤمنون :

تُقرأ « أَنَّهم هُمُ الْفَائِزُونَ »[٦] بفتح همزة أنهم .

وتُقرأ « قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ » ، و « قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ »[٧] بصيغة الماضى فى « قَالَ »

سورة النور :

تُقرأ « دُرِّىٌّ »[٨] (كحفص) .

سورة الفرقان :

تُقرأ « لِمَا تَأْمُرُنَا »[٩] بتاء الخطاب .

سورة النمل :

تُقرأ «بِهَادِى العُمْىِ »[١٠] (كحفص) .

سورة القصص :

تُقرأ « يُصَدِّقُنِى »[١١] بالجزم فى القاف .

سورة العنكبوت :

تُقرأ « مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ »[١٢] بنصب « مَوَدَّةَ » منوناً ، ونصب « بَيْنِكُم » .

---

(١) من الآية ٦٤

(٢) من الآية ٢٥

(٣) من الآية ١٣

(٤) من الآية ٧٧

(٥) من الآية ٩٥

(٦) من الآية ١١١

(٧) من الآتين ١١٢ ، ١١٤

(٨) من الآية ٣٥

(٩) من الآية ٦٠

(١٠) من الآية ٨١

(١١) من الآية ٣٤

(١٢) من الآية ٢٥

سورة الروم :

تُقرأ : « ضَعْفٍ » و « ضَعْفاً »[1] بضم الضاد .

تُقرأ :« بِهَـٰدِ الْعُمْىِ »[2] . (كحفص) .

سورة لقمان :

تُقرأ « هُدًى وَرَحْمَةً » [3] بنصب رحمة .

سورة السجدة :

تُقرأ « لَمَّا صَبَرُوا » [4] بفتح اللام وتشديد الميم فى « لَمَّا » .

سورة الأحزاب :

تُقرأ : « الظُّنُونَاْ [5]– الرَّسُولَاْ [6] – السَّبِيلَاْ [7] » بالألف وقفاً .

سورة سبأ :

تُقرأ : « عَـٰلِمِ الْغَيْبِ »[8] بصيغة اسم الفاعل (كحفص) .

وتُقرأ : « فى مَسْكَنِهِمْ »[9] بكسر الكاف .

وتُقرأ : « وَهُمْ فِى الْغُرُفَـٰتِ »[10] بالجمع هكذا .

سورة فاطر :

تُقرأ « وَمَكْرَ السَّيِّئِ »[11] بكسر الهمزة .

سورة يس :

تُقرأ « يَخِصِّمُونَ »[12] (كحفص) .

وتُقرأ « نُنَكِّسْهُ »[13] بضم الكاف والتخفيف ، أى « نَنْكُسْهُ » .

سورة الصافات .

تُقرأ : « بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ »[14] بحذف تنوين « زينَةٍ » .

وتُقرأ : « يَزِفُّونَ »[15] بضمّ الياء .

---

(١) من الآية ٥٤
(٢) من الآية ٥٣
(٣) من الآية ٣
(٤) من الآية ٢٤
(٥) من الآية ١٠
(٦) من الآية ٦٦
(٧) من الآية ٦٧
(٨) من الآية ٣
(٩) من الآية ١٥
(١٠) من الآية ٣٧
(١١) من الآية ٤٣
(١٢) من الآية ٤٩
(١٣) من الآية ٦٨
(١٤) من الآية ٦
(١٥) من الآية ٩٤

سورة الزُّمَر :

تُقرأ : « أَمَّنْ هُوَ »[1] بتشديد الميم

سورة فصّلت :

تُقرأ : « يُلْحِدُونَ »[2] بضم الياء وكسر الحاء .

سورة الزخرف .

تُقرأ : « سَلَفاً »[3] بفتح السين واللام

وتُقرأ : « يَصِدُّونَ »[4] بضم الصّاد

وتُقرأ : « وَقِيلِهِ يَـٰرَبِّ »[5] بنصب اللام

سورة الجاثية :

تُقرأ : « ءَايَـٰتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ »[6] – « ءَايٰتٌ لقَوْمٍ يَعْقِلُونَ »[7] برفع « آيات » فى الموضعين (كحفص) .

وتُقرأ : « وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا »[8] – برفع الساعة .

سورة الطور :

تُقرأ : « الْمُصَيْطِرُونَ »[9] بالصّاد .

سورة القمر :

تُقرأ : « سَيَعْلَمُونَ غَداً »[10] بياء الغيب .

سورة الرحمن

تُقرأ « الْمُنْشَئَاتُ »[11] بفتح الشين

سورة الواقعة :

تُقرأ « وَحُورٌ عِينٌ »[12] برفعهما

ويُقرأ « شُرْبَ الْهِيمِ »[13] بفتح الشين

---

(١) من الآية ٩
(٢) من الآية ٤٠
(٣) من الآية ٥٦
(٤) من الآية ٥٧
(٥) من الآية ٨٨
(٦) من الآية ٤
(٧) من الآية ٥
(٨) من الآية ٣٢
(٩) من الآية ٣٧
(١٠) من الآية ٢٦
(١١) من الآية ٢٤
(١٢) الآية ٢٢
(١٣) من الآية ٥٥

سورة الحديد .

تُقرأ « انظُرُونَا نَقْتَبِسْ »[١] بهمزة وصل مضمومة ، وضمّ الظاء

سورة المجادلة :

تُقرأ « ويَتَنَـٰجَوْنَ »[٢] (كحفص) .

سورة الملك :

تُقرأ « تَفَـٰوُتٍ »[٣] بالمدّ والتخفيف (كَحفص) .

سورة الجنّ :

تقرأ « قُلْ إنَّمَا »[٤] بصيغة الماضى

سورة الإنسان :

تُقرأ « قَـوَارِيرًا »[٥] الأولى بتنوين ، وبالألف وقفاً

وتُقرأ « عَـٰلِيَهُمْ »[٦] بفتح الياء

سورة النبأ :

تُقرأ « لَـٰبِثِينَ »[٧] بالمدّ

سورة الغاشية :

تُقرأ « بِمُصَيْطِرٍ »[٨] بالصّاد

سورة القدْر :

تُقرأ « مَطْلَعِ الْفَجْرِ »[٩] بكسر اللّام فى « مَطْلَعِ » .

١٥

وقد كان بعضهم[١٠] يرى – بالنسبة لبعض القراءات – أنه لا يصح استعمالها وقراءتها ، « حتى إذا صح سندها وحسنت روايتها » ، « فقد مات أهلها ومن ينطقون بها ، وإذا كان أهلها على قيد الحياة ، فليس هذا مكانهم ، وليست هذه البلاد أوطانهم » .

---

(١) من الآية ١٣

(٢) من الآية ٨

(٣) من الآية ٣

(٤) من الآية ٢٠

(٥) من الآيتين ١٥ , ١٦

(٦) من الآية ٢١

(٧) من الآية ٢٣

(٨) من الآية ٢٢

(٩) من الآية ٥

(١٠) ابن الخطيب فى كتابه « الفرقان » ص ١٠٣

ولا نقف عند هذا القول فهو واضح السّطحيّة ، ولعلّه اجتراء من صاحبه على ما لم يدرس ، والظن أنّ فيما ذكرناه آنفا ما يعصف بهذا الرأى عصفاً .

١٦

وكان بعض القراء المشاهير ، إذا دعوتُهم إلى الاشتراك فى الجمع الصوتى للقرآن يبدون أنهم يُؤْثِرُون التسجيل أولا برواية حفص عن عاصم .

وكنت وما زلت أرى أنّ الجمع الصوتى للقرآن يقتضى تسجيل كل الروايات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، وأنَّ تكرار تسجيل الرواية الواحدة يجب أن يُؤَخَّر إلى ما بعد تسجيل الروايات كلّها . وبالفعل كنت وضعت التخطيطات آنفا لتسجيل هذه الروايات ، ومضيت – بالفعل – فى التسجيل ، ولكن العمل ما لبث أن توقف مع الأسف .

* * *

على أن وزارة الأوقاف المصرية رغبَتْ إلىّ فى أواخر سنة ١٩٦٣ (١) أن أفاوض عدداً من كبار القراء ليسجّل كلٌّ منهم المصحف برواية حفص ، واحتجّت الوزارة بما كان نمى إليها من صدوف بعض هؤلاء القراء عن تسجيل ما عدا هذه الرواية ، واحتجّت أيضاً بأن تسجيل باقى الروايات عمل « أكاديمىّ » مقصود به حفظها من الاندثار ، فهو يحتمل بعض التأخير .

ومع معارضتنا الدائمة لهذا الاتجاه ، وإيثارنا جمع الروايات كلّها بأصوات الحاذقين ولو كانوا من غير المشاهير ، فقد وجدنا أنّ هذا الاتجاه الذى هو خلاف الأَوْلَى لا يخلو من نفع للمشروع ، فخطّطنا لتسجيلات حفص ، بما يكفل عدم خلط الطرق بعضها ببعض :

فمثلاً ، كان التسجيل الأول قد التزم – عن تراضٍ منا وتشاور بيننا وبين زملائنا فى لجنة التسجيل – طريق أحمد بن محمد بن حميد أبى جعفر البغدادى الملقب بالفيل ، عن عمرو ابن الصّباح ، على ما أوضحه أبو إسماعيل موسى بن الحسين بن إسماعيل بن موسى المعدل فى كتاب « الروضة » ، فقرأ :

١ – بالقصر : فى المدّ المنفصل ، وبالتوسّط فى : المدّ المتصل ، وبالقصر فى : المدّ العارض للسكون .

(١) بلسان وكيلها لشؤون الخدمات وقتئذ السيد الأستاذ يوسف عز الدين القرمانى .

٢ – وبالسين فى : « واللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ »(١) ، وفى : « وَزَادَكُمْ فى الْخَلْقِ بَصْطَةً »(٢) وفى : « أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ »(٣) .

٣ – وبالصّاد فى : « لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ »(٤) .

٤ – وبالإبدال مع الإشباع فى باب : « ءَالذَّكَرَيْنِ »(٥) .

٥ – وبالإدغام فى : « يَلْهَثَ ذَّلِكَ »(٦) ، وفى : « ارْكَب مَّعَنا »(٧) ، وفى : « أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ »(٨) .

٦ – وبالإشمام فى : « لاَ تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ »(٩) .

٧ – وبعدم السكت فى : « عِوَجاً »(١٠)، وبابه – « مِن مَّرْقَدِنَا »(١١) « وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ »(١٢) – « بَلْ رَانَ »(١٣) .

٨ – وبالقصر فى عين « كهيعص »(١٤) و « عسق »(١٥) .

٩ – وبالتفخيم فى « فِرْقٍ »(١٦) .

١٠ – وبالفتح فى « مِنْ ضَعْفٍ » و « ضَعْفاً » فى الآية : « اللهُ الّذى خَلَقَكُم مِّنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً »(١٧) .

* * *

التزم التسجيل الأول هذا ، فرأينا أن نختار طريقاً آخر فيما لو سُجِّلت رواية حفص على ما فى « الرّوضة » للمعدّل أيضاً ، فيؤخذ من طريق زرعان بن أحمد بن عسى أبى الحسن الطحان الدقاق البغدادى ، فيقرأ المسجِّلُ :

١ – بالطرق السّابقة فى المدّ

٢ – وبالصّاد فى : « وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ »(١٨) ، وفى « وَزَادَكُم فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً »(١٩)

---

(١) سورة البقرة / ٢٤٥

(٢) سورة الأعراف / ٦٩

(٣) سورة الطور / ٣٧

(٤) سورة الغاشية / ٢٢

(٥) سورة الأنعام / الآية ١٤٣ .

(٦) سورة الأعراف / من الآية ١٧٦ .

(٧) سورة هود / من الآية ٤٢ .

(٨) سورة المرسلات / ٢٠ .

(٩) سورة يوسف / من الآية ١١ .

(١٠) سورة الكهف / من الآية ١ .

(١١) سورة يس / من الآية ٥٢ .

(١٢) سورة القيامة / من الآية ٢٧ .

(١٣) سورة المطففين / من الآية ١٤ .

(١٤) سورة مريم / ١ .

(١٥) سورة الشورى / ٢ .

(١٦) سورة الشعراء / من الآية ٦٣ .

(١٧) سورة الروم / ٥٤

(١٨) سورة البقرة / ٢٤٥

(١٩) سورة الأعراف / ٦٩

٣ – وبالسين فى : « لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ »[1] ، وفى « أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرونَ »[2]

٤ – وبالضم فى « ضَعْف » و « ضَعْفًا » فى الآيات : « اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وشَيْبَةً »[3] .

* * *

وأخذنا – فيما لو سجّلت نفس رواية حفص تسجيلا ثالثاً – طريق الهاشمى ، عن عبيد بن الصّبّاح ، على ما فى الشاطبية ، فيلتزم المسجل :

١ – التوسّط فى المدّيْن : المنفصل والمتصل ، والقصر فى المدّ العارض للسكون .

٢ – الإبدال مع الإشباع فى باب « ءآلذَّكَرَيْنِ »[4] .

٣ – الإشمام فى « لاَ تَأْمَنَّا »[5] .

٤ – الإشباع فى عين « كهيعص »[6] و « عسق »[7] .

* * *

وبعد ، فليست هذه الاختيارات – على كثرتها – هى كل ما يجب التخطيط لتسجيله ، وإنما هى – كما أسلفت – مجرد نبراس لمن سوف يُتمون – بإذن الله – تسجيل القرآن بكل رواياته العشرين .

ولعلّى – بتوفيق من الله – أنْ أجمع يوماً ، فى استقصاء أوسع ، وفى كتاب قائم برأسه ، كلّ اختياراتى فى ذلك الشأن ، أصولا ، وفرشا ، وطُرُقاً ، وَأَوْجُهًا .

١٧

وبرغم ما جوّزه علماء القراءات من الجمع – أثناء القراءة – بين الروايات بقيود معيّنة[8] ، رأيت – منذ بدء المشروع ، وعلى نحو ما ذكر شيخ الأزهر فى بيانه الصّادر فى رمضان سنة ١٣٧٨ (أبريل ١٩٥٩) ، والذى أوردنا نصّه قبلا – وجوبَ الإفراد فى قراءة المصاحف

---

(١) سورة الغاشية / ٢٢

(٢) سورة الطور / ٣٧

(٣) سورة الروم / ٥٤

(٤) سورة الأنعام / ١٤٣

(٥) سورة يوسف / ١١

(٦) سورة مريم / ١

(٧) سورة الشورى / ٢

(٨) انظر : الصفاقسى : غيث النفع ص ١١ و ١٢ .

وعبد الفتاح بن هنيدى بن أبى المجد : الأدلة العقلية فى حكم جمع القراءات النقلية ص ١٣ وما بعدها .

المرتّلة ، بمعنى التزام رواية واحدة فى تلاوة كل مصحف من أوله إلى آخره ، ونصصت على هذا فى كلّ ما ذكرته عن المشروع كتابةً أو شفاهاً .

* * *

وقصدت بهذا منع اختلاط الروايات بعضها ببعض ، ومنع التلفيق بينها ، وهو ما نعاه علماء القرآن على فاعليه وحذّروا منه :

يقول ابن حجر العسقلانى : « القارئ متى خلط رواية بأخرى كان كاذباً على القارئ الذى شرع فى إقراء روايته ، فمن قرأ رواية لم يَحْسن أن ينتقل عنها إلى رواية أخرى – كما قال الشيخ محيي الدين – وذلك من الأَوْلويّة لا على الحتم . أما المنع على الإطلاق فلا [1] »

وقد سئل أبو يحيي زكريا بن محمد الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ ، عن :

« شخص زعم أن خلط القراءات بعضها ببعض خطأ لا يجوز ، فهل كما زعم أو لا ؟ » .

وقيل فى السؤال : « وإذا قلتم بالأول ، فما معنى قول النووى فى كتابه المسمى بـ«التبيان » : إذا ابتدأ بقراءة أحد القراء ، فينبغى أن لا يزال على القراءة بها ما دام الكلام مرتبطاً ؟ هل معنى قوله : « فينبغى كذا » أنه يحرم أوْ لا ؟ » .

فأجاب زكريا الأنصارى :

« إن ما قاله الشخص المذكور من أنّ ذلك خطأ لا يجوز صحيح ، بشرط أن يكون ما قرأه بالقراءة الثانية مرتبطاً بالأولى .

وقول النووى : « ينبغى » معناه : يحرم ، بدليل قوله ، بعد ما ذكر فى « التبيان » : « وإذا انقضى ارتباطه ، فله أن يقرأه بقراءة أخرى » ، فإنه يدل على أنه ما دام الكلام مرتبطا ، ليس له ذلك ، فيحرم عليه .

ويدلّ له أيضاً قوله فى : « شرح المهذّب » : وإذا قرأ بقراءة من السّبع استُحبّ أن يتم القراءة بها ، فلو قرأ بعض الآيات بها ، وبعضها بغيرها من السبع ، جاز ، بشرط أن لا يكون ما قرأه بالثانية مرتبطاً بالأولى .

ودليل التحريم أن القراءة بذلك تستلزم فوات ارتباط إحدى القراءتين بالأخرى ، والإتيان بهيئة لم يقرأ بها أحد . والله أعلم »[2] .

* * *

---

(١) فتح البارى جـ ٩ ص ٣١

(٢) الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبى يحيى زكريا الأنصارى ص ٤٢٣ و ٤٢٤ .

وإذا كان العلماء قد كرهوا أن يشمل المصحف المكتوب أكثر من قراءة ، ومنعوا من ذلك ، وعدّوه من « أعظم التخليط وأشدّ التغيير للمرسوم »[١] ، فأوْلى – عندى – فى المصاحف المرتّلة أن يُمْنَع جمع القراءات فى مصحف واحد .

وقد كتب – فيما بعد[٢] – أحد الكتاب الدينيين[٣] يشكو من تعمّد القراء الجمع بين الروايات فى المجلس الواحد ، ويقول : « إنّ الغاية المتوخّاة من تلاوة آى الذكر الحكيم – وهى العظة البالغة وإدخال الطمأنينة على القلوب – قد تخفى تماماً ، وتحلّ محلّها غاية أو غايات أخرى لا تنسجم معها ولا تمتّ إليها بصلة ، إذا ما أُدِّيت التلاوة على هذا النحو من تكرار الكلمة الواحدة أو الآية الواحدة بضع مرات ، كلّ واحدة بزيادة حرف أو نقصه ، وبنغم مختلف عن غيره ، وتطريب مغاير لما قبله » .

ودعا الكاتب إلى منع هذا ، وقال متحدثاً عن شيخ الأزهر[٤] : « وإنى لأرجو أن يقرن اسمه بهذا الإصلاح ، وما أعتقد أن فضيلته يتقرب إلى الله بعمل أفضل من ذلك » .

ويظهر أن الجمْع بين القراءات كان يثير المسؤولين وقتئذ ، إلى حدِّ التفكير فى حظره ومعاقبة فاعله ، فقيل إنه صدر قرار حكوميّ بهذا[٥] .

ويُذكر فى هذا المقام أن الجمع بين القراءات فى التلاوة الواحدة لم يكن يظفر بالرضى من بعض علماء المسلمين منذ قديم ، فقد نعى الشعرانى المتوفى سنة ٩٧٣هـ – ١٥٦٥م على قراء زمانه أنهم يعمدون إلى هذا الجمع[٦] .

* * *

هذا ، وأستعين الله وحده ، وأبرأ إليه – سبحانه – من كل حَوْل وقوّة .

---

(١) أبو عمرو الدانى : المحكم فى نقط المصاحف ص ٢٠

(٢) انظر : جريدة الجمهورية ع ١٦ يونيو سنة ١٩٦٠

(٣) محمد خالد

(٤) وكان هو المرحوم الشيخ محمود شلتوت

(٥) نشرت الأهرام فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٠ خبرا بعنوان : قراءة واحدة لتلاوة القرآن الكريم فى الإقليم الجنوبى. ونصّه :

« أصدر السيد أحمد عبد الله طعيمه وزير الأوقاف قرارا وزاريا يحظر تلاوة القرآن إلا بتلاوة واحدة . ينفذ هذا القرار على جميع المقرئين فى لإقليم الجنوبى ، ابتداء من اليوم ، ويحال كل قارئ مخالف إلى مجلس تأديب » .

(٦) انظر : الشعرانى : الدرر المنثورة فى زبد العلوم المشهورة ص ٨ .

الفصل الثالث

المنع من القراءة بالروايات الشواذ

ا

القراءات الشّواذّ – فى مصطلح علماء القرآن – هى التى تُرْوَى آحاداً ، وتخالف خطَّ المصحف العثمانى الإمام ، ولا يمنع من وصفها بالشذوذ أن تكون صحيحة السّنَد ومُوافقةً للعربية [1] .

ومن أمثلة هذه القراءات :

(ا) القراءات المنسوبة إلى ابن عباس : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَّبِّكُمْ » (فى مواسم الحج) [2] .

(ب) والقراءة المنسوبة إلى أُبَىّ : « لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُو » (فيهن) [3] .

(حـ) والقراءة المنسوبة إلى عائشة وحفصة : « حَٰفِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ » (صلاة العصر) [4] .

(د) والقراءة المنسوبة إلى ابن الزبير : « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ » (ويستعينون بالله على ما أصابهم) [5] .

(هـ) والقراءة المنسوبة إلى سعد بن أبى وقّاص : « وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ » « من أمّ » [6] .

---

(١) انظر : محمد بخيت المطيعى : الكلمات الحسان ص ٢٠

(٢) قراءة المصحف العثمانى الإمام بحذف « مواسم الحج » – سورة البقرة / ١٩٨

(٣) قراءة المصحف العثمانى الإمام بحذف « فيهن » – سورة البقرة / ٢٢٦

(٤) قراءة المصحف العثمانى الإمام بحذف « صلاة العصر » – سورة البقرة / ٢٣٨

(٥) قراءة المصحف العثمانى الإمام بحذف « ويستعينون بالله على ما أصابهم » – سورة آل عمران / ١٠٤

(٦) قراءة المصحف العثمانى الإمام بحذف « من أمّ » – سورة النساء / من الآية ١٢

(و) والقراءة المنسوبة إلى أبىّ : « فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا » (كالمسجونة)[١] .

(ز) والقراءة المنسوبة إلى ابن مسعود : « فَاقْطَعُوا » (أيمانهما)[٢] .

(ح) والقراءة المنسوبة إلى ابن عباس : « وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ (صالحة) غَصْباً ، وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ » (كافراً)[٣] .

(ط) والقراءة المنسوبة إلى الحسن : « وَإِن مِّنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا » (الورود الدخول)[٤] .

(ى) والقراءة المنسوبة إلى جابر : « فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ (لهن) غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[٥]

(ك) والقراءة المنسوبة إلى عبد الله بن مسعود : « إِنْ كَانَتْ إِلاَّ (زقية) وَاحِدَةً »[٦] .

(ل) والقراءة المنسوبة إلى ابن عباس : « (وأيقن) أَنَّهُ الْفِرَاقُ »[٧] .

(م) والقراءة المنسوبة إلى ابن مسعود وأبى الدرداء : وَٱلَّيْلِ إِذا يَغْشَىٰ ، وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (والذكر والأنثى)[٨] » .

وتَرِدُ فى بعض كتب التفسير ، والحديث ، والنحو ، والأدب ، والتاريخ إشارات إلى القراءات الشّاذّة . ولعلّ من أشهر المفسّرين الذين عُنُوا بإيراد هذه القراءات : الزمخشرى فى (كشاف) ه ، وأبو حيان فى تفسيره : « البحر المحيط » ، والشّوكانى فى تفسيره : « فتح القدير » ، ومن النُّحاة : سيبويه ، وابن جِنّى ، وابنُ الأنبارى[٩] .

٢

وقد اختُلِف فى حكم القراءات الشّواذّ الخارجة عن رسم المصحف العثمانى : هل تجوز القراءة بها ؟

---

(١) قراءة المصحف العثمانى « كالمُعَلَّقةِ » – سورة النساء / ١٢٩

(٢) نصّها فى المصحف العثمانى الإمام : « فَاقْطَعُوا أيديَهُمَا » – سورة المائدة / ٣٨

(٣) قراءة المصحف العثمانى الإمام : « وَكانَ وَرَاءهم مَلكٌ يَأخذُ كلَّ سَفِينةٍ غَصباً ، وأمّا الغلامُ فَكانَ أبوَاه مُؤمِنيْنِ » سورة الكهف / ٧٩ , ٨٠

(٤) قراءة المصحف العثمانى الإمام : بحذف « الورود الدخول » – سورة مريم / من الآية ٧١

(٥) قراءة المصحف العثمانى الإمام بدون « لهن » – سورة النور / ٣٣

(٦) فى المصحف الإمام : « إنْ كانتْ إلا صَيْحةً وَاحدَةً » – سورة يس / ٥٣

(٧) قراءة المصحف الإمام : « وَظَنّ أنهُ الفرَاقُ » – سورة القيامة / ٢٨

(٨) فى المصحف الإمام : « وَمَا خَلقَ الذكَرَ والأنْثى » – سورة الليل ١ , ٢ , ٣

(٩) نظر : آرثر جفرى : مقدمته لكتاب « القراءات الشاذة لابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ ه ، والذى عُنى بنشره وتصحيحه ج . برجستراسر ص ٤

١ – نقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشّواذّ ولا يُصَلَّى خَلْفَ من يصلّى بها[١] .

٢ – وعند ابن الصلاح شيخ الشافعية فى الشّام : « أن ما خلا القراءات العشر المتواترة والمستفيضة يقيناً وقطعاً – على ما تقرر وتمهد فى الأصول – ممنوع – على العالم ، وغير العالم – القراءة به مَنْعَ تحريم لا منع كراهة ، فى الصلاة وخارج الصلاة ؛ وواجبٌ على من قدر على الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك . ويجب منع القارئ بالشّواذّ وتأثيمه بعد تعريفه ، وإن لم يمتنع عُزِّر[٢] . »

٣ – وعلى هذا الرأى أصحاب الشّافعى ، لأنهم يرون القراءات الشاذّة ليست قرآنا ، لأن القرآن لا يثبت إلاّ بالتواتر ، والقراءة الشّاذة ليست متواترة . وعندهم أنّ مَنْ قال غير هذا غالِطٌ أو جَاهِلٌ ، ويجب الإنكار على القارئ بالشّواذّ فى الصلاة ، وغيرها[٣] .

٤ – وفقهاء بغداد متفقون على اعتبار القراءة بالشواذّ إثْماً يستتاب منه[٤] .

٥ – وفى مدونة مالك : أنّ من صلّى خلف من يقرأ بالشواذ فليخرج ، وليترك الإمام ، وأنه إنْ صلّى خلفه وَجَب عليه أن يعيد أبداً[٥]

وعند ابن الحاجب شيخ المالكية أن القراءة بالشّواذّ لا تجوز فى صلاة ولا غيرها ، فإذا كان القارئ جاهلًا بالتحريم عُرِّف به وأُمِر بتركها ، وإذا كان عالماً أُدّب ، فإنْ أَصرّ حبس حتى يَرْتدع[٦] .

وعنده أيضاً أنّ من يقرأ بالشواذّ فى الصلاة يعيد أبداً[٧] .

ويقول ابن شاس : ومن قرأ بالقراءات الشاذة (يعنى فى الصلاة) لم نُجزه : ومن ائتمّ به أعاد أبداً[٨].

---

(١) انظر : الزركشى : البرهان جـ١ ص ٣٣٢, ٣٣٣
والسيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٠٩
ومحمد راغب : سفينة الراغب ودفينة المطالب ص ٦٦ و ٦٧

(٢) انظر : الزركشى : المرجع السابق

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

(٥) انظر مثلا : الصفاقسى : غيث النفع ص ٧

(٦) انظر : الزركشى : المرجع السابق

(٧) الصفاقسى : غيث النفع ص ٨

(٨) نفس المرجع ٧ , ٨

٦ – وعن أحمد بن حنبل روايتان :

إحداهما : تجيز القراءة بهذه القراءات .

والثانية : لا تجيزه ، ويقول ابن تيمية فى شأن هذه الرواية الثانية : « وهو قول العلماء لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وإن ثبتت فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة[١] .

٧ – وذهب مكّيّ بن أبى طالب ، وابن الجزرى – وهما من كبار علماء القراءات – إلى قبول هذه القراءات ، وصحّة القراءة بها ، بشرط اشتهارها واستفاضتها ، أما إذا لم تبلغ حدّ الاشتهار فيمنع من القراءة بها .

وابن الجزرى – فى تحبيذه القراءة بالشواذّ بذلك الشرط – ينقل أن بعض أئمته كان يقول : « وعلى قول من حرَّم القراءة بالشاذّ يكون عالَم من الصحابة وأتباعهم قد ارتكبوا محرَّماً بقراءتهم الشّواذّ ، فيسقط الاحتجاج بخبر من يرتكب المحرَّم دائماً ، وهم نقلة الشريعة الإسلامية ، فيسقط ما نقلوه ، فيفسد – على قول هؤلاء – نظام الإسلام ، والعياذ بالله ؛ ويلزم أيضاً أن الذين قرأوا بالشواذ لم يصلّوا قط ، لأن تلك القراءة محرّمة ، والواجب لا يتأتى بفعل المحرم[٢] » .

٨ – ورأى بعضهم أن القارئ بالشّواذّ يكتفى فيه بأن لا يُصَلَّى وراءه[٣] .

٩ – وروى ابن الجزرى أنه ورد فى أحد القولين لأصحاب الشافعى وأبى حنيفة ، وفى إحدى الروايتين عن مالك وأحمد جواز القراءة بها فى الصّلاة[٤] .

وذكر النووى فى « الروضة » – تبعاً للإمام الرافعى – : « وتستوى القراءة بالسبع ، وكذا القراءة الشاذة إن لم يكن فيها تغيير معنى ولا زيادة حرف ولا نقصانه »[٥] .

ونقل صاحب « المهمات » عن بعض الفقهاء أنه تجوز القراءة بالشّواذّ إلاّ فى الفاتحة للمصلِّى[٦] .

---

(١) ابن تيمية : فى قول النبي صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه الأحرف السبعة ؟ ص ٥٠ .

(٢) النشر ج ١ ص ١٥

(٣) الزركشى : البرهان ج ١ ص ٢٢٢

(٤) النشر ج ١ ص ١٤

(٥) انظر : محمد راغب : سفينة الراغب ودفينة المطالب ص ٦٦ ، ٦٧

(٦) نفس المرجع .

والذي نراه أوْلى ، وأرْجى ، وأوْفق ، وأوْثق هو رأى ابن الصلاح آنفاً ، وما أطبق عليه جمهور العلماء سلفاً وخَلَفًا ، وهو أنّ القراءة الشاذة ليست بقرآن قطعاً، فلا محل لتجويز الصّلاة بها ، والخير هو فى إغلاق كلّ أبوابها .

٣

هذه القراءات الشاذة التى انتهت جمهرة العلماء – فى شأنها – إلى اعتبارها مجرد وسيلة من وسائل تفسير القرآن ، وتبيين معانيه ويستنبط منها صحة التأويل ، ولا تُذكر – كما يقول موفق الدين الكواشي – إلا « لتكون دليلاً على حسب المدلول عليه أو مرجِّحاً[١] . . . »

هذه القراءات التى أُدخل الكثير منها لمجرّد الإيضاح والبيان ، وكان مُدْخلوها محققِّين لما تلقَّوْه عن النبى (ص) قرآناً ، فكانوا آمنين من الالتباس[٢] . . .

هذه القراءات التى خالفت ما أجمعت عليه الأمة[٣] ، والتى نُقلت إلينا نقلاً لا يثبت بمثله القرآن ، والتى إن ثبتت بالفعل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة . . .

هذه القراءات التى أحدثت – على عهد عثمان – ما أحدثت من اختلاف وبلبلة وفتنة ، ودعت المسلمين وقتئذ فيما وراء الجزيرة مهدِ الإسلام إلى أن يكفّر بعضهم بعضاً على نحو ما فصّلناه قبلا . . .

هذه القراءات دافعت عنها قلة من العلماء ، كما أسلفنا ، وتمسك بها بعض القراء تمسّكاً لم يُنْهِنْهُ منه أنّهم عُوقبوا وأُهينوا ، وتوسّع فى القراءة بها ناسٌ بحسن نيّة أو بسوء نية .

* * *

ولا شكّ عندنا أنّ بقاء هذه القراءات مسموعةً مقروءةً ، مع تجاوز ما سمح به جمهور الفقهاء من تدوين أوْجُهِها لغةً وإعراباً ومعنى ، والاستعانة بها على التفسير ، قد يؤدّى إلى فتح بابٍ ذى ضرر وبيل تدخل منه المطاعن إلى التواتر القرآنى ، وينفذ منه المتهجمون على الكتاب الذى تشهد الاستقراءات المنصفة أنه – كما أوضحنا قبلا – ظفر بمحافظة لم يظفر بمثلها أىّ كتاب سماوىّ أو غير سماوىّ منذ كانت البشرية .

---

(١) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣٣١ و ٣٣٦ و ٣٣٨ .
والقاسمى : محاسن التأويل جـ ١ ص ٣٨

(٢) السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٧٧

(٣) أبو حيان الأندلسى : البحر المحيط جـ ٢ ص ٩٤

وقد فطن السَّلف إلى هذا ، فكان ما كان من جَمْع الناس على مصحف واحد ، مع استبعاد كلّ مالا تثبت قرآنيته ، وفقاً لمناهج متحرّزة أسلفنا ذكرها .

ومن قبلِ هذا الجمع ، وفى صدر الإسلام ، دعا عمر بن الخطاب إلى إقفال باب يفضى إلى سبب من أسباب الشذوذ فى القراءة ، فقد كان ابن مسعود يقرئ الناس بلغة هُذَيل ، فكتب إليه عمر : إن القرآن نزل بلسان قريش ، فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هُذَيْل [١] .

* * *

والرأى أن علينا – نحن الخلفَ – أن نقوى ما فعل الأوّلون ، وأن نجعل – كما جعلوا – سدوداً بين القرآن وبين أسباب التّشكك فيه . وقد تمثلنا واحداً من هذه السّدود فى جمع القرآن جمعاً صوتيًّا بكلّ الروايات المقطوع بقرآنيتها وورودها عن النبى نفسه (ص) ، فيتأكدُ لدى البشر أنّ ما عدا هذه التسجيلات الصوتية الجامعة ليس من القرآن المأمور بتلاوته والصّلاة به

٤

ويؤيّد وجوب العناية بهذا الأمر أنه يظهر ، بين حين وحين ، من يقرأ بالشواذّ ، ويُقرئ بها ، ويصرّ عليها [٢] .

١ – ففى القرن الثانى الهجرى ، كان لابن محيصن المتوفى بمكة سنة ١١٣ ه اختيار فى القراءة خرج به عن إجماع أهل بلده ، وقد رغب الناس عن قراءته ، وقيل إن فيها ما يُنكَر ، وسندها غريب [٣] ، وكان يُظن به الميل إلى المعتزلة [٤] .

ولكن الروايات تحكى – مع هذا – أن ابن محيصن كان أعلم بالعربية وأقوى عليها من زميليه إمامَى القراءة : عبد الله بن كثير ، وحميد بن قيس [٥] ، وأن مسلم بن الحجاج صاحب (الجامع الصحيح) ، والترمذى ، والنّسائى ، رَوَوْا عنه [٦] .

---

(١) أخرجه أبو داود ، وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ٧ (ط . البهية) .

(٢) انظر أسماء كثير من أهل الشّواذّ فى عديد من الأمصار فى : ابن النديم : الفهرست ص ٣٠ – ٣٣ (ط . ليبزج ١٨٧٢)

(٣) الصفدى : الوافى بالوفيات جـ ٣ ص ٢٣٣ (ط . دمشق ١٩٥٣)

(٤) ابن الجزرى : غاية النهاية – ٣١١٨ جـ ٢ ص ١٦٧

(٥) نفس المرجع

(٦) انظر : الصفدى : الوافى بالوفيات جـ ٣ ص ٧٢٣

ومثل هذه الأقوال قد تحدو ببعض الناس إلى الأخذ بروايته فى القرآن وعدم الإنكار عليه .

* * *

٢ – وفى البصرة ، ظهر من القراء عيسى الثقفى النحوى البصرىّ المتوفى سنة ١٤٩ هـ ، وكان له اختيار فى القراءة – على مذاهب العربية – يفارق قراءة الجماعة ، ويستنكره الناس(١) ، ولكنه كان صاحب كتابين فى النحو هما : « الجامع » و « الإكمال » مما يحتمل معه أن يكون لرأيه – عند بعض النّاس – وزن كبير .

* * *

٣ – وفى القرن الرّابع الهجرى ، كان المقرئ ابن شَنَبُوذ ، أو ابن شَنّبُود (بنون مشدّدة ، وباء مضمومة ودال ، كما ضبطها ابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة (٢)) ، قد « تخّير لنفسه حروفاً من شواذّ القراءات ، فقرأ بها ، فصنّف أبو بكر الأنبارى وغيره كتبًا فى الرّدّ عليها » (٣)

وكان ابن شنبوذ يقرئ الناس ، ويقرأ فى المحراب بهذه الحروف التى كان يتتبعها ، والتى تخالف المصحف ، والتى تُروى عن عبد الله بن مسعود وأبىّ بن كعب وغيرهما ، مما كان يُقْرأ به من قبل المصحف الذى جمعه عثمان(٤) حتى عظم أمره وفَحُش ، وأنكره الناس(٥) .

وكان مما خالف فيه ابن شنبوذ قراءاتِ الجمهور ، واعترف به فى التحقيق الذى أُجرى معه(٦) :

(ا) « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ (فامضوا) إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ » .

(ب) « وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ (صالحة) غَصْبًا »(٨)

(حـ) « كَ (الصّوف) الْمَنْفُوش »(٩)

---

(١) ابن الجزرى : غاية النهاية حـ ١ ص ٦١٣

(٢) جـ ٣ ص ٢٤٨

(٣) انظر : ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١٧ ص ١٦٧ (ط . فريد رفاعى) .

(٤) نفس المرجع ، وانظر : الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ١ ص ٢٨٠

(٥) انظر : ابن تيمية : فى قول النبى – صلى الله عليه وسلم – أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبعة هامش ٤٨ ، ٤٩

(٦) الذهبى : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار حـ ١ ص ٢٢٣ و ٢٢٤ .
وياقوت : معجم الأدباء ١٧ ص ١٦٨ و ١٦٩ .

(٧) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « فاسْعَوْا » (سورة الجمعة / ٩)

(٨) وفى المصحف العثمانى الإمام بحذف « صالحة » (سورة الكهف / ٧٩)

(٩) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « كالْعِهْنِ المنفُوش » (سورة القارعة / ٥)

(د) « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَ(قد) تَبَّ »[١]

(هـ) « فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ (بيديك) لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً »[٢]

(و) « وَتَجْعَلُونَ (شُكركم) أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ »[٣]

(ز) « وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (والذكر والأنثى)[٤]

(ح) « (فقد كذب الكافرون) فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً »[٥]

(ط) « إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ (عريض)[٦]

(ى) « فَلَمَّا خَرَّ (تيقنت الإنس أن الجن) لَوْ كَانُوا يَعلمونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا (حولا) فى الْعَذَابِ الْمُهِينِ »[٧]

(ك) وقد قال القاضى أبو يوسف : كنتُ قد سمعت من مشايخنا بالرّىّ ، ثم ببغداد ، أنّ سبب الإنكار على ابن شنبوذ أنه قرأ أو قرئ عليه – فى آخر سورة المائدة عند حكاية قول عيسى[٨] – : « وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ (الغفور الرحيم) ، بدلا من (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »[٩] .

* * *

وقد قُبِض على ابن شنبوذ ، فى أول شهر ربيع الآخر سنة ٣٢٣ هـ ، واعتُقل أيّاماً ، فلما كان يوم الأحد ٧ من ذلك الشهر ، عقد الوزير أبو على محمد بن مقلة مجلساً لمساءلة ابن شنبوذ ، حضره القضاة والفقهاء والقرّاء[١٠] ، وكان فيهم المفتى أبو بكر الأبهرى[١١] ،

(١) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « تَبَّتْ يدَا أبِى لَهَبٍ وَتَبَّ » (سورة المسد / ١)

(٢) وقراءة المصحف العثمانى الإمام : « بِبَدَنِكَ » (سورة يونس / ٩٢)

(٣) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « وتجعلونَ رِزْقَكُم أنكمْ تُكذِّبونَ » (سورة الواقعة / ٨٢)

(٤) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « وَما خَلَقَ الذكرَ وَالأنثى » (سورة الليل / ٣)

(٥) فى المصحف العثمانى والإمام : « فَقَدْ كذّبتمْ . . . » (سورة الفرقان / ٧٧)

(٦) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « إلا تفعلوه . . وَفسادٌ كبيرٌ » (سورة الأنفال ٧٣)

(٧) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : فَلما خرَّ تبينتْ الجن أنْ لو كانوا يعلمون الغيبَ ما لبثُوا فى العذابِ المهينِ » (سورة سبأ / ١٤)

وانظرْ : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٤٩

(٨) الآية ١١٨

(٩) معجم ياقوت جـ ١٧ ص ١٧٣

(١٠) انظر : الذهبى : معرفة القراء الكبار حـ ١ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ .

وابن خلكان : وفيات الأعيان (ط . محيى الدين عبد الحميد) جـ ٣ ص ٣٢٦ .

(١١) انظر : عياض : الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى جـ ٢ ص ٢٦٥ .

وعمر بن محمد بن يوسف القاضى ، وابن مجاهد[١] ، ولكن ابن شنبوذ ظل على رأيه ، وأغلظ الخطاب لمناظريه ، ونسبهم إلى قلة المعرفة ، وعَيَّرهم بأنهم ما سافروا فى طلب العلم كما سافر[٢] . واستصْبى أحدهم ، وهو القاضى عمر بن محمد بن يوسف .

ولم يذعن ابن شنبوذ بالرجوع والتَوبة إلا بعد أن جُرِّد من ثيابه ، وضُرِب بالدرّة على قفاه ضرباً شديداً .

وفى نسخة المحضر « المعمول على ابن شنبوذ بخط ابن ميمون »[٤] .

« يقول محمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ :

« . . . وقد كنت أقرأ حروفاً تخالف ما فى مصحف عثمان بن عفان – رضى الله عنه – المجمع عليه ، والذى اتفق أصحاب النبى – صلى الله عليه وسلم ، ورضى عنهم – على تلاوته ، ثم بان لى أن ذلك خطأ ، فأنا منه تائب ، وعنه مُقْلِع ، وإلى الله – عزّ وجلّ – برىء ، إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذى لا يجوز خلافه ، ولا أن يُقرأ بغير ما فيه[٥] »

أما نسخة خط ابن شنبوذ فى هذا المحضر فهى :

« يقول محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ :

ما فى هذه الرقعة صحيح ، وهو قولى واعتقادى ، وأُشهد الله – عزّ وجلّ – وسائر من حضر على نفسى بذلك »[٦] .

وكتب بخطه :

« فمتى خالفتُ ذلك أو بان عنى غيره ، فأمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – فى حِلٍّ وَسَعَة من دمى ، وذلك فى يوم الأحد لتسع خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، فى مجلس الوزير أبى على محمد بن على – أدام الله توفيقه – وحسبى الله وحده ، وصلاته على سيدنا محمد وآله »[٧] .

= وعلى القارى : شرح الشفا جـ ٢ ص ٥٥٤

والأبهرى نسبة إلى بلد بين قزوين وزنجان ، وبليدة بنواحى أصفهان ، وجبل بالحجاز .

(١) الذهبى : المرجع السابق

(٢) المراجع السابقة

(٣) معجم ياقوت جـ ١٧ ص ١٧١

(٤) نفس المرجع

(٥) نفس المرجع

(٦) نفس المرجع ص ١٧٢

(٧) انظر : نفس المرجع

وابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٠٧ (ط . محيى الدين عبد الحميد) .

وجاء فى كتاب الأوراق ، أو أخبار الراضى بالله والمتقى بالله ، لأبى بكر الصولى ص ٦٣ (ط هيوارث) : أنَّ تاريخ هذه الكتابة هو سبع خلون من شهر ربيع الآخر .

وكتب ابن مجاهد(١) وغيره من علماء القرآن الذين حضروا المحاكمة أن ابن شنبوذ اعترف بما فى المحضر ، وشهدوا بذلك .

وتذكر الرواية أن الوزير ابن مقلة أطلق ابن شنبوذ ، وأنفذه إلى داره ، مع أعوانه بالليل ، خشية أن يقتله العامَّة ، ثم وجَّهه إلى المدائن سرًّا ، مدة شهرين ، ثم أعيد إلى بغداد ، فدخل بيته ، وهو مستخفٍ من العامَّة(٢)

* * *

والقصة – إلى هنا – قد لا تحمل مساساً بالجمع العثمانى ، ولكن ثمّة خبراً يُوشك أن يلبس الحق بالباطل ، ويجعل ابنَ شنبوذ مظلوماً يدعو على الوزير ابنِ مقلة الذى رَأَس المحاكمة ، والذى ضربه حين الاستتابة . . يدعو عليه بقطع اليد ، فلا تُردّ الدعوة ، وتُقطع يد الوزير من قريب .

يقول ابن تيمية : « وقرأت فى تاريخ هرون بن المأمون ، قال : وفى أيام الراضى ، ضَربَ ابنُ مُقْلة ابْنَ شنبوذ سبعَ دِرر ، لأجل قراءات أُنكرت عليه ، ودعا عليه بقطع اليد وشتّ الشمل ، فقُطعت يده ولسانه »(٣) .

ثم يقول : « وعُزل ابن مقلة ، ونُكب فى سنة ٢٤ ، بعد نكبته (يقصد ابن شنبوذ) بسنة واحدة ، فجرى عليه من الإهانة بالضرب والتعليق والمصادرة أمر عظيم ، ثم آل أمره إلى قطع يده ولسانه ، نسأل الله العافية »(٤) .

(١) من كبار علماء القراءات ، وهو أول من اقتصر على أئمة القراءات السّبع ، وقد تابعه الناس ، وكان بينه وبين ابن شنبوذ خصومة .

(٢) انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان حـ ٣ ص ٤٢٧ (ط . محيى الدين عبد الحميد)

(٣) فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف هامش ٤٧ , ٤٩

(٤) نفس المرجع

وقد أورد أبو الفـــدا صاحب حماة ما خلاصته أنّ ابن مقلة سعى فى القبض على ابن رائق وإقامة آخر موضعه اسمه بحكم ، وكان بين الخليفة الراضى وابن رائق صلة ، فحُبِس من أجله ابنَ مقلة ، ثم – بعد حين – قطع يده . وعولج ابنُ مقلة ، فبرئ ، وعاد يسعى فى الوزارة ، وكان يشدّ القلم على يده المقطوعة ، ويكتب ، ثم – بعد حين – أمر بقطع لسانه فقطع ، ثم سُجن ، ولحقه مرض مرهق ، ولم يكن ثمة من يخدمه ، فقاسى شدّة إلى أن مات سجيناً ، فى شوال سنة ٣٢٨ (ملخصاً من كتاب : المختصر فى أخبار البشر حـ ٢ ص ٨٥) .

وذكر المؤرخون أنه – فى أخريات أيامه – كان يستقى الماء لنفسه من البئر ، فيجذب بيده اليسرى جَذْبة ، وبفمه أخرى (ابن خلكان : وفيات الأعيان حـ ٤ ص ١٩٨ – ٢٠٣) .

وابن مقلة صاحب شأن كبير فى الخطوط العربية ؛ وينقل الثعالبى عن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة أنه سمع ابن مقلة ينوح على نفسه،ويبكى على يده لما قطعت ويقول ، يدٌ خدمْتُ بها الخلافة ثلاث دفعات ، وكتبت بها القرآن دفعتين تُقطع كما تقطع أيدى اللصوص (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ص ٢١١) .

ويقول ابن الجزرى : « وقد استجيب دعاؤه (يعنى ابن شنبوذ) على الوزير فقَطعت يده ، وخَربت داره ، وذاق الذلّ ، ولبث فى الحبس مدّةً على شرّحال »[١] .

وتقول الرواية أيضاً إن ابن مجاهد الذى دعا إلى هذه المحاكمة ، وشَهِدها ، كان خصماً لابن شنبوذ ، حتى كان هذا الأخير لا يقرئ من يقرأ على ابن مجاهد ، وكان يقول : هذا العطشى – يعنى : ابن مجاهد – لم تغبّر قدماه فى هذا العلم[٢] ، وكان – فيما ذكر الرواة – يناوئ ابن مجاهد ، ولا يعشره (أى يراه لا يساوى منه واحداً من عشرة)[٣] .

ولا يبعد أن تعطى هذه الرواية لابن شنبوذ صورة صاحب الرأى السليم الذى يقع عليه الانتقام والتحدى من حاسديه ، كما لا يبعد أن تُصَوَّر المحاكمة نفسها كأنما كانت ظالمة وبغير حق .

ومع أنّ بعض معاصرى ابن شنبوذ قالوا إنه كان « فيه سلامة وحمق »[٤] ، وقالوا إنه « كان كثير اللحن قليل العلم »[٥] ، فقد تضمنتْ أوصاف الواصفين له أنه كان « ديّنا »[٦] ، وكان من « المتنّسكين » ، و « يرجع إلى ورع »[٧] ، وأنه « كان أستاذاً كبيراً ، مع الثقة ، والخير ، والصلاح ، والعلم »[٨] . وقد عدّ له ابن الجزرى ثمانى طرق فى رواية قالون عن

= ويقول الثعالبى إنّ خطّ ابن مقلة يضرب به المثل فى الحُسْن ، « لأنه أحسن خطوط الدنيا ، وما رأى الراؤون ، بل ما روى الراوون مثله فى ارتفاعه عن الوصف وجرْيه مجرى السّحْر . . . » إلى أن يقول : « ومن نكد الدنيا أن مثل تلك اليد النفيسة تقطع ! » (المرجع السابق ص ٢١١) .

(١) غاية النهاية جـ ٢ ص ٥٢ – ٥٦

(٢) انظر : نفس المرجع جـ ١ ص ١٣٩ و جـ ٢ ص ٥٢ – ٥٦

والصولى : أخبار الراضى والمتقى بالله ص ٦٢ و ٦٣

والعطشىّ نسبة إلى سوق العطش من بغداد ، حيث وُلد ابن مجاهد (انظر : الذهبى : معرفة القراء الكبار جـ ١ ص ٢١٦)

(٣) معجم ياقوت جـ ١٧ ص ١٦٩

(٤) انظر : ابن النديم : الفهرست ص ٣١ (ط . خياط بيروت)

(٥) قال ابن النديم : قال لى الشيخ أبو محمد يوسف بن الحسن السيراقى أيّده الله ، عن أبيه : إنه – يريد ابن شنبوذ – كان كثير اللحن قليل العلم . (نفس المرجع) .

(٦) نفس المرجع ص ١٦٧

(٧) نفس المرجع ص ١٧١

(٨) انظر : ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ٢ ص ٥٢ – ٥٦

ونحن لا نقرّ بهذه الصفات لمن خرج على إجماع المسلمين ، وخالف مصحفهم الإمام .

نافع[١] ، وأربع عشرة طريقاً فى رواية قُنْبُل عن ابن كثير[٢] .

وكذلك ذكروا أن له كتباً مصنّفة فى القراءات[٣] ، منها :

كتاب : « ما خالف فيه ابن كثير أبا عمرو » .

وكتاب : « قراءة علىّ عليه السلام » .

وكتاب : « اختلاف القراء » .

وكتاب : « شواذ القراءات » .

وكتاب : « الانفرادات » .

وذكر ابن الجزرى أنه لم يعدّ أحدٌ محاكمةَ ابنِ شنبوذ « قادحاً فى روايته ولا وصمة فى عدالته »[٤] .

ولا يخفى أن هذا كلّه أيضاً قد يُكسب مسلك ابن شنبوذ تأييداً ممن يأخذون الأمور أخذاً سطحيًّا ، وقد يعطى لقراءته وقراءة غيره بما يخالف مصحف عثمان شيئاً من الإقرار .

وعندى أن لا علاقة بين عزل ابن مقلة وما جرى عليه من النكبات وبين دعوات ابن شنبوذ الخارج على الإجماع ، والذى كان يمكن أن يُحدث فتنة فى كتاب الإسلام ؛ وقد حضر محاكمة ابن شنبوذ قراء وفقهاء شهدوا ضربه ، وربما كانوا هم الذين أوحوا به ؛ ومع ذلك لم يمسسهم سوء .

ولعل ابن مقلة — فى تصرّفه الحازم — أن يكون قد عمل فى حفظ القرآن ما كانت توجبه عليه ولايته الأمر . وابن مقلة كان رجل سياسة ، والسياسة — وخاصّة فى ذلك العهد — تتداول أهلَها — غالباً — بالرفع والخفض ، وتجدّ بهم حينا وتهزل حينا ، وتريّشهم تارة ، وتهيضهم تارة أخرى . وآية ذلك أن ابن مقلة نفسه كان قد تقلّد الوزارة للخليفة « المقتدر » ، فى سنة ٣١٦ هـ[٥] ، أى قبل محاكمة ابن شنبوذ بسبع سنين ، وفُوضت إليه أمور الخليفة ، فما لبث ابن مقلة أن عُزِل وحُبِس فى داره بعد شهرين اثنين[٦] ، ثم أصابته مصيبة مالية كبيرة فى سنة ٣١٨ هـ ، حيث

---

(١) النشر جـ ١ ص ١٠٣

(٢) نفس المرجع ص ١٠٢

(٣) معجم ياقوت جـ ١٧ ص ١٦٩

(٤) النشر جـ ١ ص ١٢٣

(٥) كان ذلك فى يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول (عريب بن سعد القرطبى : صلة تاريخ الطبرى جـ ١٢ ص ٦٩)

(٦) وذلك فى يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى (المرجع السّابق) وتنص رواية ابن خلكان على أنّ القبض على ابن شنبوذ كان سنة ٣١٨ هـ (وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٢٨)

حرقت داره التي كان بناها بالزَّاهر ، على شاطئ دجلة ، وكان أنفق فيها مائتي ألف دينار ، واحترقت معها دور قديمة كان يسكنها قبل الوزارة ، وانتهب الناس ما بقي من الخشب والحديد والرّصاص [١] .

وقد سجّل ابن مقلة نفسه تجربة من هذا القبيل ، في شعرٍ سيّار أومأ فيه إلى تقلّب الزمان بمن كان يتّصل بالسلطان ، فقد غضب عليه الخليفة مرّة ، وكان من النتائج أن أعرض عن ابن مقلة مَنْ كانوا قبلا ينشدون وصله ، ولم تطل هذه المحنة ، فقد عاد الخليفة – من قريب – فأدناه ، فهناك قال ابن مقلة :

تحالف النـاس والـزمان ... فحيث كان الزمان كانوا

عـــاداني الـدهر نصف يوم ... فانكشف النـاس لي وبانوا

يأيهـــا المعرضـــون عنّي ... عـــودوا فقد عاد لي الزمان

وربما ظاهَرَ ما أدّعيه من أنّ نكبات ابن مقلة ليست استجابة لدعوات ابن شنبوذ ، وإنما هي غالباً قَدَر السياسيين في ذلك العهد ، ولا سيّما أمثال ابن مقلة الطامح الجريء الحريص على الوزارة ، والذي يبادل منافسيه العداوة والبغضاء والتآمر : أن استقراء النصوص والأخبار في زمن العباسيين يكشف بوضوح أنّ « الوزارة كانت سبيلا يوصّل إلى السّجن ، في غالب الأحيان ، ونَدَر من نجا من الوزراء ولم يسجن ، وربما قُتل ولم يُحبَس ، وربما أصابه الأمران معاً » [٢] .

على أنّ ابن شنبوذ عاد فنقض توبته ، ولم يوفِ بعهده ، فقد صادَفْنا في كتاب « الأوراق » للصّولي [٣] ، في أخبار رمضان سنة ٣٢٤ هـ ، أي بعد ستة عشر شهراً من التوبة الأولى ، وكان ابن مقلة قد أُقيل من الحكم ، أن « الحنبليّة » ضجّوا من أمر ابن شنبوذ ، فحمُل إلى دار السلطان ، ونُوظر ، والسّلطان من وراء حجاب . . .

وعاد ابن شنبوذ إلى التوبة ، ولكن الحكومة عادت إلى معاقبته بالحبس .

* * *

٤ – وممن قرأوا بالشّواذّ : ابن مقسم العطار المتوفى سنة ٣٥٤ هـ أو ٣٦٢ هـ ، فقد كان يقرأ بحروف تخالف الإجماع ، واستخرج لها وجوهاً من اللغة والمعنى ، مثل ما ذكر في كتاب

(١) عريب بن سعد القرطبي : المرجع السابق ص ٧٩ .

(٢) انظر : صلاح الدين المنجّد : سجون بغداد زمن العباسين (بحث في مجلة الرسالة ع ٦٤٠ في ٨ أكتوبر ١٩٤٥ ص ١٠٨٩ وما بعدها)

(٣) ص ٨٥

(الاحتجاج للقراء) فى قوله تعالى : « فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا (أنجباء) »[١] مع كونه يخالف الإجماع ، ويبعد عن المعنى ، إذ لا وجه للنجابة عند يأسهم من أخيهم ، إنما اجتمعوا يتناجون[٢] .

ويقول مصطفى صادق الرافعى فى هذا القارئ : « . . . وكان من أعرف الناس بالقراءات ، وإنما أفسد عليه أمره أنّه من أئمة نحاة الكوفيين ، فخالف الإجماع ، وصنع فى ذلك صُنْعاً كوفيًّا . . . فاستخرج لقراءته وجوهاً من اللغة والمعنى ، ومن ذلك : قراءته فى قوله تعالى : « فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا » ، فإنّ هذا الأحمق قرأها « نُجُباً » فأزالها – بذلك – عن أحسن وجوه البيان العربى ، ولم يبال ما صنع إذا هو قد انفرد بها على عادة الكوفيين فى الرّواية . . . »[٣]

ولا بن مقسم العطار كثير من هذا الجنس ، من تصحيف الكلمة ، واستخراج وجه بعيدٍ لها ، مع كونها لم يقرأ بها أحد[٤] . وكان يقرأ بالقراءات الشاذة فى الصلاة وغيرها ، وكان يتخير القراءات من جهة البحث والاستخراج بالآراء دون الاعتصام والتمسّك بالأثر[٥] ، وكان يرى أن كلّ من صح عنده وجه فى العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة فى الصلاة وغيرها . فابتدع – كما يقول أبو طاهر بن أَبى هاشم – « بدعة أَضلّ بها عن قصد السبيل »[٦] .

وقد شاع ذلك عن ابن مقسم ، عند أهل العلم ، فأنكروه ، وارتفع الأمر إلى السلطان ، فأحضره ، وعقد له مجلساً ، وسئل البرهان على صحة ما ذهب إليه ، « فلم يأت بطائل ، ولم تكن له حجة قوية ولا ضعيفة »[٧] ، وأُوقف للضّرب ، فأذْعن بالتوبة فى حضرة القراء والفقهاء ، وكتب بتوبته محضراً شهد عليه الحاضرون[٨] .

وقد قيل إن ابن مقسم لم ينزع عن تلك القراءات الشاذة التى استُتيب من أَجلها ، وأَنه كان يقرأ بها إلى حين وفاته[٩] .

* * *

---

(١) والمجمع عليه « نَجِياًّ » (سورة يوسف / ٨٠)

(٢) أنظر : معجم ياقوت جـ ٨ ص ١٥٠

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٤٧ (ط ١٩٢٦) .

(٤) معجم الأدباء ياقوت جـ ٨ ص ١٥٠

(٥) نفس المرجع ص ١٥١

(٦) النشر جـ ١ ص ١٧

(٧) معجم الأدباء لياقوت جـ ٨ ص ١٥٤

(٨) نفس المرجع

(٩) نفس المرجع

ولعله مما يشير إلى استهوال الناس بدعة ابن مقسم الضالة وخروجه على إجماع القراء والرواة ، وحكم الناس عليه بأنه ترك الحق ، وولى وجهه شطر الباطل ما رُوى من أنّ بعض الصالحين رأى فى المنام ، وكأنه فى المسجد يصلّى مع الناس إلى القبلة ، وكان ابن مقسم يصلّى مستدبراً إيّاها (١) .

وتصرُّف ابن مِقسم منكر ظاهر وخطأ كبير ، ولكنه كان معروفاً بأنه من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين ، وأعرفهم بالقراءات : مشهورِها وغريبِها وشاذِّها ، وقد عَدَّ له ابن الجزرى سبعاً وثلاثين طريقاً فى رواية خلّاد عن حمزة (٢) . وكان لابن مقسم كُتُبٌ ذكر منها ابن النديم عدداً غير قليل (٣) ، وذكر منها ياقوت ثلاثة عشر كتاباً أغلبها فى علوم القرآن ، ومنها كتاب فى التفسير ، وآخر فى الردّ على المعتزلة (٤) ، ووصفه الدّانى بأنه « مشهور بالضبط والإتقان ، عالم بالعربية ، حافظ للّغة ، حسن التصنيف فى علوم القرآن » (٥) .

وواضح أن قارئا له مثل هذه المنزلة ، ولا يدع رأيه إلا ليعودَ إليه . . . قد يظفر عمله الخاطئ بعطف غير المتعمقين ، ومن لا يملكون اليقظة والفهم .

* * *

٥ – وممن أكثروا من الروايات فى القراءات إكثاراً جعلهم موضع الاتهام : ابن هرمز الأهـوازى الذى قَدِمَ إلى دمشق سنة ٣٩١ هـ ، وقد كشف معاصروه أنه نسب – بالباطل – بعض رواياته إلى مشايخ لم يقرأ عليهم ، أوقرأ عليهم القليل ، وقد نعتوه صراحة بالكذب ، ولكن المترجمين له يذكرون أنه صنّف الكثير فى القراءات ، وكان حسن التصنيف (٦) . وهذا الثناء قد يكسب الفعَلات المنكرة المنسوبة إلى الأهوازى لوناً كلون الأعمال المشروعة .

* * *

٦ – والزَّرْكشىّ – شأنه شأن بعض علماء القرآن الذين أوْلَوا القراءات الشّاذّة التقدير – يرى هذه القراءات « أكثر من التفسير وأقوى » (٧) ، ويرى أنها « من العلم الذى لا يعرف

---

(١) انظر : ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ٢ ص ١٢٥

(٢) النشر جـ ١ ص ١٦٠

(٣) الفهرست ص ٣٣ (بتحقيق J. Flugel – ط . بيروت ١٩١٤)

(٤) انظر : معجم ياقوت جـ ٨ ص ١٥٤

(٥) انظر : ابن الجزرى النشر جـ ١ ص ١٦٧

(٦) معجم الأدباء لياقوت جـ ٩ ص ٣٤ – ٣٩

(٧) البرهان جـ ١ ص ٢٣٦ – ٣٣٨

العامَّة فضله ، إنما يعرف ذلك العلماء ، ولذلك يُعتَبَر بها وجهُ القرآن » (١) .

ومع أنه لم يدّعُ صراحة إلى التلاوة بهذه القراءات ، فربما استُفيد من قوله – على نحو ما – أنّ الشذوذ يجد من يحبّذه ، ويحبّذ القراءة به ، أو على الأقلّ من لا يجد داعياً لا طّراحه .

* * *

٧ – وقد حفلت بعض كتب الشوّاذّ بنُقول ضعيفة الإسناد أوْرد لها ابن الجزرى هذه الأمثلة :

(ا) قراءة ابن السميفع ، وأبى السّمال ، وغيرهما ، فى : « نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ » (٢) ننحيك ، (بالحاء المهملة) ، و (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً » (٣) بفتح سكون اللّام .

(ب) القراءة المنسوبة بالباطل إلى أبى حنيفة ، ومنها : « إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَـٰٓؤُاْ » (٤) برفع الهاء فى لفظ الجلالة وفتح الهمزة فى (الْعُلَمَاءُ) ، وقد أشرنا فى موضع آخر من هذا البحث إلى هذه القراءة .

(ج) قراءة (معايش) (٥) بالهمز ، وهى رواية خارجة منسوبة إلى نافع .

(د) فتح ياء « أَدْرِى أَقَرِيبٌ » (٦) مع إثبات الهمزة ، (وهى رواية زيد وأبى حاتم عن يعقوب) .

(ه) تشديد الظاء فى « سِحْرَانِ تَظَاهَرَا » (٧)

(و) قراءة (أسمايهم) و (أوليك) بياء خالصة ، كما ذكره بعض المتأخرين من شراح الشاطبية فى وقف حمزة ، وقراءة (شركاوهم) و (أحباوه) بواو خالصة (٨).

* * *

على أن ابن الجزرى نفسه يقول – فى معرض التفرقة بين السبعة الأحرف التى أُنزل عليها القرآن وبين السبع القراءات التى اختارها المتأخرون اختصاراً واختياراً : « إن من قرأ بـ « الكامل » للهذلى ، أو « سوق العروس » للطبرى ، أو « إقناع الأهوازى » ، أو « كفاية أبى العزّ » ، أو « مبهج سبط الخياط » أو « روضة المالكى » ، ونحو ذلك ، على ما فيه

---

(١) نفس المرجع

(٢) سورة يونس / من الآية ٩٢

(٣) من نفس الآية

(٤) سورة فاطر / ٢٨

(٥) سورة الأعراف / من الآية ١٠ ، وسورة الحجر / من الآية ٢٠

(٦) سورة الأنبياء / من الآية ١٠٩

(٧) سورة القصص / من الآية ٤٨

(٨) النشر جـ ١ ص ١٦ , ١٧

من ضعيف وشاذ عن السبعة والعشرة وغيرهم ، فلا نعلم أحداً أنكر ذلك ، ولا نزعم أنه مخالف لشيء من الأحرف السبعة ، بل ما زال علماء الأمة وقضاة المسلمين يكتبون خطوطهم ويثبتون شهادتهم فى إجازاتنا بمثل هذه الكتب والقراءات[١] » .

ونحن – فى أمر القرآن – أغْير وأخْوف من أن نَدَعَ قراءاته ، وهى من السماء ، عُرْضة للضعيف والشاذّ اللذين أشار إليهما ابنُ الجزرىّ ، والمخالفَيْن لما اختار المسلمون وأجمعوا على قرآنيته من قراءات . ولهذا ننكر – بضمير علمىّ – على (علماء) ابن الجزرىّ ، و (قضاته) مسلكهم المترخَّص وغير الشّرعى ، ولا نقيم – لما كتبوا من (خطوط) ، وما أثبتوا من (شهادات) فى (إجازات) ابن الجزرىّ – وزناً ، ونرى الاحتياط أوْلى بل أوْجب . وسبيلنا إلى هذا الاحتياط : هو الاقتصار فى الجمع الصَوتىّ على المتواتر والمشهور وغير الضعيف أو الشاذّ .

* * *

٨ – وما برحت القراءة بالشّواذّ مَحِلّ ولع بعض القراء والمقرئين ، وإن كانوا قلةً نادرة جداًّ ، وقد لا تكون لهؤلاء بواعث غير التعالم مع الجهل ، وحبّ الظهور ، وعدم تقدير التبعات ، أو الافتتان بأقوال الآحاد الذين أجازوا القراءة بالشواذّ بقيد أو بغير قيد .

٩ – والخوف من تسلّل الشّاذّ إلى القرآن شىء له ما يبرره :

فقد كذَب الزنادقة على بعض الصحابة ، ونسبوا إليهم قراءات شاذة كثيرة ، كما سنرى فى فصل آخر ، ولئن كنا نقول إن هذا كذب على الصحابة إن قولنا لا ينفى وقوع الروايات الكاذبة نفسها .

وابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ يشير إلى أن رجال الجدل المسيحيين رأوا – فى اختلاف القراءة المنسوبة إلى ابن مسعود عن القراءات المجمع عليها – ثغرة حاولوا أن ينفذوا منها إلى الطعن فى صحة هذه القراءات[٣] .

---

(١) النشر جـ ١ ص ٣٥ , ٣٦

(٢) اتهم شيخان صحيحا الإسلام وحسنا النية من مدرسى معهد القراءات التابع للأزهر ، فى سنة ١٩٥٨ ، بالقول بجواز القراءة بالروايات الشاذة ، فاستتيبا ، وعوقبا بالنقل خارج القاهرة سنة دراسية كاملة ، ولم تقبل فيهما مشيخة الأزهر شفاعة .

(٣) الفصل فى الملل والنحل جـ ٢ ص ٧٥

ولئن كان ابن حزم ردّ هذا الطعن ، إنّ فتح الثغرات – بغير حق – شرٌّ ليس مما يستهان به .

وقد تمادى أناس فرأوا قراءة القرآن بالمعنى ، بدعوى أن ابن مسعود كان يجيز هذا ، وهو كذب على ابن مسعود ، فهو إنما قال : « نَظَرْتُ القراءات فوجدتهم متقاربين ، فاقرأوا كما علمتم » (١) . وقد كانت هذه الدعوة الخطيرة لتُدْخِل فى القرآن ما ليس منه ، ولتُبَدِّله تبديلاً لولا إخفاقها منذ كانت .

فلعلّ دَرْءَ هذا التَسلّل المخوف أن يقتضينا الحرص على ما ثبتتْ قرآنيته بإجماع ، بأن نسجّله صوتيًّا كما سجّله الأسلاف كتابةً .

٥

وبعد ، فربما كان من أهول النتائج التى أفضت إليها القراءات الشاذة ، والتى نضيفها إلى ما ذكره ابن حزم آنفاً : أن بعض من لا طاقة لهم بالتفكير السليم ، ومن يتقبلون الروايات من غير فحص ولا تمحيص ومن تفتنهم دراسات المستشرقين ولو كانت ساقطة علمياً يرون مثل ما رأى كارل ڤولرس K. Vollers (٢) أن نصّ القرآن قد اعتراه تغيير (٣) .

وإذن فلابدّ – فى رأينا – للمسلمين من إجراء إيجابىّ حاسم يمنع من أن يَتَوهّم أحد بأى شكل وعلى أية صورة أن هناك ما يخالف النص الذى استقرّ عليه المسلمون .

والحق – فى رأينا – أنه لو لم يكن للجمع الصوتى للروايات المتواترة والمشهورة غير التحديد الواضح للروايات والطرق التى تجوز القراءة بها ، والتى يجب – فى أحزم حزم – منع القراءة بما عداها مما يسمى شاذًّا ، لكان هذا حسبنا فى الشعور الحادّ بالحاجة الشديدة إلى الجمع الصوتى الدقيق ، ولكان هذا حَسْبنا أيضاً فى اعتبار الدعوة إلى هذا الجمع وإلى التخطيط له رسالةً تستأهل الجهاد ، ويهون فيها العناء .

---

(١) انظر : ابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ٣٢ .

(٢) مستشرق نمسوىّ ، وُلد سنة ١٨٥٧ م وتوفى سنة ١٩٠٩ م ، وعُيِّن مديراً لدار الكتب الخديوية سنة ١٨٨٦م (انظر : نجيب العقيقى : المستشرقون حـ ٢ ص ٦٣٣)

(٣) انظر : جواد على : لهجة القرآن الكريم – بحث منشور فى مجلة المجمع العلمى العراقى المجلد ٢ من الجزء ٢

الباب الثاني

التعليم

- وضع النماذج الصوتية للترتيل الشرعى الذى تستطيعه الكافة
- تيسير القرآن للحفظ والتعلم
- علاج مشكلة اختلاف الرسم القرآنى عن الرسم الإملائى

الفصل الأول

وضع النماذج الصوتية للترتيل الشرعي الذى تستطيعه الكافة

١

قلنا إنه وقع فى قراءة القرآن – حتى من بعض المسلمين من جرّاء الجهل أو التّساهل – ابتداع ما ليس فى قوانين الأداء القرآنى .

ولعلّ من أشهر المبتدعات الصوتية فى قراءة القرآن طريقة الغناء ابتغاء جذب النّاس إلى السّماع ، ولو أدّت هذه الطريقة إلى إخراج التلاوة عن أوضاعها التى نَزَلَتْ بها .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم حذّر من ذلك ، فقال :-« اقرأوا القرآن بلحون العرب ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر ، فإنه سيجيء أقوام من بعدى يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنّوْح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم »[(١)] .

وفى اللغة [(٢)] :

لَحَنَ فى كلامه : إذا مال به عن الإعراب إلى الخطأ ، أو صرفه عن موضوعه إلى الإلغاز . . .

وعرفتُ ذلك فى لحن كلامه : فى فحواه ، وفيما صرفه إليه من غير إفصاح به .

وليس هذا من لحنى ولا من لحن قومى : أى من نحوى ومذهبى الذى أميل إليه وأتكلم

---

(١) انظر : مالك بن أنس : الموطأ – كتاب ١٥ حديث ١٠ .

والسخاوى : جمال القراء ص ٦٨ – مخطوطة رقم ٩ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

وعلى بن سلطان القارى : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح جـ ٢ ص ٦١٨ .

والسيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٠١ و ١٠٢ .

والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ١٧ .

(٢) انظر : الزمخشرى : أساس البلاغة – مادة (ل ح ن) .

وانظر : أبو على القالى : الأمالى – مطلب الكلام على مادة (لحن) حـ ١ ص ١٤٢ و١٤٣ ، فثمة معلومات طيبة عن هذه المادة .

به ، يعنى لغته ولِسْنه ، ومنه : « تعلّموا الفرائض والسُّنَّة واللَّحن كما تتعلمون القرآن » .

وهذا لَحْن مَعْبَد وألحانه وملاحنه : لما مال إليه من الأغانى واختاره .

ولحّن فى قراءته تلحيناً : طرّب فيها .

* * *

وعلى ذكر النعى على مرجّعى القرآن ترجيعَ الغناء ، نبادر فنفرّق بين الغناء الذى يُخرج القراءة عما يجب فيها ولها من الخشوع والوقار ، وبين حسن الصوت بالترتيل ، فإنّ هذا الحسن يُعِينَ – غالباً – على أمر منشود هو التأثر بالسماع .

ويبدو من السّنّة أن القراءة الواجبة هى القراءة المتدبّرة التى تستغرق النفس كلّها ، ومن ثم هى القراءة المعبّرة ، فقد عاب النبى صلى الله عليه وسلم – كما رأينا فى الحديث آنفاً – على قوم أنهم « يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم » ، وفى حديث آخر ، كان من وصفه لقوم « يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرّميّة » أنهم « يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم »[1] .

٢

وقد أكّدت السّنّة الصحيحة استحباب تحسين الصوت بالقرآن :

١ – قال النبى صلى الله عليه وسلّم : « لم يأذن الله لشىء ما أذن لنبىّ حسن الصوت بالقرآن يجهر به »[2] .

---

(١) رواه أبو يعلى فى مسنده عن أنس .

وانظر : المناوى : فيض القدير ج ٤ ص ١٢٧ .

وابن عبد ربه : العقد الفريد ج٢ ص٢٣٩ ، وفيه : « وهم شر الخلق والخليقة ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم »

(٢) رواه البخارى ، فى باب قول النبى ، صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن . . . » .

وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج١٣ ص ٤٤٤ و ٤٤٥ .

وفى رواية مسلم : « ما أذنَ الله . . . إلخ » (ج ٢ ص ١٩٢) .

وانظر : الحاكم النيسابورى : المستدرك ج١ ص ٥٧٠ .

وسنن أبى داود ، كتاب ٨ باب ٢٠ .

وسنن النسائى ، كتاب ١١ باب ٨٣ .

وسنن الدارمى ، كتاب ٢ باب ١٧١ ، وكتاب ٢٣ باب ٣٣ .

ومعنى قوله « يأذَن » : يستمع له . أذِنت للشئ آذن أَذَنًا : إذا استمعت له . قال الشاعر :

صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرْتُ بــــه   وإن ذُكرتُ بسوء عندهم أذِنــوا

وقال « لَلّه أشدّ أَذَناً إلى الرجل الحسن الصّوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » (١) .

وقال – فى أبى موسى الأشعرى – : « لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة ! لقد أوتيتَ مزماراً من مزامير داود » ، وردّ أبو موسى : « لو علمت أنك تسمع لقراءتى لحبّرتهُ لك تحبيراً » (٢) .

وقال : « زَيِّنوا القرآن بأصواتكم » (٣) .

وقال : « لكل شىء حلية ، وإن حلية القرآن الصوت الحسن » (٤) .

وقال : « ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن » (٥) .

وقال عدىّ بن زيد العبادى :

أيهـــا القلب : تعلّل بدَدَن إن همىّ فى سمــاع وأذَن

والأذَن : هو السماع . (انظر : الشريف المرتضى على بن الحسين فى : أمالى المرتضى أو غرر الفرائد ودرر القلائد – القسم الأول ص ٣١ – ٣٥ ، وانظر : ابن منظور ؛ لسان العرب (أذن) و (ددن)

(١) قال الحاكم النيسابورى : حديث صحيح على شرط الشيخين (المستدرك جـ ١ ص ٥٧١)

(٢) رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وأحمد .

وانظر : حواشى الجامع الصحيح لمسلم جـ ٢ ص ١٩٢ و ١٩٣ (ط . إستامبول) .

(٣) رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والدارمى ، ورواه النسائى ، وابن حبّان ، والحاكم ، وزاد : « فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » .

انظر : على القارى : مرقاة المفاتيح جـ ٢ ص ٦١٤

والحاكم : المستدرك جـ ١ ص ٥٧١

والطيالسى : مسند الطيالسى – حديث ٧٣٨

وقال الهروى : « معناه : الهجوا بقراءة القرآن ، وتزينوا به ، وليس معناه على تطريب الصوت والتحزين ، إذ ليس ذلك فى وُسْع كل أحد » . (نقلاً عن : ابن مفلح الحنبلى : الآداب الشرعية والمنح المرعية جـ ٢ ص ٢٧٤) .

وقال فيه البغوى : « إنه من المقلوب ، كقولهم : خرق الثوب المسمار ، قال تعالى : « مَا إنّ مفاتحه لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ » (سورة القصص / ٧٦) ، أى تنهض .

ورواه البغوى من طريق آخر : « زيّنوا أصواتكم بالقرآن » – (نقلاً عن المرجع السابق) .

(٤) عن أنس .

وانظر : ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة جـ ١ ص ٤١ (بتحقيق حامد الفقى ، سنة ١٩٥٣) .

(٥) رواه البخارى عن أبى هريرة .

ورواه أحمد فى مسنده ، وأبو داود ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم فى « المستدرك » ، عن سعد بن أبى وقاص .

وكان سفيان بن عيينة يقول فى تفسير الحديث : « أى من لم يستغن بالقرآن . . » ، فقال الشافعى : « ليس هو هكذا ، لو كان هكذا لقال : يتغانا ، إنما هو يتحزّن ويترنم به ، ويقرؤه حَدْراً وتحزيناً » (انظر : السُّبكى : طبقات الشافعية الكبرى جـ ٢ ص ١٣٠ ، بتحقيق الطناحى والحلو) .

وكان أبو عبيد القاسم بن سلام اللغوى المحدّث ، والذى أشرنا إليه عند الحديث عمّن جمعوا القراءات ، كان يرى مثل رأى سفيان بن عيينة ، وكان يحتجّ ببيت الأعشى :

وكنت امرأً زمنــاً بالعـــــراق عفيف المناخ طويــل التغـــنى

٢ – وعن عائشة ، قالت : استبطأني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات ليلة ، فقال : ما حبسك ؟ قلت : إنّ في المسجد لأحسن من سمعت صوتاً بالقرآن ، فأخذ رداءه ، وخرج يسمعه ، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة . فقال : الحمد لله الذي جعل في أمّتي مثلك [1] .

٣ – ورؤى النبي صلى الله عليه وسلم ، يوم الفتح ، على ناقة له ، يقرأ سورة الفتح – أو من سورة الفتح – فرجّع فيها ، وكانت صفة ترجيعه : آ ... آ ... آ ... ثلاث مرات [2] .

ويقول البراء : سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقرأ في العشاء : « وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ » [3] فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه [4] .

وفي (الصحيحين) ، عن جُبير بن مطعم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقرأ في المغرب بـ (الطور » ، فما سمعت أحداً أحسن صوْتا أو قراءة مِنه .

وفي بعض ألفاظه : فلما سمعته قرأ : « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ »[5] ،

(ديوان الأعشى ص ٢٢)

وكان يحتج بقول عبيد الله بن معاوية ضمن أبيات :

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياته ... ونحن إذ متنا أشد تغانيا

(الكامل للمبرّد بشرح المرصفي جـ٣ ص ١٤) .

وكذلك احتجّ بأقوال أخرى منسوبة إلى ابن مسعود ، وإلى النبي – صلى الله عليه وسلم –

وقال أبو عبيد : « ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك ، إذ كان من لم يرجّع القرآن فليس منه عليه السلام » .

(انظر : الشريف المرتضى : أمالي المرتضى ، أو غرر الفرائد ودرر القلائد ص ٣١ و ٣٢) .

وقد ناقش المرتضى – في أماليه – ما قيل في تفسير ذلك الحديث ، وانتهى إلى أن التغنى هنا ليس التحنين والترجيع ، وإنما هو على هذا الوجه : من لم يقم على القرآن ، فلا يتجاوزه إلى غيره ، ولا يتعداه إلى سواه ، ويتخذ مغنى ومنزلاً ومقاماً فليس منا (ص ٣١ – ٣٥) .

ويقول أبو سعيد الأعرابي – في تفسير ذلك الحديث – قولاً نستحسنه . يقول : كانت العرب تُولع بالغناء والنشيد في أكثر أفعالها ، فلما نزل القرآن أحبّوا أن يكونَ القرآن هِجِّيراهم مكان الغناء ، فقال : « ليس منّا مَنْ لم يتغنَّ بالقرآن » (انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ١ ص ١١) .

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ١ ص ١٢٢ . وانظر : ابن قدامه : المغني جـ٩ ص ١٧٩ (ط . المنار ، سنة ١٣٦٧ هـ) ، وابن كثير الدمشقي : فضائل القرآن ص ٥٨ .

(٢) البخاري : باب ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – وروايته عن ربه .

وانظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري جـ١٣ ص ٤٤١ و٤٤٢ .

وظاهر أن هذا الترجيع كان اختياراً لا اضطراراً ، لهزّ الناقة له ، وكما يقول ابن قيّم الجوزية : كان النبي يرجّع في قراءته ، فنُسب الترجيع إلى فعله ، ولو كان من هزّ الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعاً (زاد المعاد جـ١ ص ١٣٤) .

(٣) يقصد سورة التين .

(٤) البخاري : باب قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن . . . »

وانظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري جـ ١٣ ص ٤٤٥ .

(٥) سورة الطور / ٣٥ .

خِلْتُ أن فؤادى قد انصدع ؛ وفى رواية : كاد قلبى أن يطير[١] .

وعن جابر بن عبد الله ، يقول : كان فى كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ترتيل وترسيل[٢] .

وعن قتادة : ما بعث الله نبياً قطّ إلا بعثه حسن الوجه ، حسن الصوت ، حتى بعث نبيّكم – صلى الله عليه وسلم – حسنَ الوجه حسنَ الصوت . . إلخ »[٣] .

* * *

وسار الصحابة والتابعون وتابعوهم نفس السيرة[٤] .

(ا) كان عُمَر يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكّرنا ربّنا ، فيقرأ أبو موسى« ويتلاحن »[٥] وكان عُمَر يقول : من استطاع أن يتغنّى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل[٦] .

ونقل الذهبى ، عن ابن الهندى ، فى ترجمة أبى موسى الأشعرى : « ما سمعت طنبوراً ولا صنجاً ولا مزماراً أحسن من صوت أبى موسى الأشعرى ، كان يصلّى بنا ، فنودّ أنه قرأ البقرة[٧] .

(ب) وكان أسيد بن الحضير أحدُ النقباء الاثنى عشر ، ليلة العقبة ، من أحسن الناس صوتاً بالقرآن[٨] .

(حـ) وكان عُقْبة بن عامر من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، قال له عمر : اعرض علىّ سورة كذا ، فعرض عليه ، فبكى عمر ، وقال : ما كنت أظنّ أنها نَزَلت[٩] .

(د) وذكر على بن سلطان القارى فى : « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح »

---

(١) انظر : ابن كثير الدمشقى المفسّر : فضائل القرآن ص ٥٨ ؛ وهو يقول بعد هذا :
« وكان جبير لما سمع هذا بَعْدُ مشركاً على دين قومه ، وإنما كان قَدِمَ فى فداء الأُسارى بعد بدر . وناهيك بمن تؤثّر قراءته فى المشرك المصرّ على الكفر ، فكان هذا سببَ هدايته » .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٩٧ (ط . ليدن سنة ١٣٢١ هـ) .

(٣) نفس المرجع جـ ١ ص ٩٨ .

(٤) انظر : بيان المعروفين من الصحابة بحسن الصوت فى : الكتانى : التراتيب الإدارية جـ ٢ ص ٤٢٥ و ٤٢٦ (ط . الرباط سنة ١٣٣٦ هـ) .

(٥) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤ .

(٦) نفس المرجع ص ١٣٥ .

(٧) تذكرة الحفاظ ص ٢٢ – ٢٤ . ومعروف أن سورة البقرة أطول سور القرآن .

(٨) الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ٢٤٦ – ٢٤٨ .

(٩) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٥ .
والنووى : تهذيب الأسماء واللغات – ٤١٤ .

أن الشيخ عبد القادر الجيلانى روى عن عبد الله بن مسعود ما يستفاد منه أنه كان يحبّ حُسْن الصوت بالقرآن[١] .

(هـ) وكان علقمة أبو شبل النخعى الفقيه الكبير من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان إذا سمعه ابن مسعود يقول : « لو رآك رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – لسُرّ بك » .

(و) وكان عمر بن عبد العزيز حسن الصوت بالقرآن ، فخرج ليلة يقرأ ، وجَهَرَ بصوته ، فاستمع له الناس ، فقال سعيد بن المسيب : فتنتَ الناس ! فدخل[٣] .

(ز) والشافعى صاحب المذهب كان من أحسن الناس قراءة . قال أحد معاصريه : كنا إذا أردنا أن نبكى قال بعضنا لبعض : قوموا بنا إلى هذا الفتى المطّلبى يقرأ القرآن ، فإذا أتيناه استفتح القرآن حتى يتساقط الناس ، ويكثر عجيجهم بالبكاء ، من حسن صوته ،

---

(١) جـ ٢ ص ٦١٥ ، والنصّ :

« وقد ذكر سيدنا وسندنا مولانا القطب الرّبانى والغوث الصمدانى : الشيخ عبد القادر الجيلانى – روّح الله روحه ، ورزقنا فتوحه – فى كتابه : « الغُنية الذى للمساكين فيه المنْية » أنه روى عن عبد الله بن مسعود : أنه مرّ ذات يوم فى موضع من نواحى الكوفة ، وإذا الفسّاق قد اجتمعوا ، فى دار رجل منهم ، يشربون الخمر ، ومغنّ ، يقال له : زاذان ، كان يضرب بالعود ، ويغنى بصوت حسن . فلما سمع ذلك عبد الله بن مسعود ، قال : ما أحسن هذا الصوت ! لوكان بقراءة كتاب الله تعالى كان أحسن !

وجعل رداءه على رأسه ، فمضى .

فسمع ذلك الصوت زاذان ، فقال : من هذا ؟

قالوا : كان عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

قال : وإيش قال ؟

قالوا : قال : ما أحسن هذا الصوت ! لوكان بقراءة كتاب الله كان أحسن .

فدخلت الهيبة فى قلبه .

فقام ، وضرب بالعود على الأرض ، فكسره ، ثم أدركه ، وجعل المنديل على عنق نفسه ، وجعل يبكى بين يدى عبد الله .

فاعتنقه عبد الله ، وجعل يبكى كلُّ واحد منهما ، ثم قال عبد الله : كيف لا أحب من أحب الله ؟

فتاب من ضربه بالعود ، وظلَّ ملازماً عبد الله حتى تعلم القرآن . . . إلخ » .

(٢) ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ١ ص ٥١٦ .

(٣) نفس المرجع ص ٥٩٣ .

والنّص فى تفسير القرطبى جـ ١ ص ١٠ كالآتى :

رُوى عن سعيد بن المسيِّب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤمّ الناس ، فطرّب فى قراءته ، فأرسل إليه سعيد يقول : أصلحك الله ! إنّ الأئمة لا تقرأ هكذا .

فترك عمر التطريبَ بَعْدُ .

فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة[١] .

(ح) وقيل إن وَرْشاً – أحدَ الراويين الأشهرين لنافع – كان . إذا قرأ على نافع . أغشى على كثير من الجلساء ، لحسن صوته ، وجودة قراءته[٢] .

(ط) وكان عبد الرحمن بن الأسود بن أبى يزيد يتتبّع الصوت الحسن فى المساجد فى شهر رمضان[٣] .

(ى) ومن أخبار المجتمع الإسلامى ، فى شأن حسن الصوت بالقرآن :

كان أبو بكر الآدمىّ القارئ المتوفى سنة ٣٤٨ هـ من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان يسمَّى (صاحب الألحان) ، وقد حجّ مرّة مع بعض العلماء ، فلما كانوا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدوا رجلاً ضريراً أمامه حلقة من الناس كبيرة ، وقعد هو يقصّ ، ويروى الكذبَ من الأحاديث الموضوعة والأخبار المفتعلة ، وكان النكير عليه لا يؤثر مع ذلك الجمع الكبير ، فأشار أحدهم على أبى بكر أن يستعيذ ويقرأ ، فما هو إلّا أن ابتدأ حتى انفضّ الناس جميعاً من حول الضرير ، وأحاطوا بأبى بكر يستمعون قراءته ؛ وقد سُمع الضرير يقول لقائده : خذْ بيدى ، هكذا تزول النعم[٤] .

وفى سنة ٣٩٤ هـ ، خرج الأصيفر المنتفيق على الحاجّ ، وحصرهم ، وعزم على أخذهم ، وكان فيهم أبو الحسن الرفاء وأبو عبد الله الدّجاجى ، وكانا يقرآن القرآن بأصوات لم يُسمعْ مثلها ، فحضرا عند الأصيفر ، وقرآ ، فترك الحاجَّ ، وعاد ، وقال لهما : قد تركت لكما ألف ألف دينار[٥] .

وفى نفس السنة ، عزم أمير الحجّ العراقى على أن لا يسير إلى المدينة المنوّرة خوفاً من الأعراب ، فشقّ ذلك على الناس ، فوقف هذان القارئان على جادّة الطريق المؤدّية إلى المدينة ، وقرآ : « ما كان لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ ٱلْأَعرابِ أن يَتَخَلَّفُوا عن رَسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِه . . . »[٦] (الآيات) ، فضجّ الناس بالبكاء ، وأمالت النوق

(١) ابن شاكر الكتبى : عيون التواريخ – الجزء الخاص بالمدة من سنة ٢٠٤ إلى سنة ٢٥٠ هـ ص ٥ .
والنووى : تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٦٦ .

(٢) انظر : القسطلانى : لطائف الإشارات ، الورقة ٢٢ من المخطوطة ٤٩ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٥ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ، حوادث سنة ٣٤٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٧ ص ٢٢٤ (ط . منير الدمشقى) .

(٦) سورة التوبة / ١٢٠ .

أعناقها نحو القارئين ، فمال الناس بأجمعهم والأمير إلى المدينة النبوية ، فزاروا وعادوا سالمين إلى بلادهم[١] .

ولما رجع هذان القارئان ، رتّبهما ولىّ الأمر ، مع أبى بكر بن البهلول ، وكان مقرئاً مُجيدا أيضاً ، ليصلّوا بالناس التراويح فى رمضان ، فكثر الجمع وراءهم ، لحسن تلاوتهم ، وكانوا يطيلون الصلاة جداً ، فلا ينصرف الناس إلاّ فى النصف الأول من الليل أو قريب النصف منه[٢] .

وكانت حلاوة الصوت بالقراءة وقوةُ التأثير بها دليل « السيرة الحسنة والتُّقى » . ذكروا فى ترجمة أحد القراء الأندلسيين ، وهو عبد الله بن محمد بن سليمان ، المعروف بابن الحاجّ أنه كان مجوّدا للقرآن ، « مع حلاوة صوته وطبعه ، وكان – إذا أحيا فى الجامع – لا يتمالك كل من سمعه من البكاء ، وما ذاك إلا لسيرة حسنة وتُقًى كان بينه وبين خالقه »[٣] .

(ك) وفى الآثار المتداولة عند المسلمين ما يؤيد احتفالهم بالصوت الحسن ، بصرف النظر عن مدى صحة هذه الآثار .

قال مالك بن دينار أحد معلّمى الغناء بالمدينة :

« بلغنا ، فى الخبر ، أن الله – تبارك وتعالى – يقيم داود – عليه السلام – يوم القيامة ، عند ساق العرش ، فيقول : يا داود ! مجِّدْنى اليوم بذلك الصوت الرخيم » .

وجاء فى الخبر : أن داود كان يخرج ، إلى صحراء بيت المقدس ، يوماً فى الأسبوع ويجتمع الخلق ، فيقرأ الزبور بالقراءة الرخيمة ، وكانت له جاريتان موصوفتان بالقوة ، فكانتا تضبطان جسده خيفة أن تنخلع أوصاله ، مما كان ينتحب ، وكانت الوحوش والطيور تجتمع لاستماع قراءته[٤] .

وعن ابن عائشة ، قال : كان لداود – عليه السلام – صوت يطرب المحموم ، ويسلّى الثكلى ، وتصغى له الوحش ، حتى يؤخذ بأعناقها وما تشعر[٥] .

وفى الخبر أيضاً – فى معرض المدح لداود – : « أنه كان حسن الصوت فى النّياحة على

---

(١) ابن الأثير : المرجع السابق ص ٢٢٥ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) انظر : ابن بشكوال : الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ج ١ ص ٢٥٦ .

(٤) انظر : أحمد تيمور : الموسيقى والغناء عند العرب ص ١٤ .

والأبشيهى : المستطرف من كل فن مستظرف ج ٢ ص ١٧٧ (ط . المطبعة البهية بالقاهرة سنة ١٣٠٠ هـ).

(٥) مجالس ثعلب ج ١ ص ١٨ .

نفسه ، وفى تلاوة الزبور ، حتى كان يجتمع الإنس ، والجنّ ، والوحش ، والطير ، لسماع صـوته ، وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ، وما يقرب من ذلك فى الأوقات »(١) .

(ل) ومن الروايات ذات الدلالة ما يزعمه بعضهم من أنّ الظباء النافرة كانت تأتى لاستماع ألحان صوت مخارق المغنىّ ، فإذا سكت عادت لنفارها ، وشردت (٢) .

* * *

وفى التراث العربى الإسلامىّ : أن صاحب (الفلاحات) كان يقول :

إنّ النّحل أطربُ الحيوان كلّه على الغناء . قال الشاعر :

والطّـــير قد يســوقه للمو ت إصغاؤه إلى حنين الصّوت(٣)

وزعموا أنّ فى البحر دوابّ ربّما زَمَرَت أصواتاً مطربة ، ولحوناً مُسْتَلَذَّة يأخذ السّامعين الغشىُ من حلاوتها ، فاعتنى بها وَضَعَةُ الألحان بأن شبّهوا بها أغانيهم ، فلم يبلغوا (٤) .

---

(١) انظر : النويرى : نهاية الأرب جـ ٤ ص ١٦٣ .

والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ١٧ .

(٢) انظر : نهاية الأرب جـ ٤ ص ٣١٨ ،

وأبو الفرج الأصفهانى : الأغانى جـ ٢١ ص ١٥٢ (ط . ساسى) ، وص ٢٣٧ (ط . بولاق) .

ونص الروايه .

خرج مخارق — مع بعض إخوانه — إلى بعض المتنزهات ، فنظر إلى قوس مُذهبة مع بعض من خرج معه ، فسأله إياها ، وكأنّ المسؤول ضنّ بها .

وسنحت ظباء بالقرب منه .

فقال لصاحب القوس :

أرأيتَ إن تغنيتُ صوتاً ، فعطفَتْ علىَّ به خدود هذه الظباء ، أتدفع إلىّ القوس ؟

قال : نعم !

فاندفع يغنى :

ماذا تقــول الظبــاء أفــرقــة أم لقــاء ؟
أم عهدهــا بسليمى ؟ وفى البيـــان شفاء
مـرّت بنـا سانحات وقــد دنــا الإمسـاء
فمـا أحـارت جواباً وطـال فيهــا العنـاء

قال : فعطفَتْ الظباءُ راجعةً إليه ، حتى وقفت بالقرب منه مصغية إلى صوته . فعجب من حضر من رجوعها ووقوفها . وناوله الرجلُ القوس ، فأخذها ، وقطع الغناء ، فعاودت الظباء نفارها ، ومضت راجعة على سنها .

(٣) الأبشيهى : المستطرف فى كل فن مستطرف ص ١٧٧ .

(٤) نفس المرجع .

٣

ومعلوم أن للقرآن أغراضاً منها : الإعلام ، والتنبيه ، والأمر ، والنهى ،والوعد ، والوعيد ، ووصف الجنة والنار ، والاحتجاج على المخالفين ، والردّ على الملحدين ، والبيان عن الرغبة والرهبة ، والخير والشرّ ، والحسن والقبيح ، ومدح الأبرار ، وذمّ الفجار . . . إلخ .

وليس طبيعيًّا ولا سديداً أن نقرأ موضوعات هذه الأغراض كلّها بأسلوب واحد .

وإذا كان الترنّم الباكى مقبولا مثلا فى آيات التوبة والاستغفار والاسترحام ، فهل هو مقبول فى آيات التحريض على القتال ؟ إن المقبول طبيعيًّا هو الترنم الذى يوائم المعنى ويظهره ، والذى لا يعجزه الأخذ بناصية الفهم ، والذى يجعل للمقروء مستَقَرًّا فى ذهن السّامع وقلبه ، فضلا عن أن يحمله إلى هذا المستقرّ حملاً .

واللين غير الشدة ، والأمر والنهى غير الدعاء والالتماس ، والخبر غير الاستفهام ، والإقرار غير التعجب ، والوعد غير الوعيد ، وهكذا . . .

* * *

وتلحين القرآن – بمعنى قراءته قراءة معبِّرة ، وأحياناً بمعنى قراءته على بعض أساليب الغناء – أمر قديم .

وقد تقدم كلام عن مادة (لحن) فى اللغة العربية .

ورُوِى أن النبىّ (ص) قال : « إن أحسن الناس قراءةً مَنْ إذا قرأ القرآن يتحزّن فيه[١] » .

قال الزمخشرى ، فى « أساس البلاغة » : « ومن المجاز : صوت حزين : رخيم » .

وكان الصحابى أبو هريرة يقرأ : « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ »[٢] ، « يحزّنها شبه الرثاء »[٣] .

ومما يعرَّف به « الترتيل » – عند المسلمين – : أنه « خفض الصوت والتحزين بالقراءة »[٤] وكأنما يقرر هذا التعريف ضمناً أن تحلية الصوت بالقرآن هى شرط أساسىّ فى قراءته القراءة المأمور بها .

* * *

(١) رواه الطبرانى فى « الكبير » عن ابن عباس . وانظر : المناوى : فيض القدير جـ ١ ص ١٩١ .

(٢) يعنى سورة التكوير .

(٣) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراءة جـ ١ ص ٣٧٠ .

(٤) على الجرجانى : التعريفات ص ٥٧ .

ولعلّ وجه التحزين – فى قراءة القرآن – أن يكون كما قال الغزالى : « أن يتأمل القارئ ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره فى أوامره وزواجره ، فيحزنه لا محالة ، ويبكى »(١) .

والمسلمون يستحبّون البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن . وفى دينهم أن الأنبياء كانوا يبكون إذا تُتلى عليهم آيات الله « أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا »(٢) .

وهم يروون أن النبى قال : « أُتلوا القرآن ، وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا »(٣) .

وفى (صحيح البخارى) ، عن عبد الله بن مسعود قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ علىّ

قال : قلت : آقرأ عليك وعليك أُنزل ؟

قال : إنى أشتهى أن أسمعه من غيرى

قال فقرأت (النساء) ، حتى إذا بلغتُ : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا » قال : كفّ ، أو أمسكْ ، فرأيت عينيه تذرفان .

قال ابن بطال : إنما بكى صلى الله عليه وسلّم ، عند تلاوته هذه الآية ، لأنّه مثّل لنفسه أهوال القيامة وشدّة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق ، وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف ، وهو أمرٌ يحق له طول البكاء(٦) .

ويقول ابن حجر العسقلانى : والذى يظهر أنه بكى رحمة لأمته ، لأنه علم أنه لا بدّ أن يشهد عليهم بعملهم ، وعملهم قد لا يكون مستقيماً ، فقد يفضى إلى تعذيبهم . والله أعلم(٧)

وفى (صحيح البخارى) أيضاً عن أبى موسى ، قال :

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ١ ص ٢١٩ .

(٢) سورة مريم / ٥٨ .

(٣) الجمل – سليمان بن عمر العجيلى : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية جـ ٣ ص ٦٧ – ط . مصطفى الحلبى سنة ١٩٥٩ .

(٤) الآية ٤١ .

(٥) باب البكاء عند قراءة القرآن – كتاب فضائل القرآن .

(٦) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ص ٩٩ (ط . محبّ الدين الخطيب) .

(٧) نفس المرجع .

مرض النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فاشتدّ مرضه ، فقال ، مروا أبا بكر فليصلّ بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجل رقيق القلب ، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس. . . . إلخ[١]

وفى رواية ، عن عائشة نفسها ، أنها قالت : . . . إنّ أبا بكر إذا قام فى مقامك لم يُسمع الناس من البكاء ، فمرْ عمر فليصلّ للناس . . . إلخ[٢] .

وفى رواية أخرى ، أنّ عائشة قالت : إنّ أبا بكر رجل رقيق ، إذا قرأ غلبه البكاء[٣] .

ومن المأثورات الإسلامية : أن ابن عباس قال : إذا قرأتم سجدة فليصلّ »[٤] فلا تعجلوا بالسّجود حتى تبكوا ، فإن لم تبك عينُ أحدكم فليبك قلبه[٥] ،

وأن قارئاً صالحاً ، هو صالح المزنى ، قال : قرأت القرآن على رسول الله — صلّى الله عليه وسلّم — فى المنام ، فقال لى : يا صالح ! هذه القراءة ، فأين البكاء[٦] ؟

على أنّ فيض دموع المسلمين واهتزاز قلوبهم عند سماع القرآن ليس أمراً عجباً : فقد أثبت ربّنا سبحانه لكتابه خصيصة ليست لغيره من الكتب : « ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰباً مُّتَشَـٰبِهاً مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَآءُ . . »[٧] .

وفى عهد التّابعين ، كان يحدث لبعضهم عند سماع القرآن الصَّعْقُ والغَشْى ونحوهما . ويقول ابن مفلح فى هذا الباب : « وأما الصَّعْقُ والغَشْى ونحو ذلك فَحَدَثَ فى التّابعين لقوّة الوارد وضعف المورود عليه . والصحابة — لقوتهم وكمالهم — لم يحدث فيهم[٨] » .

ويسوق ابن مفلح هنا أخبار ثلاثة من أعيان التابعين ؛

(أولهم) الإمام الربانى الربيع بن خيثم ، وقد سمع عبد الله بن مسعود يقرأ :

« إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً »[٩] ، فصعق ، وكان قبل الظهر فلم يفق إلى الليل .

---

(١) كتاب الأذان — باب أهل العلم والفضل أحقّ بالإمامة ، وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٢ ص ١٦٤ وما بعدها (ط . محب الدين الخطيب) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) سورة الإسراء / من الآية ١٠٨ .

(٥) الجمل : المرجع السابق .

(٦) نفس المرجع .

(٧) سورة الزمر / ٢٣ .

(٨) الآداب الشرعية والمنح المرعية جـ ٢ ص ٣٣٠ .

(٩) سورة الفرقان / ١٢ .

(وثانيهم) الإمام القاضى التابعى المتوسط زرارة ، قرأ فى الصلاة ، فلما بلغ : « فإذا نُقِر فى ٱلنَّاقُورَ »(١) شهق فمات .

(وثالثهم) الإمام علماً وعَمَلاً شيخ الإمام أحمد يحيى بن القطان . كان هذا الحال يحصل له كثيراً ، فلا يقدر أن يدفعه (٢)

* * *

ويقول ابن قتيبة(٣) :

« أول من قرأ بالألحان : عبيدالله بن أبى بكرة(٤) ، وكانت قراءته حَزَنا – أى فيها رقة صوت – ليست على شيء من ألحان الغِناء ولا الحُداء .

فورث ذلك عنه ابن ابنه : عبيد الله بن عمر بن عبيد الله .

وأخذ ذلك عنه الإباضى .

وأخذ سعيد العلاف وأخوه عن الإباضى قراءة ابن عمر .

وكان هرون الرشيد مُعْجَباً بقراءةِ سعيد العلاّف ، وكان يُحظيه ويعطيه ، ويعرف بقارئ أمير المؤمنين .

وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين ، وغيرهمُ يُدخلون فى القراءة من ألحان الغناء والحداء والرهبانية :

فمنهم من كان يدس الشَّىء من ذلك دسًّا رفيقاً .

ومنهم من كان يجهر بذلك ، فمن ذلك قراءة الهيثم : « أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ »(٥) ، سَلَخَه من صوت الغناء كهيئة :

أمّا القطاة فإنّى سوف أنعتها   نعتاً يوافق نعتى بعض ما فيها(٦)

---

(١) سورة المدثر / ٨ .

(٢) ابن مفلح : المرجع السابق .

(٣) المعارف ص ٥٣٣ .

(٤) جاء فى (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى) ، فى وفيات سنة ٨٠ هـ :

« عبيد الله بن أبى بكرة ، وكنيته أبو حاتم ، من الطبقة الثالثة من التّابعين ، من أهل البصرة ، وامّه هَوْلَة بنت غُلَيْظ من بنى عجل ، وهو أوّل من قرأ القرآن بالألحان ، ووُلِّىَ قضاء البصرة ، وأوفده الحَجاج على الخليفة عبد الملك ، فسأله أن يولِّى الحَجاج خراسان وسجستان » (جـ ١ ص ٢٠٢) .

(٥) سورة الكهف / ٨٠ .

(٦) هذا مطلع قصيدة تُنسب لعُلَيْل بن الحَجّاج الهجيمىّ . وانظر القصيدة فى (ذيل الأمالى والنوادر لأبى على القالى ص ٢٠٩) .

وكان ابن أعين يُدخل الشيء ويخفيه ، حتى كان الترمذى محمد بن سعد ، فقرأ على الأغانى المولدة المحدثة ، سلخها فى القراءة بأعيانها [١] » .

* * *

ويقول الهيثم العلّاف [٢] : قرأت عند المنصور ، فقال : ما لكم – أهل البصرة – أقرأ البلاد ؟

فقلت :

إن أهل الحجاز قرأوا على النَّصْب [٣] ؛
وأهل الشام قرأوا على قراءة الرهبان ؛
وأهل الكوفة قرأوا على قراءة النَّبط ؛
وأهل البصرة قرأوا على الخسروانى [٤] : غناء فارس !

* * *

وإخوان الصّفاء يتكلمون عن أسباب استخراج الحكماء صناعة الموسيقى ، فيشيرون إلى أنّ الناس كانوا يستدفعون المناحس والبلاء بالدعاء والبكاء ، وكانوا يستعملون – عند الضراعة والقراءة – « ألحاناً من الموسيقى تسمّى : (المحزن) ، وهى التى ترقّق القلوب إذا سُمِعت ، وتُبكى العيون ، وتُكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب ، وإخلاص السّرائر ، وإصلاح الضمائر » [٥] .

ويقول إخوان الصفاء : « فأما استعمال أصحاب النواميس الإلهية لها ، (أى للموسيقى) فى الهياكل ، وبيوت العبادات ، وعند القراءة فى الصلوات ، وعند القرابين والدعاء ، والتضرع والبكاء ، كما كان يفعل داود النبى – عليه السلام – عند قراءة مزاميره ، وكما يفعل النصارى فى كنائسهم ، والمسلمون فى مساجدهم ، من طيّب النغمة ، ولحن القراءة ، فإنّ كلاً ذلك لرقة القلوب ، ولخضوع النفوس ، ولخشوعها ، والانقياد لأوامر الله – تعالى –

---

(١) المعارف ص ٥٣٣ .

(٢) انظر : محمود عرنوس – مقال بمجلة لواء الإسلام ع . رمضان ١٣٦٨ (يونية ١٩٤٨) .

(٣) تقول : نَصَبَ نَصْباً : غنىّ غناء أرقّ من الحداء ، وفى الحديث : « لو نصبت لنا نصْب العرب » (الزمخشرى : أساس البلاغة ، مادة : ن ص ب) .

(٤) منسوب إلى خُسرو : شاه من الأكاسرة .

(٥) رسائل إخوان الصفا – المجلد الأول ص ١٨٦ و١٨٧ .

ونواهيه ، والتوبة إليه من الذنوب ، والرجوع إلى الله – سبحانه وتعالى – باستعمال النواميس كما رسمت[1] . »

والرَّحّالة ابن جبير يروى فى رحلته[2] أنه رأى القراء « بين أيدى الوعاظ ، يأتون بألحان تكسب الجماد طرباً وأريحية ، كأنها المزامير الداودية » .

والقسطلانى يقول : « فإذا جليت آيات القرآن العزيز بالآيات الطيبة ، مع مراعاة الترتيل ، على الأسماع ، تلقتها القلوب ، وأقبلت عليها النفوس ، وإنما أثمر ذلك تدبّر آياته ، والتفكّر فى غوامضه ، والتبحر فى مقاصده ، ليحصل له – حينئذ – الامتثال لأوامره ، والانتهاء عن مناهيه ، والرغبة فى وعده ، والرهبة من وعيده ، والطمع فى ترغيبه »[3] .

وقد بكى الطبيب البصرى ما سرجويه – وهو يهودى – من قراءة أبى الخوخ ، فقيل له : كيف بكيت من كتاب الله ، ولا تصدّق به ؟ قال : إنما أبكانى الشجى[4] .

٤

وللقرآن موسيقاه الخاصّة التى لا يفوتُ إدْراكها أحداً من قرائه . ومن أنواع بدائعه ما يمكن أن نرى فيه – ضِمْناً – دلائل موسيقية نابعة منه ، وليست مُسْتَجْلَبَةً إليه .

ومن هذه الأنواع[5] :

١ – الانسجام :

وهو كما يعبرّ ابن أبى الإصبع – « أن يأتى الكلام متحدّراً كتحدّر الماء المنسجم ، بسهولة سبك ، وعذوبة ألفاظ ، وسلامة تأليف ، حتى يكون للجملة من المنثور ، وللبيت

---

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١٨٦ .

(٢) ص ١٤٠ .

(٣) لطائف الإشارات ، الورقتان ٥٤ و ٥٥ – المخطوطة رقم ٤٩ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) انظر : الجاحظ : الحيوان ج ٤ ص ١٩٢ .

(٥) كلها اخترناها من :

(أ) كتاب « الإتقان » للسيوطى : النوع الثامن والخمسون ، فى بدائع القرآن ج ٢ ص ٨٣ – ٩٦ ، والنوع التاسع والخمسون ، فى فواصل الآى ج ٢ ص ٩٦ – ١٠٥ .

(ب) كتاب « بديع القرآن » لابن أبى الأصبع المصرى ص ٢٧ و٢٨ و٣١ و٣٦ و٧٣ و٩٠ و٩١ و٩٦ و٩٩ و١٠١ و١٠٢ و١٠٧ و١٠٨ و١٦٤ و١٦٦ و١٦٧ .

من الموزون وقع فى النفوس وتأثير فى القلوب . » ، ويكاد – كما يقول السيوطى – « لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة » .

ويقول السيوطى أيضاً :

« وإذا قوى الانسجام فى النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد . . ومن ذلك ما وقع فى القرآن موزونا :

فمنه : فى بحر الطويل : « فَمَنْ شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ شَآءَ فَلْيَكْفُرْ »(1) .

ومن المديد : « وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا » (2) .

ومن البسيط : « فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَىٰ إِلاَّ مَسَٰكِنُهُمْ (3) .

ومن الوافر : « وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ »(4) .

ومن الكامل : « وَٱللَّهُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُسْتَقِيمٍ »(5) .

ومن الهزج : « فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيراً »(6) .

ومن الرَّجَز : « وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً »(7) .

ومن الرَّمَل : « وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ »(8) .

ومن السريع : « أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ »(9) .

ومن المنسرح : « إِنَّا خَلَقْنَا ٱلإِنْسَٰنَ مِن نُطْفَةٍ »(10) .

ومن الخفيف : « لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً »(11) .

ومن المضارع : « يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ »(12) .

ومن المقتضب : « فى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ »(13) .

ومن المجتث : « نَبِّئْ عِبَادِىَ أَنِّى أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيم » (14) .

ومن المتقارب : « وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ »(15)

---

(1) سورة الكهف / ٢٩ .
(2) سورة هود / ٣٧ .
(3) سورة الأحقاف / ٢٥ .
(4) سورة التوبة / ١٤ .
(5) سورة النور / ٤٦ .
(6) سورة يوسف / ٩٣ .
(7) سورة الإنسان / ١٤ .
(8) سورة سبأ / ١٣ .
(9) سورة البقرة / ٥٦ .
(10) سورة الإنسان / ٢ .
(11) سورة النساء / ٧٨ .
(12) سورة غافر / ٣٢ و ٣٣ .
(13) سورة البقرة / ١٠ .
(14) سورة الحجر / ٤٩ .
(15) سورة الأعراف / ١٨٣ .

ولعلّه من الواضح جداً أنّ وقوع بعض الآيات القرآنية موزونةً نتيجة قوّة الانسجام فيها لا يعنى أنّ القرآن يتضمّن شعراً ، كما ادّعى بعض أعداء الإسلام منذ قديم : « وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ * لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ[1] » .

٢ – ائتلاف اللفظ مع اللفظ :

فُيقْرن الغريبُ بمثله ، والمتداوَلُ بمثله ، رعايةً لحسن الجوار والمناسبة .

٣ – ائتلاف اللفظ مع المعنى :

أى أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد ، فإن كان فخماً كانت ألفاظه مفخّمة ، أو جزلا فجزلة ، أو غريباً فغريبة ، أو متداولا فمتداولة ، أو متوّسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك .

٤ – الإبدال :

وهو إقامة بعض الحروف مقام بعض . ومن أمثلته : (انْفَلَقَ) ، كانت (انفرق) ، ولهذا قال : « فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ . . . »[2] ، فالراء واللّام متتابعان . ومن الأمثلة أيضاً : « إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ »[3] ، أى الخيل .

٥ – التفويف :

وهو إتيان المتكلم بمعانٍ شتى من المدح ، والوصف ، وغير ذلك من الفنون ، كل جملة منفصلة عن أختها ، مع تساوى الجمل فى الزِّنة ، ومن أمثلته : « ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ »[4] .

٦ – التعديد :

وهو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد ، كقوله : « هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ »[5] .

وقوله : « مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا »[6] .

وقوله : « ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ »[7]

---

(١) سورة يس / ٦٩ - ٧٠ .

(٢) سورة الشعراء / ٦٣ .

(٣) سورة ص / ٣٢

(٤) سورة الشعراء / ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ .

(٥) سورة الحشر / ٢٣ .

(٦) سورة التحريم / ٢٤ .

(٧) سورة التوبة / ١١٢ .

٧ – المضارع :

وهو أَنْ يختلف الَّلفظان بحرف مقارب فى المخرج ، سواء كان فى الأول ، أو الوسط ، أو الآخر ، كقوله : « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ »(١)

٨ – حُسْنُ النَّسَقِ :

وهو أن يأتى المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحماً سلياً مستحسناً ، ولو أن كل جملة منه قائمة بنفسها . ومنه قوله : « وَقِيلَ يَـٰأَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ ، وَيَسَمَاءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٢) » .

٩ – المشاكلة :

وهى ذكر الشىء بلفظ غيره ، لوقوعه فى صحبته تحقيقاً أو تقديراً ، فالأول كقوله : « تعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِك »(٣) ، « وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ »(٤) ، « وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا »(٥) ، « فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ »(٦) ، « وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَـٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ »(٧) . « فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ »(٨) . « إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ * اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ »(٩) .

١٠ – التجنيس :

سواء كان جناس مزاوجة ، أو جناس مناسبة ، وسواء كان لفظيًا ، أو معنويًا .

١١ – الطباق : بنوعيه : الحقيقى والمجازى .

١٢ – ردّ الأعجاز على الصدور

١٣ – التسجيع وصحة المقابلات

١٤ – التوشيح :

وهو أن يكون فى أول الكلام معنى إذا عُلِمَ عُلِمَتْ منه القافية إن كان شعراً ، أو السجع إن كان نثراً(١٠).

---

(١) سورة الأنعام / ٢٦
(٢) سورة هود / ٤٤
(٣) سورة المائدة / ١١٦
(٤) سورة آل عمران / ٥٤
(٥) سورة الشورى / ٤٠
(٦) سورة البقرة / ١٩٤
(٧) سورة الجاثية / ٣٤
(٨) سورة التوبة / ٧٩
(٩) سورة البقرة / ١٤ و١٥
(١٠) ابن أبى الأصبع المصرى : بديع القرآن ص ٩٠ و٩١

١٥ – الترديد :

وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ، ثم يردّها بعينها ، ويعلقها بمعنى آخر [١] ، كقوله : « حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ، اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ . . » [٢] .

١٦ – التعطف :

وهو كالترديد فى إعادة اللفظة بعينها فى الجملة من الكلام ، أو البيت من الشعر . والفرقُ بينهما قرب الكلمتين من الترديد ، وكونُهما فى أحد طرفَى الجملة ، أو فى كليهما ، وهما – فى التعطف – مفترقتان ، كل لفظة منهما فى طرف من الكلام [٣] ، ومنه قوله تعالى : « قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ » [٤] .

١٧ – التسميط :

وهو جعل مقاطع أجزاء جملة النثر مسجعة على روىّ يخالف روىَّ قرينته . واشتقاقُه من السمط الذى هو خيط العِقْد ، لتنزيل سجعات الأجزاء بمنزلة حَبّ العِقد . وقافية البيت ، أو سجعة النثر ، أو فاصلة الآية بمنزلة السمط الذى يجمع حَبّ العِقد ويربطه [٥] .

١٨ – المماثلة :

أى تماثل ألفاظ الكلام كلها أو بعضها فى الزِّنَة دون التقفية [٦] ، كقوله : « وَٱلسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * . . » [٧]

* * *

ومما يوفّر للقرآن موسيقاه الذاتية أنه هو نفسه يوفّر الانسجام بين ألفاظه وأصواته ، من طرق كثيرة أخرى ، منها :

---

(١) نفس المرجع ص ٩٦ .
(٢) سورة الأنعام / ١٢٤ .
(٣) ابن أبى الإصبع المصرى : بديع القرآن ص ٩٧ .
(٤) سورة التوبة / ٥٢ .
(٥) ابن أبى الإصبع المصرى ص ١٠١ و١٠٢ .
(٦) نفس المرجع ص ١٠٧ .
(٧) سورة الطارق / ١ و٢ و٣ و٤ .

(ا) حذف ياء المنقوص المعرّف ، نحو : « الْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ »[١] ، « يَوْمَ ٱلتَّنَادِ »[٢]

(ب) حذف ياء الفعل غير المجزوم ، نحو : « وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ »[٣]

(ح) حذف ياء الإضافة ، نحو : « فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ »[٤] ، « فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ »[٥] .

(د) زيادة حرف المدّ ، نحو : « الظُّنُونَاْ — الرَّسُولَاْ — السَّبِيلَاْ »[٦] .

(ه) إبقاؤه مع الجازم ، نحو : « لاَ تَخَـٰفُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَىٰ »[٧] . « سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَىٰ »[٨] ، على القول بأنه نهى .

(و) صرف مالا ينصرف ، نحو : « قَوَارِيرَاْ * قَوَارِيرَاْ »[٩]

(ز) اختيار أغرب اللفظين ، نحو : « قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ »[١٠] ، ولم يقل : جائرة ، ونحو : « لَيُنبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ »[١١] ، ولم يقل : « جهنم » أو « النار » . وفى سورة المدّثّر : « سَأُصْلِيهِ سَقَرَ »[١٢] ، وفى المعارج : « إِنَّهَا لَظَىٰ »[١٣] وفى سورة القارعة : « فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ »[١٤] ، وذلك لمراعاة فواصل كل سورة .

(ح) الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، نحو : « فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ »[١٥] .

(ط) إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض ، نحو : « إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ »[١٦] ، أوثر على « عجيب » مراعاة للفاصلة .

(ى) العدول عن صيغة الماضى إلى صيغة الاستقبال ، نحو : « فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ »[١٧] ، والأصل : قتلتم .

(ك) تغيير بِنْية الكلمة ، نحو : « طُورِ سِينِينَ »[١٨] ، والأصل : سينا .

* * *

(١) سورة الرعد / ٩ .
(٢) سورة غافر / ٣٢ .
(٣) سورة الفجر / ٤ .
(٤) سورة القمر / ٣٠
(٥) سورة غافر / ٥ .
(٦) سورة الأحزاب / ١٠ و٦٦ و٦٧ . .
(٧) سورة طه / ٧٧ .
(٨) سورة الأعلى / ٦ .
(٩) سورة الإنسان / ١٥ و١٦ .
(١٠) سورة النجم / ٢٢
(١١) سورة الهُمَزَة / ٤ .
(١٢) الآية ٢٦ .
(١٣) الآية ١٥ .
(١٤) الآية ٩ .
(١٥) سورة طه / ١١٧ .
(١٦) سورة ص / ٥ .
(١٧) سورة البقرة / ٨٧ .
(١٨) سورة التين / ٢ .

وقد كثر فى القرآن ختم الفواصل بحروف المدّ واللين وإلحاق النون . يقول السيوطى : « وحكمتُه : وجود التمكن من التطريب بذلك ، كما قال سيبويه : إنهم إذا ترنموا ، يُلحِقون الألف والياء والنون ، لأنهم أرادوا مدّ الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنّموا . وجاء القرآن على أسهل موقف ، وأعذب مقطع »[١] .

* * *

والموسيقى – فى عبارات القرآن – تساير المعانى ، فهو – بإطلاق – فى التقريع ، والإعذار ، والإنذار ، والتحذير ، والتخويف . . . ذو ألفاظ شديدة قابضة مزعجة ، فإذا بشّر ، ووعد ، وحمد ، فألفاظه – بإطلاق أيضاً – باسطة بهيجة مشوّقة .

وقد قيل إن هذه الموسيقية ، فى الأصوات القرآنية « تلعب – فى تكييف عقل السّامع ، وتهيئته لتلقّى الدعوة – دوراً هو فوق التعريف ، وإنّ الجمال الفنّى فى القرآن هو رأس ما جذب العرب إلى الإسلام[٢] » .

وعندنا أن الموسيقية فى القرآن – وتلك كلّها من أدلّتها – أوضح من أن تجحد . وعندنا أيضاً أنه ليس يمسّ قداسة القرآن وعظمته أن نقول إنه تحرّى الموسيقية ، فذلك – فى الواقع – من دلائل إعجازه ، سيما أن موسيقاه غير الموسيقى فيما يكتب البشر من نثر فنّى قد يعمد إليه بعضهم ، فيضحّى من أجله – قليلا أو كثيراً – بدقّة المعنى المراد .

٥

وقد اختلف الحكم على القراءة بالألحان المقتبسة من الغناء . وهذا بعض ما رُوى ضدها :

(ا) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال – وقد أوردنا هذا الحديث قبلا – : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإيّاكم ولحون أهل الفسق ، ولحون أهل الكتابين ، وسيجىء بعدى أقوام يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح . . » إلى آخر الحديث .

---

(١) الإتقان جـ ٢ ص ١٠٥ . وانظر : الخفاجى : سرّ الفصاحة ص ١٦٥ و١٦٦ . وانظر – فى ختم مقاطع الفواصل بحروف المدّ واللين ، وفى مبنى الفواصل على الوقف – : الزركشى : البرهان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٦٨ و٦٩ و ٧٠ .

(٢) Gibb (H. A. R.) : Modem Trends in Islam, P. P. 4 A. 5.

(ب) وأنكر التطريب أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء قارئ ، فقرأ وطرّب ، وكان رفيع الصوت ، فكشف أنس عن وجهه ، وكان على وجهه خرقة سوداء ، فقال له : يا هذا ! ما هكذا كانوا يفعلون . وكان – إذا رأى شيئاً ينكره – كشف الخرقة عن وجهه[١] .

(ج) وفى سنن الدارمى : أنهم كانوا يرون هذه الألحان فى القراءة محدثة[٢]

(د) وتمنى الصحابىّ أبو هريرة الموت مخافة أن تدركه سِتّةٌ عدَّ منها أن يتخذ الناس القرآن مزامير[٣] .

(هـ) وممن كره القراءة بالألحان من التابعين : سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والقاسم بن محمد ، والحسن البصرى ، وابن سيرين ، وإبراهيم النخعى[٤] .

(و) وممن كرهها من تابعى التابعين : سفيان بن عيينة ، ومالك بن أنس[٥] .

وروى الربيع الجيزىّ عن الشافعى أن قراءة القرآن بالألحان مكروهة[٦] .

وذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه عن القرآن بألحان ، فكرهها ، وقال : لا ، إلا أن يكون طبع الرجل ، مثل قراءة أبى موسى حَدْراً[٧] .

لكن أحمد سُئل : أيُهجر من سمع قراءة الألحان ؟ فأجاب : لا[٨]

---

(١) أنظر : ابن الحاج : المدخل جـ ١ ص ٧٤ و٧٥ .

(٢) سنن الدارمى جـ ٢ ص ٤٧٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ، القسم الثانى ص ٦١ (ط . ليدن ١٣٢٥ هـ) .

(٤) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤ .

وابن الحاج : المدخل جـ ١ ص ٧٤ و٧٥ .

وذكر القرطبىّ فى تفسيره جـ ١ ص ١٠ : أنه رُوى عن القاسم بن محمد أنّ رجلاً قرأ فى مسجد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فطرّب ، فأنكر ذلك القاسم ، وقال : يقول الله عزّ وجلّ : « وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لا يأتيه الْبَٰطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (سورة فُصّلت / ٤١ و٤٢) .

(٥) انظر : ابن قيم الجوزية : المرجع السابق ص ١٣٧ .

وابن خلدون : المقدمة جـ ٣ ص ٩٦٨ و٩٦٨ .

(٦) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٢ ص ١٣٢ (ط . الطناحى والحلو) .

(٧) كتاب العلل ومعرفة الرجال ، لأحمد بن حنبل جـ ١ ص ٣٧٣ .

(٨) أنظر : ابن مفلح : الآداب الشرعية والمنح المرعية جـ ٢ ص ٣٢٦ .

وقد اختتم الماوردى كتابه : (أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك) بتحذير بناه على حديث نبوىّ هو – كما يقول الماوردى – « أوعظ نذير ، وأبلغ تخويف وتحذير »(١) ، وهو حديث رواه عبد الله بن عبيد ، عن عمير الليثى ، عن حذيفة بن اليمان ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وفيه تحديد لأشراط السّاعة ، وإنذار بتوقّع نزول البلاء بالأمة ، إذا وقع الناس فى منكرات كبيرة ، كإماتة الصّلاة ، وإضاعة الأمانة ، والاستخفاف بالدماء ، وجاء بين هذه الأشراط أن يتخذ الناس القرآن مزامير(٢) .

وابن بطة العكبرى المتوفى بالعراق سنة ٣٨٧ هـ يرى أن « من البدع قراءة القرآن والأذان بالألحان ، وتشبيهها بالغناء »(٣) .

وابن الكيّال الدمشقّى المتوفّى سنة ٩٢٩هـ له كتاب « الأنجم الزواهر فى تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر »(٤) .

(ز) وحتى ابن خلدون المؤرخ الاجتماعى يرى « أن صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه ، ومن ثم لا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعتبر فى القرآن »(٥) ويرى « الأخذ بالتلحين البسيط الذى يهتدى إليه صاحب المضمار ، فيردّد أصواته ترديداً ، على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره »(٦) ، ويرى أن « القرآن محل خشوع ، يذكّر الموت وما بعده ، وليس مقام التذاذ بإدراك الحسن من الأصوات »(٧) .

(ح) ونذكر هنا رواية تاريخية لافتة هى أن الحارث بن مسكين الذى تولى قضاء قضاة مصر ، فى سنة ٢٣٧ هـ ، كان يضرب الذين يقرءون بالألحان(٨)

---

(١) ص ٥٨ (ط ١٩٢٩ ، بنفقة مكتبة الخانجى) .

(٢) نفس المرجع .

(٣) انظر : كتابه : الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ٨٩ .

(٤) انظر : إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم : من إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ص ١٣١ .

(٥) المقدمة – فصل فى صناعة الغناء جـ ٣ ص ٩٦٨ (ط . على عبد الواحد وافى) .

(٦) نفس المرجع .

(٧) نفس المرجع .

(٨) انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ .

وقد قال القرطبي المفسّر عن القراءة المسرفة فى المخالفة إلى الحدّ الذى تَضيع عنده معانى القرآن إنّها حرام باتفاق ، وحَمَل فى شدّة على مرتكبيها بالديار المصريّة « الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز ، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز . ضلّ سعيهم ! وخاب عملهم ! فيستحلّون بذلك تغيير كتاب الله ، ويهوّنون على أنفسهم الاجتراء على الله عَزّ وجلَ بأن يزيدوا فى تنزيله ما ليس فيه ، جهلا بدينهم ، ومروقاً عن سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ورفضاً لسير الصّالحين فيه من سلفهم ، ونزوعاً إلى ما يزّين لهم الشيطان من أعمالهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً . . . إلخ »[١]

ويبدو أنّ هذه القراءة ظلّت – بعد أيام القرطبيّ – حينا على حالها ، فقد ضرب ابن الحاج المتوفّى بعد القرطبي بستّ وستين سنة مثلا للقراءة المحرّمة الكثيرة ترديد الأصوات والترجيعات ، والتى تنبهم معها معانى القرآن « ما يفعله القراء بالديار المصرّية الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز ويأخذون عليها الأجور والجوائز »[٢] .

(ط) ومن الملاحظات التى نظنها ذات مغزى فى هذا الباب أنّ بعض الفقهاء – مع إجازتهم قراءة القرآن بالتلحين بشرط عدم الإفراط فى التمطيط والمدّ وإشباع الحركات – يختارون كتاب الشهادات موضعاً للحديث عن أصحاب القراءات التلحينية ، وذلك عند الكلام عمّن تُردّ شهادتهم من ساقطى المروءة وأهل اللعب والملاهى ، فكأنّ هؤلاء الفقهاء يجعلون تلحين القرآن بغير شروطه مُسقطاً للعدالة ، وفيه سخف ودناءة ، فمَنْ فَعَله أو رضِيَه لا تحصل الثقة بأقواله ، ومن ثَمَّ فهو مردود الشهادة ، حكمه حكم لاعب الميسر والنّرد ، والمتمسخر ، والرقاص ، واللاعب بالحمام يطيّرها ، ومن يدخل الحمّام بغير مئزر ، ومن يخاطب أهل بيته – بحضرة الناس – الخطاب الفاحش ، والشاعر المسرف الكذّاب ، والطفيليّ الذى يأتى طعام الناس من غير دعوة . . . ونحو هؤلاء[٣] .

* * *

فأما الذين أجازوا الألحان فى القرآن ، فقد عضّدوا رأيهم :

(ا) بما سبق أن ذكرناه من أن عمر بن الخطاب كان يقول لأبى موسى الأشعرى :

---

(١) أنظر:القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ١٦ و١٧ ، والنووى:التذكارفى أفضل الأذكار ص ١٢٠ .

(٢) المدخل جـ ١ ص ٥٠ و٥١ .

(٣) أنظر مثلاً : موفق الدين بن قدامة : المغنى على مختصر الخرقى جـ ١٢ ص ٤٦ – ٤٩ .

وابن قدامة المقدسى : الشرح الكبير المسمَّى بالشافى شرح المقنع لموفق الدين بن قدامة (مطبوع مع المغنى) جـ ١٢ ص ٥٥ – ٥٧ .

ذكّرنا ربّنا ، فيقرأ أبو موسى ، و (يتلاحن) ، وأن عمر كان يقول : من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل[١] .

(ب) ورووا أن ابن عباس وابن مسعود أجازا هذه القراءة[٢] .

(جـ) ورووا أن أبا حنيفة وأصحابه كانوا يستمعون القرآن بالألحان .

كما رووا أن الشافعى رئى ، مع بعض أصحابه ، يستمعون القرآن بالألحان .

وقالوا إن هذا أيضاً هو اختيار ابن جرير الطبرى[٣] .

(د) وروى عن ابن جريج أنه قال : سألت « عطاء » عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء ، قال : وما بأس ذلك يابن أخى ؟[٤]

(هـ) وقالوا – فى الردّ على محرّمى هذه القراءة : – « إنّ المحرّم لا بدّ أن يشتمل على مفسدة راجحة أو خالصة ، وقراءة التطريب والألحان لا تتضمن شيئاً من ذلك ، فإنها لا تخرج الكلام عن وضعه ، ولا تحول بين السّامع وبين فهمه »[٥] .

* * *

وقد انتهى صاحب « زاد المعاد » – فى أمر التطريب والتّغنى بالقرآن – بحكم نُقرّه عليه ، هو تحسينهما إذا اقتضتهما الطبيعة ، وسَمَحتْ بهما ، من غير تكلف ولا تمرين وتعليم ، وأن النفوس تقبل هذا ، وتستحليه ، وأن هذا هو الذى كان السّلف يفعلونه ويستمعونه ، وهو الذى يتأثر به السّامع والتالى .

أمّا ما كان – من ذلك – يعلّم بأنواع الألحان البسيطة والمركبة ، على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة ، ولا يحصّل إلا بالتعليم والتكلف ، فهذه هى التى كرهها السّلف ، وأنكروا على من قرأ بها[٦] .

* * *

وسماع النساء للرجال ، إذ يقرءون القرآن ، بصوت حلو ناعم مشوّق ، لا حَرَجَ منه غالباً فى الإسلام ، فعن أنس أن أبا موسى الأشعرى قام ليلة يصلّى ، فسمع أزواجُ النبى – صلى الله عليه وسلّم – وكان حلو الصّوت ، فَقُمن يسمعن ، فلما أصبح ، قيل له : إن النساء كنّ يسمعن ! فقال : لو علمت لحبّرتُكنّ تحبيراً ، ولشوّقتُكُنّ تشويقاً ![٧]

---

(١) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٥ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) نفس المرجع .
(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٦ ص ٩ .
(٥) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٦ .
(٦) نفس المرجع ص ١٣٧ و١٣٨ .
(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، المجلد ٢ ص ٣٤٤ و٣٤٥ (ط . بيروت) .

وقد سئل المرحوم عباس العقاد رأيه فى أثر القراءة بالألحان فيمن قد يثير الصوت الجميل نزواتهم ، فقال ، بعد أن حسّن قراءة الترتيل والتفصيل : « . . . ولكن ، ينبغى أن نذكر أن القارئ غير مسؤول عن عوج الطباع واختلال الأمزجة ، فإذا بلغ من سامعة — مثلا — أنها لا تصغى إلى صوت جميل إلا اقترن عندها بنزوات النفس ، وبلغ من سامع مثل ذلك ، كلما استمع إلى قارئة محسنة ، فالوزر — فى ذلك — على الطبع الأعوج ، لا على الصوت الجميل . ومنع المعوّج أوْلى من منع القراءة التى لا ذنب لها إلا أنها مقرونة بالجمال . . . .والحلال بيّن ، والحرام بيّن ، والدين يُسْر ، وليس بعسر ، قبل كل شىء ، وبعد كل شىء[1] . »

* * *

وقد أحب الناس للمصحف المكتوب أن يكون جميل الخطّ ، وبذلت البلاد الإسلامية فى هذا — على مدى القرون — جهوداً باهرة ضخمة . وهذا الجمال هو من بواعث القراءة وميسّراتها[2] .

ولا شك أن الحاجة إلى تجميل القراءة ليست أدنى من الحاجة إلى تجميل الكتابة ، ولا شك أيضاً أن التجميلين يتوافيان على غاية واحدة .

٦

بيد أنه تردّد أن بعض الناس — وخاصّة الموسيقيين — يرغبون فى تلحين القرآن تلحيناً تصحبه الموسيقى :

---

(١) جريدة الأخبار فى ٨ يونية ١٩٥٩ .

(٢) قال أبو الفتح كشاجم ، يصف أجزاء من القرآن ، أبياتاً جميلة منها :

من يتب خشية العقـاب فإنى   تبت أنسـاً بهـذه الأجزاء
حين جاءت تروقنى باعتدال   من قـدود وصبغـة واستواء
(سبعة) أشبهت لى السبعة الأنجم   ذات الأنوار والأضـواء
... ...
وهى مشكولة بعـدّة أشكا   ل ومقـروءة على أنحـاء
فإذا شئت كان (حمزة) فيها   وإذا شئت كان فيها (الكسائى)
... ...
... ...
فحقيق علىّ أن أقـرأ الـ   قـرآن فيهنّ مُصبحى ومسـائى

(انظر : الحصرى القيروانى : زهر الآداب وثمر الألباب جـ ١ ص ١٠١ بتحقيق على محمد البجاوى) .

١ – نشرت إحدى المجلات [١]، بعنوان : « القرآن والفنون »[٢]، مقالا قالت ، فى تقديمه ، إن فيه من اللمحات الفنية ما أوجب عليها أن تضعه بين يدى مثقَّفى قرائها . وتضمّن المقال :

(ا) أن حقّ تلحين القرآن مقطوع به ، وأنه « يستمدّ شرعية وجوده من هذه القراءات السبع » ، وأننا « فى حاجة فقط إلى فنان عربىّ عظيم مثل باخ[٣] ، وهندل[٤] ، وهايدن[٥] فى أعمالهم الدينية الرائعة والمعروفة بـ : "Oratorio"[٦]

(ب) وأن خير موسيقَى لتلحين القرآن هى موسيقى الكنيسة المصرية التى نجدها فى القُدّاس القبطى القديم ، وأن الأذان الإسلامى (الحالى) فيه جزء واضح من هذا القداس القبطى .

(حـ) وأنه كثيراً ما يختلط الأمر على كاتب المقال ، فلا يميز « بين صوت مقرئ (عجوز) (كذا) وصوت قسيس قبطى (عجوز) من كنائس الصعيد » (كذا أيضاً) .

(د) وأنه يقترح لتلحين القرآن « آلات موسيقية أساسية هى – بصفة مبدئية – : النّاى ، والمثلث ، والأرغن » ؛ ولكنه – فى خشيته على ما يظهر من أن ترمى فكرته بشىء من الإسراف ، أو فى إمعانه ، على ما يظهر أيضاً ، فى الاستهتار بالقرآن – استدرك ، أو مضى ، فقال : « وأنا لا أميل إلى إدخال الطبلة » .

(هـ) وأن القرآن « سيمفونية ضخمة من حركات كثيرة . . . وأقرب السيمفونيات إلى هذه السيمفونية الإلهية : السيمفونية التاسعة التى تنتهى إلى نشيد الفرح يردّده كل الناس » .

---

(١) مجلة « الأدب » التى كان يصدرها المرحوم الأستاذ أمين الخولى – ع . مايو ١٩٥٦ .

(٢) لم تذكر المجلة اسم الكاتب ، واكتفت بأن رمزت له بحرفى : ت . ح . وقد عرفتُ أن اسمه (توفيق حنا) .

(٣) Bach موسيقى ألمانى (١٦٨٥ – ١٨٥٠) ، والقليل من أعماله للبيانو ، والكثير والجيد للأرغن .

(انظر : Bernard Champigneulle : Histoire de La Musique ترجمه للعربية ثروت كجوك ص ٨٦ – ٩٢ .

(٤) Haendel موسيقى ألمانى أيضاً (١٦٨٥ – ١٧٥٩) ، مات فى لندن ، وكان قد أصابه العمى ، وله أعمال كثيرة للأرغن والآلات الأخرى ، مثل الكمان والفلوت والقيثار ، والقليل منها للبيانو .

(انظر : الكتاب السابق ص ٨٣ – ٨٦) .

(٥) Haydn الألمانى (١٧٣٢ – ١٨٠٩) ، كتب كثيراً من الألحان الآلية ، واستخدم البيانو كآلة رئيسية فى كثير منها ، وقلل من استخدام الأرغن ، فكتب أكثر من ٦٠ سوناتا Sonata للبيانو .

(انظر الكتاب السابق ص ١١٠ – ١١٣) .

(٦) سبق أن ادّعى آدم متس Adam Mez – على عادته وعادة بعض المستشرقين فى إرجاع أغلب المظاهر والشعائر الإسلامية إلى أصول مسيحية – أنّ قراءة القرآن بالتلحين « ربما كانت تقليداً لما جرى عليه النصارى فى كنائسهم » (الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ ٢ ص ٩١ (ط . ١٩٤٨ م) .

ومع أنى هنا بسبيل السرد المجرد للأمور التى دعتنى إلى التفكير فى جمْع القران جمعا صوتيًّا يحقق – ضمن ما يحقق – وجود النماذج الشرعية للقراءة ، ولست بسبيل مناقشة مثل ذلك الكلام ، فإنه لا مندوحة لى – فى غير إخلال بالموضوعية – عن التعقيب ، فى إيجاز ، على أقوال ذلك الكاتب :

(ا) إن الذين عرفوا شيئاً – ولو يسيراً جداً – عن القراءات يدركون بُعد ما بين القراءات السبع وبين ما أسماه ذلك الكاتب « شرعية » التلحين الموسيقى للقرآن .

(ب) واختيار الكاتب للموسيقى الكنسية المستعملة فى القداس القبطى لتكون مصدراً لتلحين القرآن موسيقيًّا ، وادعاءه بأن الأذان الإسلامى مأخوذ من هذا القدّاس بشكل واضح ، والادعاء بأن تلاوة القرآن وقراءة القداس سواء . . . هذا كله ترويج لدعاوى بعض المستشرقين المسيحيين الذين يعزون – فى تكلّف وتعصب – كل المظاهر والشعائر الإسلامية إلى أصول مسيحية ، والذين لا يفتأون يردّدون ، فى كل مناسبة ، دعواهم الباطلة . يقول جون تاكلى Gohn Takle عن المسلمين – فى حقد عليهم ، وعلى قرآنهم – وهذا مجرد مثل لدعاوى أولئك المستشرقين البعيدة جداً عن العدل والرشد – يقول تاكلى : « يجب أن نستخدم كتابهم – يعنى القرآن – وهو أمضى سلاح فى الإسلام ، ضد الإسلام نفسه ، لنقضى عليه تماماً ، ويجب أن نُرِى هؤلاء الناس أن الصحيح فى القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً »(١).

ويقول أحد دعاة النصرانية واسمه W.S. Nelson ، فى حقد مماثل : « إن الإسلام مقلِّد ، وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية ، وسائر ما فيه أُخِذ من الوثنية كما هو ، أو مع شيء من التبديل » (٢) .

وقد حاول جولد تسيهر – استناداً إلى الروايات الضعيفة ، وإلى أخبار بعض المطعون فى دينهم وخُلُقهم ، لدى علماء الجرح والتعديل – حاول أن يثبت أن اليهودية شاركت فى تأسيس الفكر الإسلامى (٣) .

وكذلك قال هذا المستشرق – فى مجافاة للحقائق الناصعة – إن « تبشير النبى العربى

---

(١) نقلاً عن :

Islam and Missions, by : E.M. Wherry, S.M. Zwemer and C.G. Mylrea, N.Y. 1911.

(وانظر : مصطفى خالدى ، وعمر فروخ : التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ٤٠) .

(٢) نقلا عن المرجع السابق .

(٣) انظر : مذاهب التفسير الإسلامى ، (ترجمة عبد الحليم النجار) ، فهذه المحاولة فيه واضحة .

ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية ، عرفها إذ استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثراً عميقاً »[١] .

على أننا أشرنا قبلا غير مرة إلى الحديث النبوى الذى ينهى – ضمنا – عن قراءة القرآن بلحون أهل الكتابين ، وهذا – وحده – كاف لدحض الادّعاء بوجود صلة بين الألحان القبطية وألحان القرآن ، وكاف لإسقاط القول بأن تكون موسيقى القداس القبطى مصدراً لتلحين كتاب الإسلام والعربية .

(حـ) ووصف القرآن بأنه سيمفونية لها أشباه فى سيمفونيات الغرب ، واقتراح استعمال الناى والمثلث والأرغن – بصفة مبدئية – فى قراءة القرآن ، ومحاولة تغطية الشطط فى هذا ، بقناع ممزق ، هو القول بعدم الميل إلى إدخال الطبلة . . . كلّ هذا يناقض خصائص القرآن ، ولا ينفعه ، وإنما يسىء إليه ، كما سنشرح ، بعد قليل ، وهو – بعدُ – يصدم شعور أتباع القرآن ، ويؤذيهم فى أعظم مقدّساتهم .

* * *

٢ – ونشرت الأهرام [٢] بعنوان : « خمس سور من القرآن تم تلحينها » ما نصّه :

« أرسل وكيل وزارة التربية والتعليم إلى صالح أمين مفتش الموسيقى بالوزارة الذى بدأ فى تلحين القرآن خطاباً يقول فيه :

إن الوزارة تبارك المشروع ، وإنها مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة موسيقية ، لتسجيل السوّر التى تم تلحينها ، وعرضها على هيئة كبار العلماء ، ثم تقديمها للإذاعة .

وقد أبدى عبد الوهاب حمودة عضو لجنة الاستماع بالإذاعة إعجابه بالسور الملحنة ، بعد أن غنّاها له على « العود » صالح أمين .

وقد أتمّ صالح أمين تلحين ٥ سور ، هى : المدثر ، والإنسان ، والنّور ، والفرقان ، والأنفال ؛ ويقوم الآن بكتابة « نُوتَها » الموسيقية .

وسيسبق كل سورة مقدمة موسيقية تصوّر المناسبة التى نزلت فيها السّورة » .

ومع أن وزارة التربية والتعليم نفت عاجلاً فى بلاغ رسمى [٣] مباركتها للمشروع ،

---

(١) انظر : العقيدة والشريعة ، (ترجمة : محمد يوسف موسى ، وعلى حسن عبد القادر ، وعبد العزيز عبد الحق) ص ١١ – ٢٠ .

(٢) فى ٧ أغسطس ١٩٥٨ .

(١) انظر : الأهرام ع ١٣ من أغسطس ١٩٥٨

وإسهامها فيه ، وحرصها على « أن يكون للدين مكانة ، وللقرآن المجيد قداسة » ، فإنّ نفيها وَقَفَ – طبعاً – عند ما يخصّها هى ، ولم يتجاوزه إلى الأمور الخطيرة الأخرى التى تضمّنها الخبر .

* * *

٣ – ونُشِر ، بعد ذلك[1] ، أن الموسيقار زكريا أحمد سيقوم بمحاولة فنية جديدة « لتلحين القرآن » ، و « أن فكرته هى : تصوير المعانى وضبط الأنغام فى الترتيل »[2] .

* * *

٤ – وذكر العالم السّورى مصطفى الزرقا أنه تلقّى من أحد الموسيقيين الأجانب الحديثى الإسلام سؤالا يقول فيه إنه « يريد أن يصوغ بعض سور القرآن فى مقطوعات من الموسيقى المجردة الصّامتة على طريقة السمفونيات ، بحيث تكون القطعة الموسيقية الواحدة معبرة بألحانها عن السّورة الفلانية وتخلّدها فى لحن فنّى » . ويسأل السائل : « هل هذا العمل مستحسن من الناحية الإسلامية ؟ »[3]

وعندى أن قراءة القرآن – على الآلات الموسيقية – تمسّ قداسته ، وتخلط بصوته القدسى

---

(١) انظر الأخبار ع ١٢ من أكتوبر ١٩٥٩ .

(٢) تقتضينى الأمانة أن أذكر أن المرحوم زكريا أحمد زارنى فى بيتى ، بصحبة الصديق المرحوم على أحمد باكثير ، ورجانى الإذن له فى الاشتراك – بأىّ قدر – فى تسجيل أحد المصاحف المرتلة بصوته .

وتلا – ليلتها – آيات من سورة المزّمل ، كنموذج للتلاوة التى يُؤْثِرها . وكان – فى تلاوته – يلتزم قواعد التجويد ، ولكنها كانت أقرب إلى الإلقاء التمثيلى .

ولما أبديت ملاحظاتى على أسلوبه فى التلاوة تلقاها بالرضى ، وقال فى امتثال : علمونى ، وعلىّ أن أنفذ ، وقال : كل قصدى أن تكون تلاوتى معبرة عن المعانى .

وذكر – وهو يضحك – أنه سمع قارئاً – يتلو بغير فهم – قوله تعالى : « سَأُصليه سَقَرَ ، وما أدراكَ مَا سَقر؟ لا تبقى ولا تذر» (المدثر/ ٢٦ و٢٧ و٢٨) ، وكانت القراءة بهيجة إلى درجة جعلتها أقرب إلى تصوير شىء جميل منها إلى تصوير النار ، وأهوالها المخوفة ، فصاح زكريا : ياناس ! ما دامت سَقر بالشكل الجميل دا وباللطافة دى : خدونى فيها ! .

ولقى زكريا ربه ، بعد أسابيع قليلة من الزيارة التى ذكر فيها أن الاشتراك فى تسجيل المصحف المرتل هو من أغلى أمنياته . جزاه الله صالحة على نيته .

ورحم الله « على أحمد باكثير » الذى وافته المنون بعد سنوات من ظهور الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، والذى كان يقدر فكرة (الجمع الصوتى الأول للقرآن) حقّ قدرها .

هذا ، والقراءة التى أسمّيها (المعبّرة) هى التى توائم المعنى وتظهره ، على نحو ما ذكرتُ قبلاً ، فى نفس هذا الفصل ، وبشرط أساسىّ هو أن تناسب جلال القرآن وقدسيته ووقاره ، وتستوفى كلّ أحكام التلاوة الشرعية .

(٣) انظر : العبادة فى الإسلام لا يجوز أن تصحبها الموسيقى – بحث فى مجلة الأزهر ع . المحرم ١٣٨٠ ص ٩٠ . وقد أفتى الزرقا بأنّ العمل موضوع السؤال لا يجوز شرعاً ، وسنفصّل القول فى هذا الآن بإذن الله .

أصوات المعازف ، وقد تَصْرِف السامع عن تدبّر المعانى والتأثر بها إلى الاستمتاع بالموسيقى ، وأنغامها ، وإيقاعاتها ،وقد تقحم – فى القرآن – حركات ، وتنزع منه حركات ، فمثلا ، قد تمدّ المقصور ، وقد تقصر الممدود ، بل قد تحدث مالا أصل له . وهذا يُفْضى غالباً إلى تغيير المعانى ، أو – على الأقل – وقوع اللّبس فيها . ومثل هذا حقيق – من الناحية الدينية – أن يفسّق صانعه ، ويؤثّم سامعه .

ثم ما جدوى قراءة القرآن على المعازف ، وهو – كما أشرنا آنفاً – له موسيقاه الخاصة ، وليس كالكتب الدينية الأخرى التى تستعين الموسيقى من الخارج ، لتظهر معانيَها وتكمل نقصَها ؟

والله تعالى يقول مؤنّباً قريشاً فى جاهليتها ومتوعّداً إياها : « وما كان صَلاتُهم عِندَ ٱلْبَيْتِ إلاَّ مُكَاءً وتَصْدِيَةً فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تكفُرُونَ »[1] .

اى ما كانت تلك العبادة – عندهم – إلاّ عملا يأخذ شكلاً موسيقيًّا خاصًّا :

فالمكَاء هو الصفير على لحن طائر فى ضرب القنبرة يقال له المكَّاء (بالضم والتشديد) ، سُمِّى بذلك لأنه يجمع يديه ، ثم يصفّر فيهما صفيراً حسناً[2]

وقيل : المكاء هو أن يجمع بين أصابع يديه ثم يدخلها فى فيه ، ثم يصفّر بها[3] .

وقيل : هو الضرب بالأيدى . قاله قتادة[4] .

والتصدية : هى الصفير . قاله مجاهد ، والسّدّى ، وابن عمر[5]

وقيل : التصدية : الصّياح . قاله قتادة[6] .

ويقول ابن عباس : كانت قريش فى جاهليتها تطوف بالبيت عراة يصفّقون ويصفّرون ، فكان ذلك عبادة فى ظنهم[7] .

والآية الكريمة – كما هو واضح – تفيد أن الله تعالى سيعاقب هؤلاء الكفّار بما اقترفوا من أعمال منكرة ذكرها قبل هذه الآية ، وبما أعطوا عبادتهم من لون موسيقى غير مشروع .

---

(١) سورة الأنفال / ٣٥ .

(٢) انظر : لسان العرب – (مكا) جـ ٢٠ ص ١٥٨ .

(٣) انظر : نفس المرجع .

(٤) انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٧ ص ٤٠٠ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) نفس المرجع .

(٧) نفس المرجع .

وكما يقول الزرقا : « انتشرت قبل الإسلام وبعده إلى اليوم طرائق التعبّد بالموسيقى ، واختلطت الأحاسيس والمشاعر الفنّية الجميلة وما ينشأ عنها من نشوة وطرب ، وامتزجت بالعبادة ومناجاة الله ، بينما أنّ الأحاسيس الفنية والعبادة هما أمران متباينان .

وإذا أصبحت العبادة موسيقى وأنغاما حقّ للفاسق فى الملاهى أن يعدّ نفسه متعبّدا بالنّشوة والإحساس الفنى من الموسيقى التى يسمعها فى الملهى كمن يسمعها فى المعبد »[١] .

وقد خاف الزرقا – فيما لو اصطحبت العبادة موسيقى خارجية – من أن يغيب العمل العقلىّ التعبّدىّ « تحت رداء النشوة الفنية ، فيخرج من حيّز العبادة والفكر السّامى إلى حيّز الطرب الذى يكون حظّ الحسّ فيه أكبر من حظّ العقل ، كما قد يكون حظّ غير المتعبّد فيه أوْفى من المتعبّد ، فيضيع معنى العبادة[٢]

* * *

لقد دعانى هذا كله إلى اختيار طريقة الترتيل المرسل ، فى تسجيل المصاحف المرتلة ، والنص عليها فى أحاديثنا ، مع المسؤولين ، حسبما أوضح شيخ الأزهر فى بيانه الرسمى [٣] ، آملين أن تكون هذه المصاحف نماذج ممتازة يقرأ المسلمون على نَسَقِها ، فى سهولة ويسر .

هذا ، والقراءة سنّة ، والثابت : أن النبى (ص) كان يقرأ القرآن مترسّلا .

٧

ومنذ قديم ، والابتداع الصوتى الخارج عن قواعد الأداء يثير نقد الناقدين :

يقول الجاحظ ، فى حديث عن اللحن : « . . . ثم اعلم أن أقبح اللحن : لحن أصحاب التقعير ، والتقعيب ، والتشديق ، والتمطيط ، والجهْورة ، والتفخيم ؛ وأقبح من ذلك : لحن الأعاريب النازلين على طرق السّابلة ، وبقرب مجامع الأسواق[٥] .

ولا ريب أن هذا الخروج – إذا كان متعلقاً بالقرآن – هو أحرى بالشّنآن والمنع .

---

(١) مصطفى أحمد الزرقا : المقال السابق .

(٢) نفس المقال .

(٣) انظر : مجلة الأزهر ع . أبريل ١٩٥٩ ص ٩٢٦ .

(٤) انظر : مسند أبى عوانة جـ ٢ ص ١٣٥ و١٣٦ .

(٥) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٥٩ (بتحقيق حسن السندوبى) .

وكذلك انتقد ابن قتيبة التكلف والشذوذ فى : المدّ المفرط ، والتشديد المتعب . . إلخ [١] :

* * *

ومن المبتدعات الصوتية التى تنافى جلال القرآن ، وتخرج عن قواعد أدائه ، وتناله بشىء من التحريف ، وتعوق – بالضرورة – حسن فهمه وتدبّره والتأثر به ، والتى كانت من بواعث التفكير فى الجمع الصوتى للقرآن ، ومن موجهات التخطيط لتسجيل المصاحف المرتلة الأئمة :

١ – القراءة بالترعيد :

وهو أن يرعد القارئ صوته ، كأنه يرعد من برد ، أو ألم أصابه [٢].

٢ – القراءة بالتطريب المفسد للمعنى :

وهو أن يترنم القارئ بالقرآن ، ويتنغم به ، على نحوٍ من شأنه أن يمدّ فى غير مواضع المدّ ، ويزيد فى المدّ على مالا ينبغى [٣] .

٣ – القراءة بالتحزين المصطنع :

وهو أن يأتى القارئ بتلاوته ، على وجه فيه حزن وتباكٍ متكلفان هما مظنة الرياء [٤] :

٤ – القراءة بالترقيص :

ومعناه : أن يرقص القارئ صوته بالقرآن ، فيزيد فى حروف المدّ حركات ، بحيث يصير كالمتكسّر الذى يفعل الرقص [٥] .

وقيل : القراءة بالترقيص هى أن يروم القارئ السكت على الساكن ، ثم ينفر عنه ، مع الحركة ، فى عدْوٍ وهرولة [٦] .

---

(١) انظر : ابن مطرف الكنانى : القرطين ص ١٥٠ – ١٥٤ .

(٢) التهـانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، مجلد ٢ ص ٥٥٢ .
والسيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٠١

(٣) التهـانوى : المرجع السابق مجلد ٢ ص ٩٠٠ ، والسيوطى : المرجع السابق .

(٤) السيوطى . المرجع السابق .

وأذكر فى هذه المناسبة أن المرحوم المطرب محمد فوزى صاحب مصنع الشرق للأسطوانات الذى كنت اتفقت معه على طبع تسجيلات الجمع الصوتىّ الأول للقرآن الكريم ، قبل أن تتولى طبعه وزارة الأوقاف ، عَرَض علىّ مرة – بحسن نيّة – أن يسبق التسجيل القرآنى صوت موسيقى قريب من صوت الصدى ، وقال إنّ ذلك سيزيد القراءة تأثيراً وشجى ، فرددت فى الحال بما دَفَن الفكرة الخاطئة دفناً .

(٥) على الضباع : مبتدعات القرّاء فى قراءة القرآن الكريم – مجلة كنوز الفرقان ع . ربيع الأول ١٣٦٨ .

(٦) التهانوى : المرجع السابق مجلد ١ ص ٥٦٣ ، والسيوطى : الإتقان حـ ١ ص ١٠٢ .

٥ – القراءة بالتحريف :

وهو ما أحدثه الذين يجتمعون ، ويقرءون بصوت واحد ، فيقطعون القراءة ، ويأتى بعضهم ببعض الكلمة ، والآخر ببعضها الآخر ، ويحافظون على مراعاة الأصوات . تحدّث على بن سلطان القارى عن هذه القراءة، فقال :

« ومن القراءة المنهية ما أحدثه الجماعة الأزهرية ، حيث يجتمعون ، فيقرءون بصوت واحد ، ويقطعون القرآن ، فيأتى بعضهم ببعض الكلمة ، والآخر ببعضها ، ويحذفون حرفاً ، ويزيدون آخر ، ويحرّكون السّاكن ، ويسكّنون المتحرك ، وأمثالها ، ويمدّون تارة ، ويقصرون تارة ، فى غير محالّها ، مراعاة للأصوات خاصّة دون أحوالها ، مع أن الغرض الأهمّ من القراءة إنما هو تصحيح مبانيها ، لظهور معانيها بما فيها »[٢] .

٦ – القراءة باللين والرخاوة فى الحروف ، وكونها غير صلبة ، بحيث تشبه قراءة الكسلان[٣]

٧ – النَّقْر بالحروف عند النطق بها ، بحيث يشبه القارئُ المتشاجِرَ .

٨ – تقطيع الحروف ، بعضها من بعض ، بما يشبه السكت ، خصوصاً الحروف المظهرة ، وذلك بقصد زيادة بيانها .

٩ – إشباع الحركات ، بحيث يتولّد منها حرف مدّ ، مع ما فى ذلك من إفساد للمعنى .

١٠ – مبالغة القارئ فى القلقلة فى حروفها ، حتى يبلغ بها مرتبة الحركة .

١١ – إعطاء الحرف صفة مجاوِرِه ، قويّةً كانت أو ضعيفة .

١٢ – تفخيم الراء الساكنة ، ولو كان قبلَها ما يُوجب ترقيقَها .

١٣ – إشراب الحرف بغيره .

١٤ – إشباع حركة الحرف الذى قبل الحرف الموقوف عليه .

١٥ – تحريك الحروف السواكن كعكسه .

١٦ – زيادة المدّ فى حروفه ، على المدّ الطَّبَعى ، بلا سبب .

١٧ – المبالغة فى إخفاء الحروف بحيث يشبه المدّ .

١٨ – النقص عن المدّ الطَّبَعىّ فى حروفه .

---

(١) السيوطى : المرجع السابق .

(٢) المنح الفكرية على متن الجزرية ص ٢٨ .

(٣) انظر – فى شأن هذا العيب والعيوب التالية – على الضباع : البحث السابق .

١٩ – ضمّ الشفتين ، عند النطق بالحروف المفخمة المفتوحة ، لأجل المبالغة فى التفخيم .

٢٠ – شوب الحروف المرقّقة شيئاً من الإمالة ، ظنًّا من القارئ أن ذلك مبالغة فى الترقيق .

٢١ – مدّ ما لا مدّ فيه ، كمدّ واو « مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ »[1] وصلاً وياء « غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ »[2] ، (لأنّ الواو والياء – إذا انفتح ما قبلهما – كانا حرفَيْ لين لامدّ فيهما) .

٢٢ – تشديد الهمزة إذا وقعت بعد حرف مدّ ، كما فى كلمتى : « أُولَٰئِكَ » و « يَٰأَيُّهَا » ، بقصد المبالغة فى تحقيقها وبيانها .

٢٣ – لوك الحروف ، كما يفعل السَّكران ، فإنه – لاسترخاء لسانِه وأعضائه نتيجةَ السُّكْر – يفقد الفصاحة فى كلامه .

٢٤ – المبالغة فى نبر الهمزة وضغط صوتها ، حتى تشبه صوت المتقيئ .

٢٥ – ترك التجويد مطلقاً :

وهذا ملحوظ – الآن – فى نسبة كبيرة من أبناء هذا الجيل . وهو أمر خطير من وجهة النظر الإسلامية ، وقد وُصف فاعله بأنه آثم :

تقول الجزرية قولتها المشهورة :

والأخذ بالتجويد حتم لازم ... من لم يُجَوِّدِ القُران آثم

لأنــه بـه الإلـه أنــزلا ... وهـكذا منه إلينا وَصَلا

ويقول برهان الدّين القلقيلى – فى شرحه على متن الجزرية – : « وقد صح أن النبى – صلى الله عليه وسلّم – سمى قارئ القرآن بغير تجويد : فاسقاً ، وهو مذهب إمامنا الشافعى – رضى الله عنه – لأنه قال : إن صحّ الحديث فهو مذهبى ، واضربوا بقولى عرض الحائط »[3] .

* * *

فشا هذا كلّه ، على نحو جدير أن يزعج الحريصين على بقاء القرآن سليماً من حيث الأداء أيضاً .

---

(١) سورة الفاتحة / ٤ .

(٢) سورة الفاتحة / ٧ .

(٣) انظر : محمد مكّى نصر : نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص ١٠ .

وفشا هذا كلّه ، على نحو خليق أن يذكّرنا بما جاء فى « نهج البلاغة » منسوباً إلى على ابن أبى طالب من أنه سيأتى زمان « ليس عند أهله سلعة أَبْوَر من الكتاب إذا تُلِىَ حقّ تلاوته ، ولا أَنفق منه إذا حُرِّف عن مواضعه »[١]

وزاد الأمر خطراً أن المماراة فى الأمور الصوتية يسيرة ، كما ذكرنا من قبل ، وأن هذه المبتدعات قد يقع بعضها فى المحاريب ، فتكون واسعة الأثر ، وبعضها أصبح – لدى بعض القراء – أساساً فى القراءة فى المآتم والمحافل ، أو لدى بعض الصوفية فى مجالسهم ، أى أن الخطأ يصدر من جهات قيادية تجعل انتشاره مرجَّحاً بل مؤكَّداً .

* * *

وتمنيت وسيلة عملية سهلة تكفل تعميم قراءة القرآن ، على نحو خال من كل تلك العيوب والمبتدعات ، وتعطى الحروف حقوقها ، وتردّها إلى مخارجها وأصولها[٢] .

وتمنيت أن لا تخرج هذه الوسيلة ، فى الوقت نفسه ، عن السّنّة المتّبعة والقواعد المأثورة منذ عهد النبوة ، من إبراز المعنى ، بحيث يؤثّر فى السامع ، إلى أبعد مدى ، وهو مالا يقع غالباً إلا إذا كان القارئ مستحضراً بعقله وقلبه معانى ما يقرأ ، وإلا إذا أوضح بصوته – عن فهم – ما يليق بكل آية[٣] ، وكما يقول ابن قيم الجوزية : « تلاوة المعنى أشرف من مجرّد تلاوة اللفظ ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء فى الدنيا والآخرة ، فإنهم أهل تلاوة ومتابعة حقًّا »[٤] .

ولفتتنى التوصيات الدائبة بالعمل على « جمع التراث الغنائى العربى بمختلف أنواعه ، وتسجيله ، وتدوينه – نصًّا ولحناً – إبقاءً عليه من الضياع » ، والتوصية بالعناية بجمع التراث

---

(١) جـ ٢ ص ١٠٣ .

(٢) لم أشترط فى مسجلى المصاحف المرتلة أن يكونوا – فحسب – من أصحاب الأصوات التنغيمية الممتازة ، ولذلك لما كتبتُ – باسم وزارة الأوقاف – صيغة الإعلان عن مسابقة قرآنية عامة ، لاختيار عدد من القراء لتسجيل القرآن برواية ورش عن نافع ، اشترطت – لدخول هذه المسابقة – أن يكون المتقدم مجازاً فى القراءات من شيخه إجازة كتابية ، أو متخرجاً فى معهد القراءات التابع للأزهر ، وأن يكون عارفاً بوسائل القراءات ، وأعلنت – باسم الوزارة – أن المتسابقين سيمتحنون شفويًّا فى الحفظ والأداء والأحكام ، على ما فى الكتب المتخصصة ، وبعد هذا يؤدى الناجحون بامتياز فى هذه المسابقة امتحاناً صوتيًّا أمام لجنة فنية أخرى .

(٣) انظر فى هذا : ابن قدامة المقدسى : مختصر منهاج القاصدين ، لابن الجوزى ص ٤٣ – ٤٥ .

(٤) مفتاح دار السعادة ، ومنشور ولاية العلم والإرادة جـ ١ ص ٤٤ .

العلمى الغنائى من مخطوطات عربية أو بحوث تتصل بهذه الناحية[1] ، فذكرت أن القرآن — وهو أعزّ مواريث المسلمين ، وأجلّها — أَوْلَى بمثل هذا العمل ، بل أَوْلَى بأعظم من هذا العمل ، فقلت ، فى مذكرتى الأولى عن هذا المشروع :

« ولقد عُنيت الهيئات الثقافية فى الإقليم المصرى بتسجيل الأناشيد والأغانى ، ولذلك ليس غريباً أن نسمع شبابنا وصبياننا يكثرون ترديد هذه الأناشيد والأغانى ، مع ما فى عبارات الأغانى — أحياناً — من معان غير باعثة ولا نظيفة ؛ ولا ريب أن كلام الله المكنون أحق بهذه العناية ، وبما هو أكثر منها » .

قلت هذا ، وتمثّلتُ أمنيّتى فى نماذج صوتية للترتيل الشرعى بشروطه تلك ، وأحسست الحاجة ماسّة جدًّا إلى هذه النماذج ، لتكون مثل مصاحف عثمان أئمة يُقْتدى بها ، ويُرجع — عند الشك والنسيان — إليها ، ويُحتكم — عند الاختلاف — لديها ، وينقطع النزاع عندها .

ولعل مشروع الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم ، حين يتم بكل مخططاته التى وضعناها ، أن يحقق الأمنيّة ويسدّ الحاجة .

---

(١) انظر مثلاً : توصيات الحلقة الثانية لبحث الموسيقى العربية فى المدة من ٢٦/١١/١٩٦١ إلى ١٨/١٢/١٩٦٣ ، بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ص ٧٥ .

الفصل الثانى

تيسير القرآن للحفظ والتعلّم

١

يهتم المسلمون – منذ كانوا – بتعليم أولادهم القرآن :

يقول عبد الملك بن مروان لمؤدّب ولده : « علّمهم الصدق كما تُعلّمهم القرآن »(١) .

وهشام بن عبد الملك يقول لسليمان الكلبي لما اتخذه مؤدِّباً لابنه : « . . . وأوّل ما أوصيك به : أن تأخذه بكتاب الله ، ثم روِّه من الشّعر أحسنَه . . . إلخ »(٢) .

والرشيد يقول للأحمر معلّم ولده الأمين وليّ عهده : « . . . فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين : أقرئه القرآن ، وعرّفْه الأخبار »(٣) .

وتعليم القرآن شعار من شعارات الدين ، أخذ به المسلمون ، ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم ، وجعلوه أصل كل تعليم عندهم(٤)

والقرآن مطلوب الحفظ لفظاً ومعنى ، بل إن فهم المعنى والأخذ به لا يكونان إلا عن طريق تلاوة الألفاظ أو استماعها ، ثم تدبرّها والتذّكّر بها .

وقد أوجب الإسلام على كل مسلم أن يحفظ شيئاً من القرآن ، حتى تصح صلاته ، والصلاة – فى الإسلام – هى أحد أركانه .

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ ٢ ص ١٦٧ .

(٢) الراغب الأصفهانى : محاضرات الأدباء جـ ١ ص ٢٩ .

(٣) البيهقى : المحاسن والمساوئ ص ٦١٧ .

(٤) انظر : صديق حسن خالد : أبجد العلوم المسمى بالوشى المرقوم ص ٦٦ وما بعدها .

٢

وقد جرت عادة كثير من المسلمين على الابتداء بتعليم الصغار القرآن ، حين يمضى عليهم أربع سنين ، وأربعة أشهر ، وأربعة أيام ، حتى ظُنَّ أن لهذا أثراً فى الحديث أو السلف[١] .

ولئن كان مالك – فيما قيل – كره التعجيل بتعليم الطفل القرآن ، فلعلّه لم يكره ذلك إلا « خشية أن ينطق به على خلاف ما ينبغى له من إقامة الحروف وإخراجها من مخارجها ، أو أن فى إعجاله منعاً من الذى ينبغى أن يُفسح له فيه من اللهو المقيم لبِنْيَة الأطفال المروّح لأنفسهم »[٢] .

على أن الأخبار التعليمية – عند المسلمين – تفيد أن كثيرين حفظوا القرآن فى سنّ باكرة . ومن ذلك ما ذُكر من أن الشافعى حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين[٣] ، وما ذُكر من أن جلال الدين السيوطى حفظ القرآن وله دون ثمان سنين[٤] .

* * *

وما جرت عليه عوائد المسلمين من أخذ الصبى بكتاب الله فى أول أمره ، حتى لو كان يقرأ مالا يفهم ، يعزُوه صاحب « أبجد العلوم » إلى « إيثار التبرّك والثواب ، وخشية ما يعرض للولد ، من جنون الصّبا ، من الآفات والقواطع عن العلم ، فيفوته القرآن »[٥] .

ويقول مفسرو المسلمين ، عن النبى « يحيى » ، فى قوله تعالى : « وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا »[٦] : « أراد بالحكم فهمَ الكتاب ، فقرأ التوراة وهو صغير »[٧] .

ورَوَوْا أنّ بعض السلف قال : « من قرأ القرآن – قبل أن يبلغ – فهو ممن أُوتى الحكم صبياً[٨] . »

---

(١) محمد طاهر الفتنى : مجمع بحار الأنوار جـ ٢ ص ٥١٣ .
(٢) انظر : الكتانى : التراتيب الإدارية جـ ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ .
(٣) ابن هداية الله الحسينى الملقب بالمصنف : طبقات الفقهاء الشافعية ص ٣ .
(٤) السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة جـ ١ ص ١٤٠ (ط . المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٧ هـ) .
(٥) ص ٦٦ .
(٦) سورة مريم / ١٢ .
(٧) انظر : الخازن : لباب التأويل فى معانى التنزيل جـ ٣ ص ٢٨٤ .
(٨) انظر : نفس المرجع .

واختلفت مذاهب البلاد الإسلامية ، فى طريقة تعليم القرآن للصِّبية ، ولكنها كلّها ترمى إلى التمكين له[١] ؛ وسنّوا للمحفّظين آداباً ، ورسموا لهم مناهج ، وشرطوا فيهم شروطاً[٢] .

* * *

والبلاد الإسلامية – على مسار الزمن ، وجيلا بعد جيل – ما برحت تنشىء ، فى مدائنها وقراها ، ألوف الكتاتيب والمدارس القرآنية .

وفى القصّة الطريفة لتاريخ تقرير الراحة الأسبوعية لتلاميذ المكاتب أن الصحابة كانوا – قبل ولاية عمر بن الخطاب – « إنما يقرئ الرجل ابنته وأخاه الصغير ، ويأخذ الكبير عن الكبير مُفَاهَمَةً » ، فلما كثرت الفتوحات ، أمر عمر ببناء المكاتب ، « وكانوا يسرمدون القراءة فى الأسبوع كلّه ، فلما فتح عمر الشام ، ورجع للمدينة ، تلّقاه أهلها ، ومعهم الصبيان ، وكان اليوم الذى لاقَوْهُ فيه يوم الأربعاء ، فظلوا – معه – عشيّة الأربعاء ، ويوم الخميس ، وصدر يوم الجمعة ، فسنَّ لصبيان المكاتب الراحة ، فى هذه الأوقات ، ودعا على من عطّل هذه السُّنّة »[٣] .

* * *

ويبدو أن تعليم القرآن موغل – منذ قديم – فى كل بقعة إسلامية إيغالا يفوق الظنون ، فقد حكى ابن خرداذبة[٤] – فى حديثه عن سدّ يأجوج ومأجوج – أن الخليفة الواثق بالله أراد أن يستخبر خبر هذا السّدّ ، فأوفد « سلاّم الترجمان » لهذه المهمة ، ومعه خمسون رجلاً : شباب أقوياء ، وحكى سلاّم ، فقال : « . . فأقمنا عند ملك الخزر يوماً وليلة ، حتى وجّه معنا خمسة أولاد ، فسرنا من عنده ستّة وعشرين يوما ، فانتهينا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة ، وكنا قد تزوّدنا – قبل دخولها – خَلاًّ نشمّه من الرائحة المنكرة ، فسرنا فيها عشرة أيام ، ثم صرنا إلى مدن خراب ، فسرنا فيها عشرين يوماً ، فسألنا عن حال تلك المدن ، فَخُبِّرنا أنها المدن التى كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها ، فخربوها ، ثم صرنا إلى حصون ، بالقرب من الجبل الذى فى شعبة منه السدّ ، وفى تلك الحصون قوم يتكلمون العربية والفارسية مسلمون يقرأون القرآن ، ولهم كتاتيب ومساجد . . . إلخ » .

---

(١) انظر : صديق حسن خالد : أبجد العلوم ص ٦٦ وما بعدها .

(٢) انظر : ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة ص ٢٤ .

(٣) الكتانى : التراتيب الإدارية جـ ٢ ص ٢٩٣ و٢٩٤ .

(٤) انظر كتابه : المسالك والممالك ص ١٦٢ – ١٧٠ .

٣

والمسلمون يعتبرون تعليم القرآن ، والبذل من أجله ، من أول وسائل التقرب إلى الله ؛ ولذلك ، وقف أثرياؤهم الكثير من أموالهم على هذا التعليم .

وفى مصر بالذات ، « كان مقرأ ورش : شيخ القراء ، وإمام أهل الأداء »[١] ، وفيها ، كانت معاهد الإقراء الكبرى التى خدمت القرآن وعلومه ، والتى كانت تجاوز الألفين فى القاهرة وحدها ، ما بين كتاتيب ومقارئ مفرقة فى المدارس ، والمساجد ، والزوايا ، والمشاهد ، والتكايا ، والملاجئ ، والمستشفيات[٢] .

وما برح القرآن يرتّل فى المحاريب ، والمحافل ، وفى مناسبات كثيرة ، وكانت الرسوم تجرى قديماً — فى جوامع مصر — إذا سلّم الإمام من صلاة الغداة ، أن يتلو القرآن[٣] .

ويعتقد المصريون « أن قراءة القرآن — فى البيوت ، أو فى الدكاكين — تجلب إليها البركة وتبعد الشياطين »[٤] .

وفى حديث حذيفة أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال « : إنّ القوم يبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً ، فيقرأ صبىٌّ من صبيانهم فى الكتاب : « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ » فيسمعه الله تعالى ، فيرفع عنهم — بذلك — العذابَ أربعين سنة »[٥] .

يقول ابن حجر : « ولهذا الحديث شاهد ، فى مسند الدّارمى ، عن ثابت بن عجلان ، قال : كان يقال : « إنّ الله ليريد العذاب بأهل الأرض ، فإذا سمع تعليم الصبيان بالحكمة صرف ذلك عنهم ، يعنى بالحكمة : القرآن »[٦] .

والولد الحافظ للقرآن — حتى فى رأى البسطاء الآخذين أحياناً بالكتب التافهة — هو

---

(١) ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ١ ص ٥٠٢ و٥٠٣ .

(٢) على الضباع شيخ المقارئ المصرية ، فى خطبة له ، فى حفل للجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم — مجلة كنوز الفرقان ع . أبريل ١٩٤٩ .

(٣) انظر : المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٢٠٥ .

(٤) أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ص ١٢٤ و١٢٥ .

(٥) انظر : ابن حجر العسقلانى : الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف ص ٣ .
والفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١ ص ١٨٨ .

(٦) نفس المرجع .

هدية الله لأبويه يسرّهما به ، ويرحمهما به ، فى الدنيا والآخرة[١] .

وظل حفظ القرآن ، فى مصر ، إلى وقت قريب ، هو رأس الواجبات التى يُكَلَّفُها النشءُ فى المرحلة التعليمية الأولى ، فكانت المادةُ الرئيسية الغالبة ، فى سائر الكتاتيب والمدارس الأوّلية ، هى حفظ القرآن مجوّداً ، وكانت المواد الدراسية الأخرى – فوق كونها ثانوية – تقصد إلى خدمة هذا الحفظ .

والذين كانوا « يختمون » القرآن فى هذه المدارس والكتاتيب ، كانوا بمثابة « شتلات » صالحة تُنقل إلى أرض الأزهر ، فيزكو نباتها .

ولم تكن أبواب مدارس المعلمين الأولية ، والأزهر ، ومعاهده ، ودار العلوم وتجهيزيتها ، ومدرسة القضاء الشرعى تفتح أبوابها لغير حافظى القرآن المجوّدين .

٤

غير أن التعليم الرسمى – فى مصر – قام ، منذ أواخر الثلاثينات من هذا القرن ، على أساس الوحدة العامة ، وأخذ بالنظام المدنى الذى لا يلتزم بتحفيظ القرآن وتجويده ، بل يكتفى منه ببعض الآيات والسّور القصيرة تُحفظ وتُدرس دراسة سطحية ، فى حصص الديانة ، وهى حصص قليلة العدد ، ولا يعبأ بها الطلبة كثيراً ، لأنهم لا يؤدّون فى مقرراتها امتحاناً مَرْجُوًّا أو مَخْشِيًّا . ولهذا ، قلّ ، أو انعدم – فى ذلك النظام التعليمى – التفرغ لحفظ القرآن وتجويده .

فأما كتاتيب القرآن ومدارسه ، فقد صُرف النشء عنها – بالضرورة – إلى التعليم المدنى الذى كان – على الأغلب – سبيل الظفر بالشهادات الموصّلة إلى كل أو جلّ الوظائف العامة . وبقيت لهذه الكتاتيب والمدارس بقايا متواضعة تضم من يذودهم عنه التعليم العام ، لعاهات جسمية ، أو لأسباب أخرى[٢] .

وأغْضى الأزهر مضطرًا عن الشرط الذى التزمه طول عمره ، وهو شرْط حِفْظ القرآن عند كل راغبى الالتحاق به ، فَقَبِل – فى معاهده وكلياته – مَنْ لا يحفظون القرآن ، وإن كان اشترط – لصيانة الشّكل فيما نظن – حفظ أجزاء يسيرة منه .

على أن من دواعى الأمل فى المستقبل صدور القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن تنظيم

(١) أبو معشر الكبير – المولودون فى برج الحمل والمريخ ص ١٤ .

(٢) انظر : جبهة علماء الأزهر : مذكرة بشأن حفظ القرآن الكريم ص ٢ (مطبوعة فى سبتمبر ١٩٥٩ م) .

الجامع الأزهر والهيئات التى يشملها ، فهو – كما تفيد المذكرة الإيضاحية لمشروعه – يستهدف تأهيل العالم الدينى للتخصص فى عمل من أعمال الخبرة والإنتاج التى تحتاج إليها نهضة المسلمين فى كل البلاد ، محاولاً بذلك علاج مشكلة التبطل بين خريجى الأزهر ، وما تستتبعُ من آثار سيئةٍ كثيرة [١] .

ويُعنى هَذا القانون ، فى الوقت نفسه ، بالاحتفاظ للأزهر بطابعه وخصائصه ، وصفته التاريخية المتميزة ، وإبقائه – كما كان منذ أكثر من ألف سنة – حصناً للدين والعروبة : « يرتقى به الإسلام ، ويتجدد ، ويتجلى فى جوهره الأصيل ، ويتسع نطاق العلم به ، فى كل مستوى ، وفى كل بيئة ، ويذاد عنه كلّ ما يشوبه وكلّ ما يُرمى به » [٢] .

ونعتقد أنّ فى رأس ما يكفل كلّ هذه الأغراض أن يلتزم أبناء الأزهر بحفظ القرآن الحفظَ الشاملَ الحقيقيّ الذى طالما امتاز به علماء الأزهر .

فأما مدارس المعلمين الابتدائية ، وكلية دار العلوم ، فقد أصبحت جميعاً لا تشترط حفظ القرآن . وأما مدرسة القضاء الشرعى فقد زالت مبكراً من الوجود التعليمى المصرى .

* * *

وبذل المعنيون بالقرآن جهوداً كبيرة فى محاولة تعميم حفظه ، وإنشاء مدارس وجمعيات ، فى أغلب أرجاء مصر ، لتعليمه [٣] . ولكن تيارات التعليم المدنى الكفيل بتفوق أصحابه –

(١) انقطع الأزهر عن الحياة العامة طويلاً (انظر : طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣٥٠ – ٣٥٦) . وكان من آثار هذه العزلة ، وخاصة بين أهل القرآن ، أن اضطر بعض الناس إلى الانصراف عنه . وقد عثرنا فى عدد قديم من « نور الإسلام » التى كانت تصدرها مشيخة الأزهر على نصّ سؤال موجّه إلى هذه المجلة ، ومنه يتبين كيف كانت النفوس موزّعة بين رغبة فى دراسةٍ ظاهرة النفع فى الدّنيا ، وخشيةٍ من أن يكون ترك تعلّم القرآن مخالفاً للشرع .

وهذا نص السؤال :

« عندنا رجل كلما ذكر – بمجلسه – تعليم القرآن ، يقول : هذا الزمن ليس زمن القرآن ، وليس فى تعليم القرآن فائدة ، إنما الفائدة كلها فى تعليم المدارس . وكلما اجتمع بمن له ابن فى المكتب الذى يعلّم القرآن ، يقول له : هذا خطأ منك ، لأن القرآن ليس فيه فائدة ، والاشتغال به تضييع زمن على الأولاد ، فنرجو أن تبينوا ماذا عليه شرعاً فى النهى على تعلم القرآن » .

حسن مدنى حسن : التاجر بالغردقة

(ع . شعبان سنة ١٣٥٣ هـ) .

(٢) انظر : وزير الدولة كمال الدين محمود رفعت (المرحوم) : المذكرة الإيضاحية لمشروع هذا القانون فى : كتاب « الأزهر – تاريخه وتطوره » ص ٥٠٤ – ٥١٤ .

(٣) من أمثلة المحاولات التى بذلت فى هذا الشأن : إنشائى عدداً من المجالس القرآنية المسائية ، فى بعض مدارس الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم ، إبان رياستى لها سنة ١٩٥٩ ، لتعليم القرآن حفظاً وأداء وأحكاماً . ولم تعمّر هذه المجالس طويلاً ، لأسباب أهمّها العجز المالى .

اجتماعيًّا ، واقتصاديًّا – على أصحاب التعليم الديني – قبل صدور القانون التنظيمي الأخير للأزهر – كانت أقوى من هذه الجهود ، فلم يتحقق المأمول .

* * *

نقص عدد الحفاظ بشكل لافت ، وأظهرت النتائج الرسمية لامتحانات القرآن ضعف الحفظ عند كثيرين من خريجي الأزهر ورجال المساجد ، وبدا كأنّ وَجه ذلك التاريخ التعليمي للقرآن وشيك التغير ، وأصبح موت أي حافظ حاذق للقراءات خسارة يصعب تعويضها ، وفي الصحيح : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبضه بقبض العلماء »[1] ، وبات علينا أن نحذّر المسلمين مغبة ذلك النقص ، ونخيفهم من ازدياده ، ونلتمس الوسائل لدرئه ، ولكفالة تعميم حفظ القرآن ، وتيسيره للناس ، فكانت وسيلتنا – إلى هذا أيضاً – المصاحف المرتلة التي تزود سامعها بمعلمين يقرئونه كأحسن ما يكون الإقراء ، ويدرّسون له وقتما يشاء .

٥

والنساء ما مدى إفادتهن من المصاحف المرتلة ؟

ونبادر ، فنذكر أن المرأة – في ظل الإسلام – غيرها فيما قبله ، فقديماً – كما يعرف الدارسون – لما قرر أفلاطون ، في جمهوريته ، مبدأ مساواة المرأة بالرجل في حق التعلم وما يتفرع عليه من حقوق ، سخر منه مفكرو اليونان ، وفلاسفتهم ، وشعراؤهم .

وربما كان من مظاهر هذه السخرية أن « أريستوفان » أكبر شعراء الملهاة عند اليونان خصص لهذه السخرية التمثيليتين المعروفتين : « برلمان النساء » و « بلوتوس » .

وفي مجال القرآن ، نذكر أن ثلاثاً من نساء النبي صلى الله عليه وسلم كانت لهن مصاحف

= ومن المحاولات العظيمة التي بذلت : إنشاء حلقات في مساجد وزارة الأوقاف لتحفيظ القرآن ، على عهد السيد أحمد عبد الله طعيمة ، في سنة ١٩٥٩ أيضاً . وكان مقرر اللجنة المشرفة على هذه الحلقات هو صاحب مشروع الجمع الصوتي لدول القرآن، وكنا كتبنا في الطبعة الأولى لهذا الكتاب ما نصّه : « وقد فتر الآن كثيراً عمل هذه الحلقات ، ونأمل في فضل الله أن يعيننا على إعادتها قريباً أعزّ جانباً، وأبعد غاية ، وأنجح سعياً » . فالآن ، نذكر أنه ، بحمد الله وتوفيقه ، تحقق الكثير من المقصود برعاية وزير الأوقاف السابق الدكتور عبد الحليم محمود .

(١) انظر : الدارمي : سنن الدارمي : باب في ذهاب العلم ج ١ ص ٧٧ .

وأبو إسحق الشاطبي : الموافقات ج ١ ص ٤٧ و٤٨ – المقدمة الثانية عشرة .

خاصة ، على نحو ما بيّنّا فى موضع آخر . وقد عدّهن العادّون ضمن القراء من أصحاب النبى (ص)[١] ، وإحداهن : حفصة بنت عمر هى التى حفظت – بعد أبيها – نسخة الجمع الأول التى كانت أُولى مراجع لجنة الجمع العثمانى .

ووعى التاريخ تراجم نساء كنَّ ذوات شأن فى خدمة القرآن :

فأم ورقة بنت عبد الله بن الحارث التى استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم – حين غزا بدرا – فى أن تخرج مع المسلمين ، تداوى جرحاهم ، وتمرّض مرضاهم ، والتى أمرها النبى أن تؤم أَهل دارها ، والتى كان النبى يسميها الشهيدة كانت قد جمعت القرآن .

وميمونة بنت أبى جعفر القعقاع المدنى أحد القراء العشرة المختارين روت القراءة عن أبيها ؛ وروى القراءة عنها آخرون[٣] .

وحفصة بنت سيرين المتوفاة سنة ١١٦ هـ ، وأخت محمد بن سيرين ، وكانت زاهدة عابدة ، قرأت القرآن ، وهى بنت اثنتى عشرة سنة[٤] .

وكان فى قصر زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور ، وزوجة هرون الرشيد ، وأم ولده الأمين « مائة جارية تقرأ القرآن ، فكان يُسمع من قَصْرها دويٌّ كدويّ النحل من القراءة »[٥] .

وذكر ابن فياض ، فى تاريخه ، فى أخبار قرطبة ، أنه كان بالرَّبَض الشّرقى من قرطبة مائة وسبعون امرأة ، كلّهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفىّ ، وكان هذا فى ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها ؟[٦] .

وعائشة بنت إبراهيم بن صديق زوج الحافظ المزّى المتوفاة سنة ٧٤١ هـ كانت تحفظ القرآن وتلقّنه النساء ، « وكانت عديمة النَّظير لكثرة عبادتها ، وحسن تأديتها القرآن ، تفْضُل فى ذلك على كثير ، وأقرأت عدة من النساء وختمن عليها ، وانتفعن بها . . . »[٧]

---

(١) السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٧٢ .

(٢) نفس المرجع ص ٧٨ .

(٣) ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ٢ ص ٣٢١ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٧٥ .

(٥) نفس المرجع جـ ٢ ص ٢١٤ .

(٦) نقلاً عن : عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ٣٧٢ .

(٧) انظر : ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة – السفر الثانى ، ص ٢٣٥ – الترجمة رقم ٢٠٨٠ (ط . حيدر أباد الدكن ، سنة ١٣٤٨ هـ) .

وأسماء بنت الفخر إبراهيم بن عرصة المتوفاة سنة ٨٠٧ هـ ، كانت تلقّن النسوة القرآن ، وتعلمهنّ العلم والقُرَبَ . . . . إلخ[١] .

وعرض ابن الجزرى السيرة العلمية لابنته « سلمى » ، فذكر ضمناً أنها « عرضت القرآن حفظاً ، بالقراءات العشر ، قراءة صحيحة مجوّدة مشتملة على جميع وجوه القراءات ، بحيث وصلت – فى الاستحضار – إلى غاية لا يشاركها فيها أحد فى وقتها »[٢] .

وذكَرَ عن أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت حيى ، أنه أخذ القراءة عنها قراء بارزون سمّاهم ، وأنها كانت فقيهة كبيرة القدر[٣] .

وذكر الأدفوى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ أن تاج النساء ابنة عيسى بن على بن وهب القوصية « سمعت من أبى عبد الله بن عبد المنعم الخيمى ، بقراءة عمها الشيخ الإمام أبى الفتح محمد القشيرى ، فى جمادى الآخرة سنة ٦٧٩ هـ . »[٤]

وفى القصص العربى ما يؤيد إمكان وجود الجارية المسلمة العالمة بالقراءات، فالجارية « تودُّد » من أشخاص « ألف ليلة وليلة » تفخر بأنها تقرأ القرآن بالسبع ، وبالأربع عشرة[٥] .

ومما روته السّنّة أن تعليم المرأة شيئاً من القرآن يصحّ – فى الإسلام – أن يكون مهراً لها[٦]

وحتى الذين كرهوا للمرأة تعلم الكتابة ورواية الشعر ، دَعْوا إلى تعليمها القرآن ، وكان يقال : « لا تعلموا بناتكم الكتاب ، ولا تروّوهن الشِّعْر ، وعلموهن القرآن ، ومن القرآن سورة النور[٧] . »

وقرأت المرأة القرآن بالألحان قراءة مؤثرة . وممن تحدث عنهنّ المنقبيّون جارية يقال لها شبرة ، قرأت – مرة – على إخوان مالكها ، بصوت فيه ترجيع حزين ، فكانوا يلقون العمائم عن رءوسهم ، ويبكون ، وأعتقها صاحبها لوجه الله[٨] .

* * *

(١) المرجع السابق – السفر الأول ، ص ٣٦٠ – الترجمة رقم ٩٠٠ .

(٢) غاية النهاية جـ ١ ص ٣١٠ .

(٣) نفس المرجع ص ٣٥٤ .

(٤) الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ص ٩٠ .

(٥) جـ ١ ص ٦١٥ الليلة ٤٣٨ (ط . بولاق) .

(٦) انظر : رشيد رضا : تفسير المنار جـ ٥ ص ١٩ (ط ١٣٢٨ هـ) .

(٧) انظر : الجاحظ : البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٨٣ (ط . مصطفى محمد ١٩٤٧) .

(٨) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ٤ ص ٢٦٤ .

ولكن تلقى المرأة العلم عن الرجال مقيّد ، فحتى منذ ما قبل الإسلام ، كان فيثاغورث يرى أن يعلّم الرجالُ الرجالَ ، وتعلّم النساءُ النساء[1] .

ومرّ الوليد بن عبد الملك بمعلم صبيان ، فرأى جارية ، فقال : ويلكَ ! ما لهذه الجارية ؟ قال : أعلّمها القرآن ؛ قال : فليكن الذى يعلّمها أصغر منها[2] .

وقال عمر بن عبد العزيز لميمون بن مهران ، وهو يعظه : احفظ عنى أربعاً : وذكر أشياء أحدها : « ولا تخلونّ بامرأة وإن قرّأتها القرآن . . . »[3]

* * *

والنساء – بعدُ – نصف المجتمع ، أو يزدن ، وعليهن مثل ما على الرجال من مسؤولية طلب العلم . فلعلّ المصحف المرتل الذى يستطعن سماعه ، فى كل مكان ، وفى كل وقت ، أن يكون لهن القارئ المحقق ، والمقرئ الخبير الذى يتصل سنده بأئمة القراءات ، والذى هو نموذجىّ الأداء ، والذى لا يضيرهنّ أن يكبرهن أو يصغرهن ، وأن يخلو إليهنّ أو يخلون إليه ، والذى يؤدى إليهنّ حقًّا يحببنه ، ويحبّه لهنّ الإسلام ، والذى يطمئن إليه – بإطلاق – الوضع الاجتماعى الإسلامى .

٦

والمكفوفون من المسلمين : هم – لاعتبارات دنيوية ، فضلا عن الاعتبارات الدينية – من أشد الفئات حاجة إلى حفظ القرآن وتجويده . وقد جرى المسلمون فعلا على هذا ، منذ قديم ، فظهر ، فى أغلب البلاد الإسلامية ، حفاظ وقراء ومقرئون كثيرون من المكفوفين[4]

وقد ذكر ابن رجب الحنبلى الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى ، عن أحد أئمة المساجد ، فى بغداد ، أنه كان معنيًّا بتعليم العميان القرآن ، فبلغ عدد من أقرأهم القرآن منهم سبعين ألفا[5] .

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٦٠ و ٦١ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٠٣ .

(٣) الطرطوشى : سراج الملوك ص ١١٩ .

(٤) انظر تراجم عدد من كبار أساتذة القراءات المكفوفين فى : ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ١ ص ١٨ و ٦٥ و ٢٤٣ و ٢٥٩ و ٢٨٠ و ٣٠١ و ٣٥١ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٤٢٠ و ٤٦٥ و ٥٠٦ .
وجـ ٢ ص ٢٠ و ١٩٥ و ٢٣٥ و ٣١٧ .

(٥) ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ ص ٩٦ .

وأعداد المكفوفين ما زالت غير قليلة فى البلاد الإسلامية [١] ، ومن ثم وجبت العناية بهم .

وطريقة التلقين الشفهى هى الطريقة المثلى لتعليم القرآن ، كما أوضحنا ، ولكن المبصرين يضيفون إليها طريقة الحفظ من المصحف المكتوب . أما المكفوفون ، فالتلقى الشفهى هو طريقهم الوحيدة . نعم ، إنّ المعنيين بالمكفوفين اهتموا أخيراً بطبع القرآن بطريقة بريل Braille [٢] ولكن ثمة صعوبات فى استعمالها ، فهى تستلزم مجلّدات كبيرة يثقل – بالضرورة – حملها ، وهى تستلزم تدريباً ليس يتاح لكل مكفوف ، وهى – بعدُ – لا يؤمَن تعريضها القارئ للخطأ ، فضلا عن أنها – على أحسن فرض – مثلُ الكتابة العادية لا تعلّم الأداء .

فالآن ، نأمل أن يجد المكفوفون هم الآخرون ، فى المصحف المرتل ، المعلّم التقليدىّ ، وهو هنا من أجود المجوّدين ، وأدقهم أداء ، فضلا عن أنه أطول المعلمين حصصاً ، وأنسبهم لطالبه موعداً ، وأخفّهم عليه أجراً .

٧

غير أن أسطوانات المصحف المرتل لا تسمع إلاّ بوساطة لاقط صوتى (Pick – up) ، أو جراموفون ، وهذا يقتضى غالباً الكهرباء ، وهى لم تصل – بعدُ – إلى جهات فى ريفنا ، ولا إلى بلاد إسلامية كثيرة ، فى أفريقيا وآسيا . ولهذا يجب استعمال الجراموفونات ذات البطاريات الجافة فى المناطق غير المكهربة [٣].

وبالله التّوفيق .

---

(١) مثلاً عددهم – هم ومن فى حكمهم فى القاهرة وحدها – ١٦١٤٤ ، وفى كل محافظات جمهورية مصر العربية ٢٢٤,٤٩٢ (انظر الإحصاء السنوى العام لسنة ١٩٦٢ الصادر من مصلحة الإحصاء والتعداد بالقاهرة – جدول توزيع السكان حسب العاهات – الجدول ١٧ ص ٧٦) .

(٢) نشرت جريدة الأهرام ، فى ١٠ يوليو ١٩٥٨ ، أن المجلس الأعلى للأزهر وافق على طبع القرآن الكريم بهذه الطريقة ، ونشرت الأهرام ، فى نفس اليوم ، وفى يومى ٨ أغسطس ١٩٥٨ ، و ١٧ ديسمبر ١٩٥٩ أن المركز النموذجى لرعاية المكفوفين العرب بالزيتون تولى هذا الطبع ، ونشرت فى ٢٨ نوفمبر ١٩٦١ أن الجمهورية العربية المتحدة أهدت إلى السودان مصحفاً مطبوعاً بتلك الطريقة .

(٣) سعى صاحب المشروع سعيه – فى أواخر سنة ١٩٦٣ وأوائل سنة ١٩٦٤ – فوفقه الله – تعالى – إلى عقد صفقة كبيرة من هذا النوع من الجراموفونات بين وزارة الأوقاف والمؤسسة المصرية للإذاعة .

الفصل الثالث

علاج مشكلة اختلاف الرسم القرآنى عن الرسم الإملائى

١

يعرّف الخط بأنه : تصوير اللفظ بحروف هجائه . ومن هنا ، كان الأصل فى كلّ مكتوب أن يكون موافقاً تماماً للمنطوق به زيادة ونقصاً وتغييراً . بيد أن هذا الأصل خولف – كثيراً – فى المصحف المكتوب ، وظل مصطلح الرسم القرآنى مستقلا بنفسه ، جارياً – فى بعض ألفاظه – على غير قياس ، غير متأثر ببعض القواعد الهجائية القديمة أو المستحدثة .

٢

ومن أمثلة اختلافات الرسم القرآنى عن الرسم الإملائى :

١ – حذف الألف اختصاراً [١].

٢ – حذف الألف ، بعد « يا » التى للنداء ، وبعد « ها » التى للتنبيه ، وغير ذلك [٢] .

٣ – حذف الألف ، بعد اللّام فى بعض المصاحف [٣] .

٤ – رسم التثنية المرفوعة بغير ألف [٤] .

٥ – حذف الألف ، بعد النون ، فى بعض المواضع [٥].

٦ – حذف الألف – فى بعض المواضع – بعد العين ، والباء ، والياء ، والطاء ، والسين ، والحاء ، والصّاد ، والتاء ، والهاء ، واللام ، والواو ، والراء ، والهمزة [٦].

٧ – حذف الألف ، من الأسماء الأعجمية ، ومن الجمع السالم [٧] .

---

(١) انظر : أبو عمرو الدانى : المقنع ص ١٠ – ٢٩ .

(٢) نفس المرجع ص ١٦ .

(٣) نفس المرجع ص ١٧ .

(٤) نفس المرجع .

(٥) نفس المرجع .

(٦) نفس المرجع ص ١٨ و١٩ .

(٧) نفس المرجع ص ٢١ .

٨ – حذف ألف النصب ، إذا كان قبلها همزة قبلها ألف [١].

٩ – حذف الألف ، بعد واو الجمع [٢].

١٠ – حذف ألف الوصل [٣] .

١١ – حذف الياء اجتزاءً بكسر ما قبلها منها [٤] .

١٢ – حذف الواو اكتفاءً بالضمة منها ، أو لمعنى غيره [٥].

١٣ – حذف الواو التي هي صورة الهمزة ، وحذف إحدى الواوين اكتفاءً بإحداهما [٦].

١٤ – إثبات الألف على اللفظ أو المعنى [٧] .

١٥ – إثبات الياء على الأصل [٨] .

١٦ – إثبات الياء زائدة أو لمعنى [٩] .

١٧ – حذف إحدى الياءين اختصاراً ، وإتباعها – في بعض المواضع – على الأصل [١٠].

١٨ – رسم الياء – في مواضع – على مراد التّليين للهمزة [١١].

١٩ – زيادة الواو – في رسم المصحف – للفرقان ، أو لبيان الهمزة [١٢].

٢٠ – رسم الألف واواً ، في بعض المواضع [١٣].

٢١ – رسم الواو – في مواضع – صورةً للهمزة ، على مراد الاتصال ، أو التسهيل [١٤].

٢٢ – حذف إحدى اللّامين – في الرسم – لمعنى ، وإثباتها – في مواضع أخرى – على الأصل [١٥].

٢٣ – كتابة بعض الحروف مقطوعة على الأصل ، وموصولة على اللفظ [١٦] .

٢٤ – رسم هاءات التأنيث ، بالتاء المفتوحة ، على الأصل ، أو مراد الوصل [١٧] .

* * *

وقد نشأ – بسبب هذه الاختلافات – علمُ الرسم القرآني .

وقد أجمل صاحب (إتحاف فضلاء البشر) حاصل خط المصحف في الآتي [١٨] :

---

(١) نفس المرجع ص ٢٦ .
(٢) نفس المرجع ص ٢٦ و٢٧ .
(٣) نفس المرجع ص ٢٩ .
(٤) نفس المرجع ص ٣٠ .
(٥) نفس المرجع ص ٣٥ .
(٦) نفس المرجع ص ٣٦ .
(٧) نفس المرجع ص ٣٨ – ٤٤ .
(٨) نفس المرجع ص ٤٥ – ٤٦ .
(٩) نفس المرجع ص ٤٧ – ٤٨ .
(١٠) نفس المرجع ص ٤٩ – ٥٠ .
(١١) نفس المرجع ص ٥١ – ٥٢ .
(١٢) نفس المرجع ص ٥٣ .
(١٣) نفس المرجع ص ٥٤ – ٥٥ .
(١٤) نفس المرجع ص ٥٥ .
(١٥) نفس المرجع ص ٦٧ – ٦٨ .
(١٦) نفس المرجع ص ٦٨ – ٧٦ .
(١٧) نفس المرجع ص ٧٧ – ٨٢ .
(١٨) ص ١٠ .

١ – أن الحرف يبدل فى الرسم ، ويلفظ به اتفاقاً ، مثل (اصطبر) .
٢ – ويرسم ، ولا يلفظ به اتفاقاً ، مثل (الصّلَوٰة) .
٣ – ويرسم ، ويُختلف فى اللفظ به ، مثل (الغَدَٰوة) .
٤ – ويزاد ، ويلفظ به اتفاقاً ، مثل (حسابيه) .
٥ – ويزاد ، ولا يلفظ به اتفاقاً ، مثل (أولَٰئك) و (مِائَة) .
٦ – ويزاد ، ويختلف فيه ، مثل (سُلْطَانِيه) .
٧ – ويحذف كذلك ، نحو : (بِسْمِ الله) و (يَٰرَبِّ) و (الرَّحْمَٰن) و (الدَّاع)
٨ – ويوصل ، ويتبعه اللفظ ، مثل : (مَناسِككم) .
٩ – ويخالفه ، نحو : (كٓهيعٓصٓ) و (يَبْنَؤُمّ) .
١٠ – ويختلف فيه ، نحو : (وَيْكَأَنَّ) .
١١ – ويفصل ، ويوافق ، نحو (حٓم) و (عٓسٓقٓ) .
١٢ – ولا يوافق ، مثل (إِسْرَٰءِيل) .
١٣ – ويُختلف فيه ، نحو (مال) .

* * *

٣

وقد جوّز بعض العلماء مخالفة هذا الرسم ، ومطابقة المكتوب للمنطوق بإطلاق .

ومن حججهم :

أن الخطوط والرسوم ليست إلاّ علامات وأَمَارات ، فكل رسم يفيد وجه القراءة فهو صحيح ؛ والرسم العثمانى – إذ يخالف الإملاء العادىّ – يشقّ على كثير من الناس ، ويوقعهم فى الحرج والالتباس .

وهو – بعدُ – لا يحتّمه الكتاب أو السنّة ، ولا يعدو أن يكون اجتهاداً من الصحابة يجوز عليه الخطأ والصواب ، ولا يبعد أن يكونوا قد أخطأوا بسبب حداثة عهدهم بالكتابة[1] .

---

(١) انظر : ابن خلدون : المقدمة (بتحقيق على عبد الواحد وافى) جـ ٣ ص ٩٥٣ و ٩٥٤ .
ويقول حفنى ناصف ، فى معاضدة بقاء الرسم العثمانى للمصحف :

بل إن عزّ الدين بن عبد السلام [١] كان يقول : « لا يجوز كتابة المصحف الآن على المرسوم الأول ، باصطلاح الأئمة ، لئلا يوقع فى تغيير من الجهال » [٢] .

وذكر بعضهم أن ما جاء من وجوب اتباع رسم المصحف إنما كان فى الصّدر الأول ، والعلم غضٌّ حيّ ، وأما الآن فقد يُخشى الالتباس [٣] .

ورأى بعضهم قصر الرسم بالاصطلاح العثمانى على مصاحف الخواصّ ، وإباحة رسمه للعوامّ ، بالاصطلاحات الشائعة بينهم [٤] .

وربّما راعى هؤلاء أنّ النشء والمسلمين – من غير الناطقين بالعربية – لا يسيغون أن ينطقوا بغير ما ينبى عنه ظاهر الرسم . ويقول بعض المعاصرين : « الغرض من كتابة القرآن : أن نقرأه صحيحاً ، لنحفظه صحيحاً ، فكيف نكتبه بالخطأ ، لنقرأه بالصّواب ؟ وما الحكمة فى أن يقيّد كلام الله بخطٍّ لا يكتب به اليوم أىّ كتاب ؟ » [٥] .

* * *

ولبعض النصارى – فى شأن هذا الرسم – إشارة ربّما قصدت أن تنزع عنه لباسه الإسلامى ، فهو – فيما يقرّرون – سريانىّ الأصل مسيحىّ الاستعمال ، ذلك أنّ الخط

= « ولا نعلم أنّ أحداً من العلماء تحكك فى هذا الأمر إلا ابن خلدون ، فى القرن الثامن ، وبعض رجال الأزهر ، فى القرن الرابع عشر ، وليس أحدٌ منهما إماماً مجتهداً ، والحمد لله » . (تاريخ المصحف – مقدمة كتاب فى قواعد رسم المصحف – بحث نشر فى « المقتطف » ع . أول يوليو ١٩٣٣ – ٨ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ الجزء ٢ من المجلد ٨٣ ص ٢٠٥ – ٢٠٦)

(١) ولد فى دمشق سنة ٥٧٧ هـ ، وولى الخطابة والإمامة فى الشام ، وولى الخطابة والقضاء والفتيا والتدريس فى مصر ؛ وخدماته للإسلام فى الحروب الصليبية والتترية معروفة . وتوفى سنة ٦٦٠ هـ .

انظر : السبكى : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ٨٠ – ١٠٧ .

وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ و جـ ٧ فى مواضع متفرقة .

والسيوطى : حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٤١ و جـ ٢ ص ٣٨ و ١٠٩ و ١١٠ ،

والمقريزى : السلوك جـ ١ ص ٣١٢ و ٣٥٤ و ٤١٦ .

وابن إياس : بدائع الزهور جـ ١ ص ٩٤ .

(٢) الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣٧٩ و ٣٨٠ ،

وانظر : الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٩ .

(٣) انظر : الزّركشى : المرجع السابق جـ ١ ص ٣٧٩

(٤) انظر : الدمياطى البنا : المرجع السابق ص ٩ .

(٥) أحمد حسن الزيات : مجلة الرسالة ع ٩ يناير سنة ١٩٥٠ .

وفى أعوام أسبق قليلاً من هذا التاريخ ، دعا إلى تغيير الرسم الاصطلاحىّ للقرآن الشيخ حسين والى رئيس لجنة الفتوى بالأزهر ، وعضو مجمع اللغة العربية فى مصر .

الكوفىّ الذى هو خطُّ المصاحف الأولى أصلُه – بزعمهم – الخط السّطرنجيلى الذى كان السّريان يكتبون به الأسفار المقدسة النصرانية . وآية هذا – فيما يذكرون – أنه ، كقاعدة مطّردة فى الكتابة السّريانية ، إذا جاءت الألف حرفَ مدّ فى وسط الكلمة حُذفت ، وكذلك فَعَل كتّاب القرآن فى صدر الإسلام ، حيث كتبوا مثلا : (الكتٰب) بدل (الكتاب) ، و (الظٰلمين) بدل (الظالمين)[١]

* * *

ويسرف بعض المعاصرين فى نقد الرسم الاصطلاحى ، فيقول : إنه « يقلب معانى الألفاظ ، ويشوّهها تشويهاً شنيعاً ، ويعكس معناها بدرجة تكفِّر قاريه ، وتحرِّف معانيه ، وفضلا عن هذا ، فإن فيه تناقضاً غريباً وتنافراً معيباً لا يمكن تعليله ، ولا يستطاع تأويله[٢] » .

٤

ولكن الثابت أن الجمهور على أن هذا الرسم لا يجوز فيه القياس[٣] ، وأنه توقيفى[٤] : « عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » –[٥] « نٓ ، وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ »[٦]

وربما كان من دلائل هذه التوقيفية أن الكلمة من القرآن قد تُكتب فى بعض المواضع برسم ، وفى مواضع أخرى برسم آخر ، مع أنها هِىَ هِىَ . والأمثلة على هذا أكبر من أن يتسع لها المقام[٧] ، ولكننا – ابتغاء الإيضاح – نورد قليلا جداً منها :

١ – كلمة « بسم » :

محذوفة الألف فى كل فواتح السُّوَر ، وفى الآيتين : « بِسْمِ اللهِ مَجْرٜىٰهَا »[٨] – « وَإِنَّهُ

---

(١) يوسف داود (المطران) : اللمعة الشهية فى اللغة السّريانية ط . الموصل ١٨٧٩ م .
وجورجى زيدان : التمدن الإسلامىّ ج ٣ ص ٥٨ و ٥٩ .

(٢) ابن الخطيب : الفرقان ص ٧١ .

(٣) على القارى : شرح العقيلة – المخطوطة رقم ٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة – الورقة ٢

(٤) الزركشى : المرجع السابق ج ١ ص ٣٧٧ .
ومعنى توقيفى : أنه يتوقف على السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس للعقل فيه مجال .

(٥) سورة العلق / ٤ و ٥ . (٦) سورة القلم / ١ .

(٧) انظر : نظام الدين النيسابورى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان – المقدمة السابعة فى ذكر الحروف التى يكتب بعضها على خلاف بعض فى المصاحف ، وهى – فى الأصل – واحدة ج ٢ ص ٣٢ – ٤٠ .

(٨) سورة هود / ٤١ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَىَّ » (١) بينما هى مثبتة الألف فى الآيات : « فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ » (فى سورتى : الواقعة والحاقة) (٢) – « ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ » (٣) .

٢ – كلمة « تبارك » :

محذوفة الألف فى الآيتين : « تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ » (٤) – « تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ » (٥) ، بينما الألف مثبتة فى الآيات : « تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ » (٦) – « فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ » (٧) – « تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ » (٨) – « تَبَارَكَ ٱلَّذِى إِنْ شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا » (٩) « فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ » (١٠) .

٣ – كلمة « بنات » :

محذوفة الألف فى الآيات : « وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ » (١١) – « وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ » (١٢) – « أَمْ لَهُ ٱلْبَنَـٰتُ » (١٣) ، ولكن ألفها مثبتة فى الآيات : « هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى » (١٤) – « مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ » (١٥) – « أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ » (١٦) .

٤ – كلمة « أعناب » :

محذوفة الألف فى الآيات : « وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ » (١٧) – « وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ » (١٨) – « وَمِن ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ » (١٩) – « حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا » (٢٠) ، ولكن الألف مثبتة فى الآيتين: « أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ » (٢١) – « وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ » (٢٢) .

٥ – كلمة « سبحان » :

محذوفة الألف فى الآيات : « سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ » (٢٣) – « سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عذاب

---

(١) سورة النمل / ٣٠ و ٣١ .
(٢) سورة الواقعة / ٩٦ ، وسورة الحاقة / ٥١ .
(٣) سورة العلق / ١ .
(٤) سورة الرحمن / ٧٨ .
(٥) سورة الملك / ١ .
(٦) سورة الأعراف / ٥٤ .
(٧) سورة المؤمنون / ١٤ .
(٨) سورة الفرقان / ١ .
(٩) سورة الفرقان / ١٠ .
(١٠) سورة غافر / ٦٤ .
(١١) سورة الأنعام / ١٠٠ .
(١٢) سورة النحل / ٥٧ .
(١٣) سورة الطور / ٣٩ .
(١٤) سورة هود / ٧٨ .
(١٥) سورة هود / ٧٩ .
(١٦) سورة الصافات / ١٤٩ .
(١٧) سورة الرعد / ٤ .
(١٨) سورة النحل / ١١ .
(١٩) سورة النحل / ٦٧ .
(٢٠) سورة النبأ / ٣٢ .
(٢١) سورة البقرة / ٢٦٦ .
(٢٢) سورة الأنعام / ٩٩ .
(٢٣) سورة البقرة / ٣٢ .

النَّار »(١) – « سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى أَسْرَى »(٢) – « سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَـٰلَى عَمَّا يَقُولُونَ »(٣) – « سُبْحَـٰنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً »(٤) ، بينما الألف مثبتة فى الآية : « قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً »(٥)

٦ – **كلمة « رحمة »** :

كتبت بالهاء فى أغلب المواضع ، ولكنها مكتوبة بالتاء فى الآيات : « أُولَـٰئِكَ يَرجُونَ رَحْمَتَ ٱللهِ »(٦) – « إِنَّ رَحْمَتَ ٱللهِ قَرِيبٌ »(٧) – « رَحْمَتُ ٱللهِ وَبَرَكَـٰتُهُ »(٨) – « ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ »(٩) – « إِلَى ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللهِ »(١٠) – « أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ »(١١) – « وَرَحْمَتُ رَبِّكَ »(١٢)

٧ – **كلمة « سيماهم »** :

كُتبت بالياء فى الآيات : « تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ »(١٣) – « وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَـٰهُمْ »(١٤) – « وَنَادَىٰ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَـٰهُمْ »(١٥) – « وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ »(١٦) – « يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ »(١٧) بينما كتبت بالألف فى الآية : « سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ »(١٨)

٨ – **كلمة (كتاب)** :

حُذفت ألف التاء إلاّ فى أربعة مواضع :

« لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ » بالرعد(١٩) – « كِتَابٌ مَّعْلُوم » بالحجر(٢٠) – « من كِتَابِ رَبِّكَ » بالكهف(٢١) – « وَكِتَابٍ مُّبِينٍ » أول النمل(٢٢).

* * *

(١) سورة آل عمران / ١٩١ .
(٢) سورة الإسراء / ١ .
(٣) سورة الإسراء / ٤٣ .
(٤) سورة الإسراء / ١٠٨ .
(٥) سورة الإسراء / ٩٣ .
(٦) سورة البقرة / ٢١٨ .
(٧) سورة الأعراف / ٥٦ .
(٨) سورة هود / ٧٣ .
(٩) سورة مريم / ٢ .
(١٠) سورة الروم / ٥٠ .
(١١) سورة الزخرف / ٣٢ .
(١٢) سورة الزخرف / ٣٢ .
(١٣) البقرة / ٢٧٣ .
(١٤) الأعراف / ٤٦ .
(١٥) الأعراف / ٤٨ .
(١٦) محمد / ٣٠ .
(١٧) الرحمن / ٤١ .
(١٨) الفتح / ٢٩ .
(١٩) الآية ٣٨ .
(٢٠) الآية / ٤ .
(٢١) الآية / ٢٧ .
(٢٢) الآية / ١ .

والثابت أيضاً أَنّ الجمهور على أن اتباع حروف المصحف كالسُّنن القائمة التى لا يجوز لأحد أن يتعدّاها [١].

٥

وللمسلمين – فى وجوب التمسك بالرسم القرآنى المأثور – حجج نجملها فيما يلى :

١ – أن النبى (ص) كان له كتّاب يكتبون الوحى ، وبحضرته كتبوه كلّه بهذا الرسم ، فكما يقول كتاب (إتحاف فضلاء البشر) : « لم يكن ذلك من الصحابة كيف اتّفق ، بل عن أمر – عندهم – قد تحقّق [٢] ، وكأَن النبىَ صلى الله عليه وسلم قد أقرّ هذا الرسم .

ولن يقلّل – فى رأيهم – من شأن هذا الإقرار ، أن النبى (ص) كان أمّيًّا لا يعرف الكتابة بالاصطلاح والتعليم من الناس . « فمن جهة الفتح الرّبّانى : كان النبى – صلى الله عليه وسلم – يعرف القراءة والكتابة ويعرف أكثر منهما » [٣] .

والذى نعتقده فى هذا الشأن هو أن اللهَ الَّذِى أَكَّدَ حِفْظَه لكتابِه إذ يقول : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ » [٤] ، لم يكن ليدع الخطأ يقع فى كتابه أصلِ شريعته وعمادِ دينه ، ولا يلهم نبيَّه تصحيحه ، وهذا إذا رفضنا – مع الرَّافضين – رأى من قالوا ما مات رسول اللهِ – صلى الله عليه وسلّم – حتى كتب وقرأ [٥] ، ورفَضْنا أيضاً رأى من قالوا بأنّ أُمّيَّة النبى (ص) كانت على أولى حياته ، ثم أوتى الكتابة على أخراها [٦] .

* * *

٢ – أن كتابة القرآن على الهيئة المعروفة هو – كما يقال – « لأسرار لا تهتدى إليها العقول ، وهو سرّ من الأسرار خصّ الله به كتابه العزيز ، دون سائر الكتب السماوية ، فلا يوجد شىء من هذا الرسم فى التَّوراة ، ولا فى الإنجيل ، ولا فى الزَّبُور ، ولا فى غيرها من الكتب السماوية » [٧].

---

(١) الزركشى : المرجع السابق جـ ١ ص ٣٨٠ . (٢) ص ١٠ .

(٣) انظر : محمد بن على بن خلف الحسينى : إرشاد الحيران ص ٢٧ .

(٤) سورة الحجر / ٩ .

(٥) روى هذا عن ابن أبى شيبة وغيره . وانظر : على الضباع : بحث فى مجلة كنوز الفرقان ع ١ و ٢ سنة ١٣٦٩ هـ ص ٧

(٦) البحث السابق ص ٨ .

(٧) محمد بن على بن خلف الحسينى : إرشاد الحيران ص ١٤ و ١٥ .

« وكما أن نَظْم القرآن معجز ، فرسمه معجز ، وكيف تهتدى العقول إلى سرّ زيادة الألف فى « مِائَة »(١) دون « فِئَة »(٢) ؟ وإلى سرّ زيادة الياء فى « بِأَيْيْدٍ »(٣) و « بِأَيِّيكُمْ »(٤) ؟ أم كيف تتوصل إلى سرّ زيادة الألف فى « سَعَوْا » بـ (الحجّ)(٥) ، ونقصانها من « سَعَوْ » بـ (سبأ)(٦) ؟ أم كيف تبلغ العقول إلى درجة حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض ؟ إلخ »(٧)

ويقول أصحاب هذا الرأى إنّ كلّ ذلك هو « لأسرار إلهية ، وأغراض نبوية ، وإنما خَفِيَتْ على الناس ، لأنها أسرار باطنية ، لا تُدْرَك إلا بالفتح الرّبانى ، فهى بمنزلة الألفاظ والحروف المتقطّعة التى فى أوائل السّور ، فإن لها أسراراً عظيمةً ، ومعانى كثيرة ، وأكثرُ الناس لا يهتدون إلى أسرارها ، ولا يدركون شيئاً من المعانى الإلهية التى أشير إليها ، فكذلك أَمْرُ الرَّسْمِ الذى فى القرآن حرفاً بحرف »(٨) .

* * *

٣ – أن أبا بكر كتب القرآن بهذه الهيئة ، فى صحف ، بإشراك الصّحابة ورضاهم ، ولم يخالفها أحد منهم ، وتبعه عثمان ، على ملأ من الصّحابة ، وبرضاهم أيضاً ، ثم لم يُنقل أنّ أحداً من التابعين وتابعيهم رأى أن يَسْتَبْدِل – فى العصور التى تقدمت فيها طرائق الكتابة – بالرسم العثمانى رسماً مُحْدَثاً . وما دام قد انعقد الإجماعُ على تلك الرسوم فلا يجوز العدول عنها إلى غيرها ، إذ لا يجوز خرق الإجماع بوجه(٩).

والإجماع حُجَّةٌ ، حسبما تُقَرِّر الأصول ، ومُحَالٌ – فى حقِّ الصّحابة – أن يخالفوا ما أقره النبى (ص) ، ويتصرفوا فى القرآن ، بأىّ زيادة أو نقصان ، وإلاّ « لزم تطرّق الشكّ إلى جميع ما بين الدَّفَّتين ، لأننا ، مهما جوّزنا أن تكون فيه حروف ناقصة أو زائدة على ما فى علم النبى – صلى الله عليه وسلّم – وعلى ما عنده ، وأنّها ليست بوحى ولا من عند الله ، ولا نعلمها بعينها ، تشككنا فى الجميع . ولئن جوّزنا لصحابىّ أن يزيد فى كتابته حرفاً ليس بوحى

---

(١) سورة الأنفال / من الآيتين : ٦٥ و٦٦ .
(٢) سورة البقرة / من الآية ٢٤٩ .
(٣) سورة الذاريات / من الآية ٤٧ .
(٤) سورة القلم / من الآية ٦ .
(٥) من الآية ٥١ .
(٦) من الآية ٥ .
(٧) محمد بن على بن خلف الحسينى : إرشاد الحيران ص ١٦ – ١٨ .
(٨) نفس الكتاب ص ١٨ و١٩ .
(٩) انظر نفس الكتاب ص ٤١ و٤٢ .

لَزِمَنَا أن نجوّز لصحابى آخر نقصاً فى حرف من الوحى ، إذ لا فرق بينهما ، وحينئذ تنحلّ عقدة الإسلام بالكلية » (١).

والشافعى يقول فى الصحابة : إنهم « أدَّوْا إلينا سُنن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وشاهدوه ، والوحى ينزل عليه ، فعلموا ما أراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عامًّا ، وخاصًّا ، وعزماً ، وإرشاداً ، وعَرَفُوا من سننه ما عَرَفْنا وجَهِلْنا ، وهم فوقنا فى كل علم ، واجتهاد ، وورع ، وعقل ، وأمرٍ استُدْرِكَ بِهِ عِلْمٌ وَاسْتُنْبِطَ بِهِ . وآراؤهم لنا أَحْمَد ، وَأَوْلَى بنا من رأينا عند أنفسنا » (٢).

ويقول أبو البقاء العكبرى فى كتاب « اللُّباب فى علل البناء والإعراب » :

« ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلاَّ فى خط المصحف ، فإنهم اتّبعوا ، فى ذلك ، ما وجدوه فى الإمام . والعمل على الأول » (٣) .

وربمـا أوهن القول بأن الصحابة كانوا يجهلون قواعد الكتابة أن كتاباتهم وخطوطهم – وما زالت لها ، أو للكتابات المعاصرة لها بقايا – خالية من الخطأ الإملائى ، وأنهم لا بدّ قد كتبوا فيما بينهم الديون والعقود ، ولا بدّ أنها كانت وفق القواعد الإملائية العاديّة ، وإلا اعتَـورَها اللبس . ولعل من أمثلة عنايتهم بدفع الخطأ – فى فهم الكتابة – تمييزهم بين عمر وعمرو ، بزيادة واو فى الثانى (٤) .

* * *

٤ – والفقهاء مجمعون ، أو كالمجمعين على هذا الرسم :

سئل مالك : أرأيت من استكتب مصحفاً ، أترى أن يُكْتَبَ على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟

قال : لا أرى ذلك ، ولكنّه يُكْتَبُ على الكِتْبَة الأولى : كِتْبَة الوحى .

قال الدانى معقِّباً على هذا : ولا مخالف له (يعنى مالكاً) فى ذلك من علماء الأمة (٥).

---

(١) نفس الكتاب ص ٢٣ – ٢٥ .

(٢) نقلاً عن النشر ج ١ ص ١٢ .

(٣) الورقة ٣٠ من المخطوطة رقم ٢٣ نحو ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) انظر : محمد طاهر بن عبد القادر الكردى : تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص ١٢٨ – ١٣١ .

(٥) المقنع ص ١١ من النسخة المخطوطة السالفة الذكر ، و ١٠ من النسخة المطبوعة .

وانظر : على بن سلطان القارى : المنح الفكرية على متن الجزرية ص ٨٥ .

ومحمد غوث ناصر الدين الأركانى : نثر المرجان فى رسم نظم القرآن ج ١ ص ١٠ .

وسئل مالك أيضاً عن الحروف فى القرآن مثل الواو والألف : أترى أن تغير من المصحف إذا وُجدا فيه كذلك ؟

فقال : لا .

قال أبو عمرو : يعنى الواو والألف المزيدتين فى الرسم لمعنى ، المعدومتين فى اللفظ ، نحو : الواو فى (أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ » و « أَوْ لَـٰتُ » و « الرِّبَوا » ونحوه[1] .

ويقول على القارى ، فى هذا الشأن : « والذى ذهب إليه مالك هو الحق ، إذ فيه بقاء الحالة الأولى ، إلى أن تُعَلِّمها الطبقةُ الأخرى بعد الأخرى ، ولا شك أن هذا هو الأحْرى ، إذ فى خلاف ذلك ، تجهيل الناس بأولية مافى الطبقة الأولى[2] .

وقال أحمد : « تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو ، أو ألف ، أو ياء ، أو غير ذلك[3] » .

وقال البيهقى فى « شعب الإيمان » : « من يكتب مصحفاً فينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوه شيئاً ، فإنهم كانوا أكثر علماً ، وأصدق قلباً ، ولساناً ، وأعظم أمانة منّا ، فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم »[4] .

وفى « المدخل » لابن الحاج : « ويتعين عليه (يريد كاتب المصحف) أن يترك ما أحدثه بعض الناس فى هذا الزمان ، وهو أن ينسخ المصحف على غير مرسوم المصحف الذى اجتمعت عليه الأمة ، على ما وُجد به ، بخط عثمان بن عفان – رضى الله عنه – أى فى عهده[5]. »

وفى « شرح الطحاوى » : « ينبغى لمن أراد كتابة القرآن أن ينظم الكلمات كما هى فى مصحف عثمان – رضى الله عنه – لإجماع الأمة على ذلك[6] . »

وقد ذكرنا – فى موضع آخر – ما يراه « عياض » صاحب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » من تكفير من نَقَصَ حرفاً مما يشتمل عليه المصحف الذى وقع عليه الإجماع .

---

(١) المقنع ص ٢٨ (من النسخة المطبوعة) .

(٢) انظر : محمد غوث ناصر الدين الأركانى : نثر المرجان فى رسم نظم القرآن جـ ١ ص ١٠ .

(٣) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣٧٩ ، وانظر : غوث الأركانى : الكتاب السابق ص ١١ .

(٤) انظر : الزركشى : نفس المرجع ص ٣٨٠ ، وانظر : غوث الأركانى : نفس الكتاب .

(٥) انظر : على الضباع : سمير الطالبين فى رسم وضبط الكتاب المبين ص ٢٠ .

(٦) انظر الكتاب السابق .

وقد أيَّد هذا شراح « الشفا » ، ومنهم على القارى ، والخفاجى ، وكلاهما من كبار الحنفية ، وقالا بعد قول عياض : (أوزاد حرفاً) ، « أى كتابة أو قراءة[١] . »

ومكّى بن أبى طالب يقول : « وهذا الذى يخالف الخط لا تجوز القراءة به اليوم لمخالفة خطّ المصحف ، وهو المنهىّ عنه[٢] » .

وقد جرى – على هذا الرسم – علم (رسم كتابة القرآن فى المصاحف[٣]) ، وكذا علم (آداب كتابة المصحف) ، « وهو علم يعرف فيه كيفية كتابة المصحف ليكون موافقاً للآداب المعتبرة فى الشرع والمستحسنة عند السلف . . »[٤] ، أو « هو علم من فوائده : تحسين كتابته وتبيينها ، وإيضاحها ، وتحقيق الخط[٥] »

وعلى ذكر ما أوردناه آنفا ، من أن بعض العلماء يذهب إلى تكفير المخالفين فى الرسم الاصطلاحى للمصحف ، نقرر أننا نخالف ذلك الرأى ، ونرى أن الأمر لا يستدعى هذا التكفير ، طالما أنّ العلماء اختلفوا فى هذه المسألة منذ قديم ، وقد سار على هذا القضاءُ العربى الحديث أيضاً ، فقد نظرت المحكمة الإدارية فى مصر فى قضية عاب فيها الأزهر بحقٍّ على أحد المؤلفين[٦] نقده للّرسم الاصطلاحى للمصحف ، فرأت المحكمة أن لا حرج فى هذا النقد ما دام المؤلف « قد عرض ، وجادل ، وناقش الآراء المختلفة ، مما ينفسح معه المجال للقول بأنه سلك طريق البحث العلمى ، ولا عليه – بعد ذلك – إن كان يترك قولا ، ويأخذ بقول ، أو يدع رأيا ، ويستجيب إلى رأى »[٧] .

* * *

٥ – أن القول بأن الرسم غير توقيفى ، وأن الصحابة كتبوه على ما تيسر لهم ، لجهلهم بالخط يومئذ ، ثم إجماع الأمة – منذ عهد النبى (ص) إلى اليوم – على رسم خاطئ ينفى الحفظ الذى أكده الله ، أما والحفظ حقيقة ملموسة ، فإن التوقيف فى الرسم يكون حقيقة .

على أن الرسم الذى عدّه بعضهم دليل جهل الصحابة بالخط هو – عند آخرين – آيةُ ذهنيةٍ قويةٍ لهم فى علم الهجاء خاصة .

(١) نفس الكتاب ص ٢٠ و ٢١ . (٢) الإبانة عن معانى القراءات ص ٣٦ .

(٣) طاش كبرى زاده : مفتاح السّعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم جـ ٢ ص ٣٧٢ ، وصديق حسن خالد : أبجد العلوم – ٤٩٠ .

(٤) طاش كبرى زاده : المرجع السّابق ص ٣٧٤ . (٥) صديق حسن خالد : المرجع السابق ص ٤٩٩ .

(٦) وهو محمد عبد اللطيف بن الخطيب صاحب كتاب « الفرقان » .

(٧) الحكم فى القضية رقم ٦٨٥ سنة ٢ القضائية ، بجلسة ١١ مايو سنة ١٩٥٠ مجموعة أحكام مجلس الدولة ، المجلد الخامس ص ٢٨٨ .

يقول ابن الجوزى : « إن كتابة الصحابة للمصحف مما يدل على عظيم فضلهم فى علم الهجاء خاصة ، وثقوب فهمهم فى تحقيق كل علم »[١] .

واستدل السيوطى على قدم علم النحو بما منه كتابة المصحف على الوجه الذى يعلله النحاة ، فى ذوات الواو ، والياء ، والهمزة ، والمد والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالألف[٢] . . . . .

* * *

٦ – وجوب الاحتياط الشديد لبقاء القرآن على أصله ، لفظاً وكتابة ، وذلك سداً للذرائع ، ومنعاً من فتح باب الاستحسان فى كتابة القرآن ، لأنه إذا فُتح هذا الباب ، فى الرسم – على نحو ما – فقد لا يلبث أن يفتح فى اللفظ أيضاً ، ويتطرق إلى الكتاب الأكبر التغيير والتبديل[٣] . وسدُّ الذرائع أصل من أصول الإسلام التى تبنى عليها الأحكام[٤] .

* * *

٧ – جواز أن يفضى تغيير الرسم القرآنى إلى هدم كثير من علوم الأداء قياساً على هدمه ، بدعوى سهولة التناول للعموم .

* * *

٨ – أن قواعد الإملاء العادى لم يتفق عليها واضعوها ، وهى عرضة للتغيير والتبديل ، ومتطورة على مدى الزمن[٥] ، فواجب الحذر والتحرز يقتضى المسلمين أن ينزهوا القرآن

---

(١) انظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية فى علوم العربية جـ ١ ص ١٧ .

(٢) انظر : الكتانى : التراتيب الإدارية جـ ٢ ص ٢٩٨ و ٢٩٩ .

(٣) انظر : حفنى ناصف : تاريخ المصحف – مقدمة كتاب فى قواعد رسم المصحف – بحث نشر فى المقتطف ع أول يوليو ١٩٣٣ – ٨ ربيع الأول ١٣٥٢ الجزء ٢ من المجلد ٨٣ ص ٢٠٣ – ٢٠٦ .

(٤) انظر : فتوى فى شأن الرسم القرآنى ، أصدرتها لجنة الفتوى بمصر سنة ١٩٣٧ ضمن تقرير عن كتاب « الفرقان » – مجلة الأزهر ع . صفر سنة ١٣٦٨ هـ .

(٥) وقد رأينا بلداً كان مقر خلافة المسلمين يكتب القرآن بالحروف اللاتينية ، ورأينا عبد العزيز فهمى أحد رجال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ينادى – فى إصرار وحماسة – باستعمال الحروف اللاتينية فى كتابة العربية ، ولم يعدم نصيراً يعضده .

تكلم عبد العزيز فهمى عن الرسم العثمانى ، فقال – فى إسراف وتحامل – : « إنه سرطان أزمن ، فَشَوَّهَ منظر العربية ، وغشّى جمالها ، ونفّر منها الولىّ القريب والخاطب الغريب ، وإذْ أقول (سرطان) فإنى أعنى ما أقول ، كالسرطان حسّاً ومعنى » (الحروف اللاتينية فى كتابة العربية ص ٧) .

ويقول إنه نظر واستيقن أن لا محيص من اتخاذ اللاتينية لرسم العربية (نفس الكتاب ص ١٠) .

ويقول : « أقرر بأنى لست مكلفاً باحترام رسم القرآن ، ولست ألغى عقلى لمجرد أن بعض الناس أو كلهم يريدون إلغاء =

— فى رسمه — عن قواعد مختلف فيها ، ومطلوب تغييرها [1] ، ويحتمل أن يؤثم المسلمون بعضهم بعضاً بسببها .

* * *

وفى معرض الحديث عن تيسير قراءة المصحف المكتوب ، ترد هذه الأسئلة .

هل نكتب المصحف بالحروف اللاتينية [2] ، لتسهيل تلاوته على عارفى هذه الحروف ؟

= عقولهم ، ولا يميزون بين القرآن العظيم كلام الله القديم وبين رسمه السخيف الذى هو من وضع المؤمنين القاصرين » (نفس الكتاب ص ٢٣) .

(١) فى العصر الحديث ، عرض مجمع اللغة العربية فى بعض جلساته لرسم المصحف ، فكان الرأى « الوقوف عند الرسم المعهود ، لأنّ الرسم العادىّ عرضة للتغيير والتبديل فى كلّ عصر ، فلو أبيح هذا لتعدّد رسم المصحف ، وكان مظنّة لأنْ يُعْزَى إليه الاختلاف ، فحفظ القرآن وصونه يعنى بقاء رسمه على الكِتْبة الأولى » (محمد على النجار — كلمة ألقاها فى المجمع فى ديسمبر سنة ١٩٦٠ ، فى تأبين الشيخ إبراهيم حمروش) .

وفى مجلة (المنار) ج ١٢ (سنة ١٩٠٩) ص ٤٢٣ — ٤٢٧ فتوى لمحمد رشيد رضا ، فى شأن رسم المصحف ، وفيها يجيب على استفتاء من (ملا صادق الايمانقولى القزانى : رئيس اللجنة المتشكلة لتفتيش رسم المصاحف المطبوعة ببلدة قزان بالروسيا) يسأل فيه : هل يجب اتباع الرسم العثمانى فى كتابة المصاحف ؟ أم هل يجوز مخالفته للضرورة التى من أمثلتها : كلمة (ءاتَىٰن) فى الآية ٣٦ من سورة النمل ، حيث كُتِبَتْ فى المصحف العثمانى بغير ياء بعد النّون ، وكلمات : (الأعلام) ، و(الأحلام) ، و(الأقلام) ، و(الأزلام) و(الأولاد) ، حيث كُتبتْ أيضاً ، فى بعض المصاحف ، بحذف (الألف) بعد اللام ؟ وقد ذَكَر السائل أنّ هذه الألفات محذوفة فعلاً فى المصحف الأثرى المحفوظ فى المكتبة الإمبراطورية فى بترسبورج عاصمة الروسيا آنئذ ، وهو المصحف الذى يُظَنّ أنه من مصاحف عثمان الأئمة . (انظر : فتاوى الإمام محمد رشيد رضا ، المجلّد الثانى ص ٧٨٩ — ٧٩٤) .

وقد أجاب رشيد رضا — رحمه الله — بما منه :

(ا) أنّ الإسلام يمتاز على جميع الأديان بحفظ أصله منذ الصدر الأوّل ، وأنّ التّابعين وتابعيهم وأئمة العلم أحسنوا باتّباع الصحابة فى رسم المصحف ، وعدم تجويز كتابته بما استحدث الناس من فنّ الرسم ، وإنْ كان أرقى مما كان عليه الصحابة ، إذْ لو فعلوا لجاز أن يحدث اشتباه فى بعض الكلمات باختلاف رسمها وجهل أصلها .

(ب) وأنّ « الاتّباع فى رسم المصحف يفيد مزيد ثقة واطمئنان فى حفظه كما هو ، وفى إبعاد الشُبهات أن تحوم حوله ، وفى حفظ شىء من تاريخ الملّة وسلف الأمّة كما هو » .

(ج) وأنه — كنصّ الفتوى — « لوكان لمثل الأمة الإنكليزية هذا الأثر لما استبدلت به ملك كسرى وقيصر ، ولا أسطول الألمان الجديد الذى هو شغلها الشاغل اليوم ! » .

(د) وأنّ ما احتج به العزّبن عبد السّلام لما رآه من « عدم جواز كتابة المصاحف الآن على المرسوم الأول خشية الالتباس ، ولئلا يوقع فى تغيير من الجهّال » ليس بشىء ، « لأنّ الاتّباع إذا لم يكن واجباً فى الأصل — وهو ما لا ينكره — فترك الناس له لا يجعله حراماً أو غير جائز لما ذكره من الالتباس » .

(ﻫ) وأنّ الحلّ لكلّ العُقد فى مشكلات الرسم التى تواجه السائل هو فى الرجوع إلى طبعة المصحف الصّادرة فى سنة ١٣٠٨ ﻫ من مطبعة محمد أبى زيد بمصر ، فقد وقف على تصحيح هذه الطبعة وضبطها الشيخ رضوان بن محمد المخللاتى أحد علماء هذا الشأن وصاحب المصنفات فيه ، والذى وضع للطبعة مقدمة شارحة ونافعة . (انظر نفس الفتوى) .

(٢) طبقاً لدعوة المجمعىّ المشار إليها .

وهل نكتبه بالحروف الصينية – مثلا – لتيسير قراءته على الصينيين ؟ ونكتبه – مثلا أيضاً – بالحروف الأمهرية للأحباش ؟ وبالحروف اليونانية لليونان ؟

* * *

قال حفنى ناصف – معترضاً على القائلين بكتابة المصحف بالرسم الإملائى – : « ولا يبعد – إذا سلم كلام هؤلاء العلماء – أن يذهب غيرهم إلى استحسان كَتْب المصاحف بالحروف اللاتينية ، وآخرون إلى اختصاره ، وآخرون إلى إرجاعه للغة العامية ليعم نفعه ، إلى غير ذلك من الرِّقَاعات والْمَخْرَقَةِ ، وماذا بعد الحق إلاَّ الضلال ؟ » (١) .

على أنى أسأل : هل تغنى كتابة المصحف لكل قوم بحروف لغتهم . . . هل تغنى فى تعليمهم كيف يقرءون القرآن مجوَّدًا من غير تلقين شفهى ؟

* * *

٩ – أنّ المصاحف – وخاصة فى العصر الحديث – مضبوطة بالشكل التام ، ومذيّلة ببيانات إرشادية تيسّر للنّاس – إلى حدّ ما – قراءة الكلمات المخالفة فى رسمها للإملاء العادىّ ، ثم إن رسم المصحف العثمانى لا يخالف قواعد الإملاء المعروفة إلا فى كلمات لا يصعب على أحد – إذا لقّنها – أن ينطق بها صحيحة (٢) .

والذى اجتمعت عليه الأمة : أن من لا يعرف الرسم المأثور يجب عليه أن لا يقرأ فى المصحف ، حتى يتعلم القراءة على وجهها ، ويتعلّم مرسوم المصحف(٣).

* * *

١٠ – أن علماء الرسم العثمانى تتبعوا الكلمات التى يختلف رسمها عن نطقها ، وعللوا لها بما يُعرف منه أن مرجع الخلاف هو ما فى الكلمات من قراءات يحتملها الرسم ، أو ما فيها من قراءة واحدة يُستدعى أن تُكتب بصورتها التى لا تحتمل ما سواها .

وهذا نظام الدين النيسابورى ينقل عن جماعة من الأئمة قولهم : « إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتّبعوا هذا الرسم فى خط المصحف ، فإنّه رسم زيد بن ثابت ، وكان أمينَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكاتبَ وحيه ، وعَلِم من هذا العلم ، بدعوة النبى – صلى الله عليه وسلم – مالم يعلم غيره ، فما كتب شيئاً من ذلك إلا لعلّة لطيفة وحكمة

(١) انظر : حفنى ناصف : البحث المشار إليه قبلاً .

(٢) انظر الفتوى الصادرة سنة ١٩٣٧ م فى شأن رسم المصحف ، (مجلة الأزهر ع . صفر ١٣٦٨ هـ ضمن تقرير عن كتاب « الفرقان ») .

(٣) انظر : محمد بن حبيب الشنقيطى : إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام ص ١٦ .

بليغة ، وإن قصر عنها رأينا . ألا ترى أنه لو كتب : « عَلَىٰ صَلَوٰتِهِمْ » و « إِنَّ صَلَوٰتَكَ » ، بالألف بعد الواو ، أو بالألف من غير واو ، لما دلّ ذلك إلا على وجه واحد ، وقراءة واحدة ؟ وكذلك : « وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ »(١) تُكتب « وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ » بغير ألف قبل الفاء ، ولا بعدها ، ليدل على القراءتين »(٢) .

* * *

١١ – وأن فى الرسم العثمانى فوائد :

(ا) منها : الدلالة على الأصل والشكل والحروف ، لكتابة الحركات حروفاً ، باعتبار أصلها ، فى نحو : « وَإِيتَآىِٕ ذِى الْقُرْبَىٰ »(٣) – « سَأُوْرِيكُمْ »(٤) – « الصَّلَوٰة »(٥) (بالواو بدل الألف) – « الزَّكَوٰة »(٦) (بالواو بدل الألف أيضاً) .

(ب) ومنها : النص على بعض اللغات الفصيحة :

ككتابة هاءالتأنيث تاءً مجرورة على لغة طيِّئ .

وكحذف ياء المضارع لغير جازم ، فى : « يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ »(٧) على لغة هذيل .

(حـ) ومنها إفادة المعانى المختلفة ، بالقطع ، والوصل ، فى بعض الكلمات نحو : « أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً »(٨) – « أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا »(٩) فإن قطع (أم) عن (من) يفيد معنى (بل) دون وصلها بها .

(د) ومنها : أخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم برسم واحد ، نحو :

١ – « وَإِيتَآىِٕ ذِى الْقُرْبَىٰ »(١٠).

فالقراء يختلفون فيها – فى حالة وصلها بما بعدها – فى مقادير المدّ : فمنهم من مدّها ثلاث حركات ، ومنهم من مدّها أربعاً ، ومنهم من مدّها خمساً ، ومنهم من مدّها ستًّا .

---

(١) سورة الرعد / ٤٢ .

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ ١ ص ٤٠ .

(٣) سورة النحل / ٩٠ .

(٤) سورة الأعراف / من الآية ١٤٥ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٣٧ .

(٥) فى ٦٧ موضعاً من القرآن ، عدا مواضع أخرى جاءت فيها كلمة « صلوٰة » متصلة بضمائر مختلفة .

(٦) فى ٣٢ موضعاً من القرآن .

(٧) سورة هود / ١٠٥ .

(٨) سورة النساء / ١٠٩ .

(٩) سورة الملك / ٢٢ .

(١٠) سورة النحل / ٩٠ .

وحمزة ، وهشام – بخُلفه – يقفون على « وإيتإِى » ونحوه مما رسم بياء بعد الألف ، بإبدال الهمزة الثانية ألفا على التفصيل الذى أوضحه علماء القراءات (١) .

٢ – « الْعُلَمَـٰٓؤُاْ » (٢) :

فهى – كالكلمة السّابقة – يختلف فيها القراء ، فى حالة وصلها بما بعدها فى مقادير المدّ .
وحمزة ، وهشام – بخُلفه – يغيّرون الهمزة واواً ، على وجوه ذكرها العلماء (٣) .

٣ – « مَا كُنَّا نَبْغِ » (٤) :

فمع أن كتاب المصاحف أجمعوا على كتابتها بغير ياء بعد الغَيْن ، فقد اختلف القراء فى إثبات الياء وحذفها :

فأثبتها – وصْلًا – نافع ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، والكسائى .

وأثبتها – وصْلًا ، ووقْفا – ابن كثير ، ويعقوب .

وحذَفَها – وصْلًا ووقفا – ابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، وخلف العاشر .

وهذه الياء حُذفت – رسماً – للتخفيف ، فمن قرأ بحذفها وافق الرّسم تحقيقاً ، ومن قرأ بإثباتها وافق الرسم تقديراً . والأصل : إثباتها ، لأنها لام الكلمة (٥) .

٤ – « وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ » (٦) :

فقد اختلفت القراءات فيها :

فقرأها : « يَخْدَعُونَ » – بفتح الياء ، وإسكان الخاء ، وفتح الدال – ابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف ، وأبو جعفر ، ويعقوب .

وقرأها نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو : « يُخَادِعُونَ » بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها ، وكسر الدال (٧) .

٥ – « وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً » (٨) :

---

(١) انظر مثلاً : الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٢٨٠ .
(٢) سورة الشعراء / ١٩٧ ، وسورة فاطر / ٢٨ .
(٣) انظر : الدمياطى البنا : المرجع السابق ص ٣٣٤ .
(٤) سورة الكهف / ٦٤ .
(٥) انظر : أبو عمرو الدانى : التيسير فى القراءات السبع ص ١٤٧ .
والدمياطى البنا : المرجع السابق ص ١٩٢ .
(٦) سورة البقرة / ٩ .
(٧) انظر : ابن الجزرى : النشر جـ ٢ ص ٢٠٧ .
(٨) سورة الأنعام / ١١٥ .

فقد اتفق كُتّاب المصاحف على كتابتها ، بحذف الألف بعد الميم ، وبالتاء بعدها ، ولكن القراء اختلفوا فيها :

فقرأها بالإفراد : عاصم ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف ، ويعقوب .

وقرأها بالجمع : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو جعفر [١] .

٦ – « هَـٰذَٰن [٢] » .

قال أبو حيان فى « البحر المحيط » : قال أبو عبيد : رأيتها فى الإمام : مصحف عثمان : « هَـٰذَٰنِ » ليس فيها ألف .

ويستفاد من كلام الدمياطى البنا أن « هَـٰذَٰن » رُسمت فى المصحف بغير ألف ولا ياء ، وإنما رُسمت كذلك ليحتمل رسمُ المصحف قراءتى الألف والياء معاً ، ولو رسمت بالياء لفات ذلك ، ولم يحتمل رسم المصحف قراءة الألف[٣] .

(هـ) ومن فوائد الرسم العثمانى – فيما رأى بعض العلماء – أنه حجاب مَنَعَ أهل الكتاب أن يقرءوه على وجهه دون موقف[٤] . وأصحاب هذا الرأى يقصدون أنّ القرآن سلم من تحريف أهل الكتاب وهو ما لم تسلم منه الكتب الدينية قبله .

* * *

١٢ – وأنه ليس لازماً – فى الكتابة العربية – أن توافق صورةُ الرّسم صورة النطق باللفظ ، فـإن (داود) يكتب بواو واحدة ، والنطق بواوين ، و (عمرو) يُكتب – بعد رائه – واو ، ولا يُنطق بها ، ومن ثَمّ ، لا يصح الذهاب إلى أن الصحابة أخطأوا حين زادوا – مثلاً – ياءً فى كلمة « بأَيْيد » من قوله تعالى :

« وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيدٍ » [٦] ، على أن أبا عبد الله الخراز يقول :

وآخر الياءين من « بأَيْيدٍ » للفرق بينه وبين الأيد[٧]

ولمثل هذا نظائر باقية فى اللغات الأجنبية : فى بعض الكلمات الإنجليزية والفرنسية –مثلاً– حروف لا يُنطق بها ، وأخرى تخالف أصواتها الأصيلة أصوات النطق الفعلى . وقد أبى

(١) انظر : ابن الجزرى : النشر جـ ٢ ص ٢٦٢ . والدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٢١٦ .

(٢) سورة طه / من الآية ٦٣ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر ص ٣٠٤ .

(٤) انظر : الدمياطى البنا : الإتحاف ص ١٠ .

(٥) انظر : محمد بخيت المطيعى : الكلمات الحسان ص ٤٣ .

(٦) سورة الذاريات / ٤٧ .

(٧) انظر : محمد بخيت المطيعى : المرجع السابق ص ٣٥ .

الإنجليز والفرنسيون استبعاد هذه الحروف ، يبتغون بذلك أن تبقى الكلمات بشكلها المألوف منذ قديم ، وأن تظلّ لها أصولها الضاربة فى اللاتينية أو غيرها من اللغات القديمة .

وقد ذُكرت – فى تبرير الاختلافات بين رسم المصحف والرسم الإملائى – أسباب تستحق الاعتبار ، فمثلاً ، قال أبو داود – فى تبرير ما اصطلح عليه من حذف حروف المدّ فى المصحف – : « والحذف من المصحف إنما وقع فى : الألف ، والياء ، والواو ، لبقاء ما يدّل عليهن ، وكأنهن لم يحذفن لذلك ، إذ الفتحة – قبل الألف – تدل عليها ، والضمة – قبل الواو – كذلك ، والكسرة – قبل الياء – مثلهما . وأيضاً ، فإن الأحرف الثلاثة المذكورة لما كثر ورودها ، وجب اختصارها ، اصطلاحاً من الكاتبين على ذلك ، لما رأوا حروف المدّ واللين الثلاثة المذكورة وازت سائر الحروف الخمسة والعشرين . . إلخ » (١) .

* * *

١٣ – أن الاهتداء إلى تلاوة القرآن – على حقه – لا يكون إلا بموقّف ، شأن كل علم نفيس يُتَحَفَّظُ عليه .

وقيل : إن تغيير كتابة المصحف يُجَهِّلُ الناس بأوليتهم وكيفية ابتداء كتابتهم . وهذا – القرآن من أفواه الرجال الآخذين عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالسند العالى » (٢)

وقيل:إن تغيير كتابة المصحف يُجَهِّلُ الناس بأوليتهم وكيفية ابتداء كتابتهم . وهذا – فى ميزان العلم – خسران .

وقد عرفنا فيما سبق أن عز الدين بن عبد السلام كان لا يجيز كتابة المصحف على المرسوم الأول « لئلا يوقع فى تغيير من الجهّال » . ويرفض بعض العلماء هذا الرأى ويقولون إنه « لا ينبغى إجراؤه على إطلاقه ، لئلاّ يؤدّى إلى درس العلم ؛ ولا يُترك شىء قد أحكمه السلف مراعاة لجهل الجاهلين ، لا سيما وهو أحد الأركان التى عليها مدار القراءات »(٣)

٦

ولكننا – مع تقدير هذه الحجج وذلك الإجماع – نرى ، من الناحية الواقعية ،

(١) حاشية كتبها مجهول على هامش « المقنع » لأبى عمرو الدانى ص ١٢ ، المخطوطة رقم ٢٦٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) غوث الأركانى : نثر المرجان فى رسم نظم القرآن جـ ١ ص ١٢ .

(٣) انظر : الدمياطى البنا : الإتحاف ص ٩ و١٠ .

أن التلقي السليم من المصحف المكتوب وحده يَشُقّ على كثيرين من الناس ، حتى المثقفين منهم ، وحتى أبناء البلاد العربية ، فكيف بالكافة من أبناء البلاد غير الناطقة بالضاد ؟

وهذه – مثلاً – كلمات اختلف فيها الرسم الاصطلاحي عن الرسم القياسي ، ولو اكتفى ، في تعليمها ، بالمصحف المكتوب ، لوقع – لا محالة ، خطأ في قراءتها وفهمها :

ءَانَاي (آناء) – ألْـٰٔنَ (الآن) – أَثَـٰرَة (أثارة) – إنْسَـٰن (إنسان) – أَفَإيْنْ (أَفَإن) – أُمِّينَ (أميين) – إيتَـآىء (إيتاء) – بأَيْيدٍ (بأيد) – يَبْدَؤُا (يبدأ) – مُبَـٰرَكا (مباركا) جَزَٰؤُهُ (جزاؤه) – جاءى (جئ) – جَنَّـٰت (جنات) – حَرَٰم (حرام) – الْمُحْصَنَـٰت (المحصنات) – وَلاَ تَحَـٰضُّونَ (ولا تحاضون) – حَـٰفِظُونَ (حافظون) – الْحَـٰكِمِينَ (الحاكمين) – أَحْلَـٰم (أحلام) – الْحَوَارِيِّن (الحواريين) – يَحْىَ (يحيى) – الْحَيَوٰة (الحياة) – فَأَحْيَـٰكُمْ (فأحياكم) – الْخَبَـٰئِث (الخبائث) – يُخَـٰدِعُونَ (يخادعون) – خَـٰشِعَة (خاشعة) – الْخَلَّـٰق (الخلاق) – خَـٰمِدُونَ (خامدون) – دُعَـٰؤُا (دعاء) – لَاأَذْبَحَنَّهُ (لأذبحنّه) – سَأُورِيكُمْ (سأريكم) – الرِّبَوٰا (الربا) – الرَّٰسِخُونَ (الراسخون) – وَالْمُرْسَلَـٰت (والمرسلات) – رَٰضِيَةٌ (راضية) – الزَّكَوٰة (الزكاة) – سَـٰٓئِحَـٰت (سائحات) – سُبْحَـٰن (سبحان) – السَّـٰجِدِين (الساجدين) – سِرَٰجاً (سراجاً) – سُلْطَـٰن (سلطان) – السَّمَـٰوَٰت (السموات) – شُرَكَـٰٓؤُا (شركاء) – شُفَعَـٰٓؤُا (شفعاء) – تُشَـٰٓقُّونَ (تشاقون) – شَـٰكِرُون (شاكرون) – نَشَـٰٓؤُا (نشاء) – لِشَاْىْء (لشيء) – شَيْطَـٰن (شيطان) – أَصَـٰبِعَهُمْ (أصابعهم) – صَـٰحِبُهُ (صاحبه) – صَـٰحِبَةٌ (صاحبة) – الصَّلَوٰة (الصلاة) – الضُّعَفَـٰٓؤُا (الضعفاء) – أَضْغَـٰثُ (أضغاث) – لاَ تَظْمَؤُا (لا تظمأ) – الظَّـٰهِر (الظاهر) – الْعَـٰلَمِينَ (العالمين) – عِبَـٰدَنا (عبادنا) – الْعُدْوَٰنَ (العدوان) – فَالْعَـٰصِفَـٰتِ (فالعاصفات) – عَلَّـٰم (علام) – الْعُلَمَـٰٓؤُا (العلماء) – أَعْنَـٰب (أعناب) – الْغَـٰبِرين (الغابرين) – الْغَدَوٰة (الغداة) – الْغَفَّـٰر (الغفار) – غُلَـٰم (غلام) – تَفْتَؤُا (تفتأ) – فَالْفَـٰرِقَـٰتِ (فالفارقات) – يَتَفَيَّؤُا (يتفيأ) – كَبَـٰٓئِر (كبائر) – الْكَـٰفِرُون (الكافرون) – لَـٰبِثِينَ (لابثين) – لَـٰعِبِينَ (لاعبين) – لَـٰغِيَةً (لاغية) – لَـٰقِيهِ (لاقيه) – تِلْقَـآىِ (تلقاء) – فَالْمُلْقِيَـٰتِ (فالملقيات) – مِشْكَوٰة (مشكاة) – الْمَلَؤُا (الملأ) – مَنَوٰة (مناة) – نَبَؤُا (نبأ) – نَبَإِىْ (نَبَأ) – أَنْبَـٰٓؤُا (أنباء) – النَّبِينَ (النبيين) – النَّجَوٰة (النجاة) – يَتَنَـٰجَوْنَ (يتناجون) – نُجِى (ننجى) – يَتَنَـٰزَعُونَ (يتنازعون) – يُنَشَّؤُا (ينشأ) – وَالنَّـٰشِرَٰتِ (والناشرات) – الْمُنَـٰفِقِينَ (المنافقين) – لَتَنُوٓأُ (لتنوء) – وَرَآى (وراء) – وَٰسِعَـة

(واسعة) – لَوَٰقِعٌ (لواقع) – أَتَوَكَّؤُاْ (أتوكأ) – وَلَا تَاْيْئَسُواْ (ولا تيأسوا) – يَٰرَبِّ (يارب) – يَٰعِبَادِى (ياعبادى) – يَٰقَوْمِ (ياقوم)[1] .

* * *

ويزيد صعوبة التلقى من المصحف المكتوب ، ويزيد الحاجة إلى التلقى الصوتى أن بعض الكلمات المرسومة فيه بطريقة تغاير القواعد الإملائية مرسومة . فى نفس الوقت ، فى مواضع أخرى منه ، حسب هذه القواعد .

وإليكم نماذج من هذه الكلمات :

(ا) « الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ »[2] بدون ألف .

(ب) « وَكُنتُمْ أَمْوَٰتاً فَأَحْيَٰكُمْ »[3] ، بدون ألف فى : « أمواتاً » ، وفى : « فأَحْيَٰكُمْ » .

(حـ) « أَوْ أَنْ نَّفْعَلَ فِى أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰؤُا »[4] ، بدون ألف فى « ما نشاء » وبهمزة على الواو .

(د) « وَلَا تَاْيْئَسُوا مِن رَوْحِ ٱللَّهِ »[5] ، بزيادة ألف ، بين التاء والياء .

(هـ) « قَالُوا جَزَٰؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَٰؤُهُ »[6] ، بحذف الألف أيضاً .

(و) « حَتَّىٰٓ إِذَا اسْتَيْئَسَ ٱلرُّسُلُ »[7] . بحذف الألف .

(ز) « إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِ لَا تَحْزَنْ »[8] ، بدون ألف فى : « لصاحبه » .

(ح) « قَٰلَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ »[9] بدون ألف فى : « قال » .

(ط) « وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِلْعَبِيدِ »[10] ، بدون ألف فى : « بظلام » .

(ى) « ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَٰئِرَ ٱللَّهِ »[11] بدون ألف فى : « شعائر » .

(ك) « وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِن شَعَٰئِرِ اللهِ »[12] ، بدون ألف أيضاً .

---

(١) انظر : أبو عمرو الدانى : المقنع (المخطوطة رقم ٢٦٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة) .
الخراز : مورد الظمآن .
أحمد محمد أبو زيتحار : لطائف البيان فى رسم القرآن – شرح مورد الظمآن ، جزءان .
محمد حبيب الله الشنقيطى : إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام .

(٢) سورة البقرة / ١٢ .
(٣) سورة البقرة / ٢٨ .
(٤) سورة هود / ٨٧ .
(٥) سورة يوسف / ٨٧ .
(٦) سورة يوسف / ٧٥ .
(٧) سورة يوسف / ١١٠ .
(٨) سورة التوبة / ٤٠ .
(٩) سورة الأنبياء / ١١٢ .
(١٠) سورة الحج / ١٠ .
(١١) سورة الحج / ٣٢ .
(١٢) سورة الحج / ٣٦ .

(ل) « وَتُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ »(١) ، بدون ألف فى « أيها » .

(م) « وَقَالُوا يَـٰٓأَيُّهَ السَّاحِرُ »(٢) ، بدون ألف أيضاً .

(ن) « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَان »(٣) ، بدون ألف .

(س) « أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَـٰلَ »(٤) ، بدون ألف فى « الأمثال » .

(ع) « كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لَـْئَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ »(٥) ، بحذف الألف فى « الأيكة » .

(ف) « وَمَا كَيْدُ الْكَـٰفِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلَـٰلٍ »(٦) ، بدون ألف ، فى كل من : « الكافرين » و « ضلال » .

(ص) « وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ الْكَـٰفِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلَـٰلٍ »(٧) ، بدون ألف فى « دعاء » ، وبهمزة على واو فيها ، وبدون ألف فى كل من : « الكافرين » و « ضلال » .

(ق) « وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا »(٨) ، بحذف الألف من « جزاء »

(ر) « هَـٰذَا بَصَـٰئِرُ لِلنَّاسِ »(٩)، بدون ألف .

(ش) « لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَّٰباً »(١٠)، بدون ألف فى « كِذّابا » .

(ت) « وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا »(١١)، بالواو فى « الحياة » بدل الألف .

* * *

ومما يزيد أيضاً صعوبة التلقى من المصحف المكتوب وحده أن ثمة كلمات رسمت فى المصحف بشكل الجمع ، مع أن القراء اختلفوا فى إفرادها وجمعها ، وهذه هى :

١ - « كلمت » فى الآيات :

(ا) « وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً »(١٢)

قرأها بالإفراد عاصم ، وحمزة ، والكسائى ، ويعقوب ، وخلف(١٣).

(ب) « كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ »(١٤)

قرأها بالإفراد سوى نافع ، وابن عامر ، وأبى جعفر(١٥)

(١) سورة النور / ٣١ .
(٢) سورة الزخرف / ٤٩ .
(٣) سورة الرحمن / ٣١ .
(٤) سورة الفرقان / ٩ .
(٥) سورة الشعراء / ١٧٦ .
(٦) سورة غافر / ٢٥ .
(٧) سورة غافر / ٥٠ .
(٨) سورة الشورى / ٤٠ .
(٩) سورة الجاثية / ٢٠ .
(١٠) سورة النبأ / ٣٥ .
(١١) سورة النازعات / ٣٨ .
(١٢) سورة الأنعام / ١١٥ .
(١٣) انظر : حسن بن خلف الحسينى : الرحيق المختوم فى نثر اللؤلؤ المنظوم على أرجوزة الشيخ المتولى ص ١٩ .
(١٤) سورة يونس / ٣٣ .
(١٥) الرحيق المختوم ص ١٩ .

(حـ) « وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ »(١)

قرأها بالإفراد ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، ويعقوب ، وخلف(٢)

* * *

٢ – « آيَٰت » فى الآيتين :

(ا) « لَقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ »(٣)

قرأها بالإفراد ابن كثير(٤)

(ب) « وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ »(٥)

قرأها بالإفراد ابن كثير ، وشعبة ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف(٦) .

* * *

٣ – « غيابت » فى الآيتين :

(ا) « وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ »(٧)

(ب) « وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ »(٨)

قرأهما بالإفراد من عدا نافعاً وأبا جعفر(٩)

* * *

٤ – « غرفت » فى الآية : « فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ، وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ »(١٠)

قرأها بالإفراد حمزة(١١)

* * *

٥ – « بينت » فى الآية : « فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ »(١٢)

قرأها بالإفراد ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص ، وحمزة ، وخلف(١٣)

* * *

---

(١) سورة غافر / ٦ .

(٢) الدمياطى البنا : الإتحاف ص ٣٧٧

(٣) سورة يوسف / ٧ .

(٤) الرحيق المختوم ص ١٨ و ١٩ .

(٥) سورة العنكبوت / ٥٠ .

(٦) الإتحاف ص ٣٤٦ ، والرحيق المختوم ص ١٩ .

(٧) سورة يوسف / ١٠ .

(٨) سورة يوسف / ١٥ .

(٩) الإتحاف ص ٢٦٢ ، والرحيق المختوم ص ١٩

(١٠) سورة سبأ / ٣٧ .

(١١) الإتحاف ص ٣٦٠ ، والرحيق المختوم ص ١٩ .

(١٢) سورة فاطر / ٤٠ .

(١٣) الإتحاف ص ٣٦٢ .

٦ – « ثمرت » فى الآية : « وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا » [١] .

قرأها بالإفراد من عدا نافعاً ، وابن عامر وحفصاً ، وأبا جعفر [٢] .

* * *

٧ – « جملت » فى آية : « كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ » [٣]

قرأها بالإفراد حفص ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف العاشر ؛ وقرأها غيرهم بالجمع [٤] .

٧

ما الحلّ ، إذن ، تلقاء صعوبات شديدة كهذه يقابلها إجماع وثيق أو كالوثيق على وجوب بقاء رسم المصحف الاصطلاحى كما هو ؟

وما الحلّ ، وهناك – فوق صعوبات الاختلاف بين الخطّ الاصطلاحى للمصحف والخطّ القياسى – صعوبة خطية أخرى يعانى منها المشارقة والمغاربة على سواء ، إذا قرأ أحد الفريقين فى مصحف الآخر ؟

إنّ قواعد الكتابة فى كلّ من المصحفين تختلف عما هى فى الآخر اختلافاً يمكن أن يوقع القارئ فى الخطأ ، ولا يوائم طبيعة القرآن الذى يعتبر أتباعه أمة واحدة . ومن أمثلة الاختلافات الخطّيّة بين الفريقين : أنّ المشارقة ينقُطون الفاء بواحدة من فوق ، والقاف بنقطتين من فوق أيضاً ، بينما ينقط المغاربة الفاء بنقطة واحدة من أسفل ، والقاف بنقطة واحدة من فوق [٥] .

وما الحل ؟ وبعض علامات الضبط نفسها مختلفة فى المصاحف :

فعلامة التشديد – مثلا – يجعلها بعض الناس دالاً .

وبعضهم يجعلها مَدّةً فوق الحرف المسكّن ، سواءٌ كان همزة أو غيرها من سائر حروف المعجم .

وبعضهم يجعلها دارة صغيرة فوق الحرف .

---

(١) سورة فصّلت / ٤٧ .

(٢) الرحيق المختوم ص ٢٠ .

(٣) سورة المرسلات / ٣٣ .

(٤) الإتحاف ص ٤٣١ ، والرحيق المختوم ص ١٨ .

(٥) انظر – مثلاً – المصحف المطبوع بخط مغربى ، بإذن مشيخة الجامع الأزهر – إدارة البحوث والثقافة الإسلامية (تحت رقم ١٠٨٥ بتاريخ ١٩٦١/٨/٣ – التزام عبد الحميد أحمد حنفى) .

وسيبويه وعامّة أصحابه يجعلونها خاء .

وآخرون يجعلونها هاء[١]؟

وما الحلّ ؟ وقد اختلفت مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام المنتسخة من المصحف الإمام بعضها عن بعض ، وذلك من حيث الرسم زيادةً ونقصاناً ، على التفصيل الذى يحيط بعلمه الدارسون ، وعلماء الرسم القرآنى ، والذى ذكرته الكتب المتخصصة[٢] ؟ .

بل ما الحلّ ؟ وأبو عبيد القاسم بن سلّام أول من ألف فى القراءات يقرّر – فيما ذكرت إحدى الروايات – أنه رأى اختلافات بالحذف والإثبات فيما رسم فى المصاحف عما رآه فى مصحف عثمان بن عفان الذى فيه أثر دمه[٣] ؟

ما الحلّ ؟ ومصاحف المصر الواحد قد يكون فيها اختلاف ، فهذه مصاحف العراق اختلفت فى قوله : « حَقَّ تُقَاتِهِ »[٤] . ففى بعضها : بألف ثابتة ، بين القاف والتاء ، كما ترى فى (تقاته) ، وفى بعضها : بغير ألف ولا ياء ، بين القاف والتاء ، كما ترى فى (تُقَٰتِه)[٥] ؟

ما الحل ؟ واختلاف الرسم عما يناسب بعض القراءات المتواترة هو – على نُدْرته ، وعلى كون السماع لا الكتابة هو العمدة فى التلقى القرآنى – مظهرُ اختلاف بين المصاحف ، فيما يزعم الشانئون وغير المتعمقين . وهذا – على سبيل المثال – أجنس سميث لويس (Agnes Smith Lewis) فى مقدمته لكتاب: Leaves from three Ancient Qurans Possibly pre – Othmânic الذى أصدره ، بالاشتراك مع ألفونس منجانا Alphonse Mingana[٦] يَعُدُّ من مظاهر الاختلاف بين المصاحف[٧] كتابة « أُولَٰئِكَ » بدلا من « أولائك » ، و « كلمته » بدلاً من « كلماته »[٨]!

ما الحل ؟ والشكل فى المصاحف لا يقى – وحده – من اللّحن والخطأ . وهذا (على

---

(١) انظر : أبوعمرو الدانى : المحكم فى نقط المصاحف ص ٥٠ – ٥٢ .

(٢) انظر مثلاً : أبوعمرو الدانى : المقنع – النسخة المطبوعة ص ٩٢ – ٩٩ وص ١٠٢ – ١١٤ .

وانظر حاشية لم يذكر اسم صاحبها فى ص ١٢ من مخطوطة هذا الكتاب رقم ٢٦٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) نفس المرجع – النسخة المطبوعة ص ١٥ .

(٤) سورة آل عمران / ١٠٢ .

(٥) الحاشية السالفة الذكر على النسخة المخطوطة من المقنع .

(٦) ألفونس منجانا قسّيس عراقىّ ، ولد فى قرية شرانش من أعمال الموصل . وبعد أن أنهى دروسه فى الموصل ، وعاش فيها مدة ، نزح إلى إنجلترا ، فلبث هنالك حتى توفى سنة ١٩٣٧ م (أنظر : كوركيس عواد : نظرات فى دائرة المعارف الإسلامية – الترجمة العربية – مجلة الرسالة ع ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ ص ٩٤٨) .

(٧) ولا نقول « قرآنات » كما يقول هو خطأ .

(٨) P. Vi A. Vii

الجارم) الذى بَلَا تعليمَ اللغة العربية طويلاً ، وأحاط بمشكلاته خُبْراً ، هذا هو يقول فى مشروع قدّمه لمجمع اللغة العربية فى ٢٤ من أبريل ١٩٤١ : « جرّبنا أنّ الطالب المثقف لا يستطيع قراءة القرآن الكريم ، وهو مشكول على أدقّ ما يكون الشكل ، وأحكم ما يكون الضبط » [١]؟

إنّ التلقى الشفوى هو – فعلاً – وسيلة تعلم القراءة على وجهها ، وتعلّم رسوم المصحف ، وهو الوسيلة التى ترتفع معها اختلافات الرسم ، وينقطع – عندها – كلّ نزاع . والإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ، كما يقول الجاحظ[٢] ، وقديماً وضع « نصر بن عاصم » النقط أفراداً وأزواجاً ، « وخالف بين أماكنها ، بتوقيع بعضها فوق الحروف ، وبعضها تحت الحروف فَغَبَر الناس بذلك – زمانا – لا يكتبون إلا منقوطاً ، فكان – مع استعمال النقط أيضاً – يقع التصحيف ، فأحدثوا الإعجام ، فكانوا يُتْبِعون النقط الإعجام ، فإذا أُغفل الاستقصاء على الكلمة ، فلم تُعرف حقوقها ، اعترى هذا التصحيف ، فالتمسوا حيلة ، فلم يقدروا – فيها – إلا على الأخذ من أفواه الرجال »[٣] .

ولكن التلقى الشفهى – فيما هو معلوم – غير متاح لكثيرين نتيجة قلّة المحفّظين فى كثير من المناطق ، ولتعذّر ملازمة الكبار لهم .

ألا يكون الجمع الصوتى وسيلة البشرية إلى هذا التلقّى ؟

ذلك رأى هذا الضعيف .

٩

وقد دخلَتْ – أخيراً – على بعض طبعات الآيات القرآنية المكتوبة ، علامات الترقيم الحديثة ، كعلامات الاستفهام ، والتأثر ، والتضمين ، وغيرها . والظن أن هذا سيطّرد مستقبلا . ونحن ، للمصلحة الإسلامية ، ندعو – وبالله التوفيق – إلى مثل هذا التطوير فى نفس المصاحف المكتوبة ، وننشد – فوق هذا – بصفة خاصّة – كلّما تعدّدت موضوعات السورة الواحدة – الفصل أو التمييز بين هذه الموضوعات عند الكتابة ، وذلك بطريقة يرضاها علماء الإسلام جميعاً ، وننشد – فى ظل دراسة عميقة واسعة ، وموافقة إسلامية جامعة – أن تكون مواضع الابتداء المقررة عند جمهور العلماء هى بدايات أسطر .

---

(١) نقلاً عن : عبد العزيز فهمى : الحروف اللاتينية لكتابة العربية ص ٩ .

(٢) انظر : الحيوان جـ ١ ص ٥٥ .

(٣) نقلاً عن : العسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٣ .

بيد أننا – بكل التحرز والغيرة – نشترط – فى هذا التطوير – شروطاً أساسية يستحيل الترخّص فيها ، ومنها : اتّباع كلّ آداب كتابة المصحف التى يعرفها أهل الشأن ، والتزام ضبط حروف المصحف كلّها بالشكل الكامل ، والاحتفاظ الدقيق بالعلامات الدالة على نهايات الآيات ، وتحميل أمانة هذا التطوير للجنة رسمية ترقى علماً وإخلاصاً إلى مستوى هذا العمل القرآنى التاريخى .

على أننا لا نتعرض الآن لتفاصيل فكرة ذلك التطوير ، والإبانة عن دواعيها ومخططاتها ، ولكننا نذكر أنّ المصاحف المرتّلة هى – بالضرورة ، وبالتزامها كلّ قواعد القراءة المعبّرة – كفيلة بكلّ أغراض هذه العلامات ، بل كفيلة بكلّ أغراض الرموز ، ومصطلحات الضبط التى تُذيّل بها المصاحف الآن ، بقصد تيسير القرآن على الناس .

« ربّنا تقبّلْ منا إنّكَ أنْتَ السّميعُ العليم » .

الباب الثالث

الدفاع

- معاضدة المصحف العثمانى المجمع عليه

- درء التحريف

- التمكين للغة العربية والوحدة الإسلامية

الفصل الأول

معاضدة المصحف العثمانى المجمع عليه

١

من الأمور التى قد تثير المعنيّين بالقرآن ، وقد تبلبل أفكارهم ، وقد تدخل عليهم اضطراباً وحيرة : ما قِيل من أن المصحف العثمانى الذى أجمع عليه المسلمون يخالف خطًا ، أو زيادةً ، أو نقصاً ، فى مواضع غير قليلة ، مصاحف عدد من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته ، وأنه تدسّست إليه تحريفات ذكرها ذاكرون .

والثابت أنّ علماء القرآن ناقشوا هذه الأقوال أوْفَى مناقشة ، ثم خلصوا إلى بطلانها ، ولكنها ما برحت تملأ صحائف كثيرة فى بعض الكتب ، وما زالت تُعرض أحياناً عرضاً يَلْمز التواتر ، ويثير السحائب السّود فى أفكار الذين لم يدرسوا ما قيل فى دحض هذه الأقوال ، والذين لا يملكون القدرة على اكتشاف ما فيها من وَهَنٍ وبُطْلان .

ويسم الأمر وسْماً خاصًّا أن تلك الاختلافات ليست معزوّة إلى أفراد عاديّين ، وإنما هى معزوّة إلى بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته ، وهم ما هم منزلة عند المسلمين ، وأن روايات تلك الاختلافات صادفت بالفعل – عند بعض الناس – إصغاء مردّه غالباً حسن النية أو نقص الدراسة .

٢

وقد تعدّدت المصاحف التى قيل إنّ الصحابة كتبوها ، فهناك مصاحف منسوبة إلى : عبد الله بن مسعود ، وأُبىّ بن كعب ، وعلىّ بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس ، وأبى موسى الأشعرى ، وأنس بن مالك ، وعمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ،

وعبد الله بن عمرو ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وعبيد بن عمير ، وأمهات المؤمنين : عائشة وحفصة ، وأم سلمة [١] .

ومع أنّ هذه المصاحف — على فرض وجودها » ومخالفتها للمصحف العثمانى — فرديّة وخاصة ؛

ومع أن من أصحابها من قيل إنه اشترك فى الجمع العثمانى ، مثل أبىّ بن كعب ؛

ومع أن من أصحابها أيضاً من هو أحد المجمعين على ما فعل عثمان ، مثل علىّ بن أبى طالب ؛

فقد رُوِىَ الكثير عن اختلاف هذه المصاحف عن مصحف عثمان [٢] ، ورُوى أنَّ من أصحاب هذه الاختلافات من مضَوْا فى تمسّكهم بقراءتهم ، كما حدث — فيما تقول بعض الروايات — من ابن مسعود ، ومن أبىّ بن كعب [٣] .

ولعل من طريف ما يروى عن استمساك بعض الناس بقراءة ابن مسعود أن الشيعىّ الإمامى كان إذا حَلَفَ قال : إننى إذا نقضت يمينى وقعت فى كذا وكذا من الآثام ، « وأدخَلْتُ فى القرآن ما لم يثبته ابن مسعود ! » [٤] .

* * *

وتعدّدت — كذلك — كتب السَّلف عن اختلاف المصاحف [٥] . ومن هذه الكتب :

١ — كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق ، لابن عامر اليحصبىّ المتوفى سنة ١١٨ هـ .

٢ — كتاب اختلاف مصاحف أهل المدينة ، وأهل الكوفة ، وأهل البصرة ، للكسائى المتوفى سنة ١٨٩ هـ .

٣ — كتاب اختلاف أهل الكوفة ، والبصرة ، والشام فى المصاحف ، للفراء البغدادى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

٤ — كتاب اختلاف المصاحف ، لخلف بن هشام المتوفى سنة ٢٢٩ هـ .

---

(١) انظر معلومات عن كل من هذه المصاحف فى :
Arthur Jeffery : Materials For The History of The Tcxt of The Quran, P.P. 20 — 236.

(٢) Ibid, Passim

(٣) انظر مثلا : محمد بخيت المطيعى : الكلمات الحسان ص ١٨ و ١٩ و ٤٩ .

(٤) انظر : ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٥٩ .
والقلقشندى : صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٣٤ .

(٥) انظر : ابن النديم : الفهرست ص ١٦ (ط . ليبزج سنة ١٨٧٢ م) .

٥ – كتاب اختلاف المصاحف ، لأبى حاتم المتوفى سنة ٢٤٨ هـ .
٦ – كتاب المصاحف والهجاء ، لمحمد بن عيسى الأصبهانى المتوفى سنة ٢٥٣ هـ .
٧ – كتاب المصاحف ، لابن أشته الأصبهانى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .
٨ – كتاب المصاحف ، لابن أبى داود السجستانى المتوفى سنة ٣١٦ هـ .
٩ – كتاب اختلاف المصاحف ، وجامع القراءات ، للمدائنى المتوفى سنة ٣٢١ هـ [١] .
١٠ – كتاب المصاحف ، لابن الأنبارى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ .
١١ – كتاب غريب المصاحف ، للورّاق .

والملاحظ أن أغلب أسماء هذه الكتب يتضمّن صراحة عبارة « اختلاف المصاحف » .

وأبقى هذه الكتب أثراً : الثلاثة التى ألفها ابن الأنبارى ، وابن أشته ، وابن أبى داود . وأشهر هذه الثلاثة كتاب ابن الأنبارى . ولئن كان هو وكتاب ابن أشته ضائعين الآن ، إلا أن الكثير من محتوياتهما – فى شأن اختلاف المصاحف – واصَلَ الحياة فى الكتب الأحدث تاريخاً من مثل : « الإتقان » و « الدرّ المنثور » ، وكلاهما للسيوطى [٢] .

وقد قيل إن ابنَ مِقْسَم العطار الذى ألمعنا إليه فى موضع آخر جمع أيضا كتاباً فى المصاحف [٣] .

وقيل إن أبا موسى القزوينى أعدّ كتاباً أبرز فيه القراءات المتغايرة [٤] ، وإن بعض المصاحف التى كتبت فى القرنين الثالث والرابع الهجريين تضمنتْ مثل هذا [٥] .

وكذلك أورد بعض المفسرين – أمثال : الزمخشرى ، وأبى حيّان الأندلسى ، والشّوكانى – إشارات متفرقة ذات بال إلى اختلافات بين المصاحف .

ووردت إشارات – من هذا القبيل أيضاً – فى كتب اللغة ، من مثل : « إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن » للعكبرى ، و « إعراب القراءات الشّاذّة » له أيضاً ، و « المحتسب » لابن جنّى .

وابن الأثير يقول إنه لما ورد إلى الكوفة مصحف عثمان أخذ به بعض أهلها ، ولكن كثيرين منهم بقوا على الأخذ بمصحف ابن مسعود الذى أصبح فيما بعد محلّ تقدير الشيعة [٦] .

---

(١) انظر : آرثر جفرى : مقدمة كتاب المصاحف ، لابن أبى داود ص ١٠ .
وابن النديم : الفهرست ص ٣٦ ، وفيه : كتاب اختلاف المصاحف وجمع القراءات .

(٢) انظر : OP. cit. P.P. lo & ll.

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٣ .

(٤) A. Jeffery : Ibid, footnote P. 2

(٥) Loc. cit.

(٦) الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ٨٦ و ٨٧ (ط . نورنبرج) .

وكذلك يذكر العاملى أنه لا زال بأيدى الشيعة مصاحف يقولون إنّها بخطّ علىّ أو بعض أبنائه ، أو أحد أهل البيت [١] .

وقد نُشر لألفونس منجانا Alphonse Mingana (١٨٨١ – ١٩٣٧) ، وآجنس سميث لويس Agnes Smith Lewis ، فى سنة ١٩١٤ ، كتاب بعنوان « أوراق من ثلاثة مصاحف قديمة يمكن أن تكون سابقة للمصحف العثمانى ، مع قائمة بما فيها من اختلاقات » [٢] ، كما نُشر لمنجانا كتاب باسم : «ترجمة سريانية قديمة للقرآن تعرض آيات جديدة واختلافات » [٣] (كذا)

وأورد جولد تسيهر فى كتابه : « مذاهب التفسير الإسلامى » الزيادات المقول بوجودها فى المصاحف الفردية غير مصحف عثمان [٤] .

وقد جمع جفرى (Jeffery) الاختلافات المنسوبة إلى المصحف الفردىّ لكل من : ابن مسعود [٥] ، وأُبَىّ بن كعب [٦] ، وعلىّ بن أبى طالب [٧] ، وابن عباس [٨] ، وأبى موسى الأشعرى [٩] ، وحفْصَة [١٠] ، وأنس بن مالك [١١] ، وعمر بن الخطاب [١٢] ، وزيد بن ثابت [١٣] . وابن الزبير [١٤] ، وعائشة [١٥] ، وسالم مولى أبى حذيفة [١٦] ، وأمّ سلمة [١٧] ، وعبيد بن عمير [١٨] .

وكذلك جمع الاختلافات المنسوبة إلى مصاحف التّالين للصحابة ، فجميع ما قيل إنه ورد فى المصحف الفردىّ لكلّ من : الأسود بن يزيد [١٩] ، وعلقمة [٢٠] ، وحطّان [٢١] ،

---

(١) أعيان الشيعة جـ ١ ص ١٥٠ .

(٢) Leaves From Three Ancient Qurâns Possibly pre — Othmanic with a list of their Variants.

ويلاحظ أنه استعمل لفظ Qurans – قرآن بالجمع – وهو خطأ كبير جداً ، وكان الصواب لو استعمل كلمة « المصاحف » .

(٣) An Ancient Syriac Translation of The Kuran, exhibiting new Verses and Variants.

(٤) انظر الترجمة العربية لعبد الحليم النجار من ص ٢١ إلى ص ٤٧ .

(٥) P. P. 25 – 113.

(٦) P. P. 117 – 181.

(٧) P. P. 185 – 192.

(٨) P. P. 195 – 208.

(٩) P. 211.

(١٠) P. 214.

(١١) P. P. 216 – 217.

(١٢) P. P. 220 – 222.

(١٣) P. 224.

(١٤) P. P. 227 – 229.

(١٥) P. P. 232 – 233.

(١٦) P. 234.

(١٧) P. 235.

(١٨) P. P. 237 – 238.

(١٩) P. 240.

(٢٠) P. P. 242 – 243.

(٢١) P. 244.

وسعيد بن جبير (١) ، وطلحة (٢) ، وعكرمة (٣) ، ومجاهد ، وعطاء بن رباح (٥) ، والربيع ابن الخيثم (٦) ، والأعمش (٧) ، وجعفر الصّادق (٨) ، وصالح بن كيسان (٩) ، والحارث ابن سويد (١٠).

كما جمع « جفرى » الاختلافات المنسوبة إلى المصاحف المجهولة الأصحاب (١١).

* * *

وكأنما وجد بعض المستشرقين – فى موضوع اختلاف المصاحف – ميداناً يخبّون فيه ويضعون ، ليشفوا رغبة فى صدورهم : هى زلزلة العقائد ، وفتح أبواب الشكوك والزيغ ، وفصم العروة الوثق ، والرابطة المحكمة بين المسلمين . فهؤلاء المستشرقون يعرفون أن الشكّ فى نصّ يوجب الشكّ فى آخر ، فهم يلحّون فى طلب روايات الاختلاف ، وينقلونها فى غير تحرز ، ويؤيدونها غالباً ، ولا يمتحنون أسانيدها ، ولا يلتفتون إلى آراء علماء المسلمين فيها .

ومن أشهر المستشرقين المحدثين الذين سلكوا هذا المنهج : تيودور نولدكه T. Noeledeke (١٢).

ومع أن بعضهم لا يجدون مناصاً من الاعتراف بأن بعض الاختلافات تبدو مستحيلة من الناحية اللغوية (١٣) ، وبعضها الآخر يشعر أنها مما اخترع بعض اللغويين (Philologers) الذين نَحَلُوا اختراعاتهم هؤلاء الصّحابة (١٤)، والتابعين الأوّلين ، فإنهم يصفون مصحف عثمان بأنه أدنى المصاحف إلى الأصل (١٥) ، ولا يقولون إنه الأصل نفسه .

* * *

ومهما يكن من شىء ، فإن المصاحف المقول بمخالفتها لمصحف عثمان – على فرض جدلىّ

---

(١) P. P. 246 – 252.

(٢) P. P. 254 – 267.

(٣) P. P. 269 – 275.

(٤) P. P. 277 – 289.

(٥) P. P. 295 – 296.

(٦) P. P. 298 – 313.

(٧) P. P. 315 – 329.

(٨) P. P. 332 – 337.

(٩) P. 338.

(١٠) P. 339.

(١١) P. P. 340 – 341.

(١٢) ولد فى سنة ١٨٣٦ ، وتوفى سنة ١٩٣٠ ، وله عدة مؤلفات ، من أشهرها : « قواعد اللغة العربية » (فينا سنة ١٨٩٦) ، و « القواعد السريانية » (ليبزج سنة ١٨٨٨) ، و « تقارب اللهجات » (هال سنة ١٨٧٥) و « تاريخ القرآن » (جوتنجن سنة ١٨٦٠) و « دراسة المعلقات الخمس وتاريخ الجاهلية » (ليدن سنة ١٨٧٩) – انظر : نجيب العقيقى : المستشرقون جـ ٢ ص ٧٣٨ .

(١٣) Jeffery: Loc. cit. P. X.

(١٤) Ibid P. IX.

(١٥) Ibid P. X.

بحث هو أنّها بقيت قليلا أو كثيراً بعد الجمع العثمانىّ – لم تظفر بما ظفر به هذا الأخير من إجماع الصحابة وثقتهم وأخذهم بما تضمنه من الأوجه والقراءات .

وقد تنبه المسلمون ، منذ قديم ، إلى أن هذه المصاحف – على نفس الفرض الجدلىّ البحت آنفاً – فردية كتبها أصحابها لأنفسهم ، وأنها – وقد أشرنا إلى هذا قبلا – ربما تضمنت ما كانت روايته آحاداً ، وما نسخت تلاوته ، وما لم يكن فى العرضة الأخيرة (١) ، وأنه اختلطت فيها أحياناً الألفاظ القرآنية بالشرح وبيان التأويل .

* * *

ونحن – كما يقول ابن حزم – « وإن بَلَغْنا الغاية فى تعظيم أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، ورضوان الله عليهم – وتقرّبنا إلى الله – عزّ وجلّ – بمحبتهم ، فلسنا نُبعد عنهم الوَهْم والخطأ ، ولا نقلّدهم فى شيء مما قالوه ، إنما نحن نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – بما هو عندهم ، بالمشاهدة والسّماع لما ثبت من عدالتهم ، وثقتهم وصدقهم . وأما عصمتهم من الخطأ فيما قالوه – برأى وبظنّ – فلا نقول بذلك » (٢) .

ونحن نرى أيضاً ، مثل رأى ابن حزم ، حين يقول : « والوهم لا يعرى منه أحد ، بعد الأنبياء ، عليهم السّلام » (٣) .

وربّما كان أهم من هذا أنّ المصاحف المنسوبة لبعض الصحابة قد أمر عثمان – فيما هو ثابت – بإحراقها ، على ملأ من الصحابة وبموافقتهم ، فهى إذن غير موجودة ، ففيم المناقشة ، وليس بين أيدينا ما نناقشه ؟

هذا ، وأغلب الكتب الآنفة والمؤلفة فى اختلاف المصاحف العثمانية هى فى بيان القراءات المتواترة التى لا يحتملها رسم واحد ، فكما ذكرنا قبلا فى فصل (جمع عثمان) ، عَمِدَت لَجنَة الجمع إلى كتابة بعض هذه القراءات فى مصحف وبعضها فى مصحف آخر ، على التفصيل الذى أوردنا له هناك بعض الأمثلة .

---

(١) فمثلاً ، قرأ ابن مسعود بمكة ، وعرض هناك ، وقرأ أُبىّ ، وعرض بعد الهجرة ، بينما قرأ زيد بن ثابت بعدهما ، وعرض فى سنة وفاة النبى صلى الله عليه وسلّم .

(٢) الفصل فى الملل والنحل ج ٢ ص ٧٦ .

(٣) نفس المرجع ص ٧٧ .

٣

وقد بدا لنا أنّ من حقّ العلم – فضلا عن الدّين – على من يصدّقون بالجمع العثمانى ، أن يعاضدوه ، فيسجّلوه تسجيلا صوتيًّا لا يلتزم إلا بما فيه .

ونحن نشير – فيما يلى – إلى أشهر التحريفات المدّعاة على مصحف عثمان ، وما قال علماء القرآن فى شأنها . وسنرى أن التسجيل الصوتى لهذا المصحف سيكون تأييداً عمليًّا من الأخلاف ، للعمل السليم الذى أجمع عليه الأسلاف ، وانعقد به تصديق المسلمين منذ عهد الصحابة ، وسيكون – بالحق – إهداراً لتلك الدعاوى التى يؤكد البحث الموضوعى أنها خاطئة ومختلقة ، والتى تفتح مع ذلك – أمام بعض الناس – أبواباً للشكّ والإلحاد .

* * *

١ – نسبوا إلى ابن مسعود أنه أسقط الفاتحة من مصحفه[١] .

ويقول ابن قتيبة فى « مشكل القرآن » : إن ذلك « ليس لظنّ ابن مسعود أن الفاتحة ليست من القرآن ، معاذ الله ! ولكنه ذهب إلى أنّ القرآن إنما كُتِب وجُمع بين اللوحين ، مخافة الشك ، والنسيان ، والزيادة والنقصان ، ورأى أن ذلك مأمون فى سورة « الحمد » لقصرها ، ووجوب تعلمها على كل أحد » [٢] .

وقول ابن قتيبة جدير جداً بأن نقبله ونطمئن إليه ، فإن عورض بأن ثمة سوراً فى القرآن قصيرة ، ويقرأ بها الكافة فى صلاتهم ، لسهولة حفظها ، ومع ذلك أثبتها ابن مسعود فى مصحفه ...

وإن قيل إن الروايات التى وَرَدَت عن رأى ابن مسعود فى قرآنية المعوّذتين [٣] ربما عضّدت أنه أسقط الفاتحة ، وكان إسقاطه إياها لسبب غير ما ساقه ابن قتيبة ، قلنا : إن الفاتحة – فى الصلاة – غير سور القرآن قصيرها وطويلها ، يقول النبىّ صلّى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »[٤] . وفى الحديث عن عبادة بن الصامت – فيما أخرج الحاكم النيسابورى – : « أمُّ القرآن عوض من غيرها ، وليس غيرها منها عوض »[٥] .

---

(١) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٦٥ و ٧٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٠ .

(٣) سيرد لهذه الروايات ذكر فيما بعد .

(٤) رواه البخارى ومسلم ، عن عبادة بن الصّامت وانظر : مسند أبى عوانة الأسفرايينى جـ ٢ ص ١٢٥ .

(٥) المستدرك جـ ١ ص ٢٣٨

على أنّ هناك ما يشبه أن يكون إطباقاً على ردّ رواية الإنكار أصلا .

ويجمع بعض الأصوليين والفقهاء كثيراً من النصوص فى هذا الشأن (١).

١ – قال السيوطى فى « الإتقان » : الأغلب على الظن أنّ نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل .

٢ – وفيه : نُقل عن القاضى أبى بكر : أنه لم يصحّ هذا النقل عنه ، ولا حُفظ عنه .

٣ – ونُقل عن النووى فى (شرح المهذب) : أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد شيئاً منها كفر ، وما نُقل عن ابن مسعود باطل غير صحيح .

٤ – وفيه أيضاً : قال ابن حزم : هذا كذب على ابن مسعود موضوع . . . إلخ .

٥ – ويقول (فواتح الرحموت بشرح مسلّم الثبوت) فى الردّ على تلك الرواية : وهذا ليس بشىء ، فإنه قد تقدّم النقل عن الأئمة بعدم صحته ؛ والراوى عسى وهِم فى نسبة النفى . . .

٦ – وقد ورد عن ابن مسعود ما يمكن أن يكون فصل الخطاب فى هذا الموضوع :

قال أبو بكر الأنبارى : حدّثنا الحسنُ بنُ الحباب ، حدّثنا سليمان بن الأشعث ، حدّثنا ابنُ أبى قُدامة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، قال : أظنّه عن إبراهيم ، قال :

قيل لعبد الله بن مسعود : لِمَ لمْ تكتب فاتحة الكتاب فى مصحفك ؟

وفى هذه المسألة أحاديث كثيرة صحيحة :

يقول النووى الشافعى فى كتابه (المجموع شرح المهذّب) عن قراءة الفاتحة فى الصلاة :

« وقراءة الفاتحة للقادر عليها فرض من فروض الصلاة ، وركن من أركانها ، ومتعيّنة لا يقوم مقامها ترجمتُها بغير العربية ، ولا قراءةُ غيرها من القرآن ، ويستوى فى تعيّنها جميع الصلوات : فرضُها ونفلها ، جهرها وسرّها ، والرجل ، والمرأة ، والصّبىّ ، والمسافر ، والقائم ، والقاعد ، والمضطجع ، وفى حال شدّة الخوف ، وغيرها .

وسواء فى تعيّنها : الإمام والمأموم والمنفرد . . . » (جـ ٣ ص ٢٨٥ ط . زكريا يوسف)

« . . . وبهذا قال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم .

وقد حكاه ابن المنذر عن عمر بن الخطاب ، وعثمان بن العاص ، وابن عباس ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد الخدرىّ ، وخوّات بن جبير ، والزهرى ، وابن عوف ، والأوزاعى ، ومالك ، وابن المبارك ، وأحمد ، وإسحق ، وأبى ثور .

وحكاه أصحابنا عن الثورى وداود » (نفس المرجع) .

ويقول الحنابلة إنّ قراءة الفاتحة هى الركن الثالث فى حقّ الإمام والمنفرد لما رُوى عن عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلّم (انظر : ابن قدامة المقدسى : الكافى فى فقه الإمام المبجل : أحمد بن حنبل جـ ١ ص ١٦٧) .

وهم يقرأون الفاتحة مرتّبة متوالية مشدّدة ومرتّلة ومعرَبة . (انظر : شرف الدين موسى الحجاوى المقدسى المتوفى سنة ٩٦٨هـ . الإقناع فى فقه الإمام أحمد بن حنبل ص ١١٦) .

(١) انظر مثلاً :

عبد العلى محمد بن نظام الدين الأنصارى : فواتح الرحموت بشرح مسلّم الثبوت لمحبّ الله بن عبد الشكور (بذيل المستصفى للغزالى جـ ٢ ص ٩) .

قال : لو كتبتها لكتبتها مع كلّ سورة .

قال أبو بكر : يعنى أنّ كل ركعة سبيلها أن تفتتح بأمّ القرآن قبل السّورة المتلوة بعدها .

فقال : اختصرت بإسقاطها ، ووثقت بحفظ المسلمين لها ، ولم أثبتْها فى موضع فيلزمنى أن أكتبها مع كلّ سورة ، إذْ كانت تتقدّمها فى الصلاة (١) .

* * *

٢ – وذكر أبو حيان المفسر : « قرأ ابن مسعود ، وابن عباس ، وابن الزبير « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِن رَّبِّكُمْ » (٢) (فى مواسم الحج) بزيادة « فى مواسم الحج » على القراءة المشهورة .

والأَوْلى – كما يقول أبو حيّان – : « جعل هذا تفسيراً لأنه مخالف لسواد المصحف الذى أجمعت عليه الأمة » (٣) .

ومما يذكر هنا فى شأن ما رُوى عن ابن مسعود ، مما لم يثبت عند أهل النقل ، قول النووى وهو قول يجد إلى العقل سبيلا قاصداً :

« . . . وأما ابن مسعود ، فرويت عنه روايات كثيرة :

منها ما ليس بثابت عند أهل النقل .

وما ثبت منها مخالفاً لما قلناه : فهو محمول على أنه كان يَكْتُب – فى مصحفه – بعض الأحكام والتفاسير ، مما يعتقد أنه ليس بقرآن ، وكان لا يعتقد تحريم ذلك ، وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء .

وكان رأى عثمان والجماعة منع ذلك ، لئلا يتطاول الزمان ويُظَنَّ ذلك قرآناً » (٤)

وللآمدى – فى إبطال صدق ما نقل عن ابن مسعود أو ما قيل إنه نُقل عنه – منطق مقبول . يقول الآمدى :

« فلو قلنا : إن ما نقله ابن مسعود قرآن لزم ارتكاب من عداه من الصحابة للحرام بالسكوت .

ولو قلنا : إنه ليس بقرآن لم يلزم منه ذلك ، لا بالنسبة إلى الراوى ، ولا بالنسبة إلى من عَدَاه من الساكتين .

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ١١٤ .

(٢) سورة البقرة / ١٩٨ .

(٣) البحر المحيط جـ ٢ ص ٩٤ .

(٤) انظر : صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٦ ص ١٠٨ – ١١٠ .

وبتقدير ارتكاب ابن مسعود للحرام ، مع كونه واحداً ، أولى من ارتكاب الجماعة له .

وعلى هذا ، فقد بطل قولهم بظهور صدقه ، فيما نقله ، من غير معارض[1] » .

أما ابن حزم ، فيصف ما قيل من خلاف بين مصحف ابن مسعود ومصحفنا ، بأنه « باطل ، وكذب ، وإفك » . وحجّته أن قراءة ابن مسعود « هى قراءة عاصم المشهورة ، عند جميع أهل الإسلام ، فى شرق الدنيا وغربها ، فَقَرَأَ بها – كما ذكرنا – وبغيرها ، بما قد صحّ أنه كلّه منزل من عند الله تعالى »[2] .

* * *

٣ – وقيل إن عائشة سئلت عن قوله تعالى : « وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ » [3] ، وعن قوله : « إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّٰبِئُونَ » [4] ، وعن قوله : « إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ »[5] فقالت : يا بن أخى ! هذا كان خطأً من الكاتب[6] .

(ا) وراوى هذا هو أبو معاوية الضرير الذى شهد علماء الحديث أن فى أقواله أحاديث مضطربة ، وأنه « ربمّا دلّس »[7] ، وأنه « كان مُرْجِئاً خَبيثا »[8] .

وهذا – مع ما سنذكره الآن من وجوه توهين هذه الرواية – يدعونا – علميًّا – إلى رفضها أصلاً ، فضلا عن أن نعوّل عليها .

(ب) وتخطئة رسم المصحف فى قوله : « وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ » نَقَضَها العلماء منذ قديم . وقد يكفى – فى هذا الشأن – نقل ما ذكره أبو حيان الأندلسىّ المفسّر ؛ قال :

« وذُكر عن عائشة – رضى الله عنها – ، وعن أبان بن عثمان ، أنّ كَتْبَها بالياء من خطأ كاتب المصحف .

ولا يصحّ ذلك عنهما ، لأنهما عربيّان فصيحان ، وقطع النعوت أشهر فى لسان العرب ، وهو باب واسع ذكر عليه شواهد سيبويه وغيرُه ، وعلى القطع خرّج سيبويه ذلك .

---

(١) الإحكام فى أصول الأحكام جـ ١ ص ٢٣٢ و٢٣٣ .

(٢) الفصل فى الملل والنحل جـ ٢ ص ٧٧ .

(٣) سورة النساء / ١٦٢ .

(٤) سورة المائدة / ٦٩ .

(٥) سورة طه / ٦٣ .

(٦) الفراء : معانى القرآن جـ ١ ص ١٠٦ .

(٧) انظر : كتاب العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل جـ ١ ص ٢٤١ .
وانظر : ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ١٣٨ و١٣٩ .

(٨) نفس المرجعين .

قال الزمخشرى : لا يُلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً فى خطّ المصحف . وربما التفت إليه من لم ينظر فى « الكتاب » – يريد كتاب سيبويه –[1] ، ولم يعرف مذاهب العرب ، وما لهم فى النَّصْب على الاختصاص من الافتنان ، وخفى عليه أنّ السابقين الأوّلين الذين مَثَلُهُمْ فى التوراة وَمثَلُهُم فى الإنجيل ، كانوا أبعد همّة فى الغيرة على الإسلام ، من أن يتركوا فى كتاب الله ثُلْمَةً يسدّها مَن بعدَهم ، وخرقاً يرفوه من يلحق بهم »[2] .

ثم إنه لا يصعب تخريج النصب الذى يقرأ به الجمهور ، على المدح والتقدير ، أى : أمدح ، وأقدّر المقيمين الصلاة[3] .

يقول ابن جنّى فى « المحتسب » : القطع – لكونه بتقدير الجملة أبلغُ من الإتْباع لكونه مفرداً »[4] .

وقالت الخورنق[5] :

لا يَبْعَدنْ قومى الذين هم سمُّ العُداة وآفة الجُـــزُر
النـــازلون بكل معـــترك والطيبين معـــاقد الأُزُر

فنصبت « الطيبين » على المدح ، فكأنها قالت : أعنى : الطيبين[6]

(حـ) أما قراءة : « وَالصَّٰبِئُونَ » بالواو ، فكيف يُنسب إلى عائشة أنّها خطّأتها ، مع أنه لم يُنقل عنها أنها خطّأَت من يقرأ بها ؟ ولم ينقل أنها كانت تقرأ بالياء دون الواو ؟[7] .

على أن النحويين يرون أنّ « والصَّٰبِئُونَ » رُفع على الابتداء ، وخبرهُ محذوف ، والنّيّة به التأخيرُ عما فى حيز « إنَّ » ، من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إنَّ ٱلَّذين آمنوا وٱلَّذِينَ

---

(١) طبع هذا الكتاب فى باريس سنة ١٨٨٥ ، بتصحيح هريونغ وتبرغ (بالمطبع العامىّ الأشرف) .
(٢) البحر المحيط جـ ٣ ص ٣٩٥ و ٣٩٦ .
(٣) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٤ .
(٤) انظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية جـ ٢ ص ٨٢ .
(٥) وهى بنت بدر بن هفان أخت طَرَفَة لأمّه ؛ وهى هنا ترثى زوجها بشر بن عمرو بن مرثد .
(٦) انظر : أبو البركات الأنبارى : الإنصاف فى مسائل الخلاف ص ٢٧٦
ولا يبعدَنْ : أى لا يهلكن (تدعو لقومها) .
والجُزُر : جمع جزور ، وهى الناقة التى تُنحر .
والمعترك : موضع القتال .
وتكنى بـ « الطيبين معاقد الأُزُر » عن عفّتهم وطهارتهم .
(٧) انظر : محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان ص ١٨٨

هادوا والنصارى حكمهم كذا . . والصابئون كذلك [١] . وقد أورد سيبويه شاهداً له : قولَ بشر بن أبى حازم :

وإلاَّ فاعلموا أنَّا وأنتم بغاة ما بقينا فى شقاق[٢]

كأنه قال : بغاة ما بقينا وأنتم[٣] .

(د) وأما عبارة : « إنْ هَـٰذَٰنِ لَسَاحِرَٰنِ » : ففيه أوجه ذكرها صاحب « الإتقان » [٤] ، وغيره [٥] :

(أحدها) أنه جائز ، على لغة من يُجرى المثنَّى بالألف ، فى أحواله الثلاث ، وهى لغة مشهورة لكنانة ، وقيل : لغة بلحارث بن كعب ، يقولون : مررت برجلان ، وقبضت درهمان ، وجلست بين يداه . ومنه قول الشاعر :

واهاً لسلمى ثم واهــاً واهــاً يا ليت عيناها لنـا وفاها
وموضع الخلخال من رجــلاها بثمن يرضى بــهِ أباها
إن أباها وأبا أباها قد بلغا من المجــد غايتاها

ومنه أيضاً قول الشاعر الآخر :

تزوّد منا بين أذناه ضربةً دعته إلى هافى التراب عقيم

(الثانى) أن اسم « إن » ضمير الشأن محذوفاً ، والجملة — مبتدأ ، وخبرٌ — خَبَرُ « إن » .

(الثالث) أن اسم « إن » ضمير الشأن محذوفاً ، إلا أن « ساحران » خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : هما ساحران .

(الرابع) أن « إن » — هنا — بمعنى : نعم

(الخامس) أن « ها » ضمير القصة اسم إن ، و « إن . . لساحِرَانِ » مبتدأ وخبر[٦] .

(السادس) أن الإتيان بالألف هو لمناسبة « ساحران يريدان » ، كما نوَّن « سلاسلا »

---

(١) انظر : الزمخشرى : الكشاف جـ ١ ص ٣٥٤ .

(٢) الكتاب جـ ١ ص ٢٩٠ .

(٣) انظر : عبد الفتاح إسماعيل شلبى : رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات ص ١١٠ .

(٤) جـ ١ ص ١٨٤ .

(٥) انظر مثلاً : ابن مطرف الكتانى : القرطين جـ ٢ ص ١٠ و ١١

(٦) هذا الوجه مردود ، لأن « إن » منفصلة ، و « ها » متصلة فى الرسم .

لمناسبة « أغلالاً » (١) ، و« من سبأٍ » بمناسبة « بنبأٍ » (٢) .

(هـ) وأبو عمرو الدانى يستبعد على عائشة – فى عظيم محلها ، وجليل قدرها ، واتساع علمها ، ومعرفتها بلغة قومها – « أن تلحن الصحابة ، وتخطّئ الكتبة ، وموضعهم من الفصاحة والعلم باللغة موضعُهم الذى لا يجهل ولا يُنكر » (٣) . ويقول : « هذا ما لا يسوغ ولا يجوز » (٤) .

ونحن نطمئن لهذا الرأى أيضاً .

* * *

٤ – وقالوا إنه قيل لزيد : يا أبا سعيد ! أوهمت ؟ إنما هى : ثمانية أزواج : من الضأن اثنين اثنين ، ومن المعز اثنين اثنين ، ومن الإبل اثنين اثنين ، ومن البقر اثنين اثنين (٥) .

فقال – مؤيداً نصّ المصحف العثمانى الذى أجمع عليه المسلمون – : « لأن الله – تعالى – يقول : « فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ » (٦) ، فهما زوجان ، كل واحد منهما زوج : الذكر زوج ، والأنثى زوج (٧) .

ويقول القرطبى : فقوله : « ثمانية أزواج » يعنى : ثمانية أفراد ، وكلّ فرد عند العرب يحتاج إلى آخر يسمى زَوْجاً ، فيقال للذَّكَرِ زَوْجٌ ، وللأنثى زوج . ويقع لفظ الزّوج للواحد وللاثنين ، يقال : هما زوجان ، وهما زوج ، كما يقال : هما سيّان ، وهما سواء ، وتقول : اشتريت زوجَيْ حمام ، وأنتْ تعنى : ذكرا وأنثى (٨) .

وكذلك يقول أبو حيان الأندلسى ، فى تفسيره : « والزوج ما كان مع آخر من جنسه ، وهما زوجان . قال : « وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ » (٩) ، فإن كان وحده فهو فرد ،

---

(١) اللفظان من الآية ٤ فى سورة الإنسان .

(٢) اللفظان من الآية ٢٢ فى سورة النمل .

(٣) المقنع ص ١١٩ (النسخة المطبوعة) .

(٤) نفس المرجع .

(٥) النصّ فى المصحف : « ثَمَانِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ ، وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ، قل ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ، نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ، قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ، أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا . . . » (سورة الأنعام / ١٤٣ و ١٤٤) .

(٦) سورة القيامة / ٣٩ .

(٧) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن جـ ٧ ص ١١٢ .

(٩) سورة النجم / ٤٥ .

ويعنى باثنين : ذكراً وأنثى ، أى : كبشا ، ونعجةً ، وتيساً ، وعنزاً [١]. »

وفى تفسير إسماعيل حقّى :

« والزوج : هو ما معه آخر من جنسه يزاوجه ، ويحصل منهما النَسل : فالاثنان المصطحبان يقال لهما : زوجان لا زوج .

فعلى هذا ، يقال : مقراضان ، ومقصّان ، لا مقراض ومقصّ ، لأنهما اثنان »[٢]

وإذن ، فكلام زيد – آنفاً – صحيح ، وهو أيضاً : « بيان لوجه ما كتبه وقرأه سماعاً وأخذاً عن النبى – صلى الله عليه وسلّم – لا تصرّفاً وتشهّياً من تلقاء نفسه »[٣].

* * *

والمعترض على زيد – إنْ صحّتْ أصلاً رواية الاعتراض – أشكلت عليه – بيقين – كلمة (أزواج) ، فهو فهمها على أن مفردها ، وهو زوج ، يعنى – فى الآية – فردَيْن لا فرداً واحداً .

أى أنّ الآية – بحسب فهم المعترض – تعنى ثمانية أشفاع (جمع شَفْع) : من الضأْن اثنين اثنين ، أى أربعة ، ومن المعْز اثنين اثنين ، أى أربعة أيضاً ، وهكذا من الإبل ، وهكذا من البقر ، فتصير منها جميعاً ثمانية أشفاع ، بستّة عشر فرداً .

ولا هكذا – فيما هو واضح جدًّا – مراد الآية :

يقول تعالى :

« مِنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ » ، أى أنشأ من الضأن زوجين : الكبش والنعجة .

« وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ » ، أى التيس والعنز .

« قُل » يا محمد :

« ءَآلذَّكَرين حرّم » ؟ من ذينك النوعين : الكبش والتّيس ؟

« أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ » ، أى ما حملت إناث النوعين ذكراً كان أو أنثى ؟

« وَمنَ الإبلِ اثنين » : عطف على « من الضأن اثنين » ، أى ، وأنشأ من الإبل اثنين هما الجمل والناقة .

---

(١) البحر المحيط جـ ٤ ص ٢٣٩ .

(٢) تفسير القرآن المسمّى بروح البيان جـ ١ ص ٦٨٧ .

(٣) محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان ص ٣٨٩ .

« وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ » : الثور والبقرة .

فهذه هى الثمانية الأزواج المفهومة – بحق – على أنها ثمانية أفراد ، فأين الثمانية الأخرى التى زعمها المعترض ؟

والآن ، ألا يحقّ لنا علميًّا – تلقاء هذا الاعتراض المجهول النَّسب ، والذى يُغْضى عن معرفة لغوية سهلة وجهيرة ، ليُفضى إلى إساءة دينية وتاريخية خطيرة ، وهى التغيير من المعانى الصريحة فى التنزيل ، ورمْى جامعيه بالنسيان أو التضليل – ألا يحق لنا أن ننكر نسبة هذا الاعتراض إلى مسلم عربى عاصر جامعى القرآن ، وأن نعزوه – فى غير قلق علمى – إلى بعض خصوم الإسلام ، ممن واجهوا كتابه بالعداوة ، وأيضاً بالغباوة ؟

* * *

٥ – وزعموا أن ابن عباس قرأ : « أفلم يتبيّن الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً » . فقيل : إنها فى المصحف : « أَفَلَمْ يَاْيْئَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعاً »[1] ، فأجاب – فيما ادّعت الرواية – : أظنّ الكاتب كتبها وهو ناعس[2] .

وأورد الرازى أيضاً فى (التفسير الكبير)[3] ما نُسب إلى علىّ وابن عباس من أنهما كانا يقرآن : « أفلم يأس الذين آمنوا . . . » وما عُزى إلى ابن عباس من أنه قيل له : « أفلم ييأس » ، فقال : أظن أن الكاتب كتبها وهو ناعس : إنه كان فى الخطّ « يأس » ، فزاد الكاتب سِنّة واحدة ، فصار « ييأس » ، فقرئ : « ييأس » .

والتزييف فى هذه الرواية واضح :

فالعبرة فى تلقّى القرآن ، عند المسلمين ، منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، هى بالتلقين الشفوى أولا ، ولا عبرة بالكتابة وحدها ، حتى مع ما وُصِفَ به أصحابها من يقظة لم يعتورْها نعاس ، وحَذَرٍ لم تَشُبْه غفلة ، وتشدّد لم يكتنفه ترخّص .

والرازى نفسه – إذ ينقل هذه الرواية – يستبعدها ، ويقول : « وهذا القول بعيد جدّا ، لأنه يقتضى كون القرآن محلاً للتحريف والتصحيف ، وذلك يخرجه عن كونه حجّة » .

أما الزمخشرى ، فيقول – فى أخْذٍ بالمنطق ، ومسايرة راشدة للعقيدة – :

« هذا ، ونحن مما لا يصدّق فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،

---

(١) سورة الرعد / ٣١ .

(٢) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥ .

(٣) جـ ١٩ ص ٥٣ .

وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دَفَّتي الإمام ، وكان متقلّباً بين أيدى أولئك الأعلام المحتاطين فى دين الله المهتمّين به لا يغفلون عن جلائله ودقائقه ، خصوصاً عن القانون الذى إليه المرجع ، والقاعدة التى عليها البناء ؟ هذا – والله – فرية ما فيها مرية »[١] .

وقال الفَرَّاء : لا يتلى إلا كما أنزل : « أَفَلَمْ يَاْيْئَسِ »[٢] .

ويقول أبو حيّان الأندلسيّ – والشواهد فى صفّه – :

وأما قول من قال : « إنما كتبه الكاتب وهو ناعس ، فسوّى أسنان السين » ، فقول زنديق ملحد[٣] .

على أنه فى ثنايا قصّة موثقة عن احتجاج ابن عبّاس بالشعر على غريب القرآن ومشكله ، ما يكذّب الرواية المنسوبة إليه :

تقول القصة : بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق[٤] لنجدة بن عويمر[٥] : قم بنا إلى هذا الذى يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به .

فقاما إليه ، فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله ، فتفسّرها لنا ، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ، فإنّ الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربىّ مبين .

فقال ابنُ عباس : سلانى عما بدا لكما .

فساق نافع مسائل كثيرة منها :

قال نافع : أخبِرْنى عن قوله تعالى : « أَفَلَم يَاْيْئَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا »

قال : : أفلم يعلم (بلغة بنى مالك)

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعتَ مالك بن عوفٍ يقول :

لقد يئس الأقوام أنى أنا ابنُــه ... وإن كنتُ عن أرض العشيرة نائيا[٦]

* * *

---

(١) الكشاف جـ ١ ص ٤٠٩ .

(٢) نقلاً عن : أبى حيان الأندلسى : البحر المحيط جـ ٥ ص ٣٩٣ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) كان رأس الأزارقة الخوارج وأميرهم وفقيههم (وانظر : الذهبى : لسان الميزان جـ ٦ ص ١٤٤) .

(٥) كان رأس الفرقة النجدية من الخوارج (وانظر : اليافعى : مرآة الجنان جـ ١ ص ١٤٤ .

(٦) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٢٠ و ١٢١ .

٦ – ونُسِب إلى ابن عباس أيضاً أنه كان يقول ، فى قوله تعالى : « وَقَضَى رَبُّكَ »[١] : « إنما هى : ووصّى ربّك ، التزقت الواو بالصّاد[٢] » .

وأخرجه ابن أشته بلفظ : « استمد الكاتب مداداً كثيراً ، فالتزقت الواو بالصّاد . إلخ »[٣]

وقيل إنها فى مصحف ابن مسعود : « ووصّى » ، وإنها هكذا عند علىّ ، وعند أبى ابن كعب[٤] .

وعزوا أيضاً إلى الضّحاك أنه قال : تصحّفتْ على قوم « وصّى » بـ « قضى » ، حين اختلطت الواو بالصّاد ، وقت كَتْب المصحف[٥] .

وذكروا أن أبا حاتم كان يقول : إن عَلَىٰ قول ابن عباس لنوراً ، ولكنه عاد فقال : « لو قلنا هذا لطعن الزنادقة فى مصحفنا[٦] . »

فأما الفخر الرازى ، فيقول محقّا : « واعلم أنّ هذا القول بعيد جدًّا ، لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرّق إلى القرآن . ولو جوّزنا ذلك لارتفع الأمان عن القرآن ، وذلك يخرجه عن كونه حجّة ، ولا شكّ أنه طعن عظيم فى الدين[٧] » .

ويناقش « على القارى » هذه الدعوى وأمثالها مناقشة لا تنقصها الموضوعية – على حماستها – ، فيقول :

« كيف يصحّ تفريط الصّحابة الكرام فى ضبط القرآن العظيم ، وإهمالهم فى حفظ الفرقان الكريم ، حتى ينسوه ، فلا يعرفه إلا الواحد والاثنان من الأطراف ، وحتى لا يوجد إلا فى الأكتاف واللّخاف ؟ هذا ، مع شدّتهم فى طلب أمر الدين ، وبذلهم الأموال ، والأشباح ، والأرواح ، من مقام اليقين ؟ » .

ويورد « على القارى » نصوصاً ثابتة عن الصحابة تؤيد الاهتمام التام بتحقيق القرآن ، فى الصّدر الأول من الإسلام ، ويستنبط – فى شأن هذه الدعوى بالذات – أنها ظاهرة الفساد ، إذ يلزم منها أن تلك الآية لم يحفظها أحد حتى صُحِّفت وقرئت « وَقَضَى »[٨] .

* * *

(١) سورة الإسراء ، من الآية ٢٣ .

(٢) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٤ .

(٣) انظر نفس المرجع .

(٤) انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٠ ص ٢٣٧ .

(٥) المرجع السّابق . (٦) نفس المرجع .

(٧) التفسير الكبير جـ ٢٠ ص ١٨٤ .

(٨) شرح العقيلة – المخطوطة رقم ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية – الورقة ١٦ .

٧ – وروى عكرِمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ « ضياء » بغير واو فى قوله تعالى : « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً » (٢) ويقول : خذوا هذه الواو ، واجعلوها ها هنا : (و) « ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ » (٣) .

وفى رواية : كان ابن عباس يقول : انزعوا هذه الواو ، فاجعلوها فى : « ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ » (٤) .

وعندنا أنه يُسْقِط الروايتين الاختلافُ فى أىّ الآيتين أراد ابن عباس نقل الواو إليها .

ثم إنه واضح أنَّ « ضياء » – بغير واو – حال من الفرقان ، وأما الوارد فى المصحف : فمعناه أن الفرقان – وهو هنا التوراة – أقرّ بها الله ضياءً وذكرى للمتقين ، أى أنه – فى نفسه – ضياء وذكرى (٥) .

* * *

٨ – وثمة رواية لا يسع من يُلقى إليها نظرة فاحصة إلا أن يرفضها . هذه الرواية هى أن أبا خلف مولى بنى جُمَح دخَل ، مع عُبَيْد بن عُمَيْر ، على عائشة ، فقال : جئتُ أسألُكِ عن آية فى كتاب اللهِ تعالى ، كيف كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقرؤها ؟

قالت : أيّة آية ؟

قال : « والذين يأتون ما أتوا » أو « ٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآءَاتَوْا » (٦)

قالت : أيتهما أحبّ إليك ؟

قال : والذى نفسى بيده ، لاحداهما أحبّ من الدنيا جميعاً .

قالت : أيّهما ؟

قال : الذين يأتون ما أَتَـوْا .

فقالت : أشهد أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كذاك كان يقرؤها ، وكذلك أُنزلت ، ولكن الهجاء حُرِّف (٧) .

---

(١) انظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ٢٢ ص ١٧٨ .

(٢) سورة الأنبياء / ٤٨ .

(٣) وهى فى المصحف العثمانى من غير واو (سورة آل عمران / ١٧٣) ، وانظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥ .

(٤) سورة غافر / ٧ ، وانظر : السيوطى : نفس المرجع .

(٥) انظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ٢٢ ص ١٧٨ .

والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١١ ص ٢٩٥ .

(٦) فى المصحف العثمانى : « وَالذينَ يُؤْتونَ مَاءَاتَوا » (سورة المؤمنون / ٦٠) .

(٧) السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٤ .

والاستخفاف بالتواتر فى هذه الرواية واضح . وكأنما كانت عائشة – فيما يوحى به أسلوب هذه الرواية المنكرة – تبتغى فحسب مرضاة سائلها ، فأىّ القراءتين أحبُّ إليه هى قراءة النبى (ص) ، وغيرُها تحريف فى الهجاء .

ثم إن أم المؤمنين المنسوب إليها هذا الطعن فى هجاء المصحف ، بغير دليل ، ورد أنها سألت رسول الله (ص) ، فقالت : « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ » : أَهُو الذى يزنى ، ويشرب الخمر ، ويسرق ، وهو – على ذلك – يخاف الله تعالى ؟ ، فقال – عليه الصلاة والسلام – : لا ، يا ابنة الصديق ! ولكن هو الرجل : يصلّى ، ويصوم ، ويتصدق ، وهو – على ذلك – يخاف الله تعالى [١] .

فهى – على خلاف ما فى الرواية الأولى – تقرأ الآية على النحو الذى قرأ به المسلمون ، منذ عهد النّبوّة ، والذى أجمع عليه الصحابة ، فيما بعد ، عند كتابة المصحف العثمانى .

وقيل إن ابن عباس ، والنخعى قرآ : « والذين يأتون ما أتوا » مقصوراً من الإتيان ، وبرّر الفراء هذه القراءة ، فقال : « لو صحّت هذه القراءة – من عائشة – لم تخالف قراءة الجماعة ، لأن الهمز – من العرب – يلزم فيه الألف فى كل الحالات إذا كُتب ، فتكتب « سئل الرجل » بألف بعد السين ، و « يستهزئون » بألف بين الزاى والواو ، و « شىء » بألف بعد الياء ، فيحتمل هذا اللفظ – بالبناء على هذا الخط – قراءتين : « يؤتون ما آتوا » و « يأتون ما أتوا »[٢] .

وأظن أن الفرّاء تكلّف فى دفاعه ، وكان حسبه أن يرى ما فى الرواية من دلائل الوَهَن ، وأن يعلم أن عائشة – فى حديثها مع الرسول – قرأت : « يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا » كما يقرؤها سائر المسلمين ، ومن ثمّ فالخلاف غير ذى موضوع .

* * *

٩ – وعن أُبَىّ ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير – فيما ادّعت بعض الروايات – أن قوله تعالى : « لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىَ أَهْلِهَا » [٣] أصلها : « حتى تستأذنوا » ، ولكن وقع خطأ أو وَهْم من الكاتب [٤] .

---

(١) الرازى : التفسير الكبير ج ٢٣ ص ١٠٧ ، والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ١٣٢ .
(٢) القرطبى : المرجع السابق ج ١٢ ص ١٣٢ .
(٣) سورة النور/ ٢٧ .
(٤) الطبرى : جامع البيان ج ٢ ص ٢١٣ و ٢١٤ .

والطبرى موفق إذ يعقّب على هذا بقوله : « وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره ، فإنّ مصاحف الإسلام كلّها قد ثبت فيها : « حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا » ، وصحّ الإجماع منها ، من لدن مدة عثمان ، فهى التى لا يجوز خلافها . وإطلاق الخطأ والوَهْم على الكاتب فى لفظ أجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس ، وقد قال عزّ وجل : « لَا يَأْتِيهِ الْبَـٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ »[١] ، وقال تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ »[٢] .

وأورد الطبرى – بعد كلام – النص الآتى لابن عطية : « ومما ينفى هذا القول عن ابن عباس وغيره : أنّ « تستأنسوا » متمكنة فى المعنى ، بينة الوجه فى كلام العرب . وقد قال عمر للنبي – صلى الله عليه وسلم – : أَستأنس يا رسولُ الله ؟ وعُمر واقف على باب الغرفة . . (الحديث المشهور) ، وذلك يقتضى أنه طلب الأنس به – صلى الله عليه وسلم – فكيف يخطّئ ابنُ عباس رسولَ الله فى مثل هذا ؟ »[٣] .

ويكذّب القرطبي أيضاً ذلك الادّعاء ، فيقول : « وهذا غير صحيح عن ابن عباس وعن غيره ، فإنّ مصاحف الإسلام كلّها قد ثبت فيها : « حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا » ، وصحَّ الإجماع منها ، من لدن عثمان ، فهى التى لا يجوز خلافها »[٤] .

ولم يسع أبا حيان الأندلسيّ إلا أن يقول : « من رَوَى عن ابن عباس أنه قال ذلك فهو طاعن فى الإسلام ، ملحدٌ فى الدّين ؛ وابن عباس برىء عن هذا القول

وعندى أنّ أقوى ما يُدحض هذه الرواية وأمثالَهَا هو ما أشرتُ إليه قبلاً من أن رواية القرآن لم تكن من الكتابة فحسب ، ولم تكن من الكتابة فى المقام الأوّل ، وإنما مصدرها الأول والأوثق هو التلقّى الشفوى المتواتر ، وهو خالٍ – هنا – من ذلك الاختلاف المزعوم .

* * *

١٠ – ونُسب إلى ابن عباس فى قوله تعالى : « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ »[٦] أنه قال : هى خطأ من الكاتب ، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة ، إنما هى : « مثل نور المؤمن كمشكاة »[٧] .

---

(١) سورة فصّلت / ٤٢ .
(٢) سورة الحِجْر / ٩ .
(٣) الطبرى : المرجع السّابق .
(٤) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٢ ص ٢١٤ .
(٥) البحر المحيط جـ ٦ ص ٤٤٥ .
(٦) سورة النور / ٣٥ .
(٧) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥ .

وقد أَجاب ابن أشته عن هذا وأمثالِه بأن المراد : هو أن الكتّاب « أخطأوا فى الاختيار وما هو الأوْلى لجمع الناس عليه من الأحرف السبعة ، لا أنّ الذى كُتب خطأً خارجٌ عن القرآن »[1] .

وعندنا : أن هذه إجابة متهافتة لا تكشف تماماً عن وجه الحق ، فالكتّاب لم يكتبوا إلاّ ما تواتر ، وما استوفى شرائط ثبوت القرآنية ، وكانوا خاضعين لمناهج بالغة الدقة ، وكان عملهم على ملأ من المسلمين ، فكان الخطأ مأموناً على وجه اليقين .

ثم إنّ نَسَق الآية لا يفيد أن المقصود بالتشبيه هو نور المؤمن ، ولا يسمح – حتى بحمل هذه الرواية على أنها فى التفسير لا فى القراءة – إلا بتكلّف شاقّ .

وإذن ، فالذى أذهب إليه هو أن تلك الرواية غير صحيحة أصلاً .

* * *

١١ – وادَّعَوْا أنّ ابنَ مسعود وأبا الدرداء قرآ : « والذَّكَر والأنثى » [2] .

وقد قيل – فى هذا – إنه يجب الاعتقاد بأن مثل هذا كان قرآنا ثم نسخ ، ولم يعلم من خالف النسخ ، فبقى على المنسوخ . يقول المازرى ، ونحن نؤيد قوله : « ولعلّ هذا وَقَع من بعضهم ، قبل أن يبلغهم مصحف عثمان المجمع عليه المحذوف منه كلّ منسوخ ، وأما بعد ظهور مصحف عثمان ، فلا يُظَنّ بأحدٍ منهم أنّه خالف فيه »[3] .

* * *

١٢ – ويُنسب إلى ابن مسعود أنه كان يحكّ المعوّذتين من مصاحفه ، وكان لا يقرأ بهما ، وكان يقول : إنهما ليستا من كتاب الله ، ويقول – فيما تنسب إليه رواية أخرى – : إنما أمر النبى – صلى الله عليه وسلم – أن يتعوَّذ بهما[4] .

ويكذّب النووى فى « شرح المهذب » هذه الرواية ، فيقول :

« أجمع المسلمون على أن المعوّذتين والفاتحة ، وسائر السّور المكتوبة فى المصحف قرآن ، وأنّ من جَحَد شيئاً منها كفر . وما نُقل عن ابن مسعود – فى الفاتحة والمعوّذتين – باطلٌ ،

---

(١) المرجع السابق .

(٢) فى المصاحف العثمانية : « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ والأنثَى » (سورة الليل / ٣) .

(٣) انظر : صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ١٠٨ – ١١٠ .

(٤) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٨ ص ٧٤٢ والسيوطى : الإتقان ج ١ ص ١٨٥ .

وليس بصحيح عنه »[١] .

وينقل النووى عن المازرى قوله فى تعليل هذه الرواية ، فيما لو كانت صحيحة : « ويحتمل ما روى من إسقاط المعوّذتين من مصحف ابن مسعود أنه اعتقد أنه لا يلزمه كَتْب كلّ القرآن ، وكَتَب ما سواهما ، وتَـرَكَهُما لشهرتهما عنده ، وعند الناس »[٢] .

أما ابن حزم ، فيقول : « هذا كذب على ابن مسعود ، وموضوع . وإنما صحّ عنه قراءة عاصم ، عن زرّ ، عنه ، وفيها المعِوّذتان والفاتحة »[٣] .

ويقول الباقلانى ، وحجته قاهرة : « إن ابن مسعود ، لو كان قد أنكر المعِوّذتَيْن — على ما ادّعوا — :

(ا) لكانت الصحابة ، تناظره على ذلك ، وكان يظهر وينتشر ، فقد تناظروا فى أقلّ من هذا .

(ب) وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل ، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه ؟

(حـ) وقد علمنا إجماعهم على ما جمعوه فى المصحف ، فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الشاذّة المولّدة بالإجماع المتقرر والاتفاق المعروف ؟

(د) ويجوز أن يكون الناقل أشبه عليه ، لأنه خالف فى النظم والترتيب ، فلم يثبتهما فى آخر القرآن ، والاختلاف — بينهم — فى موضع الإثبات غير الكلام فى الأصل[٤] .

وتقول (فواتح الرحموت بشرح مسلّم الثبوت) مفنّدةً تلك الرواية :

« . . . ثم إنه (يعنى ابن مسعود) كان يقتدى فى كل شهر رمضان ، فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فى صلاة التراويح ، والإمام يقرؤها « يعنى المعوّذتين » ، ولم يُنكر عليه قط ، فنسبة الإنكار غلط ، وهذا شاهد قويٌّ على عدم الصحة »[٥] .

---

(١) السيوطى : المرجع السابق ، وانظر : على القارى ، شرح الشفاء لعياض جـ ٢ ص ٥٥٢ (ط . تركيا سنة ١٣١٠ هـ) .

(٢) انظر : صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ١٠٨ — ١١٠ .

(٣) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٧٩ .

(٤) إعجاز القرآن — على هامش الإتقان للسيوطى جـ ٢ ص ١٩٤ (بتعديل فى الشكل) .

(٥) نفس المرجع جـ ٢ ص ١٠ (بذيل المستصفى للغزالى) .

وتقول :

« وقد ثبت بالأسانيد الصحاح أن قراءة عاصم[١] ، وقراءة حمزة[٢] ، وقراءة الكسائىْ[٣] ، وقراءة خَلَف[٤] كلّها تنتهى إلى ابن مسعود ؛ وفى هذه القراءات : المعوّذتان والفاتحة جزء من القرآن ، وداخلٌ فيه ، فنسبة إنكار كونها من القرآن إليه غلط فاحش .

ومَنْ أسند الإنكارَ إلى ابن مسعود ، فلا يعبأ بسنده عند معارضة هذه الأسانيد الصحيحة بالإجماع ، والمتلقاة بالقبول عند العلماء الكرام ، بل والأمة كلّها كافّة .

فظهر أنّ نسبة الإنكار إلى ابن مسعود باطل » .

وتقول (الفواتح) عن خلوّ مصحف ابن مسعود من الفاتحة والمعوّذتين : « وجهه : أنّ هذه السّور كانت من أوراده رضى الله عنه ، فاكتفى بالحفظ من الكتابة ، أو كان مكتوباً عنده فى قرطاس مفرد ، فاستغنى عن الكتابة فى المصحف »[٥] .

* * *

١٣ — ومن الروايات المرفوضة ما قيل من أنّ مصحف ابن مسعود تضمّن سورتين ، بنصّ دعاء القنوت ، هما : « الحَفْدُ » و « الْخَلْع » ، وأنه قرئ بهما ، حتى فى الصلاة :

فقد أخرج الطبرانى عن أبى إسحاق ، قال : أمّنا أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين : إنا نستعينك ونستغفرك[٦] .

---

(١) قرأ عاصم على أبى عبد الرحمن عبد الله بن حبيب ، وقرأ على أبى مريم زرّ بن حبيش الأسدى ، وعلى سعيد ابن عباس الشيبانى ، وقرأ هؤلاء على عبد الله بن مسعود ، وقرأ هو على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

ولعاصم سند آخر ، هو أنه : قرأ سعيد وزرّ على أمير المؤمنين عثمان ، وعلى أمير المؤمنين على ، وعلى أبىّ بن كعب ، وهم قرأوا على رسول الله صلى الله عليه وسلّم (انظر المرجع السابق ص ٩و١٠) .

(٢) قرأ حمزة على الأعمش أبى محمد سليمان بن مهران ، وأخذ الأعمش عن يحيى بن وثاب ، وأخذ يحيى عن علقمة ، والأسود ، وعبيد بن نضلة الخزاعى ، وزر بن حبيش ، وأبى عبد الرحمن السّلمىّ . وهم أخذوا عن ابن مسعود عن النبى صلّى الله عليه وسلّم .

ولحمزة سند آخر هو أنه : قرأ على أبى إسحق السبيعى ، وعلى محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وعلى الإمام جعفر الصّادق . وهؤلاء قرأوا على علقمة بن قيس ، وعلى زرّ بن حبيش ، وعلى زيد بن وهب ، وعلى مسروق ، وهم قرأوا على المنهال وغيرهم ، وهم على ابن مسعود ، وأمير المؤمنين على كرم الله وجهه . (انظر نفس المرجع ص ١٠) .

(٣) سند الكسائى ينتهى إلى ابن مسعود ، لأنه قرأ على حمزة (انظر نفس المرجع) .

(٤) قرأ خلف على سليم ، وهو على حمزة (انظر نفس المرجع) .

(٥) أنظر نفس المرجع .

(٦) السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٦٥ .

وأخرج البيهقى ، وأبو داود – فى المراسيل – عن خالد بن أبى عمران ، أنَّ جبريل نزل بذلك (يقصد : إنا نستعينك ونستغفرك) على النبى – صلى الله عليه وسلّم – وهو فى الصّلاة ، مع قوله : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَىءٌ »[1] . . . الآية ، لمّا قَنَت يدعو على مضر[2] .

وربَّما كان الرّدّ على هذا كلّه هو ما ردّ به الباقلانى أيضاً ، عند كلامه عن أمور تتصل بالإعجاز ، حيث قال ما نصّه – بعد تعديل بسيط – :

١ – أنه لايجوز أن يخفى على العرب القرآن من غيره ، وهم الذين نزل القرآن فيهم ، وبلغتهم .

٢ – ثم إن عدد السّور – عندهم – محفوظ مضبوط ، فالزيادة أو النقصان فيه مكشوفٌ لافت .

٣ – وربما كان ابن مسعود قد كتب القنوت فى مصحفه ، لا لأنّه قرآن ، وإنما ليكون الكلُّ محفوظاً فى مجموعة واحدة .

٤ – والرواية المردود عليها مرويّة بخبر الواحد ، فلا يمكن التعويل عليها ، أو السكون إلى مثلها .

٥ – ويجوز أن يكون ابن مسعود كتب على ظهر مصحفه دعاء القنوت لئلا ينساه ، كما يكتب الواحد منا بعض الأدعية على ظهر مصحفه .

٦ – ولو كان الأمر أمر حروف معدودة يقع فيها الغلط أو النّسيان لجاز أن يكون شيئاً عاديًّا يقع مثله للحفَّاظ ، أمّا أن يكون الغلط فى سورتين فهو ما لا يمكن تجويزه لأنه غير طبيعى[3] .

* * *

فكّرتُ فى هذه الاختلافات المزعومة ، فبدا لى أن جمع المصحف العثمانى الذى أجمع عليه المسلمون تسجيلاً صوتيًّا هو خير ما يعاضد هذا المصحف ، فضلا عن أنه سيكون ردًّا عمليًّا على دعاة تلك الاختلافات المثيرة الضّارة : يبدّد أوهامهم ، ويصحّح أغلاطهم ، ويوهن رواياتهم ، ويجعلها عديمة الجدوى ، ويحمى من أذاها العقول والقلوب .

---

(١) سورة آل عمران / ١٢٨ .

(٢) السيوطى : المرجع السابق .

(٣) إعجاز القرآن – على هامش الإتقان للسيوطى جـ ٢ ص ١٩٣ و ١٩٤ .

٤

ودعا إلى تفكيرى فى هذا الجمع الذى يقتضى التسجيل الصوتى أمرٌ منكر آخر ، فقد نُسب إلى عكرمة أنه قال : لما كُتبت المصاحف عُرضت على عثمان ، فوجد فيها حروفاً من اللحن ، فقال : لا تغيّروها ، فإن العرب ستغيّرها ، أو قال : ستعربها بألسنتها ؛ لو كان الكاتب من ثقيف ، والمملى من هُذَيْل لم توجد هذه الحروف [١] .

وكان طَبَعِيًّا أن يتمسّك الملحدون الطاعنون فى القرآن ودين الإسلام برواية كهذه ، ومن الأمثلة لهذا – فى عصرنا هذا – أنّ طاعِناً على القرآن[٢] جعل هذه الرواية ضمن حججه المنقوضة فى الادّعاء بأن القرآن بُدّل ، وفى السخرية من معجزة حفظ القرآن .

وأدْعى للأسف أن تفلت هذه الرواية إلى معتقد رجل مسلم ، فيبنى عليها رأيا[٣] ، كأنها صحيحة ، وكان الخيرُ لو محّصها .

* * *

ويقول السيوطى ، فى مثل هذه الرواية : « وهذه الآثارات مشكلة جدًّا » ، وكان الأَوْلى عندنا – بالسيوطى – أن يقول إنها – من وجهة النظر الإسلامية – منكرة جدًّا . على أنه ، كما يقول هو[٤] :

١ – كيف يُظَنّ بالصحابة أنهم يَلْحنون فى الكلام ، فضلاً عن القرآن ، وهم الفصحاء اللُّدّ ؟

٢ – ثم كيف يُظنّ بهم فى القرآن الذى تلقّوه عن النبى – صلى الله عليه وسلم – كما أُنزل ، وحفظوه ، وضبطوه ، وأتقنوه ؟

٣ – ثم كيف يُظنّ بهم اجتماعُهم كلُّهم على الخطأ وكتابته ؟

٤ – ثم كيف يظنّ بهم عدم تنبّههم ورجوعهم عنه ؟

٥ – ثم كيف يظنّ بعثمان أنه ينهى عن تغييره ؟

---

(١) السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٣ .

(٢) يسمّى نفسه الأستاذ الحداد ، وقد ملأ بالطعن على القرآن كتاباً – من جزءين – اسمه : « القرآن والكتاب » ، وهو مطبوع فى بيروت .

(٣) ابن الخطيب : الفرقان ص ٩٠ .

(٤) السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٣ (بتصرف بسيط) .

٦ – ثم كيف يظنّ أن القراءة استمرّت ، على مقتضى ذلك الخطأ ، وهو مرويّ بالتواتر خلفا عن سلف ؟ .

ويمضى السيوطى ، فيقول محقًّا : هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادةً [1]

ويسوق – بعد هذا – أجوبةً ثلاثةً للعلماء ، فى هذا الشأن :

(أحدها) أن ذلك لا يصح عن عثمان :

(ا) فإن إسناده ضعيف مضطرب منقطع [2] .

(ب) ولأنَّ عثمان جعل للناس إماما يقتدون به ، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها ؟

فإذا كان الذين تولّوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك ، وهم الخيار ، فكيف يقيمه غيرهم ؟ .

(حـ) وأيضاً ، فإنه لم يكتب مصحفاً واحداً ، بل كتب عدة مصاحف .

فإن قيل إن اللحن وقع فى (جميعها) ، فبعيدٌ اتفاقهم على ذلك ؛

أو (بعضِها) فهو اعتراف بصحة البعض .

ولم يذكر أحد من الناس أن اللحن كان فى مصحف دون مصحف . ولم تأت المصاحف قط مختلفةً إلا فيما هو من وجوه القراءة ، وليس ذلك بلحن .

(الثانى) أن ذلك – على تقدير صحة الرّواية – محمول على الرمز والإشارة ، ومواضع الحذف ، نحو : « الكتٰب » و « الصّٰبرين » وما أشبه ذلك [3] .

(الثالث) أنه مؤول على أشياء خالف لفظها رسمها ، كما كتبوا : لا أوضعوا – لاأذبحنّه (بألف بعد لا) – جزؤا الظالمين (بواو وألف) – بأييد (بياءين) . فلو قرئ ذلك بظاهر الخطّ لكان لحنا [4] .

وَوَجْه هذا ، عند أبى عمرو الدانى ، أنه لو تلا تال مثل هذه الكلمات – على غير معرفة بحقيقة الرسم – « لصيّر الإيجاب نفياً ، ولزاد فى اللفظ ما ليس منه ولا من أصله » .

ويبنى الدانى ، على هذا ، أن عثمان قصد « أن من فاته تمييز ذلك ، وعَزَبَتْ معرفته عنه ، ممن يأتى بعده ، سيأخذ ذلك عن العرب ، إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم ، فيعرّفونه

---

(١) السيوطى : المرجع السابق .

(٢) يقول أبو عمرو الدانى إن هذا الحديث مرسل ، لأن ابن يعمر وعكرمة – المنسوبة إليهما الرواية – لم يسمعا من عثمان شيئاً ، ولا رأياه (المقنع ص ١١٥ – النسخة المطبوعة) .

(٣) السيوطى : المرجع السابق .

(٤) نفس المرجع .

بحقيقة تلاوته ، ويدلّونه على صواب رسمه »[١] .

* * *

ويفنّد ابن الأنبارى أيضاً الأقوال التى عُزِيت إلى عثمان ، فيحسن التفنيد ، يقول :

(ا) إنه لا تقوم بها حجّة ، لأنها منقطعة غير متصلة .

(ب) وما يشهد عقل بأن عثمان – وهو إمام الأمة الذى هو إمام الناس فى زمنه وقدوتهم – يجمعهم على المصحف الذى هو الإمام ، فيتبيّن فيه خللاً ، ويشاهد فى خطه زللا ، فلا يصلحه . كلا ، والله ! ما يتوهم عليه هذا ذو إنصاف وتمييز .

(حـ) ولا يُعتقد أنه أخّر الخطأ فى الكتاب ليصلحه مَنْ بعده ، وسبيل الجائين بعده : البناء على رسمه ، والوقوف عند حكمه .

(د) ومن زعم أن عثمان أراد بقوله : « أرى فيه لحناً » : أرى فى خطّه لحناً إذا أقمناه بألسنتا . . . كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف – من جهة تحريف الألفاظ ، وإفساد الإعراب – فقد أبطل ولم يصب ، لأن الخطّ ينبئ عن النطق ، فمن لَحَن فى كَتْبه فهو لاحنٌ فى نُطْقه .

ولم يكن عثمان ليؤخر فساداً فى هجاء ألفاظ القرآن من جهة كَتْب ولا نُطْق . ومعلوم أنه كان مواصلا لدرس القرآن ، متقناً لألفاظه ، واقفاً على ما رُسم فى المصاحف المُنْفَذَةِ إلى الأمصار والنواحى[٢] .

* * *

ويقول عبد الله بن هانئ مولى عثمان – وهو ما يتأيد به قول المدافعين عن عثمان :

كنتُ – عند عثمان – وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلنى بكتف شاة إلى ابن كعب ، فيها : « لم يتسنّ » ، وفيها : « لا تبديل للخلق » ، وفيها ، « فأمهل الكافرين » .

قال : فدعا بالدواة ، فمحا أحد اللامين ، فكتب : « لِخَلْقِ اللهِ »[٣] وكتب : « فَمَهِّلِ »[٤] وكتب : « لَمْ يَتَسَنَّهْ »[٥] ، ألحق فيها الهاءَ .

قال ابن الأنبارى : « فكيف يُدّعى عليه أنه رأى فساداً فأمضاه ، وهو يُوقَف على

---

(١) المقنع ص ١١٦ (النسخة المطبوعة) .

(٢) السيوطى : نفس المرجع .

(٣) سورة الروم / من الآية ٣٠ .

(٤) سورة الطارق / من الآية ١٧ .

(٥) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩ .

ما كُتب ، ويُرفَع إليه الخلافُ الواقعُ عن الناسخين ، ليحكم بالحقّ ، ويُلزِمهَم إثبات الصواب وتخليده ؟ (١) » .

* * *

ويروى القلقشندى أن تلك الرواية لا تجوز ، فقد أجمع الصّحابة على أنّ ما بين دَفَّتى المصحف قرآن ، ومحالٌ أن يجتمعوا على لحن .

وهو يذكر أن هذه الرواية حُمِلت على أن المصاحف التى كُتِبت – فى زمن عثمان – كُتِبت « بقلم جليل مبسوط ، فربمّا وقع – فى بعض الأماكن – اللّفظة ، فيقطعها فى آخر السطر ، ويجعل باقيها فى السطر الثانى » .

ثم يقول القلقشندى : على أن هذه الرواية غير مشهورة عن عثمان كما أشار إلى ذلك الشاطبى بقوله فى الرائية :

ومن روى : ستقيم العرب ألسنها لحنا به قـولَ عثمان فما شُهرا (٢)

* * *

والألوسى يقول :

« وأما قول عثمان إن فى القرآن لحناً . . إلخ فهو مشكل جداً :

إذ كيف يُظن بالصحابة – أولا – اللّحنُ فى الكلام فضلا عن القرآن ، وهُمْ هُمْ ؟

ثم كيف يُظن بهم – ثانياً – اجتماعهم على الخطأ وكتابته ؟

ثم كيف يُظنّ بهم – ثالثاً – عدم التنبه والرجوع ؟

ثم كيف يُظنّ بعثمان عدم تغييره ؟

وكيف يتركه لتقيمه العرب ؟

وإذا كان الذين تولّوا جمعه لم يقيموه ، وهم الخيار ، فكيف يقيمه غيرهم ؟

---

(١) السيوطى : المرجع السابق .

هذا ، ونحن لا نصدّق رواية عبد الله بن هانئ ، ولو أنّها تدافع عن عثمان المتهم بأنه رأى لحناً فى القرآن فلم يصّححه :

فهذه الرواية تطعن جمْع أبى بكر فى الصميم ، ذلك أنّ الكلمات المقول بأنّ عثمان بعث بها إلى أبىّ بن كعب ليرى فيها رأيه إما أن تكون فى الجمع البكرى وإما أن لا تكون :

فإن كانت فيه ، وعلى صواب ، فلماذا يلتمس لها عثمان رأى ابن كعب ؟

وإن كانت غير موجودة فيه ، أوكانت موجودة ولكن على خطأ ، فالمعنى أنّ الجمع البكرىّ ناقص أوخاطئ ، وهذا ما يناقض إجماع المسلمين على سلامة هذا الجمع من كلّ الوجوه سلامة مطلقة ، وعلى أنه الأصل الوثيق لجمع عثمان .

(٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨ .

فلعمرى إن هذا يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة ؛ فالحقّ أن ذلك لا يصحّ عن عثمان ، والخبر ضعيف مضطرب منقطع . وقد أجابوا عنه بأجوبة لا أراها تقابل مؤنة نقلها » .

* * *

وثمة تأويل للعبارة المنسوبة إلى عكرمة وسعيد بن جبير – على فرض صحتها – هو أنّ هذين كانا يريدان – بكلمة « لحن » – القراءةَ واللغةَ « والمعنى : أن فى القرآن ورسم المصحف وجْهاً فى القراءة لا تلين به ألسنة العرب جميعاً ، ولكنها لا تلبث أن تلين به ألسنتهم جميعاً بالمران ، وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه »(٢) .

وواضح أنّ هذا قريب مما فنَّده – آنفاً – ابن الأنبارى .

* * *

وعندنا أنه أقرب من كل هذا وأصوب : أن ننفى الرواية عن عثمان أصلاً ، محتجّين بما أسلفنا .

والمهم أن جمع المصحف العثمانى – كما هو – جمعاً صوتيًّا يعاضده : هو دحض عملى لهذه الرواية الضعيفة المضطربة بل المستحيلة – كما قال السيوطى والألوسى – « عقلا وشرعاً وعادة » ، والتى تحمل مع ذلك شرًّا كثيراً .

٥

وكان أيضاً من دواعى تفكيرى فى الجمع الصوتى لمصحف عثمان الذى عليه المسلمون ما قيل من أن مصحفاً من مصاحف عثمان أدقّ من مصحف . نسبوا إلى إبراهيم النخعى أنه قال :

قال لى رجل من أهل الشام : مصحفنا ومصحف أهل البصرة أضبط من مصحف أهل الكوفة .

قلت : لمَ ؟

قال : لأن عثمان بعث إلى الكوفة – لما بلغه من اختلافهم – بمصحف قبل أن يُعرض ، وبقى مصحفنا ومصحف أهل البصرة حتى عُرضا(٣) .

(١) روح المعانى ج ١ ص ٢٩

(٢) محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان ص ٣٨١ .

(٣) انظر : ابن أبى داود : المصاحف ج ٢ ص ٣٥ ، وابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ١٧

وهذه الرواية متهافتة . ويُعْوِزُها ما يثبتها ، فضلا عن مناقضتها لما أجمع عليه المسلمون من أن مصاحف عثمان يطابق بعضها بعضاً تمام المطابقة إلا فى كلمات معدودة نصّ عليها علماء القرآن ، وهى الكلمات التى تتضمن قراءتين أو أكثر ، والتى لم تُنسخ فى العرضة الأخيرة ، والتى لا يجعلها تجريدها من علامات الضبط محتملة لما ورد فيها من القراءات ، فقد رسمت هذه الكلمات ، فى بعض المصاحف ، برسم يدل على قراءة ، وفى بعضها ، برسم آخر يدُلّ على القراءة الأخرى . وقد أسلفنا بيان هذا فى حديثنا عن الجمع العثمانى .

على أن ذلك الردّ – مع قوّته – لا يصحّ أن يصرف عن فكرة الجمع الصّوتى لمصحف عثمان ، فقد وَجَدت تلك الرواية نوعاً من الحياة فى بعض الكُتُب ، ولا يبعد أن تجد لها – يوماً – ساذَجاً يُصدّقها ، أو ماكراً يتكلف تصديقها .

٦

وكذلك من دواعى معاضدة الجمع العثمانى بجمع صوتى : ما نُسب إلى علىّ بن أبى طالب ، من أنه قال : رأيت كتاب الله يُزاد فيه .

عن عكرمة – فيما ذَكَرَتْ إحدى الروايات – قال :

لما كان ، بعد بيعة أبى بكر ، قَعَد علىٌّ بن أبى طالب فى بيته .

فقيل لأبى بكر : قد كره بيعتك !

فأَرسَل إليه ، فقال : أ كَرِهْتَ بيعتى ؟

قال : لا ، والله !

قال : ما أقعدك عنى ؟

قال : رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه ، فحدَّثتُ نفسى أن لا ألبس ردائى إلا لصلاةٍ ، حتى أجمعه .

قال له أبو بكر : فإنك نعم ما رأيت ! [1]

وقد أسلفنا القول فى مناقشة هذه الرواية عند حديثنا عن جمع أبى بكر .

ونضيف أنّ الجمعين : البكرى والعثمانى تاليان – فى تاريخهما – لبيعة أبى بكر . فالزيادة المزعوم أن عليًّا رآها لقيت – لو كانت وَقَعَتْ – ما منعها منعاً .

---

(١) انظر السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٥٧ و ٥٨ .

٧

وأفدح فى محاولة إيقاع الشك فى صحة الجمع العثمانى الذى أجمعت عليه الأمة ، وأبعث على التفكير فى جمع صوتىّ يعاضده : ما زعمه بعضهم من أن عثمان ، بل أبا بكر وعمر أيضاً ، حرّفوا القرآن ، وأسقطوا كثيراً من آياته وسوره :

(ا) زعموا أن القرآن الذى جاء به جبريل سبعة عشر ألف آية ، مع أن المشهور أنه ستة آلاف وستمائة وست عشرة آية [١].

(ب) وأنه كان فى « لم يكن » [٢] اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم [٣]

(ح) وأن « أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ »[٤] ليس كلام الله ، بل محرّف عن موضعه ، والمنزّل – بزعمهم – : أئمة هى أزكى من أئمتكم [٥] .

(د) وأن سورة اسمها سورة « الولاية » أُسقطت بتمامها [٦] .

(ه) وأن سورة « الأحزاب » كانت مثل سورة « الأنعام » ، فأسقطوا منها فضائل أهل البيت [٧] .

(و) وأنهم [٨] أسقطوا لفظ « ويلك » من قبل « لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا » [٩]

(ز) وأنهم أسقطوا [١٠] عبارة : « عن ولاية على » من بعد « وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ » [١١]

(ح) وأنهم أسقطوا [١٢] عبارة : « وبعلىّ بن أبى طالب » من بعد : « وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ » [١٣].

(ط) وعبارة « وآل محمد » من بعد « وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ [١٤] .

(ى) وأنه كانت فى مصحف عائشة بعد « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَـٰٓأَيُّهَا

---

(١) انظر : الألوسى : روح المعانى ج ١ ص ٣٣
(٢) يعنى سورة البيّنة
(٣) الألوسى : المرجع نفسه
(٤) سورة النحل/ ٩٢
(٥) انظر : الألوسى : المرجع نفسه
(٦) نفس المرجع
(٧) نفس المرجع
(٨) نفس المرجع
(٩) سورة التوبة / ٤٠
(١٠) الألوسى : نفس المرجع .
(١١) سورة الصافات / ٢٤
(١٢) الألوسى : نفس المرجع
(١٣) سورة الأحزاب / ٢٥
(١٤) سورة الشعراء / ١٢٧

الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً » [١] « وعلى الذين يصلون الصفوف الأول »[٢] .

(ك) وأن النبي قال لأبيّ : إن الله أمرني أن أقرأ عليك : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ، رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة . وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءتهم البينة . إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية . ومن يفعل ذلك فلن يكفره » . وفى رواية : « ومن يفعل صالحاً فلن يكفره . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة . إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وفارقوا الكتاب لما جاءهم أولئك عند الله شر البرية . ما كان الناس إلا أمة واحدة ، ثم أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين يأمرون الناس يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويعبدون الله وحده . أولئك عند الله خير البريّة . جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربّه » . وفى رواية الحاكم : فقرأ فيها : « ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأُعْطِيَه يسأل ثانياً فأعطيه يسأل ثالثاً . ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب[٣] » .

(ل) وأنه كان فى سورة الواقعة – فى مصحف الربيع بن خيثم من قراء الكوفة [٤] – القراءة المفتراة ، والمنسوبة إلى ابن مسعود ، وأبيّ : « والسابقون بالإيمان بالنبي عليه السلام فهم عليّ وذريته الذين اصطفاهم الله من أصحابه ، وجعلهم الموالى على غيرهم ، أولئك الفائزون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »[٥] .

ومنسوب إلى ابن مسعود أنه كان فى مصحفه – فى سورة المدّثر – ، بعد « نَذِيراً لِلْبَشَرِ » [٦] : « نبيّنا وعَلِيّنا هما خير البشر ، فمن شاء منهما أن يتقدم أو يتأخر » [٧] .

* * *

ولعلّه واضح جدًّا أن هذه ادعاءات باطلة ضعيفة التأليف اختلق أغلبها غلاة الشّيعة .

وما كان إسقاط شيء من القرآن ليقع من مسلم ، فضلا عن أن يقع من ثلاثة هم من أشدّ المسلمين إيماناً ، وأغيرهم على القرآن ، وأحفظهم له .

---

(١) سورة الأحزاب / ٥٦

(٢) الألوسى : روح المعانى ص ٢٤ .

(٣) نفس المرجع

(٤) أورده : ابن الجزرى ضمن من اشتهر بالقراءة فى الأمصار (انظر النشر جـ ١ ص ٨)

(٥) Jeffery : Materials for the History of the Text of the Quran. P. 306

(٦) الآية ٣٦

(٧) OP. Cit. P. 353.

والتغيير فى القرآن هو – عند الإسلام – جريمة تُخْرج منه فاعلَها ، فكيف يُقْدم عليها هؤلاء الثلاثة ، وهم – من الإسلام – ما هم ؟

والثابت أن المسلمين – فى جميع أيامهم – أَوْلَوا القرآن أصدق عناية ، وأشدّ ضبط ، فكيف سكتوا عن هذا الإسقاط ؟

ولقد حفلت أقوال العلماء والمفسرين – شيعةً وسنّيين ، قُدامى ومحدثين – بالرُّدود الحاسمة على كل هذه الدعاوى ، فضلا عن أنّ المسلمين – على مدى القرون – كتبوا ألوف الألوف من المصاحف ، وزوّدوا بها المساجد ، ودور العلم ، فى مختلف البقاع ، فلم يُذكر أنّ مصحفاً منها زاد أو نقص عن المصحف الذى أجمع عليه المسلمون[1] .

٨

ويلحق بهذا الباب من المطاعن الباطلة ، والموجبة – فى رأينا – لجمع المصحف العثمانى جمعاً صوتيًّا يعاضده : ما يقوله الميمونية من الخوارج العجاردة من أنّ سورة يوسف ليست

---

(١) من الأمثلة التى يمكن أن نسوقها تأييداً لهذا :

(ا) فى سنة ٣٨١ هـ ، أسّس أبو النصر سابور بن أردشير وزير بنى بويه داراً للعلم ، فى الكرخ غربى بغداد ، كان بها مائة نسخة من القرآن ، بأيدى أحسن النساخ (متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع – ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ص ٣١١ – الطبعة الثالثة) .

(ب) وفى سنة ٤٠٣ هـ أنزل فى مصر من القصر إلى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفاً من ختمات وربعات ، منها ما هو مكتوب كله بالذهب ، ومكّن الناس من القراءة فيها (تاريخ المسبّحى ، نقلا عن : على مبارك : الخطط التوفيقية جـ ٤ ص ٥ – ط ١٣٠٥ هـ)

(جـ) وأنزل الحاكم بأمر الله الفاطمى ، إلى جامع ابن طولون ، ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفاً ، للقراءة فيها (على مبارك : المرجع السابق ص ٤٧) ، وجعل الحاكم فى مسجده عدة متصدّرين لتلقين القرآن الكريم (نفس المرجع ص ٨١) .

(د) ولما تكامل بناء المدرسة المستنصرية نقل إليها كثير من الربعات الشريفة . (ابن الفوطى : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السّابعة ص ٥٤ ط . بغداد سنة ١٣٥١ هـ) .

(هـ) وكتب شخص واحد هو والد أسامة بن منقذ ثلاثة وأربعين مصحفاً (أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار جـ ١ ص ٥٣) .

(و) ولا تزال الآن فى مكتبات العالم العامة والخاصة مصاحف خطية تعد بالألوف ، وكلها مطابقة للمصحف الذى بين أيدى الناس .

من القرآن ، وإنما هى قصة من القصص ، ومن أدخلها – فى القرآن – فقد زاد فيه ما ليس منه[١] .

وهو قول يرده ما هو واضح – لكل ذى بصر بالقرآن ، وكلٍّ متذوّق له – من أنّ هذه السورة هى كباقى القرآن لغةً ، وأسلوباً ، ومقاصدَ ، وهى كباقى القرآن أيضاً تتحدى البلغاء أن يأتوا بمثلها فلا يستطيعون ، وهى – كباقى القرآن أيضاً – ثابتة التواتر .

* * *

وكذلك ، من المطاعن الموجبة – فى رأينا – للجمع الصوتى : ما ادعاه بعض الغلاة من المنتسبين إلى الشيعة من أنّ علياً جَمَعَ القرآن ، فكان فيه ما سمّوه : « فضائح المهاجرين والأنصار » ، وأن عمر طلب إلى زيد بن ثابت أن يُسقط من القرآن هذه الفضائح ، وأنّ عمر لما استُخْلِفَ « سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن ، فيحرّفوه فيما بينهم »[٣] فأبى علىّ ، وقال : « إن القرآن الذى عندى لا يمسّه إلا المطهّرون والأوصياء من وُلْدى »[٤] . وقد سأله عمر : فهل وقت لإظهاره معلوم ؟ فأجاب علىّ : « إذا قام القائم من وُلْدى يظهره ، ويحمل الناس عليه ، فتجرى ألسنة به »[٥] .

والبطلان هنا صارخ على نحو يكاد يكفينا مؤنة الرّدّ :

(ا) فالقرآن عاتب النبىَّ نفسَه غيرَ مرّة ، ولم يُخْفِ – فى كلامه عن بعض الأنبياء الآخرين أيضاً – ما لم يحمده لهم . وقد بقى هذا فيه يحفظه المسلمون أبد الدهر ، فهل المهاجرون والأنصار أعزّ على المسلمين من الأنبياء ، فضلا عن النبى محمد الذى أحبّوه أشدّ الحبّ ، وافتدوه أخلص الافتداء ؟

(ب) وأشياء نزل بها الوحى ، وبلّغها النبي (ص) ، كيف لم يحفظها من المسلمين جميعهم غير علىّ ؟ أيكون النبي قد اقتصر فى إبلاغ بعض الوحى على علىّ وحده ؟ ولكن ، كيف ؟

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٢٣ .

(٢) الميمونية أصحاب ذلك الرأى خرجوا – به – عن فِرَق الإسلام ، لأنّ منكر بعض القرآن كمنكر كلّه . وقد زادوا – على هذا وعلى كفرهم فى القَدَر – نوعاً من ضلالات المجوسيّة هو إباحة الزواج من بنات الأبناء والبنات ، ومن بنات الإخوة والأخوات (انظر : الأشعرى : مقالات الإسلاميين حـ ١ ص ١٦٤ ، والبغدادى الأسفرايينى : الفرق بين الفِرق ص ٢٤ و ٩٦ و ٢٨١ ، والمقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٥٤) .

(٣) الكاشانى : الصافى ص ١٠ .

(٤) نفس المرجع .

(٥) نفس المرجع .

والنبي مُرسَل للناس كافة ، وقد أدّى الأمانة ، وبلّغ الرسالة ، فيما يؤمن به كل المسلمين ، وليس من الأمانة أبداً أن يحبس عن الناس ما نزل به الوحى ، ويُؤْثر به شخصاً واحداً ؟

فى صحيح البخارى[1] :

عن عائشة قالت : مَنْ حدَّثك أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الوحى فلا تُصدقْه ؛ إنّ الله تعالى يقول : « يَٰأَيُّها الرَّسُول بَلِّغْ مَا أنزلَ إلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإن لَّم تفْعل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَه »[2]

وكيف غابت هذه الأشياء حتى عن أقرب الصحابة إلى الرسول مِن مثل أبى بكر صديقهِ الأول ، وأولِ من آمن به من الرجال ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، والذى ضحّى ما ضحّى فى سبيل الرسول ، وفى سبيل دعوته ، والذى زوّجه ابنته ، والذى اختاره النبى ليؤم — مكانه — المسلمين فى الصلاة ، فاعتبروا ذلك إشارة إلى أحقّيته بالخلافة بعده ؟

كيف غابت حتى عن أبى بكر ، وهو الذى كان النبى (ص) يقول فيه : إنّ من أَمَنّ الناس عَلَىَّ فى صحبته وماله أبا بكر ولو كنتُ متخذاً خليلاً من أمتى لا تخذت أبا بكر خليلا [3] .

كيف غاب شيء من القرآن حتى عن أبى بكر ، فلم يعرفه إلا من المصحف المزعوم حين خرجت بالصُّدفة « فضائح القوم » ، فى أول صفحة فتحها ؟

كيف ، وهؤلاء القوم هم أتباع النبى ، وجنوده ، وأحبابه ، يعايشهم ويعايشونه فى مجتمع لم تكن امتدت أطرافه ؟

(حـ) وهذه الرواية — إذْ تَنْسب إلى عمر أنه رفض قرآناً ، وزوّر ما دُعى قرآنا — ترمى عمر بالكفر الصريح ، وهو ما تنقضه سيرة عمر الذى كان سماعه القرآن سبب دخوله المفاجئ فى الإسلام .

---

(١) كتاب التوحيد — باب قول الله تعالى : يَٰأَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إليك من ربك . . إلخ . ح ٧٥٣١ .

(٢) سورة المائدة / ٦٧ .

(٣) انظر فى هذا الحديث :

صحيح البخارى ، كتاب الصلاة ، باب الخَوْخة والممرّ فى المسجد . ح ٤٦٦ و ٤٦٧ وكتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة — ح ٣٩٠٤ .

وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ح ٢٣ ، وكتاب فضائل الصحابة ح ٢ — ٧ .

وابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ١ ص ٥٨ وجـ ٧ ص ٢٢٧ (ط . محبّ الدين الخطيب) .

والبغوىّ الفراء : مصابيح السّنّة جـ ٢ ص ١٩٤ .

(د) وتوقيت ظهور القرآن بالشكل المزعوم « إذا قام القائم من وُلْد علىّ » قول فيه الغلوّ فى التشيع على أوضح نحو .

ولماذا لم يظهر القرآن على يد علىّ نفسه حين تولى الخلافة ؟

وهل كان ضرورياً أن يدع التزوير قائماً ، ريثما يظهر فى المستقبل المجهول حاكم من ولده ؟

وإذا لم يبادر علىّ – فى خلافته – إلى تصحيح خطأ رآه هو نفسه فى كتاب الإسلام ، فأىّ شىء كان أحق عنده بالمبادرة (١) ؟

ثم لماذا لم يقرئ علىٌّ أهل بيته بالشكل المزعوم ، وهو على ذلك – لو شاء – قدير ؟

(هـ) و « الفضائح » المزعومة ليست عند غلاة الشيعة – فى ذلك الوقت – غير تقديم أبى بكر للخلافة من دون علىّ . وما ينبغى – من أجل اختلاف الموازين فى السياسة – التهور إلى ادعاءات هائلة كتلك .

(و) على أن هؤلاء – فيما يرى علماء المسلمين – قد خرجوا بما قالوا من الإسلام . ويصفهم ابن حزم بأنهم « طوائف » :

أشدّهم غلوًّا : يقولون بإلّهية علىّ بن أبى طالب ، وإلّهية جماعة معه .

وأقلّهم غلوًّا : يقولون إن الشمس ردّت على علىّ بن أبى طالب مرتين .

فقوم هذا أقل مراتبهم فى الكذب ، أيُستبشَعُ منهم كذبٌ يأتون به ؟ . . . إلى أن يقول : « وكل دعوى بلا برهان فليس يَستدلٌّ بها عاقل ، سواءً كانت له ، أو عليه » (٢) .

(ز) وعندى أن نسبة هذه المزاعم إلى الشيعة – بعامة – هو قول تنقصه الدقة ، فضلا عن الصّحة . فهذه طائفة من علماء الشيعة يبرءون من هذه المزاعم ، ويشاركون إخوانهم أهل السُّنَّة الاعتقاد بأن القرآن الذى بين أيدى المسلمين هو القرآن الذى أنزله الله على محمد ، لم يزد عن هذا شيئاً ، ولم ينقص شيئاً ، ولم يعتره أى تغيير .

١ – قال الشريف المرتضى فى : « جواب المسائل الطرابلسيات » ، فيما حكاه عنه صاحب « مجمع البيان » ، وهو شيعى هو الآخر :

« إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان ، والحوادث العظام ، والكتب المشهورة ، وأشعار العرب ، فإن العناية اشتدت ، والدواعى توفرت على نقله وحراسته ، وبلغت إلى

---

(١) انظر : على القارى : شرح العقيلة الورقة ٦ من المخطوطة ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) الفصل فى الملل والنحل جـ ٢ ص ٧٨ .

حدٍّ لم تبلغه فيما ذكرناه ، لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية ، والأحكام الدينية . وعلماءُ المسلمين قد بلغوا – فى حفظه وحمايته – الغاية ، حتى عرفوا كل شيء اختُلف فيه ، من إعرابه ، وقراءاته ، وحروفه ، وآياته . فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد » ؟ . . [١]

وقال الشريف المرتضى : « إن العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه ، فى صحة نقله ، كالعلم بجملته ، وجرى ذلك مجرى ما عُلِم ضرورةً من الكتب المصنَّفة ككتاب سيبويه والمزنى ، فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمون من جملتها ، حتى لو أن مُدْخِلاً أدخل فى كتاب سيبويه باباً فى النحو ليس من الكتاب لعُرِف ومُيِّز ، وعُلِم أنه ملحق ، وليس من أصل الكتاب ، وكذلك القول فى كتاب المزنى .

ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بكتاب سيبويه ودواوين الشعراء » [٢] .

* * *

٢ – وقال أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (٣٨٥ – ٤٦٠ هـ) [٣] .

« وأما الكلام – فى زيادته ونقصانه – فمما لا يليق به أيضاً .

لأن الزيادة : فيه مجمع على بطلانها .

والنقصان فيه : فالظاهر أيضاً – من مذهب المسلمين – خلافُهُ ، وهو الأليق الصحيح من مذهبنا . . إلخ » .

* * *

٣ – وقال أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى فى مقدمة تفسيره : « مجمع البيان لعلوم القرآن » [٤] .

« أما الزيادة فى القرآن : فمجمع على بطلانها .

وأما النقصان : فروى جماعة من أصحابنا ، وقوم من حشوية العامة أن فى القرآن نقصاناً . والصحيح – من مذهب أصحابنا – خلافه ، وهو الذى نصره المرتضى » .

---

(١) انظر الطبرسى : مجمع البيان لعلوم القرآن جـ ١ ص ١٨ (ط . دار التقريب بين المذهب الإسلامية بالقاهرة) .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٩ ، ومحسن الأمين : نقض الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة لموسى جار الدين فاطمة التركستانى ص ١٩٦ و١٩٧ .

(٣) التبيان فى تفسير القرآن جـ ١ ص ٣ .

(٤) جـ ١ ص ١٨ وانظر : محسن الأمين : الكتاب السّابق ص ١٩٨ .

٤ – وقال بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي :[١]

« الصحيح أن القرآن محفوظ عن ذلك (أى عن التحريف) زيادة كان أو نقصاناً ، ويدل على ذلك قوله تعالى : « وإنّا له لَحافِظُونَ » [٢] .

* * *

٥ – ويقول محسن حكيم الطباطبائى [٣] :

« إن سلف المسلمين كافة ، وعلماء الإسلام عامة – منذ بدء الإسلام إلى يومنا هذا – يرون أن القرآن – فى ترتيب سوره وآياته – هو كما بين أيدينا ، ولم يعتقد أحد من السلف فى التحريف » .

* * *

٦ – ويقول أبو القاسم موسوى خوجا [٤] :

« إن أىّ حديث – حول أىّ تحريف فى القرآن – لا يعدو أن يكون خرافة . فإنّ القرآن الكريم لم يعتره قط أى تغيير من أىّ نوع » .

* * *

٧ – ويقول هادى الحسينى الميلانى [٥] :

« لم يطرأ على القرآن – بأىّ شكل – أى اختلاف فى الترتيب ، أو أى حذف ، أو أية إضافة . وكلّ جدال – حول التحريف – هو زائف ، وصفر من الحقيقة .

إن القرآن هو المعجزة الأبدية للنبى الكريم ، وقد أخذ الله – سبحانه – على نفسه « جَمْعَه وقرآنه » ، وقال : « وَإِنَّا لَـهُ لَحافِظُون [٦] » ، وقال عنه : (لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ [٧] » .

---

(١) الكتاب السابق .

(٢) سورة الحجر من الآية ٩ .

(٣) S.V. Mir Ahmed Ali : A preface to The Translation of The Holy Quran. P. 95 A.

(٤) Ibid. P. 61 A.

(٥) Ibid. P. 63 A.

(٦) سورة الحجر / ٩ .

(٧) سورة فصلت / ٤٢ .

ويقول :

« القرآن الكريم مصون من التحريف ، لم تتطرق إليه يد الباطل بوجه من الوجوه ، وذلك معتقدنا » .

* * *

٨ – وقال محمد بن بابويه القمّى المعروف بالصّدوق :

« إن عقيدتنا – يقيناً – هى أن القرآن الذى أنزله الله على النبى محمد – صلى الله عليه وسلم – هو ما بين دَفَّتى المصحف ، وهو ما بين أيدى الناس ، ولا شىء غير هذا » .

ويقول أيضاً :

« فإذا عزا امرؤ إلينا – نحن الشيعةَ – غيرَ هذا فهو كاذب » .

٩

وقيل إنّ ترتيب السّور والآى اختلف ، فى مصاحف الصحابة ، عما هو فى مصحف عثمان ، على تفصيل أوضحته بعض الكتب[٣] .

وكذلك اختلف عدد السور[٤] .

والذى نراه – من أقوال الثقات ، ومن النقل المتواتر المجمع عليه ، ومن جلالة الأمر التى لا تسمح بتركه للاجتهاد الإنسانى – أن ترتيب القرآن ونظمه هو – كما قال القاضى أبو بكر فى « الانتصار » – : « ثابت على ما نظمه الله تعالى ، ورتّبه عليه رسوله ، من آى السّور ، لم يُقَدَّمْ من ذلك مُؤَخَّر ، ولا أُخِّر منه مُقَدَّم ، وأنّ الأمة ضبطت عن النبى – صلّى الله عليه وسلم – ترتيب آى كل سورة ، ومواضعها ، وعرفت مواقعها ، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التّلاوة »[٥] .

---

(١) Op. Cit. P. 4 A.

(٢) Ibid. P. 63 A.

(٣) انظر مثلاً :

السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٦٢ و ٦٤ و ٦٥ .

وابن النديم : الفهرست ص ٢٦ و ٢٧ .

(٤) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٦٥ .

(٥) نفس المرجع ص ٦١ .

ونرى – مثل ما رأى ابن الحصار – أن ترتيب السّور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي :

كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : ضعوا آية كذا فى موضع كذا .

وقد حصل اليقين ، من النقل المتواتر بهذا الترتيب ، من تلاوة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مما أجمع الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف [١] .

والمسلمون – منذ الصدر الأول – يدركون أنّ ترتيب القرآن على وفق نزوله هو فوق الطاقة . قال محمد بن سيرين لعكرمة ، أيام الجمع الأول للقرآن : ألّفوه (يريد القرآن) كما أنزل : الأول فالأول ، فأجاب عكرمة : لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يؤلّفوه هذا التأليف ما استطاعوا [٢] !

نعم ، إنّ ثمة أقوالاً بأنّ بعض السّور لم يُعلم ترتيبها فى حياة النبى (ص) ، وأنه يمكن أن يكون قد فوّض الأمر – فيه – إلى الأمة بعده ، ولكن الترتيب العثمانى – حتى على فرض صحة هذا – هو أهم الترتيبات ، وأكثرها ذيوعاً ، ولذلك راعى الجمعُ الصوتىُّ الأول ، وسيظل – إن شاء الله – يراعى ما يجب من التزام الترتيب العثمانى للسّور والآيات .

ونحن نرى – مع أغلب القرآنيين – أن القرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو معجز أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته .

وكذلك نلاحظ – مع الملاحظين – أنه « يقوم – بين جمل القرآن ، وآيه ، وسوره – تناسب بارع ، وارتباط محكم ، وائتلاف بديع ينتهى إلى حدّ الإعجاز ، خصوصاً إذا لاحظنا نزوله منجّماً على السنين والشهور والأيام »[٣] .

* * *

وكان من الحوافز المباشرة لتسجيل مصحف عثمان ، على وفق ترتيبه – سوراً وآيات – أنّ أفراداً – قدماء ومحدثين – رتّبوا سور القرآن ترتيباً خاصاً ، حسبما أشرنا قبلا .

ومن هؤلاء – فى العصر الحديث – « نولدكه » الذى أخذ ترتيبه عن كتاب أبى القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافى من رجال القرن الخامس [٤] .

---

(١) انظر : السيوطى – الإتقان حـ ١ ص ٦٢ .

(٢) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٥٨ .

(٣) انظر : محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن ص ٧٣ (الطبعة الثانية) .

(٤) انظر : الزنجانى : تاريخ القرآن ص ٧١ .

ومنهم بلاشير Blachere الفرنسى .

وقد طالب فعلاً أحد الناس – قبل مشروع المصحف المرتّل بسنوات قليلة – بترتيب سور القرآن، على حسب نزولها ، من سورة العلق ، ثم المزمل ، ثم المدثر ، ثم الفاتحة ، وهكذا حتى يختم بسورة النّصر[1] .

وتضمنت هذه المطالبة قولاً جريئاً خطيراً هو أن « ترتيب القرآن – فى وضعه الحالى – يبلبل الأفكار ، ويضيع الفائدة المطلوبة من نزول القرآن ، لأنه يخالف منهج التدرج التشريعى الذى روعى فى النزول ، ويفسد نظام التسلسل الطبيعى للفكرة ، لأن القارئ إذا تنقل من سورة مكية إلى سورة مدنية ، اصطدم صدمة عنيفة ، وانتقل – بدون تمهيد – إلى جوّ غريب عن الجوّ الذى كان فيه . . . إلخ » .

وقد رُدّ على هذه الدعوة بما فحواه :

(ا) أن ترتيب السّور توقيفىّ ، على ما يقرره جمهور العلماء . ولم يخالف سنّىّ ولا شيعىّ فى التزام هذا الوضع الذى كان عليه المصحف من أول يوم .

(ب) وأن احترام قدسية الوضع المأثور يقضى بالمحافظة على النّسق القائم الآن ، فى الآيات والسّور جميعاً ، وأن فكرة ترتيب المصحف – على حسب النزول – كانت تقضى بتغيير الوضع ، فى السور والآيات جميعاً ، بل هى – فى الآيات – كانت أشد اقتضاء ، ومع ذلك فقد خولفت .

(حـ) وأن تغيير الترتيب يفتح مجال الشبهة ، أمام العصور المقبلة ، فيقول قائل منهم : إنه لم تبق لنا ثقة بأنّ هذا الكتاب بقى ، فى كلّ العصور ، بعيداً عن كل تبديل ، لأنه ، فى عصر ما ، غُيّرت أوضاع السّور فيه ، فلعلّه قد أصابته – قبل ذلك – تعديلات أخرى لم تصل إلينا أنباؤها .

(د) وأن هذه الدعوة خارقة لإجماع المسلمين ، ويحرّف بها الكلم عن مواضعه التى وضعه الله فيها ، ولن يكون من ورائها إلا إفساد النّسَق وتشويه جماله[2] .

* * *

---

(١) تقدم بهذا « يوسف راشد » بوزارة العدل ، فى رسالة عنوانها : « رتبوا القرآن كما أنزله الله » . وقد كتب المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز تقريراً عن هذه الرسالة رفعه إلى إدارة الأزهر .

وانظر نصّ هذا التقرير فى مجلة كنوز القرآن ع . أكتوبر ونوفمبر ١٩٥١ .

(٢) انظر التقرير المشار إليه آنفاً .

ولعلّ مما يؤيد هذا الردّ القويّ أن كاتباً فى الشام[١] وضع تفسيراً للقرآن[٢] ، فرأى أن يجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السّورة[٣] ، واعتضد بفتويين :

قالت (إحداهما) : « إن التفسير ليس بقرآن يُتْلى حتى يُراعى فيه ترتيبُ الآيات والسّور »[٤] .

وقالت (الأخرى) : إن المنع من هذه الطريقة « يثبت فيما لو كان هذا الصنيع مسلوكاً من أجل أن يكون هذا الترتيب مصحفاً للتلاوة »[٥] .

ومع ذلك ، فقد اضطر الكاتب إلى مخالفة ترتيب النزول . يقول هو نفسه : « ولقد رأينا – مع ذلك – أن نخالف ترتيب هذا المصحف بعض الشىء ، فَسُور : العَلَق ، والقَلَم ، والمزّمل ، والمدّثّر التى وردت فيه كالسور الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة – بالتوالى – ليست كذلك إلا بالنسبة لمطالعها فقط على أحسن تقدير . . إلخ[٦] » .

على أن هاتين الفتويين تستحقان – فى رأينا – أن يعاد النظر فيهما :

فتفاسير القرآن تتضمن – فى الأغلب الأعمّ – كلَّ نصوص القرآن مستقلةً عن الشروح ، وكلها تلتزم – فى الأغلب الأعمّ أيضاً – ترتيبَ المصحف العثمانى ، ومن هنا يقرأ كثير من الناس القرآن ، فى هذه المصاحف المفسّرة . وإذن ، فالأساس الذى قامت عليه الفتويان منهدم ، ويتعين المنع من مخالفة الترتيب المجمع عليه والمتواتر .

وهنا نذكر أنّ بعض القراء (الصّبيتة) لا يلتزمون أحياناً – فى المحافل – بترتيب السّور والآيات ، وذلك لأغراض ساذجة ، منها الاقتصار على آيات معيّنة يضبطون أنغامها على نحو يتملّقون به أذواق العامّة ، ومنها : تجنّب آيات الإنذار والتخويف ، كأنما يريدون تجنيب المستمعين شيئاً يقرع أسماعهم وقلوبهم .

* * *

هذا ، ومما قيل – فى توقيفية ترتيب السور فى المصحف – : إن لهذا الترتيب أسباباً :

(أحدها) : بحسب الحروف ، كما فى الحواميم .

---

(١) هو : محمد عزة دروزه .

(٢) اسمه : التفسير الحديث .

(٣) انظر : التفسير المذكور – المقدمة جـ ١ ص ٨ .

(٤) أبو اليسر عابدين – انظر المقدمة جـ ١ ص ٩ .

(٥) عبد الفتاح أبو غده – انظر المقدمة جـ ١ ص ٨ و ٩ .

(٦) نفس المقدمة جـ ١ ص ١٦ .

و (ثانيهما) : موافقة أول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر « الحمد » فى المعنى ،وأوّل البقرة.

و (ثالثها) : للوزن فى اللفظ ، كآخر « تبّت » وأول « الإخلاص » .

و (رابعها) : مشابهة جملة السّورة لجملة الأخرى ، مثل : « والضحى » و « ألم نشرح

وقد كان من الوسائل الخائبة التى أراد بها أصحابها إلقاء ظلال من الشكّ على إلهيّة النصّ القرآنى الزعْم بأنّ زيد بن ثابت وبعض الصحابة هم الذين رتّبوا التنزيل :

يقول بروكلمان ، فى حديثه عن جمع عثمان : « إنّ زيداً رتّب – فى هذا الجمع – السُّور حسب طولها ، وابتدأ بأطولها ، بعد الفاتحة التى وضعها على رأس السّور كلّها ، وعلى هذا المنوال ، جمع القرآنَ أيضاً أبىّ بن كعب ، والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو موسى الأشعرى . . . » (٢) .

ونظنّ أنّ فيما تقدم عن ترتيب سور القرآن وآياته ما يُسقط ببساطة ادّعاء بروكلمان .

* * *

وبعد ، فقد رأيتُ أنّ أبلغَ ما يردّ به المسلمون على كلّ تلك الدعاوى وما يسجّلون به رفضهم لها ، وأخذهم بمصحف عثمان الذى أجمع عليه المسلمون ، وما يمنعون به أن يقع – فى وَهْم وَاهِمٍ – أن هنالك ما يخالف النصّ الذى استقرّ عليه الأمر ، هو أن يكون الجمع الصوتى الأول للقرآن – وهو جمع سيوجّه الأجيالَ المسلمةَ إلى يوم الدين – مقصوداً به جمع المصحف العثمانى وحده ، دون ما عداه من المصاحف ، وأن يكون الجمع على الترتيب الذى راعاه هذا المصحف دون أى ترتيب آخر .

والله المستعان .

---

(١) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٢٦١ .

(٢) تاريخ الأدب العربى (ترجمة عبد الحليم النجار) جـ ١ ص ١٤٠ .

الفصل الثانى

دء التحريف

١

يقرر القرآن أنّ اليهود نقضوا ميثاقهم ، فطردهم الله من رحمته « فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ (١) »

ومن وجوه هذا النقض :

كتمانهم صفة النّبيّ محمد (٢) (صلى الله عليه وسلم) .

ونبذهم الكتاب ، وتضييعهم الحدود ، والفرائض (٣)

ويقرر القرآن أيضاً أنّ اليهود حرّفوا ما أوحى به الله :

« مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ » (٤)

« يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ » (٥)

ويحتمل هذا التحريف – فيما يقرر المفسرون – تحريف الألفاظ بالتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والزيادة ، والنقصان . ومصداق ذلك قول القرآن حكايةً عنهم : « وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ، وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (٦) .

كما يحتمل تحريف المعانى ، بسوء التأويل ، وحملِ الألفاظ على غير ما وضعت له ، والتحيّلِ لتبديل المعانى ، من جهة اشتباه الألفاظ واشتراكها ، وتشعّب التأويلات فيها ،

---

(١) سورة المائدة / ١٣ .

(٢) انظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١١ ص ١٨٦ – ١٨٨ .

(٣) انظر : الطبرسى : مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ ٢ ص ٥١ – ٥٤ .

(٤) سورة النساء / ٤٦ .

(٥) سورة المائدة / ١٣ .

(٦) سورة آل عمران / ٧٨ .

ومثال ذلك – كما يقول ابن عطية – قولهم : « وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا »[١] ، ونحو ذلك[٢].

ويروى المفسرون أن التحريف وقع بالكتاب ، أى بألفاظه ومعانيه معاً ، والمعانى هى تبع للألفاظ[٣]

وقد روى[٤] أنّ النبىّ (ص) – حين دخل المدينة – دعا اليهود إلى القرآن ، فكذّبوه ، فنزلت الآية : « أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ »[٥] .

فهكذا – فيما يقرر القرآن – كان تحريف اليهود لكتبهم تحريفاً مبكّراً عنيداً متعمَّداً سيّئ القصد ، حتى صار سبباً لذلك الاستفهام الذى توجّهه الآية إلى المسلمين – على سبيل الإنكار والاستبعاد – عن كيف يرجون من اليهود الإيمانَ والرُّشْد .

والقرآن يقول : « أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ الضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ »[٦] . ويقول المفسّرون فى هذا إن اليهود كانت تعطى أحبارها بعض أموالها ، على ما كانوا يضعونه لهم ، مما ينصرون به اليهودية . ويقال إن هؤلاء الأحبار كانوا يُؤْثِرون تكذيب النبى (ص) ، ليأخذوا الرِّشا على ذلك ، ولتحصل لهم الرياسة[٧] .

والمروىّ : أن بعض اليهود كتبوا كتاباً بدّلوا فيه صفة النبى محمد (ص) ، وأخذت قُرَيْظَة ما كتبوه ، فخلطوه بالكتاب الذى عندهم ، ولم يكتفوا بهذا الكذب ، حتى عضّدوه بقولهم إنه فى التوراة هكذا . وذلك – كما يقول أبو حيان المفسر – « لِفرط جرأتهم على الله ، ويأسهم من الآخرة[٨] ، فجعلوا يلوون ألسنتهم أى يفْتِلُونَهَا – أمام المسلمين – بقراءة هذا التحريف ليحسبه المسلمون من الكتاب الصحيح « وإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَـٰبِ

---

(١) سورة النساء / ٤٦ .

(٢) أبو حيان الأندلسى : البحر المحيط جـ ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٣ ، وانظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١٠ ص ١١٨ .

(٣) انظر : الطبرسى : مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ ٢ ص ٥١ – ٥٤ .
ورشيد رضا : تفسير المنار جـ ١ ص ٣٥٥ – ٣٦٦ .
وأبو حيان الأندلسى : المرجع السابق .

(٤) انظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ٤ ص ١٤٨ .

(٥) سورة البقرة / ٧٥ .

(٦) سورة النساء / ٤٤ .

(٧) انظر : الطبرسى : مجمع البيان جـ ٥ ص ١١٦ .
والفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١٠ ص ١١٥ . .

(٨) البحر المحيط جـ ٢ ص ٥٠٣ .

لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ ، وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (١) .

وعن ابن عمر قال :

« أُتى النبي – صلى الله عليه وسلَّم – برجل وامرأة من اليهود قد زَنَيا .

فقال لليهود : ما تصنعون بهما ؟

قالوا : نسخِّم وجوههما ونُخزيهما .

قال : فأْتوا بالتوراة : فَاتلوها إن كنتم صادقين .

فجاءوا ، فقالوا لرجل مِمّن يرضون : يا أعور . . . اقرأ .

فقرأ ، حتى انتهى إلى موضع منها ، فوضع يده عليه .

قال : ارفع يدك .

فرفع يده ، فإذا فيه آية الرَّجْم تلوح .

فقال : يا محمد ، إنّ عليهما الرَّجْم ، ولكنّا نكاتمه بيننا .

فأمر بهما ، فرُجما ، فرأيته يجانئ عليها الحجارة (٢) » .

فهكذا تقول الروايات الإسلامية إن اليهود خضعوا للهوى خضوعاً أمالهم عن الحقّ ، وزيّن لهم تحريف كتابهم .

* * *

وفى القرآن : أن اليهود أخفَوْا كثيراً من كتابهم :

« قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً » (٣) .

« يَـٰأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ » (٤) .

يقول أبو حيان الأندلسى : « دلّت هاتان الآيتان على أنّ الذى أخْفَوْه من الكتاب كثير ، ودلّ – بمفهوم الصّفة – أن الذى أبدَوْه من الكتاب قليل » (٥) .

---

(١) سورة آل عمران / ٧٨ .

(٢) انظر : صحيح البخارى – باب ما يجوز من تفسير التوراة وكتب الله

وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ١٣ ص ٤٤٣ و ٤٤٤ (ط . البهيّة) .

(٣) سورة الأنعام / ٩١ .

(٤) سورة المائدة / ١٥ .

(٥) البحر المحيط جـ ٢ ص ٥٠٣ .

وقد عُرِفَتْ فعلاً كتب يهودية أحصاها المؤرخون ، وأخفاها اليهود ، مثل : سِفْر يهوذا ، أو يهوديت ، وكتب الميكابيين ، وسفر يسوع ابن سيراخ (١) .

* * *

وربما أيّد وقوع التحريف – بالإضافة إلى النصوص السّابقة – أنّ من اليهود فرقة الصّادوقيين Sadducees ، وهي لا تؤمن بأوّليّات ما جاءت به الأديان السماوية من أنّ الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وهي تنكر الملائكة ، وتنكر الروح ، وتُنكر القضاء والقدر ، ولا تشهد أن الحساب حقّ ، والنعيم حق ، والعذاب حق ، وترى أن العقاب والثواب كليهما يقعان في الحياة الدنيا(٢) .

* * *

ومما يلاحظ على التوراة الحاضرة أنها تعارض أشياء يراها المسلمون حقائق :

فهي تَعُدُّ النَّبيَّيْن : داود ، وسليمان مجرد مِلِكَيْن ، وتَعُدُّ الأنبياء : إبراهيم ، وإسحق ، ويعقوب مجرد آباء قدامى Patriarchs (٣). بينما يعدّهم المسلمون أنبياء من يكفر بهم أو لم يوقّرهم خرج عن الإسلام .

ويبدو أن هذه التسمية أثّرت فى كتّاب اليهودية والمسيحية ، فهم الآخرون يردّدونها(٤) .

---

(١) انظر : على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١٦ ، وانظر : ابن خلدون : المقدّمة جـ ٢ ص ٥٩٣ – ٥٩٥ ، وانظر تعقيبات المحقّق .

(٢) نشأت هذه الطائفة اليهودية فى القرن الثانى قبل ميلاد المسيح ، لتواجه طائفة الميكابيين ، وأخذت اسمها من صادق Zadok بوصفه سلف الطبقة الكهنوتية الرفيعة . وربّما كانوا ممثلين الآن فى طائفة القيراطين Karaites وانظر :
The Encyclopedia Americana, Vol. 14. P. P. 99 & 100.

(٣) انظر :
الكتاب المقدس : أعمال الرسل : الفصل ٤ ، الفقرات ١ و٢ وما بعدهما ، والفصل ٢٣ ، الفقرة ٨ ، وإنجيل متى : الفصل ١٦ الفقرات ١ و٦ و١١ .
وانظر : A. P. Stanely: History of Jewish Church. Vol. III P. 335.

(٤) هذه مثلاً كتب وقعت لنا : وفيها ، حتى فى عنواناتها ، يسمّى هؤلاء الأنبياء آباء قدامى .. Patriarchs

a) Patriarchal Times or The Land of Canaan — in seven books. Founded on the Holy Scriptures, by Miss O. keeffe (London. 1820).

b) History of The Patriarchs. by A. Alex ander. (philadelphia. American Sunday — School Union).

c) The Patriarchal Age, by Charles F. Pfeiffer. (Baker Book House. Grand Rapids. 6 Michigan 1961).

d) The Patriarchs of Israel. by Gohn Marshall Holt (Vanderbilt University Press. Nashville 1964).

والعبارات والألفاظ فى أسفار العهد القديم تحمل – طبعاً – ما ينمّ عن زمن كتابتها ، وهو زمن متأخر كثيراً عن عهد موسى الذى أُنزلت عليه التوراة الحقيقية .

وقد أسلفنا – فى فصل سابق – أن التوراة – عند أهل الكتاب أنفسهم – ليست شيئاً واحداً ، فنسخة اليهود غير نسخة السّامرة ، غير نسخة النصارى .

يقول صاحب تفسير المنار[1] ، فى موضوعية واضحة :

« ومن المعلوم من التاريخ – بالقطع ، عندنا وعندهم : أنّ التوراة التى كتبها موسى عليه السّلام ، ووضعها فى التابوت (صندوق العهد) ، وأخذ الميثاق على بنى إسرائيل بحفظها ، كما هو منصوص فى آخر سفر (تثنية الاشتراع) قد فقدت من الوجود عندما أغار البابليّون على اليهود ، وأحرقوا هيكل بيت المقدس .

والتوراة الموجودة الآن يرجع أصلها إلى ما كتبه عزرا الكاهن[2] بأمر أرتحستا ملك فارس الذى أذن لنبى إسرائيل بالعودة إلى أورشليم ، وأذن له أن يكتب لهم كتاباً من شريعة الربّ وشريعة الملك ، ولذلك تكثر فيه الألفاظ البالية كثرة فاحشة » .

٢

وفوق هذا ، فالظن أنه ليس عسيراً على من يطالع التوراة الحاضرة من المسلمين أن يكتشف التبديل فى الألفاظ والمعانى ، فقد تضمنت أشياء لا يمكن التصديق بأنها من عند الله :

(ا) فالله – فيها – ليس مخالفاً للحوادث ، وهو كالبشر : يأكل ، ويصارع ، ويبكى ، وينتحب ، ويندم ، ويأتى أموراً شِرِّيرة ، وهو – أحياناً – يكذب ، ويغشّ ، وفيه – أحياناً – ضعف ، وغَرَارة ، وجهل ، وصفات أخرى هى – عند المسلمين – مستحيلة فى حقّه ، منافية لجلاله ، مناقضة لكماله .

---

e) The Story of Patriarchs and Prophets.

The Conflict of the Ages illustrated in Lives of Holy Men of Old. by Ellen G. White (Washington. 1959).

(١) انظر جـ ١ ص ٢٠٩ (ط . ١٣٧٣ هـ) .

(٢) يصفه العهد القديم بأنه « كاتب ماهر فى شريعة موسى التى أعطاها الربّ إله إسرائيل » (سفر عزرا – الإصحاح السّابع) .

(ب) وثمة قبائح مستبشعة نَسَبَتْها هذه التوراة إلى الأنبياء والرسل ، ولا يستطيع المؤمنون بالله ورسله التصديق بها :

١ – نَسَبَتْ – مثلا – إلى أبى الأنبياء : إبراهيم – الكذبَ ، والمتاجرة بزوجته الجميلة : سارة ، مرّة فى مصر ، وفى أرض جرار مرة أخرى ، نظير « غنم ، وبقر ، وحمير ، وعبيد وإماء ، وأُتُن ، وجِمال »[١] .

٢ – ونسبت – مثلا أيضاً – إلى لوط أنّ ابنتيه أسكرتاه ، فَفَقَد وعيه ، فزنى بهما ، فجاءتا ، منه ، بولدين هما أصل شعبيْ : المؤابيّين ، والعمونيّين[٢] .

٣ – ونسبت – إلى النبي : داود – أنه زنى بامرأة متزوّجة أعجبته ، فحملت منه ، ولكى يخلو له وجهها ، هيّأ الأسباب لقتل زوجها الشّجاع الوفىّ الذى كان يحارب أعداء وطنه ، والذى أبت عليه همته ومروءته أن يأوى إلى بيته ، بعد اغترابه فى الجهاد ، ما دام له إخوان لا يزالون فى الصحراء يحاربون[٣] .

٤ – بل إنها نسبت – إلى النبي : هٰرون – أنه استجاب لليهود الخارجين من مصر ، لمَّا طلبوا إليه أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم ، فطلب إليهم نَزْعَ ما لديهم من حُلىٍّ ذهبيّة ، فصوّرها بالأزميل ، وصنعها عجلاً مسبوكاً اتخذه اليهود معبوداً من دون الله ، وبنى له هرون مذبحاً[٤] .

وواضح أنّ مخازى كهذه – فيها أَقصى الخِسّة – لا تقع غالباً من إنسان سَوِىّ ، فضلا عن أن تقع من رجال اصطفاهم الله لرسالاته ، وبوّأهم منصب النبوّة ، وجعلهم أئمة يهدون بأمره .

* * *

(حـ) والتوراة الحاضرة خالية من ذكر الآخرة ، والبعث ، والحشر ، والنشر ، والعذاب والنعيم الأخرويين ، والتبشير بالرسول محمد (ص) . فأين هذا من التّوراة التى يؤمن بها المسلمون ، والتى فيها – بنصّ القرآن – (هُدًى وَنُورٌ)[٥] . وكما يقول أبو حيان المفسّر : وأين هذا من قوله تعالى : « ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

---

(١) سفر التكوين : الإصحاحان ١٢ و ٢٠ .

(٢) نفس السفر : الإصحاح ١٩ .

(٣) سفر صمويل الثانى : الإصحاح ١١ .

(٤) سفر الخروج : الإصحاح ٣٢ .

(٥) سورة المائدة / ٤٤ .

وَٱلْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ »(١) ، وقوله تعالى ، وقد ذَكَرَ رَسُوله وصحابته ، : « ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ »(٢) ؟

٣

واعتور – فى رأى المسلمين – التحريفُ والتبديلُ أسفار الديانة المسيحية الحاضرة أيضاً :

(ا) فهى تقرّر شِرْكاً لا يمكن – عند المسلمين – أن تقوله السماء : تقرر أن عيسى ابن مريم إله وابن إله .

وتذكر أن الإله مركّبٌ من ثلاثة أقانيم هى : الأب ، والابن ، وروح القدس .

وتقول بالحلول والاتحاد بين اللاهوت والناسوت .

وقد جنحت المجامع المسكونية إلى تقرير الحرمان – وهو عقوبة بالغة الشّدة – لكلّ من يتمسّك بما ورد فى بعض الأسفار عن تنزّه الله عن أن تكون له صاحبة أو ولد أو شريك .

(ب) وهى تختلف فى نَسب المسيح ، وفى أخبار القبض عليه(٣) . هذا فضلا عن الاختلاف فى مسائل العقيدة والعبادات(٤) .

(حـ) ومن نفس المسيحيين الممتازى الثقافة والمتخصصين فى الدّراسات الدّينية المسيحية من يرون أن هذه الأسفار بشكلها الحاضر ، ليست مما نزل على عيسى ، وإنما هى من كتابة بعض حوارييه وأتباعه ، كتبوها بعد رفعه بسنين كثيرة :

تقول موسوعة الدين والأخلاق المطبوعة فى أمريكا(٥) :

« كُتِبَ الإنجيل وأعمالُ الرّسل فى العشر السنوات التى بين ٩٥ و ١٥٠ من الميلاد تقريباً . ولسنا نبعد كثيراً عن الصّواب إذا قلنا – عامدين إلى رقم يبدأ يميناً بالصفر– إن هذا

---

(١) سورة الأعراف / ١٥٧ . (٢) سورة الفتح / ٢٩ . وانظر : البحر المحيط جـ ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٣ .

(٣) انظر مثلاً : إنجيل متى : الإصحاح ٢٦ .

(٤) انظر : الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ ص ٢٢٢ (ط . مصطفى محمد سنة ١٩٦١) .

(٥) Encyclopaedia of Religions A. Ethics.

التاريخ هو السّنة المائة من الميلاد [١] » .

ثم ذكرت الموسوعة تاريخ كتابة كلّ إنجيل ، فقالت :

« إن إنجيل مرقس كُتب بين سنتى ٦٥ و ٧٠ ميلادية

وإنجيل لوقا (والأعمال) كُتب فى سنة ١٠٠ ميلادية

وإنجيل متى كُتب فيما بين سنتى ٨٠ و ١٠٠ ميلادية ، وعلى أية حال قبل سنة ١١٠ .

وإنجيل يونس كتب بين سنتى ١٠٠ و ١١٠ بعد الميلاد .

والمدة التى تلقّى فيها الكاثوليك الأناجيل هى ما بين السنة المائة والسنة المائة والخمسين » [٢]

وتذكر دائرة المعارف الفرنسية [٣] أن التحقيقات العلمية والتاريخية تؤيد أن هذه الأناجيل كتبها أناس غير الحواريين والتلاميذ التابعين الذين تنسب إليهم

وهذه الأناجيل – بحكم تعدّد مصادرها – مختلفة اختلافاً كثيراً فى المضمون والحجم .

وهو اختلاف يعلمه – بالضرورة – النصارى علم اليقين .

* * *

(د) وحتى الأسفار التى يعترف بها المسيحيون الآن ، ظلّت عندهم هم أنفسهم ، حوالى أربعة قرون ، موضع شكّ فى صحة حقائقها ، وصحة نسبتها إلى أصحابها [٥].

* * *

(هـ) ومن علماء المسيحيين أنفسهم أيضاً من ينسبون إلى الكتاب المقدس الحاضر التحيّز والبعد عن الإنصاف . ومن الأمثلة لذلك ما كتبه أستاذ اللاهوت الإنجيلى بمدرسة هارفورد اللاهوتية [٦] – عند حديثه عن الصادوقيين Sadducees الذين أشرنا إليهم قبلا ، فهو يقول إن كتاب العهد الجديد New Testament ربما كانوا – فى كتابتهم عن هؤلاء – قد تأثروا بطائفة الفاريسيك Pharisaic ، وقال إن جوزيفوس Josephus كان يبغى – بكتابته –

---

(١) Vol. Vl P. 337.

(٢) Ibid. P. 344.

(٣) Soc. des Savants et des Gens des Lettres :
Le Grand Encyclopedie – Inventaire Raisonné des Sciences, des Lettres, et des Arts.
6 ieme Vol. P. P. 586 – 591.

(٤) انظر : ابن كثير : فضائل القرآن ص ١٩ .

(٥) على عبد الواحد وافى : الأسفار الدينية ص ٩٤ و٩٦ .

(٦) Edward Nourse, Professor of Biblical Theology, Harford Theological Seminary.

مرضاة القراء اليونان ، فقال إنهم كانوا أكثر استمساكاً بالعدل المستقيم القاطع من « الفاريسيك » ، وإنها غلطة أن يسوّى بين الفريقين ، فالفاريسيك كانوا يريدون أن يوائموا بين دينهم وبين الأفكار والأفعال اليونانية ، ولو أهدروا – فى سبيل ذلك – الشريعة نفسها[1] .

٤

وقد سَلِمَ القرآن – كما رأينا – من كلّ شىء من هذا القبيل ، ولم تنقطع أسانيده فى أى وقت .

ولا ريب أنّ من مؤكدات الجزم بسلامته المطلقة ، وعدم الغفلة عنه بحال : أنّ المسلمين درسوا عنه – فى كلّ أزمنتهم – كلّ شىء ؛ درسوا مثلا : ما نزل منه صيفا أو شتاء ، سفَراً أو حَضَرا ، نهاراً أو ليلا ، فى الأرض أو فى السماء ، قبل الهجرة أو بعدها . . . إلخ ، ففرصة العبث به مفقودة ، وطريق التحريف فيه مسدودة .

وربما كانت أسباب التحريف فى الكتب الأخرى هى التى أوردها المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز[2] ، وهى :

١ – أن الله لم يتكفل بحفظها ، وإنما طلب إلى الرّبّانيّين والأحبار حفظها « إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ »[3] .

٢ – وأن هذه الكتب جىء بها على التوقيت ، لا على التأبيد .

٣ – وأن القرآن جىء به مصّدقاً لما بين يديه من الكتب ، ومهيمناً عليها ، فكان جامعاً

---

(١) The Encyclopaedia Americana, Vol. 14, P. P. 99 & 100.

(٢) النبأ العظيم ص ٨ و ٩ .

(٣) سورة المائدة / ٤٤ .

وفى (تاريخ قضاة الأندلس للنباهى) : أن أبا عمرو الدانى حكى عن قاض اسمه : أبو المثاب ، قال :

كنت عند إسماعيل (يريد : إسماعيل بن حمّاد بن زيد الأزدى أحد أئمة المالكية وأعلام القضاة) يوماً ، فسُئل : لم جاز التبديل على أهل التوراة ، ولم يجز على أهل القرآن ؟

فقال : قال الله تعالى فى أهل التوراة : « بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا من كِتَـٰبِ الله » (المائدة / ٤٤) ، فوكل الحفظ إليهم ، وقال فى القرآن : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ » (الحجر / ٩) فلم يجز التبديل عليهم .

فذكر ذلك المحاملى ، فقال : ما سمعتُ كلاماً أحسن من هذا .

وقد رُوى أنّ نصرانيًّا سأل محمد بن وضّاح عن هذه المسألة ، فأجاب بمثل هذا الجواب . (ص ٣٣) .

لما فيها من الحقائق الثابتة ، زائداً عليها بما شاء الله زيادته ، وكان ساداً مسدّها ، ولم يكن شيء منها ليسدّ مسدّه [١] .

* * *

غير أنّ أعداء القرآن ظلّوا على رغبتهم فى محاولة دسّ التحريف فيه ، فكان لزاماً على المسلمين الحذر من هذه المحاولات ، ودرؤها ، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . وفى رأيى أنّ جمع القرآن صوتياً – فوق جمعه كتابةً – وسيلةٌ أكيدة إلى القضاء تماماً على كل محاولة تحريفية .

٥

وكأنما جاء مشروعى هذا فى أنسب مناسبة ، فبعد أن رجوت وزارة الأوقاف تمويله [٢] ، وبعد أن مضيت فى تسجيل رواية حفص عن عاصم ، بأموال هذه الوزارة ، وَقَع ما كانت خشيته ضمن بواعث المشروع ، ذلك أنّ إسرائيل – فيما ذكرت بعض المصادر العربية – جدَّتْ – فعلاً – فى محاولة تحريف القرآن ، وتوزيع النّسخ المحرَّفة فى : المغرب ، وغانا ، وغينيا ، ومالى ، ودولٍ أفريقية أخرى [٣] . وقد اكتشفَتْ سفارتنا بالمغرب هذه المحاولة ، فأخطرت بها القاهرة ، وبعثت إليها ببعض النسخ المحرَّفة [٤] .

* * *

وكان من الوسائل والمظاهر التحريفّية التى اكتُشفت :

١ – إحداث أكثر من ألف خطأ مطبعىّ ولفظى ، فى مائة ألف نسخة من القرآن ،

---

(١) هنا نذكر شيئاً يتصل بمشروع الجمع الصوتىّ الأوّل للقرآن الكريم ، فقد كان المرحوم الدكتور دراز يرى أن تسمية القرآن بهذين الاسمين : « قرآن » ، و « كتاب » إشارة إلى أنّ من حقّه على الناس أن يُعنوا بحفظه فى موضعين ، لا فى موضع واحد ، يعنى أنه يجب حفظه فى الصدور والسطور جميعاً ، أن تَضلَّ إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرى .

وقد عقّبَتْ على هذا مجلّة الأزهر (ع . يناير ١٩٦٣) منوّهة بمشروعنا ، فقالت : « لعلّه لم يكن يدور بخلد فضيلته – رحمه الله – أنّ القرآن سيسجّل على أسطوانات وأشرطة ، فقد تيسّر بذلك ثالث من أسباب حفظه إنجازاً لوعد الله ، إذ يقول : (إِنَّا نَحنُ نَزَّلنا ٱلذِّكر وَإِنَّا لهُ لَحَٰفظونَ) (الحجْر / ٩) » .

(٢) على عهد وزيرها السيد أحمد عبد الله طعيمة .

(٣) مجلة آخر ساعة ع ١١ يناير ١٩٦١ .

(٤) نفس المرجع .

وزّعت فى البلاد الأفريقية والآسيوية [١] .

٢ – وحذف « لا » النافية ، من بعض المواضع ، ليكون المعنى عكس ما نزل به القرآن [٢] .

٣ – وحذف كلمتى : « ليست » فى الآية : « وَقَالَتْ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتْ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ ، وَقَالَتْ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ [٣] .

٤ – وحذف كلمة « غير » فى الآية : « وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ »[٤] .

٥ – وإبدال هذه العبارة : « والله غفور رحيم » بعبارة « وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » فى الآية : « وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلاً مِنَ اللهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »

٦ – وإسقاط الآيتين الآتيتين ، ومنع تدريسهما فى مدارس العرب والمسلمين فى فلسطين المحتلة :

« لا يَنْهَٰكُمُ اللهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَٰكُمُ اللهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ »

والقصد من هذا الحذف – فيما قيل وقتها – هو صرفُ الأنظار عن جرائم إسرائيل التى ارتكبتْها فى حقّ العرب بإخراجهم من ديارهم[٧] .

---

(١) جريدة الأهرام ع ٢٨ ديسمبر ١٩٦٠ .

(٢) انظر تصريح أحد المسئولين فى وزارة الأوقاف ، فى جريدة الأخبار ع . ٢ ديسمبر ١٩٦٠ .

(٣) سورة البقرة / ١١٣ .

وانظر : سليمان حسن عبد الوهاب : تحريف اليهود للقرآن قديماً وحديثاً – مجلة منبر الإسلام ع جمادى الآخرة ١٣٨٥ ص ٩٢ – ٩٥ .

(٤) سورة آل عمران / ٨٥ ، وانظر نفس المقال .

(٥) سورة المائدة / ٣٨ ، وانظر نفس المقال .

(٦) سورة الممتحنة / ٨ و٩ .

(٧) جريدة الجمهورية ع ١١ يناير ١٩٦١ .

٦

واهتم المسلمون بهذا الحادث الخطير اهتماماً كبيراً :

(ا) فبحث وزير الأوقاف مع شيخ الأزهر الإجراءات الواجب اتخاذها ضدّ هذا العدوان ، ومنها تشكيل لجنة مشتركة لمراجعة المصحف المحرّف وإبراز أخطائه ، وتحذير المسلمين من تداوله [١]

(ب) وأرسل شيخ الأزهر إلى رئيس الجمهورية برقية قال فيها :

« . . . إن إسرائيل التى قامت على البغى والطغيان والاعتداء على المقدّرات والمقدّسات ما زالت تعيش فى هذا العبث ، وتحيا فى إطار هذا الطغيان ، وإنها – بتحريفها القرآن الكريم – تريد القضاء على معتقداتنا وديننا ، وهى – بذلك – تمارس ما كان عليه آباؤهم من تحريف الكلم عن مواضعه ابتغاء كَبْتِ الدعوة الإسلامية وإعاقتها .

وإن المسلمين فى أنحاء الأرض يُهرعون إليكم – وكلّهم أمل فى قوة إيمانكم ، وغيرتكم على دينكم – أن تعملوا على حفظ كتاب الله ، فتقفوا فى وجه هذا العدوان الأثيم .

إن الأمة الإسلامية كلّها من ورائكم . . إلخ » [٢] .

(حـ) وأمر مفتى الديار السُّودانية كلَّ موظفى المحاكم الشرعية وأصحاب المكتبات العامة بضرورة مراجعة المصاحف – قبل تداولها – للتأكد من سلامتها من التحريف .

وأصدر شيخ العلماء فى السودان بياناً أهاب فيه بالمسلمين أن يتنبَّهوا لهذا الخطر . وأن لا يقبلوا أىّ مصحف إلا إذا كان مُوَافَقاً عليه من الأزهر ، أو إحدى الهيئات الدينية الرسمية فى البلاد الإسلامية [٣] .

(د) وأصدرت الحكومة الأردنية بياناً استنكرت فيه التحريف ، وذكرت ما تأدّى إليها من أنَّ إسرائيل عرضت على الدول الأفريقية التى وُزِّعت فيها المصاحف المحرَّفة أن ترسل إليها مدرسين لتدريس اللغة العربية ، والنسخة المشوّهة من القرآن ، وطلبت الأردن إلى

---

(١) جريدة الأهرام ع ٢٩ ديسمبر ١٩٦٠ .

(٢) عدد الأهرام نفسه ، وعدد الجمهورية بنفس التاريخ .

(٣) جريدة المساء ع . ١٠ فبراير ١٩٦١ .

المسؤولين فى البلاد العربية إحباط أعمال إسرائيل الشريرة [١].

* * *

وكان طبيعياً جداً أن يفيد المسلمون – فى ردّ هذا العدوان ومنعه – من مشروعنا الذى كأنما جاء فى ذلك الوقت على قَدَر :

١ – فانعقد ، فى ٣ يناير ١٩٦١ ، مؤتمر إسلامى ، برياسة وزير الأوقاف ، واستعرض جريمة التّحريف ، ثم انتهى إلى « اعتبار المصحف المرتل وسيلة فعّالةً لمقاومة هذه الجريمة [٢] »

٢ – تقرر توزيع أسطوانات المصحف المرتل فى الدُّول التى وَزَّعَتْ إسرائيلُ فيها المصاحفَ المحرَّفَة [٣].

٣ – وأيّد حِلْفُ العرب فى الهند مشروعنا ، واعتبره « حَدَثاً عالمياً لمكافحة تحريف إسرائيل للقرآن ، ونشر اللّغة العربّية ، بين الشعوب الإسلامية غير النّاطقة بالعربية »[٤].

٤ – وقيل عن دَوْر المصحف المرتل فى درء التحريف : « وقد قيَّض الله – لصدّ تلك الحملة الظالمة على كتاب الله – رجالَ الجمهورية العربية المتحدة ، إذْ وفقهم الله لصنع قنبلة ذرّية نسفت عمل اليهود من القواعد ، فأصبح هباءً تذروه الرياح . . . »[٥].

---

(١) جريدة الأخبار ع ٨ أبريل ١٩٦١ .

(٢) جريدة الجمهورية ع ٤ يناير ١٩٦١ .

(٣) جريدة الجمهورية ع ٢ يناير ١٩٦١ .

(٤) تلقى السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف وقتئذ رسالة بهذا (انظر ، جريدة الأهرام ع ٣٠ أبريل ١٩٦٢)

(٥) سليمان حسن عبد الوهاب : المقال السابق

الفصل الثالث

التمكين للغة العربية والوحدة الإسلامية

١

يعرف المتابعون لأفكار الغربيين – من مروّجى المسيحية ودعاة الاستعمار – أنَّ بعضهم يحقدونِ على الإسلام دينِ القرآن حقداً شديداً ، لعلَّ مبعثه أنَّ الإسلام ، لما انتشر فى القرون الوسطى ، كان سداً – أمام النصرانية – عاقَها ، وأنَّه سلبها مناطق نفوذ كانت لها [١].

ويرى هؤلاء – فى تعصّبهم لدينهم ، وحقدهم على المسلمين ، وفى خوفهم من قوة يرونها كامنة فى الإسلام – أن المسلمين إذا انتظمتهم وحدة أمكن أن يصبحوا « لعنة على العالم وخطراً » أو « أن يصبحوا نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين ، فإنهم سيبقون بلا وزن ولا تأثير »[٢] .

ويرى هؤلاء – ورأيهم هذه المرة صائب تماماً – أن وحدة المسلمين مفسدة للأطماع الاستعمارية الغربية ، فهم يحذّرون منها ، ويحاولون تعويقها [٣] .

٢

وكان من وسائل أعداء الوحدة الإسلامية إلى توهينها : إيقاد نار الحرب على كلّ أسبابها وموجباتها . وهم – لا ريب – يعرفون أنّ القرآن هو أصل الأصول عند المسلمين فى كل أمورهم الدينية والدنيوية ، وأنه – فى وقت واحد – كتاب دين ، وكتاب حضارة ، وكتاب ثقافة ، وأنه – بهذا ، وبما هو أقدس مقدّساتهم – هو موضع كلِّ التفاتهم ، وموضع كل

(١) انظر : Becker C. H: Islamstudien, P. 183.:
ومصطفى الخالدى وعمر فروخ : التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ٣٦ .

(٢) نقلاً عن الخالدى وفروخ : المرجع السابق ص ٣٧ .

(٣) انظر – فى هذا الشأن – تفاصيل الجهود التى بذلها الغرب ضد الإسلام فى المرجع السّابق .

التفافهم ، ومن ثم كان الظهور عليه – بطريقة ما – هو بيقين ، تقويضاً لأهمّ أسس هذه الوحدة .

وإذْ كان القرآن عربيَّ اللسان ، ويقتضي أتباعَه ، كي يدركوا جيّداً معانيه ، ويدركوا جيداً السُّنّة الشّارحةَ له ، أن يعرفوا لغته .

وإذْ أكدت التجارب المتكررة والمخلصة أن لا سبيل إلى ترجمة القرآن ترجمة يكون لها ما يماثل بَلْهَ ما يداني النصّ العربي ، في الدّقّة والفصاحة ؛

فقد رأى أعداء الوحدة الإسلامية خطر لغته أيضاً على مطامعهم العدوانية ، مهما حفلت هذه المطامع بالدأب ، واللجاجة ، والحيلة .

* * *

والحق أن القرآن ولغته يصنعان وحدة وثيقة ممتدّة : هي وحدة الفكر والعقل والمشاعر ، بين مئات الملايين من المسلمين ، لا في نطاق محليّ أو قوميّ فحسب ، ولكن في مختلف أرجاء الأرض .

والحقّ أيضاً أن القرآن ولغته يمكّنان كلٌّ منهما للآخر دائماً :

فالقرآن يهذب العربية ألفاظاً ، وأغراضاً ، وعباراتٍ ، وأفكاراً ، ويقوّي سلطانَها منطوقةً ومكتوبةً : يقول بروكلمان : « بفضل القرآن ، بلغت العربية من الاتّساع مدًى لا تكاد تعرفه أية لغة أخرى من لغات الدنيا . والمسلمون – جميعاً – يؤمنون بأن العربية هي وحدها اللسان الذي أُحِلّ لهم أن يستعملوه في صلواتهم ، وبهذا اكتسبت العربية – منذ زمان طويل – مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التي تنطق بها شعوب إسلامية »[1] .

وأما اللغة العربية فهي – كما وصفها الثعالبي – : « أداة العلم ، ومفتاح التفقه في الدين ، وسبب صلاح المعاش ، ثم هي – لإحراز الفضائل ، والاحتواء على المروءة ، وسائر أنواع المناقب – كالينبوع للماء ، والزَّند للنار »[2]. وهي – عند المسلمين – السبيل إلى « قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة في إثبات النّبوة الذي هو عمدة الإيمان »[3] .

---

(١) بروكلمان : موجز في علم اللغات السّامية (بالفرنسية) ص ٤١ و٤٢ ، نقلاً عن : عثمان أمين : فلسفة اللغة العربية ص ١٠٤ و١٠٥ .

(٢) فقه اللغة ص ٣ .

(٣) نفس المرجع .

وعلى ما فى عبارات الثعالبى هذه من استعارات ، وتشبيهات ، وعاطفة دينية ، فإنّ معانيها – فى ميزان الحق – لا تُخسِر الموضوعيَّة شيئاً .

والمسلمون يعتقدون أنّ اللغة العربية لسان الله يوم القيامة[١] ، ولذلك كان تعلّمها وتعليمها – عندهم – من الدّيانة .

* * *

واللغة العربية – ككلّ اللُّغات – لها علاقتها الوشيجة بنفسية الأمة الناطقة بها ، ولها أثرها الواضح فى تكوين شخصيتها ، ولها شأنها الجليل فى اجتماعيات هذه الأمة ، فهى – على مدى الزمن – وعاء تاريخها ، وأمجادها ، وتقاليدها ، وشمائلها ، وفضائلها ، وتراثها الفكرى ، والشعورى ، والأخلاقى ، والاجتماعىّ . وهى المستودع الذى – عنده – يطلب أفراد الأمة الألفاظ والتّعابير التى هى أداة التفكير .

* * *

واللغة العربية بالذات لها – من خصائصها وظروفها – ما جعل لها الغلبة على بعض زميلاتها السّاميّة ، وعلى اللُّغات اليمنية القديمة ، فى منطقة بلاد اليمن ، واللّهجات الآراميّة ، فى معظم بلاد العراق والشام ، والألسنة القبطيّة والبربريّة والكوشيتيكية[٢] .

بل إنه واضح أنّ للعربية من الخصائص والظروف ما جعل أثرها يزحف – بعد الإسلام – مقدّساً عميقاً إلى مجتمعات لم تكن تربطها بها وشيجة من قَبْلُ ، كالمجتمعات الآرية والطورانية التى منها مجتمعات الهنود والفرس والتّرك .

ومع أن بعض هذه المجتمعات الكبيرة احتفظ أحياناً بلغته الأمّ ، فقد اتخذ اللغة العربية لساناً أوّل له ، وذلك على مدى قرون طويلة ، وبرضًى تُذْكيه العاطفة الدينية .

واللغة العربية أيضاً – ككل اللغات – من أهمّ أركان الوحدة ، بالنسبة للناطقين بها .

---

(١) ابن آجروم ، مقدمة متن الأجرومية .

وفى صبح الأعشى للقلقشندى ، فى فضل اللغة العربية : أن عمر بن الخطاب قال : « تعلموا اللحن والفرائض ، فإنه من دينكم » . قال يزيد بن هرون : « اللحن هو اللغة » ، ولا خفاء أنها أمتن اللغات ، وأوضحها بياناً ، وأذلقها لساناً ، وأمدّها رُوَاقاً ، وأعذبها مذاقاً ، ومن ثم اختارها الله تعالى لأشرف رسله ، وخاتم أنبيائه ، وخيرته من خلقه ، وصفوته من بريَّته ، وجعلها لغة أهل سمائه ، وسكان جنته ، وأنزل بها كتابه المبين » (جـ ١ ص ١٤٨) .

(٢) Couchitiques نسبة إلى Cuch أحد أولاد حام بن نوح .

(انظر : سفر التكوين – إصحاح ١٠ .

وانظر : على عبد الواحد وافى : علم اللغة ص ١٥٧) .

وكما كانت وحدة اللسان – فى الدويلات القديمة المتعددة الناطقة بالألمانية ، وفى البقاع الناطقة باللغة البولندية – أهمّ دوافع الانتظام فى وحدات سياسية ، فإن مثل هذا الانتظام مكفول تماماً للبلاد الناطقة بالعربية ، والتى يوحّد القرآن أيضاً طرق تفكيرها ، ويوحّد – دينيًّا ودنيويًّا – وسائلها وغاياتها .

* * *

أدرك أعداء الوحدة الإسلامية الصحيحة أن سبيل تحقيق بُغْيتهم هو أن لا يجتمع العرب والمسلمون على ذلك الكتاب ، وذلك اللّسان ، وأن تنشأ النابتة العربية المسلمة على غير اللغة العربية الفصيحة التى هى لغة القراءة والكتابة ، فينسلخوا تلقائيًّا من وحدتهم ، وتاريخهم ، وتراثهم . فرأَوْا – كما يعبّر كتاب « التبشير والاستعمار » – أن « تقطيع أوصال العرب والمسلمين لا يمكن أن يتمّ ما دامت هنالك لغة واحدة يتكلمها العرب ، ويعبّر بها العرب والمسلمون عن آرائهم ، وما دام هناك حرف عربىّ يربط حاضر المسلمين إلى تراثهم الماضى ، فإذا حمل المستعمرون والمبشّرون العربَ على الكتابة باللغة العامية أصبح لكل عربى لغة خاصّة به ، أو لغات متعدّدة »(١) ، وواضح أن من شأن هذا أن تنفصم العرى بين العرب والمسلمين وتتمزق العلائق فيما بينهم ، ويصبح كلّ شعب عربى أو مسلم بمعزل عن باقى الشعوب الزميلة .

والذين يصرفون المسلمين عن لغة القرآن إلى اللهجات العاميّة المتغايرة ، حَسْبُهُمْ أن ينجحوا فى هذا ، ولا عليهم أن يبقى القرآن بلغته الفصيحة تقرؤه – بفهم قليل أو كثير – قلة متخصّصة ، ويقرؤه – فى مشقّة وبغير فهم – باقى المسلمين ، كما هو الشأن فى القبطية ، فى كنائس الأرثوذكس ، أو اللاتينية ، فى الكنائس الكاثوليكية .

وقد يناسب هنا أن نشير إلى أن كارل فولرس Karl Vollers المستشرق النمسوى الوارد ذكره قبلا كان قد كتب دراسة عنوانها : (القرآن بلهجة مكة الشعبية)(٢) . وكأنما يتوهّم أنّ المسلمين يُخضعون التنزيل للهجاتهم العامية الخاصّة ، حيث يكونون ، وحينما يريدون ، أو كأنما يريد – بطريق غير مباشرة – الترويج لفكرة هذا الإخضاع .

---

(١) ص ٢٢٥ .

(٢) انظر : نجيب العقيقى : المستشرقون جـ ٢ ص ٦٣٣ .

٣

ومضى الغرب – فعلا – فى تنفيذ خطته ، ضدّ ترابط المسلمين :

فمثلا حارب الفرنسيون اللغة العربية ، فى : بلاد أفريقية الغربية ، وفى موريتانيا ، وهى بلاد إسلامية عربية اللغة أصلا .

ولا تزال آثار هذه الحرب واضحة تعانى منها القومية العربية هناك .

ومثل هذه الحرب صَلِيَتْ حرَّها بلاد الشام حيناً .

ومثلها أيضاً ما فعلَتْه إنجلترا – فى مصر – طوال عهد الاحتلال ، حين كانت الإنجليزية لغة المدارس ، حتى فى المرحلة الابتدائية ، كما كانت لغةَ الدواوين . ولولا أن الأزهر كان يرعى جانباً تعليمياً آخر هو الجانب الإسلامى العربى ، ومن ثم لم تكن فيه لغةُ الاحتلال هى لغة التعليم ، لولا ذلك ، لعانت مصر مثلَ ما عانت زميلاتها من سياسة فرنسا [١] .

وقد فَصَلت إنجلترا ما بين شمال السّودان وجنوبه . ومنعت العرب والمسلمين – هناك – من الصلاة ، ومن التخاطب بالعربية أمام الجنوبيين .

* * *

وخطر هذه الحرب شديد غاية الشدة : فهى توهن الأمة ، وتضيع خطرها ، وتفكّك أواصرها . يقول عباس محمود العقاد – فى منطق صائب – : « الحملة على لغتنا – نحن – حملةٌ على كلّ شىء يعنينا ، وعلى كلّ تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية ، وعلى اللسان والفكر والضمير ، فى ضربة واحدة ، لأنّ زوال اللغة – فى أكثر الأمم – يبقيها – بجميع مقوماتها – غير ألفاظها ، ولكن زوال اللغة العربية لا يُبقِى للعربى أو المسلم قواماً يميزه عن سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب فى غمار الأمم ، فلا تبقى له باقيةٌ من بيان ، ولا عرف ولا معرفة ، ولا إيمان [٢] . »

ومن المؤسف أن بعض العرب المسلمين المقيمين فى غير بلاد الإسلام لا يفطنون إلى هذا الخطر المحدق بشخصيتهم وتاريخهم ، والممزّق لوحدتهم ، والذى سيباعد – وشيكا – بينهم وبين ماضيهم الزاخر المشرّف ، فيؤثرون الأسهل ، ويعلّمون أبناءهم لغتَهم العاميَّةَ الخاصةَ ،

---

(١) انظر بعض تفاصيل هذه الحرب فى : محمود محمد شاكر : أباطيل وأسمار ص ١٦٤ .

(٢) أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ص ١٢٧ .

ويعلّمونها الأجانب الداخلين فى الإسلام . والخير لو كانت اللغة العربية الفصيحة التى نزل بها القرآن هى لغة هذا التعليم ، ومحلّ هذا الجهد .

٤

كانت هذه الأمور ومثلها ملء خاطرى حين كنت أستجمع الأغراض التى يمكن أن يحققها الجمع الصوتى الأول للقرآن .

وكنت محيطاً بحقيقة تستوجب الاهتمام هى : أن بعض المسلمين ، هنا وهناك ، — فى إيمانهم بالقرآن ، وحبّهم إياه ، وتهدائهم به — يعوزهم حسن الأداء فى قراءته ، وأنهم يتلهفون على وسيلة ميسورة يتعلمونه عن طريقها ، ويتلونه على نَسَقِها ، تلاوة صحيحة يقوى عليها الفرد العادىّ . وكنت محيطاً بأن الحاجة إلى هذه الوسيلة — هى بالنسبة للمسلمين من غير الناطقين بالضاد — أمسّ ، وكنت أذكر — فى تأثّر — ما هو مشهور من تطلّع مسلمى القارة الهندية إلى حذق العربية وإحياء تراثها ، وأذكر كيف تقدم المجلس النيابى ، فى باكستان ، باقتراح اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية هناك .

وقدّرت — منذ فجر المشروع — أن انتشار القرآن — بفضل الوسيلة الصوتية — سيكون أوسع وأيسر ، وطلابه سيكونون أكثر ، وأن هذه الوسيلة ستصرف الناس عَمَّا لا يتفق مع أساليب العربية الفصيحة ، وسيصرف عن هذه اللغة نفسها كثيراً مما يرتكبه أعداؤها من جنايات التعويق والتّوهين .

* * *

وكنت أرى هذا الجمع — بخصائصه الجديدة — أعظم وسيلة إلى مطمح غال يحتدم به صدرى دائماً ، هو أن تصبح اللغة العربية فى الصّف الأول من اللغات العالمية القليلة . ولعل هذا المطمح أن لا يكون مسرفاً أو مجافياً — بأى شكل — لطبيعة هذه اللغة ، فهى لغة هذا الكتاب الذى تدين به ملايين البشر[1]، وفيها تخلّى مسلمون كثير عن ألسنتهم الأصلية ، وإلى تعلّمها تمتدّ — عن طواعية لا يشوبها أىّ قهر — رغبات ملايين من المسلمين غير العرب .

وربما كان من معضّدات هذا الرأى ، أن معهد اللغات الشرقية ، فى موسكو ، طَلَب إلى الجمهورية العربية المتحدة موافاته بنسخة من المصحف المرتل ، وقالت أستاذة اللغة العربية

(١) فى تقديرنا أن عدد المسلمين الآن يربو على ٨٠٠ مليون نفس .

هناك : « إن المصحف المرتّل سيساعدها على تدريس النطق العربى الصحيح لطلبة المعهد ، على أساس أن القرآن أقوى مرجع فى اللغة العربية »[١] ومن قبل هذا ، حين كنت أخطو بالمشروع خطواته الأولى ، كتَبَتْ « الأهرام » تقول : « إن هذا المشروع يفيد بعض الدول الإسلامية التى لا تتكلم العربية مثل أندونيسيا وغيرها ، فيتعوّد أهلها النطق الصحيح للقرآن ، بعد سماع هذه الترتيلات »[٢] .

وكذلك قرر إبراهيم إيناس الزعيم والداعية الإسلامى بغرب أفريقية : أنه استمع هو ، وبعض أتباعه ، إلى تسجيلات المصحف المرتل ، عشرات المرات فأفادهم ذلك حفظاً جيداً للقرآن ، واستقامة فى لهجتهم العربية [٣] .

* * *

وأملت – منذ قديم – أن يكون مشروعى سبباً خطيراً فى زيادة توثّق العلاقات بين المسلمين ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتوكيد العروبة على النحو الذى ننشده جميعاً وندعو إليه .

ونصصت على هذا – صراحةً – يوم تقدَّمْتُ بمشروعى ، إلى الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم ، ثم فى يوم تالٍ ، حين عقدت مؤتمراً صحفياً ، لتبشير الرأى العام الإسلامى بهذا المشروع ، ودعوة رجال الفكر والرأى إلى موافاتى بتوجيهاتهم وملاحظاتهم ، حتى تتحقق لفكرة الجمع الصوتى الأول للقرآن ما هى كفاؤه من تنفيذ دقيق سليم [٤] .

وبالله التوفيق .

---

(١) انظر : الأهرام ع ٦ أغسطس ١٩٦٢ بعنوان ، موسكو تطلب أسطوانات المصحف المقروء .

(٢) ع ١٦ مايو ١٩٥٩ .

(٣) نقل إلىّ هذا الأستاذ عبد الرحمن العدوى الأمين العام لجامعة الأزهر .

(٤) أهدى المصحف المرتل – برواية حفص – إلى جميع سفارات الجمهورية العربية المتحدة فى الخارج ، وأُهدى إلى جميع الحكومات الإسلامية ، والهيئات العلمية الكبرى ، فى كل بلاد العالم ، وإلى بعض الإذاعات . انظر مثلاً : جريدة الأهرام :

ع ٢٥ يوليو ١٩٦١ ، بعنوان : إهداء المصحف المرتل للحكومات الإسلامية والإذاعات.

وع ٥ أكتوبر ١٩٦١ ، بعنوان : أُسطوانات القرآن فى مكتبة الكونجرس .

وع ٩ مارس ١٩٦٢ ، بعنوان : إهداء المصحف المرتل إلى جميع سفاراتنا بالخارج .

وع ٢٨ مارس ١٩٦٢ ، بعنوان : إهداء السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف المصحف المرتل إلى كل من إذاعتى نيجيريا والباكستان .

وع ٢٢ أبريل ١٩٦٢ ، بخصوص إهداء السيد حسين الشافعى مجموعة المصحف المرتل إلى الحاج نوح بلما وزير الدولة بنيجيريا ، والسيد سالم عيسى والى مستشار الخارجية النيجيرى .

. . . .

= وع ١٢ مايو ١٩٦٢ ، بخصوص إهداء السيد حسين الشافعي مجموعات المصحف المرتل إلى وفد الحجاج الروسى لوضعها فى مساجد الاتحاد السوفييتى .

وع ١٨ يونية ١٩٦٢ ؛ بعنوان : الرئيس يهدى المصحف المرتل إلى رؤساء دول الدار البيضاء ، وفى هذا الخبر ، أن الملك الحسن أبدى رغبته فى الاستماع إلى المصحف المرتل .

وع ٦ أغسطس ١٩٦٢ ، بعنوان : موسكو تطلب أسطوانات المصحف المقروء .

وع ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، بعنوان : المصحف المرتل : إهداؤه إلى الجزائر . وتضمن الخبر أيضاً إهداء مجموعات من المصحف المرتل إلى السيد تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو ، وإلى رئيس مجلس النواب ، وكبير الأمناء ، ووزير الداخلية هناك .

وع ٣ أكتوبر ١٩٦٣ ، بخصوص برقية من أحد أعضاء المجلس البلدى بنابلس ، يرجو فيها تزويده بالمصحف المرتل .

وانظر فى : مجلة آخر ساعة ع ١٣ نوفمبر ١٩٦٣ خبراً بعنوان : مصحف مرتل هدية للإذاعة الإيطالية .

والأهرام ع ١٣ يناير ١٩٦٤ ، بخصوص إرسال ٤٢ مجموعة من المصحف المرتل إلى اليمن ، والجزائر ، ونيجيريا الشمالية ، والسنغال ، وغرب أفريقية ، وإمارة عمان ، واتحاد ماليزيا ، والفلبين ، ولبنان .

وقد زارنى رسميًّا ، فى فبراير ١٩٦٤ ، مندوبون من المؤسسة المصرية العامة للتجارة عدة مرات ، يرجون وزارة الأوقاف الموافقة على إدماج مجموعات المصحف المرتل فى قوائم الصّادرات المصرية إلى الهند ، وذكروا أن هذه أمنية غالية للشعب المسلم هناك . غير أن الدولة هنا لم تسترح إلى فكرة اعتبار المصحف سلعة تخضع لما تخضع له عروض التجارة ، وآثرت — وهى محقّة فى هذا — أن يظلَّ المصحف المرتَّل هديتها الدائمة إلى العالم .

وقال وزير الأوقاف (الأستاذ الدكتور محمد البهى) فى هذا الشأن لمندوبى الصحف إنه حريص على أن يكون المصحف المرتل هدية تحمل رسالة القرآن إلى العالم الإسلامى من مركز القيادة التاريخية فى القاهرة . وقال : « إن المصحف ليس سلعة تجارية ، ولكنه دعوة تجمع الناس على لسان عربى مبين » (انظر : الجمهورية ع ٥ مارس ١٩٦٤ بعنوان : المصحف المرتل رسالة وليس سلعة) .

خـــاتمـة

أظن أنه – لتقييم [1] مشروع الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم – ينبغى النظر فى بواعثه التى أوضحناها قبلا ، لننظر مدى جدّيتها .

* * *

وقد رأينا أن من هذه البواعث ما يتعلق بحفظ القرآن نفسه ، كما نزل به الوحى ، وكما قرأه الرسول ذاته ، وكما تلقّاه عنه أصحابه ، ثم كما تلقّتْه الأمة عنهم .

وهذا الحفظ إنما يكون عن طرق :

منها : طريق التلقى السّماعىّ الذى أجمع المسلمون على اعتماده من دون التلقى الكتابى ، وقد وَضَح لنا خطر هذا التلقّى الأخير ما لم يصحبه التعليم الشفوى .

ومن طرق الحفظ أيضاً : أن يكون لكلّ قراءة ثَبَتَ أن الرسول قرأ بها حُفّاظ – بعدد التواتر – فى كلّ بلد إسلامى ، وأن يعلم المسلمون أن التفريط فى هذا تفريط فى أساس الإسلام وقاعدته .

ومن الطرق أيضاً : أن نباعد بين الناس وبين القراءات التى لم تثبت قرآنيتها .

فإذا حقق مشروعنا هذه الأغراض ، وسدّ هذه الحاجات ، كان ذلك فى ميزان تقييمه ، وعرفان جلاله وخطره .

* * *

ومن بواعث المشروع بواعثُ تعليمية :

فإذا حقّق المشروع أهداف هذه البواعث ، بأنْ وَضَعَ النماذج الصوتية للترتيل الشرعى الذى تستطيعه الكافة ، وعالج الأخطاء التى يقع فيها كثير من الناس .

وإذا يَسَّرَ القرآنَ للحفظ والتعلم ، وخاصّة فى عهود قلّ فيها حفّاظ القرآن ومدارس القرآن .

وإذا عالج مشكلة اختلاف الرّسم القرآنى عن الرسم الإملائىّ ، وهى مشكلة يعانى منها الناس على مدى الزمن ، وقد اختلف الفقهاء فيها اختلافاً هو – فى الحق – اتفاق على أن السبيل الوحيدة إلى علاجها هو المصحف المرتل الذى هو ثمرة الجمع الصوتى للقرآن..

---

(١) أجاز مجمع اللغة العربية بمصر صيغة (تقييم) ، بمعنى تقدير القيمة . ومعلوم أنّ الأصل (تقويم) من (قوّم) .

إذا كان هذا كلّه ، فقد زاد ذلك فى قيمة المشروع ، وضمن له حقّه من التقدير .

* * *

وقد رأينا من البواعث الباعث الدفاعى . . .

فإذا كان الجمع الصوتى الأوّل للقرآن الكريم معاضدة قوية للمصحف العثمانى المجمع عليه ، وإسقاطاً للشبهات والروايات الطاعنة . . .

وإذا كان المصحف المرتل الذى هو ثمرة هذا الجمع الصوتىّ سبباً حاسماً فى دره التحريف عن القرآن ، وإبقائه مصوناً من أى تغيير أو تبديل . . .

وإذا كان هذا المصحف المرتل — فى البلاد العربية ، وغير العربية — داعية دين ووحدة ، ومعلّم لغة وأخلاق ، وناشر حضارة وثقافة . .

إذا كان هذا كلّه أيضاً ، فهو حرىّ أن يرجح كِفّة المشروع فى ميزان التقييم .

* * *

وقد يسأل سائل : هل أحسن المجتمع العربى والإسلامى تقييم هذا المشروع ؟

والردّ : أنّ كون أىّ مشروع ملء الأفواه وشُغْلَ الأذهان هو — على الحقيقة — تقييم حسن له ، وتكريم كبير لصاحبه .

وأشهد — إذا صح هذا الرأى — أنّ دنيَا العروبة والإسلام أحَسَنَتْ تقييم هذا المشروع ، وأكّدت تقديرها لصاحبه :

لما أرادت الجمهورية العربية المتحدة أن تكرم خدّام القرآن فى العالم ، فى مناسبة وضع الحجر الأساسى ، لدار القرآن ، يوم ١٥ من مارس ١٩٦٤ ، بإهداء كل منهم مصحفاً شريفاً مكتوباً ، كان صاحب هذا المشروع — بهذه الصفة ، وبصفته المشرف على لجان المشروع — على رأس رجالات القرآن الذين سلّمهم نائب رئيس الجمهورية (١) المصاحف الشريفة .

* * *

وعندما رفعت وزارة الأوقاف — إلى رئيس الجمهورية — تقريراً عن منهجها فى خدمة القرآن فى المدّة من جمادى الأولى سنة ١٣٧٩ هـ ، إلى جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ ، أشادت — لدى سيادته — بالمشروع ، وذكرت أنه « جاوب صدى فى نفوس المسلمين فى مشارق

---

(١) السيد حسين الشافعى .

الأرض ومغاربها ، وحقق أملاً جاشت به نفوسهم »(١) ، وذكرت أنه – بفضل تسجيل القرآن على هذا النحو – « يتيسّر تعلّمه وتعليمه لكافة الهيئات من مختلف المستويات ، فضلا عما يحققه من إجابة رغبات الدول الإسلامية غير العربية »(٢). وقالت الوزارة – عن المصحف المرتل – ما نصّه : « إنه ميسّر للقارئ والكاتب ، وهو ميسّر للأمّيّ الذى لا يقرأ ولا يكتب ، وللعربىّ ، وغير العربىّ ، والمسلم ، وغير المسلم ، والطفل ، والشيخ ، والذّكر ، والأنثى ، يتلقى بالعين ، واللسان ، والسمع »(٣) .

* * *

وكتب وكيل هذه الوزارة لشؤون الدعوة إلى صاحب المشروع الذى كان يعمل وقتئذ مراقباً بوزارة الاقتصاد كتاباً يتضمن أن وزارة الأوقاف تقدر الجهود التى أداها ويؤديها ، فى سبيل الدين عامة ، والقرآن الكريم خاصّة ، وأنها لذلك ترجوه المشاركة فى امتحان « الأئمة ، والمفتشين ، والقرّاء ، والوعاظ المنوط بهم الوعظ ، ونشر الثقافة ، داخل الجمهورية وخارجها » ، وأنها أصدرت القرار الوزارى رقم ١ لسنة ١٩٦٣ متضمنا عضويته فى لجنة هذا الامتحان .

* * *

وفى ٢٢ يناير ١٩٦٣ ، أحالت وزارة الأوقاف إلى صاحب المشروع كل ما كانت انتهت إليه فى شأن مشروعات التسجيل ليتولى الإشراف على تنفيذها .

* * *

وفى سبتمبر ١٩٦٣ ، فى مناسبة انتهاء صاحب المشروع من الإشراف على تسجيل رواية الدُّورى عن أبى عمرو ، أقامت «العشيرة المحمدية » ، وهى هيئة دينية شعبية تمثل المجتمع الإسلامى بمختلف مستوياته ، أقامت حفلاً لتكريم صاحب المشروع مع ثلاثة علماء أجلاء (٤) .

---

(١) ص ١٥ من التقرير .

(٢) نفس الصحيفة .

(٣) نفس الصحيفة .

(٤) منهم الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ، بمناسبة تعيينه وقتئذ عميداً لكلية أصول الدين ، والأستاذ على عبد العظيم بمناسبة قرب عودته – وقتذاك – إلى عمله أستاذا بجامعة محمد الخامس بالمغرب .

(وانظر : مجلة « المسلم » ع : جمادى الأولى ١٣٨٣ – سبتمبر ١٩٦٣ ص ٢٢ – ٢٦) .

ومن مثل هذا ، نشرت « الجمهورية »[١] تحقيقاً طويلا بعنوان : ٤٤ ألف أسطوانة من المصحف المرتل فى اليونسكو والكونجرس الأمريكى وكل عواصم العالم[٢] .

وكان مما قيل فى هذا الحفل من قصيدة للشاعر الأستاذ محمود جبر :

« عبد الحليم » غـداً العميد فقلت : يا نعم العميــد
وجـلال مختـتم التـلاوة صاغـه هـذا (السعيـد)
فهتفت شـكراً للقـاء هنـا على هـذا الصعيد

ومما خوطب به صاحب المشروع من قصيدة الشاعر المرحوم الأستاذ قاسم مظهر :

الفضل كل الفضـل للخلصاء وأراك فـوق منـازل الفضـلاء
ناديتَ من قلب كـريم مـؤمن لتذيع صوت (الذِّكر) فى الأرجاء
وظللتَ تدعـو مخلصاً متفانياً لعقيـدة قدسية عصمـاء
واليوم حققتَ المنى ، فإذا الأثير يعانق الأصـداء فى الجوزاء
عش (يا لبيب) فأنت أسعد من دعا وإجابةُ الرحمن خـير جـزاء

وقال شاعر ثالث هو الأستاذ إبراهيم شعراوى :

ذكّرتنـا بالـذى كنـا نسينـاه هذا الذى لم يزل كالأمس معنـاه
(لبيب) : يا منعش الألباب توقظهـا من السُّبات ، نِعمّـا مـا سمعنـاه
من الخلود ، وفيـه السّرّ أجمعـه ومنـه أمس وراء الأفـق صُغْناه
وفيه ذكرى جراح عذّبَتْ وطـنى لمـا تركنـا كتاب الله بعنـاه
لمـا جعلنا بأرض الكفـر قبلتنـا قل لى بربّك : هل خـير جنينـاه ؟

وقال شاعر رابع هو الأستاذ محمد ضيف الله :

بين أهـلى وإخـوتى الـكرماء وأحبّـاى صـفوة الأدبـاء
حـاملى مشـعل الحيـاة بأقلا م تـؤدّى رسـالة الأنبيـاء
ناشرى العـلم بين شرق وغـرب منهـلا طـاب ورده للظمـاء
حـافظى الـدين والأصـول وآيات كتـاب الشريعـة السمحـاء
طاب لى اليـوم أن أحـيى وأشـدو بلحـونى ومن رقيـق غنـائى

ومن قصيدة أُلقِيَتْ فى هذا الحفل للشاعر أحمد المراغى :

أبشرْ (لبيب) ، فأنت أصل تـلاوة ستظـل خـالدة على الأزمـان
لاحت كما لاح الشهاب على الـدجى وبـدت تبـاركها يـد الـرحمن

---

(١) ع ٢ مايو ١٩٦٢ .

(٢) وقد قدم لهذا التحقيق صاحبه الأستاذ عبد الوارث الدسوقى . بالعبارات الآتية التى نوردها — أيضاً — على استحياء شديد :
« قصّة المصحف المرتل الذى يتجاوب صداه — فى كل آفاق العالم — الآن قصّة مضيئة مشرقة ، بطلها رجل متواضع ، زاهد فى الشهرة ، بعيد عن الأضواء ، لم يحفل به أحدٌ من هؤلاء الذين تحدثوا عن هذا المشروع الخطير فى الصحف والمنتديات ، إنه لبيب السعيد المراقب العام بمصلحة الاستيراد ، والأستاذ المنتدب بجامعة عين شمس .
ودون مقدمات ، ندخل إلى القصة من أولها . . » .

وذكر الكاتب تاريخ المشروع ، منذ دعا صاحبه إلى المؤتمر الصحفى المعروف فى مارس ١٩٥٩ ، بدار الجمعية العامة

وفى مجلة (الصداقة) الصادرة فى ١٢ أكتوبر ١٩٦١ ، فى مناسبة إهداء الكونجرس والسفير الأمريكى فى الجمهورية العربية المتحدة نسخاً من المصحف المرتل ، وردت عن الشروع ما يفيد أنه حدث تاريخى[1] .

* * *

وخصّصت جمهوريتنا للمصحف المرتّل محطة إذاعة خاصّة ، فكان ذلك آية تقدير كبير للمشروع ، وثقة بنجاح الآمال الكبرى المعقودة عليه ، واستجابة ناجزة لرغبات المسلمين .

ووردت فى هذه المناسبة ، كما وردت قبلا ، عندما بدئ بتوزيع المصاحف المرتلة ، وعندما بدئ بالإذاعة منها ، فى أوقات متفرقة من اليوم ، وردت – على دار الإذاعة ، ووزارة الأوقاف ، والصحف ، والمجلات – البرقيات والخطابات ، بالشكر والتقدير ، وبما ثبت منه ثبوتاً مستفيضاً متابعة الناس للمصحف المرتل ، وإقبالهم عليه عن رضى وغبطة ، وتطلّعهم إلى الإفادة منه[2].

وضمّ الأزهر – فى مقرراته الجامعية – إلى الجمعين الأول على عهد أبى بكر ، والثانى على عهد عثمان ، الجمع الثالث الذى هو الجمع الصوتى الأول .

للمحافظة على القرآن الكريم إلى أن تمت الطبعة الأولى ، وهى الخاصة برواية حفص عن عاصم ، وبجاوب صدى المشروع فى كل أنحاء العالم .

(١) ولعلّ مما يَحْسُن إيراده هنا شاهداً على اهتمام المسلمين – حيث كانوا – بسماع القرآن الكريم من القراء المصريين ، حتى منذ ما قبل مشروع المصحف المرتل ، ما روته مجلة عراقية هى مجلة (الفتح) ع ٥٥٧ الصّادر فى ٢٩ من ربيع الآخر ١٣٥٦ هـ ، تحت عنوان : إذاعة القرآن الكريم من مصر ، وسماعها فى شمال العراق . وهذا نصّ ما نُشر :

« تلقت وزارة المواصلات ملتمساً من أهالى كركوك ، فى شمال الموصل ، يرجون فيه أن تكون إذاعة القرآن الكريم فى يومى الجمعة والأحد من كل أسبوع ، عن طريق المحطة الرئيسية للإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ، إذ أنّ إذاعة القرآن – فى هذين اليومين – من المحطات الإضافية يحولُ بين هؤلاء المسلمين وبين حسن الاستماع للتلاوة ، لضعف هذه المحطات ، وستجيب الوزارة طلبهم » .

(١) كان مما ورد « وفى جو من الودّ ، والصداقة ، والكرم ، والثقافة ، كان الوزير العربى (يقصد السيد أحمد عبد الله طعيمة) يستقبل السفير الأمريكى (الدكتور جون بادو) ، ولم يكن للزيارة علاقة بشؤون السياسة ، ولكنها كانت لتلقّى هدية تسجّل حدثاً تاريخيًّا هو الأول من نوعه فى تاريخ الإسلام ، إنه حدث تاريخى يزدهى به عهد الرئيس جمال عبد الناصر » .

واستطردت المجلة إلى الحديث عن المشروع : فكرته وبواعثه وإجراءاته التنفيذية . .

ومما جاء عن هذا الجمع فى الكتب المقررة رسمياً فى جامعة الأزهر : « . . . وكان من الجهود الموفقة التى حظيت بإعجاب المسلمين واستحسانهم فى مشارق الأرض ومغاربها ، ذلك الجهد المشكور الذى بذلته الجمهورية العربية المتحدة فى تسجيل القرآن الكريم وجمعه صوتياً بالقراءات المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان من نتائج ذلك ظهور « المصحف المرتل » . . .

. . . . .

ومن هنا كان الجمع الصوتى للقرآن عملا حميداً عم نفعه وظهرت فائدته ، وبخاصة فى البلاد الإسلامية غير العربية . . .[1]

وصاحب الفكرة الذى خطط لها وأشرف على تنفيذها هو الأستاذ لبيب السعيد المدير العام لتخطيط الدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف والرئيس السابق لجمعيات المحافظة على القرآن الكريم . وقد بدأ الدعوة إلى هذا المشروع فى عام ١٩٥٩ . . .

ولقد كان للجمهورية . . . بهذا العمل المجيد فضل السّبق إلى تيسير تلقّى القرآن وحسن ترتيله ، فقدّمت بذلك إلى المسلمين فى جميع بقاع الأرض مكرمة تكتسب عظمتها وجلالها من عظمة كتاب الله وجلاله ، وإنه لفضل يذكره لها المسلمون جيلا بعد جيل .

وكان لصاحب هذه الفكرة الجليلة من توفيق الله ومنّته ما يغبطه عليه أولو الفضل وهو توفيق موصول بأجر الله ومثوبته . . .[2]

بل إن علماء المسلمين عدّوا المشروع معجزة جديدة للقرآن ، فقال قائلهم : « . . . ولبيب السعيد هو صاحب فكرة المصحف المرتل الذى يعتبر المعجزة الجديدة للقرآن ، وكيف تكفل الله بحفظه ، فى الوقت الحاضر ، بهذه الفكرة ، حين أخذ يتقلّص ظل التّواتر عن مستواه »[3].

* * *

وسئل طه حسين ، فى ندوة تليفزيونية ، عَقَدَتْها معه ، فى منزله ، جماعة مَن أشهر أدباء العصر ، عن البرامج التى يؤثرها ، ويسمعها ، فأجاب : أنا لا أسمع غير المصحف المرتل !

---

(١) عبد الرحمن العدوى ومحمد سالم محيسن : زاد المستفيد ص ٣٠ و ٣١ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) مجلة المسلم ع . ربيع الأول ١٣٨٦ هـ .

وإذْ كان مشروعنا – والفضل لله – مَعْلَماً بارزاً فى تاريخ المصحف وتاريخ العلم ، فقد كان طبيعياً أن تُلَقى إليه نظم التصنيف المكتبية الإسلامية بالها :

فى مناسبة النظر فى إجراء تعديل عربى موحّد لنظام (ديوى) العشرىّ [١] ، اقتُرح على المنظمة العربية للتربيةِ والثقافة التابعة لجامعة الدول العربية أن يخصّص فى هذا التعديل باب مستقلّ للمصحف المرتل (الجمع الصوتى للقرآن) ، مع إعطاء هذا الباب المستحدث الرقم ٣٣٤ ب بعد الباب ٣٣٢ ب الخاص بجمع القرآن وترتيبه والباب ٣٣٣ ب الخاص بالمصاحف العثمانية . وقد ووفق فعلاً على هذا المقترح [٢] .

* * *

وبعد ، فالمصحف المرتل الذى يؤدى رسالته الكبرى فى البلاد العربية ، يؤدى هذه الرسالة أيضاً فى البلاد التى لا تتكلم العربية ، وهى البلاد التى ليس فيها – غالباً – من علماء القرآن ومعلّميه أحد ، أو فيها قلّة قليلة ، وهى أيضاً البلاد التى لا تعين خصائصُ الألسنة فيها على النطق الصحيح للقرآن من غير معلّم . فكل شريط أو أسطوانة من تسجيلات المصحف المرتل هو – فى الحق – معلّم ، أو كتيبة من المعلّمين . . . ترود كل مكان، وتخاطب كل قوم .

وقد ازددت إدراكاً لفضل الله علىّ ، وعلى النّاس ، إذ قدّر لهذا المشروع النجاح ، حين كنت خارج مصر ، فى بلاد بعيدة ، أستمع إلى المصحف المرتل ، من الإذاعة ، أو أستمع إليه ، فى دور السِّفارات ، والقنصليات العربية . . . لقد كان ينسلخ عنى وقتئذ – شأنى شأن كل مستمع مسلم عربى – الشعور بغربة اللسان أو غربة المكان ، وكنت بعقلى وبقلبى أشدّ انتباهاً وأكثر إدراكاً للحقيقة الكبرى : حقيقة أنّ القرآن هو – إلى يوم الدين – مبعث الخير والحقّ والنور إلى العالمين ، وأن هذا الجمع الصوتى القرآنى الذائع الجهير هو – بنعمة من الله وفضل – مَدَدٌ جديد يزيدهم إيماناً إلى إيمانهم ، وقوة إلى قوتهم ، وعزّة فوق عزّتهم .

وقد حكى لى غير واحد ممن سمعوا المصحف المرتل فى ديار الغربة أنهم لم يكونوا يملكون حبس دموعهم تأثراً وفرحاً .

---

(١) هذا النظام هو إلى الآن أشهر نظم التصنيف المكتبى فى العالم .

(٢) انظر : عبد الوهاب عبد السلام أبو النور : نظم التصنيف فى الوطن العربى : المشكلات والحلول المقترحة (مؤتمر) الإعداد البيلوجرافى للكتاب العربى المنعقد فى الرياض سنة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) ص ٢٣٩ ، وانظر بصفة خاصة التوصية السادسة من توصيات المؤتمر .

فليت أنّ المشروع يتم عاجلا ، وفق التخطيطات المرسومة له !

وليت أنّ المسلمين كافّة يدركون المقاصد العليا للجمع الصّوتى الأول للقرآن الكريم ، فلا يقعد منهم عن مناصرته قاعد !

وليت أن إحدى الجامعات فى دنيا الإسلام تهتبل الفرصة النادرة ، فتكمل حالاً المشروع الإسلامى التاريخىّ المدروس ، وتشترى الحمد والمجد بالثمن الربيح !

وليت أن الله صاحب الفضل والمنة ينفع بهذا المشروع، كما نحبّ ، وخيراً مما نحبّ !

وليت أنه – سبحانه – يجعل هذا المشروع – دائماً – عملاً خالصاً – تماماً – لوجهه الكريم !



المصادر والمراجع

ثبت تفصيلى
عن المصادر والمراجع
(وكلّها ذُكرت فى حواشى الكتاب)

(١) القرآن الكريم

(٢) التوراة والإنجيل (الحاضران)

(٣) ا . الإسكندر .

A. Alexander :

History of the Patriarchs.

(Philadelphia, American Sunday – School Union).

(٤ – ٦) آرثر جفرى

Arthur Jeffery :

(a) Materials for the History of the Text of the Quran – the Old Codices.

(Leiden, EJ. Brill, 1937).

(ب) مقدمة كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه .

(حـ) مقدمة كتاب المصاحف لابن أبى داود

(٧) الآمدى : أبو الحسن على بن أبى على بن محمد (٥٥١ – ٦٣١ هـ) .

الإحكام فى أصول الأحكام (٤ أجزاء) .

بتصحيح السيد محمد البيلاوى

القاهرة – دار الكتب الخديوية (١٣٣٢ هـ – ١٩١٤ م)

(٨) آندريه سرفييه

André Servier :

Islam and the Psychology of the Musulman.

(٩) إبراهيم الدسوق الحضرى (اسمه عند بروكلمان : أحمد بن عبد الرحيم الطهطاوى الذى كان موجوداً سنة ١٢٣٣ هـ ، والمتوفى سنة ١٣٠٢ هـ)

اللطائف المحسّنة فى مباحث الغنّة

المخطوطة رقم ٢٨٢ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٠) الأبشيهى : شهاب الدين أحمد (٧٩٠ – ٨٥٠ هـ) :

المستطرف فى كل فن مستظرف :

القاهرة – المطبعة البهية ، (سنة ١٣٠٠ هـ)

(١١) ابن آجروم : محمد بن محمد بن داود الصنهاجى أبو عبد الله (٦٨٢ – ٧٢٣ هـ).

متن الأجرومية

القاهرة – المطبعة الميمنية

(١٢) **ابن أبى الإصبع المصرى** : (٥٨٥ – ٦٥٤ هـ)

بديع القرآن

بتحقيق حفنى محمد شرف

القاهرة – مكتبة نهضة مصر بالفجالة (١٩٥٧ م)

(١٣) **ابن أبى أصيبعة** : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة السعدى الخزرجى (٦٠٠ – ٦٦٨ هـ)

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء (جزءان)

القاهرة – المطبعة الوهبية (١٢٩٩ / ١٣٠٠ هـ)

(١٤) **ابن أبى داود** : أبو بكر عبد الله بن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى (المتوفى سنة ٣١٦ هـ)

كتاب المصاحف

نشر بإشراف وتقديم آرثر جفرى

القاهرة – المطبعة الرحمانية (١٣٥٥ هـ)

(١٥–١٧) **ابن الأثير** : عزّ الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد الشيبانى (٥٥٥ – ٦٣٠ هـ : ١١٦٠ – ١٢٣٤ م)

(ا) **أسد الغابة فى معرفة الصحابة** (٥ مجلدات)

القاهرة – المطبعة الوهبية (١٢٨٠ هـ)

(ب) **الكامل فى التاريخ** (١٤ جزءا ، الأخيران منها للفهارس)

ترتيب كارلوس يوهانس نورنبرج

ليدن (١٨٧٤ – ١٨٧٦ م)

(حـ) ونسخة أخرى من ١٢ جزءاً – ط القاهرة – بولاق (١٢٧٤ هـ)

(١٨–١٩) **ابن الأثير** : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزرى (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ)

(ا) **جامع الأصول من أحاديث الرسول** (١٢ جزءاً) .

تحقيق محمد حامد الفقى

القاهرة – مطبعة السنة المحمدية (١٣٦٨ / ١٣٧٤ هـ – ١٩٤٩ / ١٩٥٥ م) .

(ب) **النهاية فى غريب الحديث والأثر** (٥ أجزاء)

تحقيق محمود محمد الطناحى ، وطاهر أحمد الزاوى

القاهرة – دار إحياء الكتب العربية (١٩٦٣ – ١٩٦٦ م)

(٢٠) **ابن إياس** : محمد بن إياس الحنفى المصرى

تاريخ مصر المسمّى بدائع الزهور فى وقائع الدهور (٣ أجزاء)

القاهرة – مطبعة بولاق (١٣١١ – ١٣١٢ هـ)

(٢١) **ابن بشكوال** : أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود (٤٩٤ – ٥٧٨ هـ)
الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم (مجلدان)
عنى بنشره ، وصححه ، وراجع أصله عزت العطّار الحسينى
القاهرة – مكتبة الخانجى (١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م)

(٢٢) **ابن بطّة العكبرى** : الأصولى والفقيه الحنفى (المتوفى سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٩م)
كتاب الشرح والإبانة على أصول السّنّة والديانة
ط . دمشق ١٩٥٨م، بإشراف Henry Laoust ، بالمعهد الفرنسى ، بدمشق .

(٢٣) **ابن تغرى بردى** : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى (٨١٣ – ٨٧٤ هـ)
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (١٢ جزءا)
القاهرة – دار الكتب المصرية (١٣٤٨ – ١٣٧٥ هـ : ١٩٣٠ – ١٩٥٦ م)

(٢٤–٢٦) **ابن تيمية** : تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ)
(ا) **فتاوى ابن تيمية** (٥ أجزاء)
القاهرة – مطبعة كردستان العلمية (سنة ١٣٢٦ هـ)
(ب) نسخة أخرى (٣٧ جزءاً)
بتحقيق عبد الرحمن بن القاسم النجدى وولده محمد
المملكة العربية السعودية (١٣٨١ – ١٣٨٦ هـ) .
(حـ) **فى قول النبى – صلى الله عليه وسلم – : أنزل القرآن على سبعة أحرف . . . وما المراد بهذه السبعة ؟**
القاهرة – مطبعة الظاهر (١٣٢٤ هـ)

(٢٧–٣٣) **ابن الجزرى** : شهاب الدين أبو الخير محمد بن محمد (المتوفى سنة ٨٣٣ هـ)
(ا) **تحبير التيسير فى القراءات**
النسخ الخطية أرقام ١٦ و ٥١ و ٢٠٧ و ٣٠٨ و ٣١٦ و ٣٣٨ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(ب) **الدرة المضيّة فى القراءات الثلاث المتممة للعشر** (منظومة من بحر الطويل)
حققها وضبطها محمد سليمان صالح
القاهرة – جعفر محمد مصطفى (بدون تاريخ)
(ج) **طيبة النشر فى القراءات العشر** (منظومة من بحر الرّجز فى ألف بيت) جمع وترتيب وتصحيح على محمد الضباع
ضمن مجموعة إتحاف البررة بالمتون العشرة فى القراءات والرسم والآى والتجويد
القاهرة – ط. مصطفى البابى الحلبى (١٣٥٤ هـ – ١٩٣٥ م)
(د) **غاية النهاية فى طبقات القراء** (٣ مجلدات ، ثالثها لفهارس الكتاب) .

عنى بنشره ج برجستراسر G. Bergstraesser

القاهرة – مكتبة الخانجى – مطبعة السعادة (١٣٥١ – ١٣٥٢ هـ : ١٩٣٢ – ١٩٣٣ م)

(هـ) **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**

تحقيق : محمد حبيب الله الشنقيطى ، وأحمد محمد شاكر

القاهرة – مكتبة القدسى بالأزهر ، بشارع رقعة القمح (سنة ١٣٥٠ هـ)

(و) **النشر فى القراءات العشر** (جزءان)

أشرف على تصحيحه ومراجعته على محمد الضباع

القاهرة – المكتبة التجارية الكبرى (بدون تاريخ)

(ز) طبعة أخرى عنى بتصحيحها وطبعها محمد أحمد دهمان

دمشق – مطبعة التوفيق (سنة ١٣٤٥ هـ)

(٣٤) **ابن جزى** : محمد بن أحمد بن جزى الكلبى

التسهيل لعلوم التنزيل (٤ أجزاء)

القاهرة – مطبعة مصطفى محمد (١٣٥٥ هـ)

(٣٥) **ابن جماعة** : بدر الدين محمد إبراهيم سعد الله بن جماعة الكنانى (المتوفى سنة ٧٣٣ هـ) .

تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم

حيدر آباد الدكن (سنة ١٩٣٤ م) .

(٣٦) **ابن جنى** : أبو الفتح عثمان بن جنى النحوى الموصلى البغدادى (٣٣٠ – ٣٩٢ هـ) .

المحتسب فى تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها

المخطوطة رقم ٢٥٢ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٣٧–٣٩) **ابن الجوزى** : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (٥٠٨ أو ٥١٠ – ٥٩٧ هـ) .

(ا) **أخبار الحمقى والمغفلين**

دمشق (١٣٤٥ هـ)

(ب) **تاريخ عمر بن الخطاب**

تصحيح حسن الهادى حسين

القاهرة – مطبعة صبيح (١٩٢٩ هـ)

(حـ) **المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم** (٦ أجزاء) .

الهند (حيدر أباد الدكن) – ط. دائرة المعارف العثمانية (١٣٥٧ هـ) .

(٤٠) **ابن الحاج** : محمد بن محمد العنبرى المعروف بابن الحاج المغربى الفاسى (المتوفى سنة ٧٣٧ هـ)

المدخل ، أو مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة

القاهرة – مطبعة مصطفى البابى الحلبى (١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠ م)

(٤١-٤٧) **ابن حجر العسقلانى** : شهاب الدين أبو الفضل أحمد (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) .
(ا) **الإصابة فى تمييز الصحابة** (٨ مجلّدات)
القاهرة - شركة طبع الكتب العلمية (١٣٢٣ - ١٣٢٧ هـ)
(ب) **تهذيب التهذيب** (٩ مجلدات)
حيدر آباد الدكن - مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية (١٣٢٥ - ١٣٢٧ هـ)
(حـ) **الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة** (٥ أجزاء)
حيدر آباد الدكن - ١٣٤٨ هـ
(د) **فتح البارى بشرح صحيح الإمام أبى عبد الله البخارى** (١٣ جزءا)
القاهرة - المطبعة البهية المصرية (١٣٤٨ هـ)
(هـ) **نسخة أخرى** (١٦ جزءاً) .
القاهرة - ط . محب الدين الخطيب (١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ)
(و) **الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف** (٤ أجزاء)
القاهرة - مطبعة مصطفى محمد (١٣٥٤ هـ)
(ز) **لسان الميزان**
حيدر آباد الدكن - مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية
(٤٨) **ابن حزم الظاهرى** : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (المتوفى سنة ٤٥٦ هـ)
الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٣ أجزاء)
القاهرة - مكتبة الخانجى - المطبعة الأدبية (سنة ١٣١٨ - ١٣٢٠ هـ)
(٤٩-٥٠) **ابن خالويه** : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ)
(ا) **كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**
ط . دار الكتب المصرية (١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م) .
(تحت إدارة جمعية دائرة المعارف النظامية فى عاصمة حيدر آباد الدكن ، صانها الله من الشرور والفتن) .
(ب) **كتاب القراءات الشاذة**
عنى بنشره وتصحيحه ج . برجستراسر ، وكتب مقدمته آرثر جفرى
القاهرة - المطبعة الرحمانية (سنة ١٩٣٤ م) .
(٥١) **ابن خرداذبه** : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد (المتوفى فى حدود سنة ٣٠٠ هـ)
المسالك والممالك
بتحقيق M. J. De Goeja
ليدن - مطبعة بريل (١٨٨٩ م)
(٥٢) **ابن الخطيب**: محمد محمد عبد اللطيف
الفرقان

القاهرة – مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٦ هـ – ١٩٤٨ م)
(محكوم بمصادرة هذا الكتاب فى مصر)

(٥٣–٥٤) **ابن خلدون** : عبد الرحمن محمد أبو زيد ولى الدين (٧٣٢ هـ – ١٣٣٢ م ٨٠٨ هـ – ١٤٠٦ م)
(ا) **مقدمة ابن خلدون**(٤ مجلدات)
بتحقيق على عبد الواحد وافى
القاهرة – لجنة البيان العربى (١٩٥٧ – ١٩٦٢ م)
(ب) ونسخة أخرى
القاهرة – دار التحرير للطبع والنشر(١٩٦٦م)

(٥٥) **ابن خلكان** : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمدبن إبراهيم (المتوفى سنة ٦٨١ هـ)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٦ مجلدات)
حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه محمد محيى الدين عبد الحميد
القاهرة – مكتبة النهضة المصرية (سنة ١٩٤٨ م)

(٥٦) **ابن الخياط المعتزلى** : أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان بن الخياط (توفى نحو سنة ٣٠٠ هـ – ٩١٢ م)
الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد
مع مقدمة وتحقيق وتعليقات للدكتور بنترج الأستاذ بجامعة ابسالة من مملكة السويد
القاهرة – لجنة التأليف والترجمة والنشر – مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٤٤ هـ – ١٩٢٥ م)

(٥٧) **ابن رجب الحنبلى**(زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادى ثم الدمشقى (٧٣٦ – ٧٩٥ هـ)
كتاب الذيل على طبقات الحنابلة
وقف على طبعه ، وصححه محمد حامد الفقى
مطبعة السنة المحمدية ، (١٣٧٢ هـ – ١٩٥٢ م)

(٥٨–٥٩) **ابن سعد** : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهرى البصرى (المتوفى سنة ٢٣٠ هـ)
(ا) **الطبقات الكبرى** (٨ أجزاء فى ١٠ مجلدات)
نشر إدوارد سخو
ليدن – مطبعة بريل (١٣٢٢ – ١٣٣٩ هـ)
(ب) طبعة أخرى ببيروت (١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م)

(٦٠) **ابن سلاّم** : أبو عبيد الله القاسم الهروى (المتوفى سنة ٢٢٤ هـ)
رسالة جليلة تتضمن ما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل
(على هامش تفسير الجلالين ابتداء من جـ ١ ض ١٢٣)

القاهرة – مطبعة عيسى البابى الحلبى (١٣٤٤ هـ – ١٩٢٥ م)

(٦١ و٦٢) **ابن شاكر الكتبى** – محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى (المتوفى عام ٧٦٤ هـ) .

(ا) **عيون التواريخ** – الجزء الخاص بالمدة من سنة ٢٠٤ إلى سنة ٢٥٠ هـ .
منقول بالتصوير الفوتوغرافى عن المخطوطة رقم ١٤٩٧ تاريخ ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(ب) **فوات الوفيات** (جزءان فى مجلدين) ، وهو ذيل على كتاب وفيات الأعيان ، لابن خلكان . حققه وضبطه وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد .
القاهرة – مكتبة النهضة المصرية .

(٦٣) **ابن عباس** :
كتاب اللغات فى القرآن
(رواية إسماعيل بن عمرو المقرئ عن عبد الله بن الحسين بن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس) .
تحقيق صلاح الدين المنجد .
القاهرة – مطبعة الرسالة (١٩٤٦ م) .

(٦٤) **ابن عبد البر** : أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ) .
جامع بيان العلم وفضله
القاهرة – المطبعة المنيرية (١٩٢٨ م)

(٦٥) **ابن عبد ربه** : أبو عمر أحمد بن محمد (المتوفى سنة ٣٢٧ هـ)
العقد الفريد (٧ أجزاء) .
نشره وحققه : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الإبيارى
القاهرة – لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٣ م .

(٦٦) **ابن عبدون الأندلسى** : محمد بن أحمد بن عبدون النجيبى (المتوفى سنة ١٢٣٣ م)
رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة (إحدى ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب) .
بتحقيق ا . ليفى بروفنسال
القاهرة – مطبعة المعهد الفرنسى (١٩٥٥ م)

(٦٧ و٦٨) **ابن عساكر** : أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (٤٩٩ – ٥٧١ هـ)

(ا) **التاريخ الكبير** (٧ مجلدات)
اعتنى بترتيبه وتصحيحه عبد القادر بدران
دمشق – مطبعة روضة الشام (١٣٢٩ – ١٣٥١ م)

(ب) **تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى**
نشره القدسى – دمشق (١٣٤٧ هـ .) .

(٦٩) **ابن الفوطي** : أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي المعالي (المتوفى سنة ٧٢٣ هـ)

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة

وقف على تصحيحه والتعليق عليه مصطفى جواد

بغداد – المكتبة العربية (١٣٥١ هـ)

(٧٠–٧٢) **ابن القاصح** : علاء الدين علي بن عثمان بن القاصح العذري (المتوفى سنة ٨٠١ هـ)

(أ) **سراج القاري للمبتدي ، وتذكار المقرئ للمنتهي** .

القاهرة – مطبعة عثمان عبد الرازق (١٣٠٤ هـ) .

(ب) مخطوطة للكتاب ، رقمها ١٥٥ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، بعنوان : « إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي » .

(حـ) **قرة العين في الفتح والإمالة بين اللفظين**

المخطوطة رقم ٢٦ مجاميع ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٧٣–٧٥) **ابن قتيبة** : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدّينوري (٢١٣ – ٢٧٦ هـ)

(أ) **عيون الأخبار** (٤ أجزاء)

القاهرة – دار الكتب المصرية (١٩٢٥ – ١٩٣٠ م)

(ب) **القرطين** ، أو كتاب مشكل القرآن وغريبه (جزءان)

جمع محمد بن مطرف الكناني القرطبي

القاهرة – نشر محمد أمين الخانجي (سنة ١٣٥٥ هـ) .

(حـ) **المعارف**

حققه ، وقدّم له ثروت عكاشة

القاهرة – ط . دار الكتب المصرية (١٩٦٠ م)

(٧٦–٧٧) **ابن قدامة** : موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد قدامة (٥٤١ – ٦٢٠ هـ)

(أ) **الكافي في فقه الإمام المبّجل : أحمد بن حنبل**

دمشق – منشورات المكتب الإسلامي .

(ب) **المغني** (على مختصر الخرقي) (١٢ جزءاً) .

القاهرة – ط . المنار (١٣٦٧ هـ)

(٧٨ و ٧٩) **ابن قدامة المقدسي** : أبو العباس أحمد أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي عمر ابن قدامة المقدسي (٦٠٥ – ٦٤٣ هـ : ١٢٠٨ – ١٢٤٥ م)

(في ترجمته والتعريف بكتابه « الشرح الكبير » أنّ اسمه : عبد الرحمن بن أبي عمر محمد ابن أحمد بن قدامة المقدسي ، وأنه توفي سنة ٦٨٢ هـ) .

(أ) **الشرح الكبير المسمّى بالشافي** – شرح المقنع لموفق الدين بن قدامة

مطبوع مع « المغني » .

(ب) **مختصر منهاج القاصدين لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .**
دمشق – مكتبة الشباب المسلم – الطبعة الثانية (١٩٦١ م) .
(٨٠–٨٣) **ابن قيم الجوزية** : محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعى (٦٩١ – ٧٥١ هـ)
(ا) **زاد المعاد**
القاهرة (١٣٢٤ هـ)
(ب) **الطرق الحكميّة فى السياسة الشرعية**
القاهرة – مطبعة المدنى (١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م)
(حـ) **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**
القاهرة – مطبعة السعادة – ١٣٢٣ هـ
(د) ونسخة أخرى
الرياض – نشر مكتبة الرياض الحديثة
(٨٤–٨٦) **ابن كثير الدمشقى** : الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشى (٧٠١ – ٧٧٤ هـ)
(ا) **البداية والنهاية فى التاريخ (١٣ جزءا)**
القاهرة – فرج الله زكى الكردى (١٣٤٨ هـ)
(ب) **فضائل القرآن** (ذيل تفسير الحافظ ابن كثير)
القاهرة – ط . المنار (١٣٤٨ هـ)
(حـ) **المختصر فى أخبار البشر (٤ أجزاء)**
القسطنطينية (١٢٨٦ هـ) .
(٨٧) **ابن ماجه** : محمد بن يزيد أبو عبد الله (المتوفى ٢٧٣ هـ)
سنن ابن ماجة (جزءان)
القاهرة – المطبعة العلمية (١٣١٣ هـ) .
(٨٨) **ابن مجاهد** : أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمى البغدادى (المتوفى سنة ٣٢٤ هـ) .
كتاب السبعة فى القراءات
تحقيق شوقى ضيف
القاهرة – دار المعارف (١٩٧٣ م)
(٨٩) **ابن مفلح الحنبلى**
الآداب الشرعية والمنح المرعيّة (٣ أجزاء)
ط . المملكة العربية السعودية
(٩٠و٩١) **ابن منظور** : أبو الفضل جمال الدين محمد بن جلال الدين بن مكرم الأنصارى الخزرجىّ الأفريقى المصرى (٦٣٠ – ٧١١ هـ) .
(ا) **لسان العرب (٢٠ جزءا)**
طبعة مصورة عن طبعة بولاق الصادرة سنة ١٣٠٨ هـ ، معها تصويبات وفهارس متنوعة

القاهرة – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر

(ب) طبعة أخرى (١٥ مجلدا)

بيروت – ط . دار صادر (١٣٧٤ – ١٣٧٦ هـ : ١٩٥٥ – ١٩٥٦ م)

(٩٢ و٩٣) **ابن المنيّر** : ناصر الدين أحمد بن منصور القاضى بن محمد بن المنيّر الإسكندرى قاضى الإسكندرية (٦٢٠ – ٦٨٣ هـ)

(ا) **كتاب الانتصاف** (بذيل الكشاف فى ٤ أجزاء)

القاهرة – مصطفى محمد (سنة ١٣٥٤ هـ)

(ب) نسخة أخرى ط . الحلبى (١٣٨٥ هـ – ١٩٦٦ م)

(٩٤ و٩٥) **ابن النديم** : محمد بن إسحاق (المتوفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى)

(ا) **الفهرست**

بتحقيق جوستاف فلوجل Gustav Flügel

ليبترج Leipzig (١٨٨٢ م)

(ب) ونسخة أخرى مماثلة ، ط . بيروت (١٩١٤ م)

(٩٦) **ابن هداية الله** : أبوبكر الحسينى الملقب بالمصنف (المتوفى سنة ١٠١٤ هـ)

طبقات الشافعية (تشتمل على أسماء الرجال الناقلين عن الشافعى والمنسوبين إليه فى كل طبقة)

بغداد – مطبعة بغداد (سنة ١٣٥٦ هـ)

(٩٧) **ابن هشام** : محمد عبد الملك (المتوفى فى أخريات العقد الثانى من القرن الثالث أو أوائل العقد الثالث منه)

سيرة النبى (٤ أجزاء)

راجع أصولها ، وضبط غريبها ، وعلق حواشيها ، ووضع فهارسها محمد محيى الدين عبد الحميد

القاهرة – المكتبة التجارية (١٩٣٧ م)

(٩٨) **أبو حيان الأندلسى** : أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف (المتوفى سنة ٧٤٥ هـ) .

البحر المحيط فى تفسير القرآن (٨ أجزاء)

القاهرة – مطبعة السعادة (سنة ١٣٢٨ هـ)

(٩٩) **أبو داود** : سليمان بن الأشعث السجستانى (٢٠٢ – ٢٧٥ هـ)

سنن أبى داود

القاهرة – (١٢٨٠ هـ)

(١٠٠) **أبو زيتحار** : أحمد محمد

لطائف البيان فى رسم القرآن – شرح مورد الظمآن (جزءان)

القاهرة – مطبعة الأزهر (١٣٧٣ هـ – ١٩٥٣ م)

(١٠١) **أبوشامة** : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى (٥٩٦ – ٦٦٥ هـ)

إبراز المعانى من حرز الأمانى

القاهرة – مطبعة مصطفى البابى الحلبى (١٣٤٩ هـ)

(١٠٢) **أبو عمرو البصرى**

الفصول العشرة فى ضوابط القراءة

المخطوطة رقم ٥٧ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٠٣) **أبو عوانة الإسفراييني** (المتوفى سنة ٣١٦ هـ)

مسند أبى عوانة (جزءان)

حيدر آباد الدكن – جمعية دائرة المعارف النظامية (سنة ١٣٦٣ هـ)

(١٠٤) **أبو معشر الفلكى** (منسوب إليه)

طوالع الرجال والنساء (كتاب عامىّ)

القاهرة – المكتبة المحمودية التجارية

(١٠٥–١١٠) **أبو منصور الماتريدى** : محمد بن محمد بن محمود الماتريدى السمرقندى (المتوفى سنة ٣٣٣ هـ) .

بيان أوقاف الكفر ، أو بيان المشكلات على المبتدئين من جهة التجويد فى القرآن المبين .

النسخ الخطية أرقام ٧ و ٣٥٤ و ٣٧٧ و ٤١٧ و ٤١٨ قراءات و ١١ مجاميع ؛ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١١١) **أبو النصر الناصر الطبلاوى** : منصور سبط ناصر الدين الطبلاوى الشافعى (المتوفى نحو سنة ١٠١٤ هـ)

مرشدة المشتغلين فى أحكام النون الساكنة والتنوين

المخطوطة رقم ٣٤٥ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١١٢) **أبو نعيم**: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانى (٣٣٦ – ٤٣٠ هـ)

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٠ أجزاء)

القاهرة – مكتبة الخانجى (١٣٥٧ هـ – ١٩٣٨ م)

(١١٣) **أحمد أمين**

قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية

القاهرة – لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٣ م)

(١١٤–١١٨) **أحمد بن حنبل** صاحب المذهب (١٦٤ هـ – ٢٤١ هـ)

(ا) **الردّ على الجهمية والزنادقة فيما شكّوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله**

القاهرة – مطبعة عيسى البابى الحلبى (بدون تاريخ)

(ب) **كتاب العلل ومعرفة الرجال**

نشره ، وعلق عليه : طلعت قوج بيكيب ، وإسماعيل جراح أوغلى

أنقرة (سنة ١٩٦٣ م)

(ح) **كتاب السنّة**

مكة المكرمة – المطبعة السلفية (سنة ١٣٤٩ هـ)

(د) **مسند أحمد بن حنبل** (٦ أجزاء)

القاهرة – المطبعة الميمنية (سنة ١٣١٣ هـ)

(هـ) طبعة أخرى من مسند أحمد بن حنبل ؛ بتحقيق أحمد محمد شاكر (١٥ جزءاً)

دار المعارف (١٩٤٦ م)

(١١٩) **أحمد تيمور** (المتوفى سنة ١٩٣٠ م)

الموسيقى والغناء عند العرب

القاهرة (١٩٦٣ م)

(١٢٠) **أحمد حسن الزيات**

الوضع اللغوى ، وهل للمحدثين حق فيه ؟

محاضرة ، ألقيت فى مؤتمر مجمع اللغة العربية فى جلسة ٢٦ من ديسمبر ١٩٤٩ ، ونشرت فى مجلة الرسالة ع ٨٦٢ فى يناير ١٩٥٠ م .

(١٢١) **أحمد رضا**

معجم متن اللغة : موسوعة لغوية حديثة (٢٥ جزءاً)

بيروت – دار مكتبة الحياة (١٩٥٨ – ١٩٦٠ م)

(١٢٢) **أحمد السكندرى**

التّعريب (بحث فى مجلة الزهراء التى كان يصدرها محب الدين الخطيب ع . ربيع الأول ١٣٤٣ هـ)

(١٢٣) **أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتى**

الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى (٢١ جزءا)

القاهرة (١٣٥٣ – ١٣٧٧ هـ)

(١٢٤) **أحمد محمد شاكر**

الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير (٧٠١ – ٧٧٤ هـ)

القاهرة – مطبعة صبيح – الطبعة الثانية (١٩٥١ م) .

(١٢٥) **إخوان الصفاء وخلان الوفاء** (القرن الرابع الهجرى)

رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا (٤ أجزاء)

بيروت – دار بيروت (١٩٥٧ م)

(١٢٦) **الأدفوى** : أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب بن جعفر (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ)

الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد

القاهرة – المطبعة الجمالية ، بحارة الروم (١٣٣٢ هـ – ١٩١٤ م)

(١٢٧) **الأزهر** : مجمع البحوث الإسلامية
كتاب الأزهر – تاريخه يتطوره
القاهرة (سنة ١٩٦٤)
(١٢٨) **أسامة بن منقذ** : مؤيّد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر (٤٤٨ – ٥٨٤ هـ) .
كتاب الاعتبار .
نشر بإشراف فيليب حتى .
برنستون – مطبعة برنستون (١٩٣٠ م) .
(١٢٩) **الأستاذ الحداد** : (اسم رمزى لأحد الطاعنين – باطلاً – على القرآن فى الوقت الحاضر)
القرآن والكتاب (جزءان) .
بيروت .
(١٣٠) **إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم** (اليابانى أصلاً والبغدادى سكناً) .
من إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون (جزءان)
استامبول – مطبعة وكالة المعارف التركية (١٩٤٥ – ١٩٤٧ م)
(١٣١) **اسماعيل حقى**
تفسير القرآن المسمّى بروح البيان (٤ أجزاء)
القاهرة – مطبعة بولاق (١٢٧٦ هـ) .
(١٣٢) **الأشعرى** – أبو الحسن على بن إسماعيل (المتوفى سنة ٣٢٤ هـ) .
مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين
تصحيح هـ . ريتر
اسطنبول (١٩٢٩ – ١٩٣٠) .
(١٣٣ و ١٣٤) **الأصفهانى** : أبو الفرج على بن الحسين (٢٨٤ هـ – ٣٥٦ هـ) .
(ا) **الأغانى** (٢١ جزءاً)
القاهرة – ط . ساسى .
(ب) وطبعة أخرى فى ٢٠ جزءاً
بولاق (١٢٨٥ هـ) .
(١٣٥) **الأصفهانى** : أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى فى سنة ٥٠٢ هـ)
محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء
القاهرة – مطبعة جمعية المعارف المصرية
(١٣٦) **الأعشى** : ميمون بن قيس
ديوان الأعشى الكبير
شرح وتحقيق محمد حسين

القاهرة – مكتبة الأدب

(١٣٧ و١٣٨) الفونس منجانا Alphonse Mingana

a) An Ancient Syriac Translation of the Kuran, exhibiting new Verses and Variants.

(Bull J. R. Lib 9 (1925), P.P. 188. 235.

b) Leaves from three Ancient Qurans Possibly pre—Othmanic With list of their Vari ants.

Ed. by A. Mingana and A. S. Lewis. (Cambridge, University Press).

(١٣٩) **الألوسي** : أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ) .

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣٠ جزءاً) .

القاهرة – المطبعة المنيرية (سنة ١٣٤٥ هـ)

(١٤٠ و١٤١) **الأنباري** : كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (٥١٣ – ٥٧٧ هـ)

(ا) **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** (جزءان)

بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد

القاهرة – المكتبة التجارية (١٣٨٠ هـ – ١٩٦١ م)

(ب) **نزهة الألبا في طبقات الأدبا**

القاهرة (١٢٩٤ هـ)

(١٤٢) **أو كيف** (الآنسة) O, Keeffe (Miss)

Patriarchal Times, or the Land of Canaan, in 7 books, founded on the Holy Scriptures.

(London, 1820)

(١٤٣) **إيلين ، ج . هوايت** Ellen G. White

The Conflict of the Ages illustrated in Lives of the Holy Men of Old.

(Washington, 1959).

(١٤٤) **الباقلاني** : أبوبكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني (المتوفى سنة ٤٠٣ هـ)

إعجاز القرآن

على هامش « الإتقان » للسيوطي

القاهرة – ط . محمود توفيق (١٩٣٥ م)

(١٤٥) **البخاري** : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ – ٢٥٦ هـ)

صحيح البخاري (٩ أجزاء)

مقابلة وتصحيح علي بن محمد الهاشمي اليونيني

(١٤٦) **برنارد شامبيجنل** Bernard Champigneulle

تاريخ الموسيقى Histoire de Ia Musiqne

ترجمه ثروت كجوك ، وراجعه محمد رشاد بدران
من مجموعة الألف كتاب
الإسكندرية – الدار المصرية للطباعة والنشر

(١٤٧) **بروكلمان – كارل**
تاريخ الأدب العربى ـ ترجمة عبد الحليم النجار
القاهرة – الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية (١٩٦٨ م) .

(١٤٨) **البغدادى** – أبو منصور عبد القاهر بن طاهر الاسفرايينى (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) .
الفرق بين الفرق .
عرف الكتاب ، وترجم للمؤلف ، وصححه ، وكتب هوامشه محمد زاهد الكوثرى
وعنى بنشره ، وراجع أصله ، ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسينى
القاهرة – (١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م)

(١٤٩) **البغوى الفراء** : أبو محمد حسين بن مسعود بن محمد (المتوفى بمروروذ سنة ٥١٠ هـ وقيل سنة ٥١٦ هـ) .
مصابيح السُّنة (جزءان)
القاهرة – بولاق (١٢٩٤ هـ)

(١٥٠) **البكرى** : أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكرى (المتوفى سنة ٤٨٧ هـ)
التنبيه على أوهام أبى على القالى فى أماليه
القاهرة – مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٤٤ هـ – ١٩٢٦ م) .

(١٥١ و١٥٢) **البلاذرى** : أحمد بن يحيى بن جابر (المتوفى سنة ٢٧٩ هـ على الأرجح) .
(ا) **فتوح البلدان** (٣ أجزاء)
نشره ، ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد
القاهرة – مكتبة النهضة المصرية (١٩٥٦ – ١٩٥٩ م) .
(ب) وطبعة أخرى – ليدن (١٢٨٤ هـ – ١٨٦٦ م) .

(١٥٣) **البلوى** : أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى المالكى الأندلسى (من علماء القرنين السادس والسابع الهجريين)
ألف با (جزءان)
القاهرة – المطبعة الوهبية (سنة ١٢٨٧ هـ) .

(١٥٤) **البيضاوى** : ناصر الدين عبد الله بن عمر (المتوفى سنة ٧٩١ هـ – ١٣٢٩ م)
أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ومعه حاشية شيخ زاده)
القاهرة – المطبعة العثمانية

(١٥٥) **بيكر** : كارل هينريش
Becker — Carl Heinrich
Islam Studien (1897).

(١٥٦) **البيهقى** : إبراهيم بن محمد البيهقى (نبغ فى خلافة المقتدر ، وقيل إنه من علماء القرن الخامس الهجرى) .

المحاسن والمساوئ

طبعة فردريك شوالى Friedrich Schwally

ليبتزج (١٣٢٠ هـ)

(١٥٧) **التجانى** : محمد الحافظ

سنة الرسول صلى الله عليه وسلم

القاهرة – مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر – ١٣٨٩ هـ

(١٥٨ و١٥٩) **الترمذى** : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره (٢٠٩ – ٢٩٧ هـ)

(ا) **الجامع الصحيح**

القاهرة – المطبعة المصرية (١٩٣١ م)

(ب) **صحيح الترمذى** : بشرح أبى بكر بن العربى المالكى (١٣ جزءا)

القاهرة – مطبعة الصاوى ، على نفقة عبد الواحد محمد التازى (١٣٥٠ هـ – ١٩٣١ م)

(١٦٠) **التهانوى** : محمد بن على بن محمد حامد بن محمد صابر الفاروقى الهندى (القرن الثانى عشر الهجرى)

كشاف اصطلاحات الفنون (جزءان)

كلكته (١٨٥٤ م)

(١٦١ و١٦٢) **التوحيدى** : أبو حيّان (٣١٠ – ٤١٤ هـ)

(ا) **البصائر والذّخائر**

حققه أحمد أمين ، والسيد أحمد صقر

القاهرة – لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٣ م)

(ب) وطبعة أخرى حققها وعلق عليها إبراهيم الكيلانى

دمشق (أيلول ١٩٦٤ م)

(١٦٣–١٦٥) **الثعالبى** : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى (٣٥٠ – ٤٢٩ هـ)

(ا) **ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب**

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

القاهرة – دار نهضة مصر للطباعة والنشر (١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥ م)

(ب) **فقه اللغة وسرّ العربية**

القاهرة – المكتبة التجارية الكبرى (١٣٥٤ هـ – ١٩٣٦ م)

(ج) **كتاب لطائف المعارف**

طبعة بريل E.J. Brill (١٨٦٧ م)

(١٦٦) **ثعلب** : أبو العباس أحمد بن يحيى (٢٠٠ – ٢٩١)

مجالس ثعلب (جزءان)

شرح وتحقيق عبد السلام محمد هرون

القاهرة – ذار المعارف (١٩٤٨ – ١٩٤٩ م)

(١٦٧ و١٦٨) **الجاحظ** : أبو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠ – ٢٥٥ هـ)

(ا) **البيان والتبيين** (٣ أجزاء)

حققه وشرحه حسن السندوبى

القاهرة – مطبعة الاستقامة (١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م)

(ب) **الحيوان**

حققه ونشره عبد السلام محمد هارون (٧ أجزاء)

القاهرة – مصطفى البابى الحلبى (١٩٣٨ – ١٩٤٧ م)

(١٦٩) **جب** : هـ ا ر — Gibb – H. A. R.

Modern Trends in Islam.

The Universty of Ghicago Press.

(Ghicago, Illinois).

(١٧٠) **جبهة علماء الأزهر**

مذكرة بشأن حفظ القرآن الكريم

القاهرة – سبتمبر ١٩٥٩

(١٧١) **جريدة الأخبار**

مجموعات السنوات من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٥ م

(١٧٢) **جريدة الأهرام**

مجموعات السنوات من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٥ م

(١٧٣) **جريدة الجمهورية**

مجموعات السنوات من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٥

(١٧٤) **جريدة المساء**

مجموعة سنة ١٩٦١ م

(١٧٥) **جمعية العلماء وأهل الآداب** (بالفرنسية) — Soc. des Savants et des Gens des Lettres :

Le grand Encyclopédie – Inventaire Raisonné des Sciences. des Lettres, et des Arts.

(Belgique – Robinense)

(١٧٦) **الجمل** : سليمان بن عمر بن منصور العجيلى المعروف بالجمل (توفى سنة ١٢٠٤ هـ)

شرح الجمل على تفسير الجلالين ، أو الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية

القاهرة – مطبعة مصطفى البابى الحلبى (١٩٥٩ م)
(١٧٧) **جواد على**
لهجة القرآن الكريم
بحث فى مجلة المجمع العلمى العراقى – المجلد الثالث – الجزء الثانى ص ٢٧٠ – ٢٩٤
(سنة ١٩٥٥ م)
(١٧٨ و١٧٩) **جورجى زيدان** (١٢٧٨ – ١٣٣٢ هـ : ١٨٦١ – ١٩١٤ م)
(ا) **تاريخ آداب اللغة العربية** (٤ مجلدات)
راجعه شوقى ضيف
القاهرة (١٩٥٧ م)
(ب) **تاريخ التمدن الإسلامى** (٥ أجزاء)
مراجعة وتعليق حسين مؤنس
القاهرة – دار الهلال (١٩٦٨)
(١٨٠ و١٨١) **جولدتسيهر – إجنتس** Goldziher Ignàcz
(ا) **العقيدة والشريعة فى الإسلام**
ترجمة : محمد يوسف موسى ، وعلى حسن عبد القادر ، وعبد العزيز عبد الحق
القاهرة – دار الكتب الحديثة (١٩٥٩ م)
(ب) **مذاهب التفسير الإسلامى**
ترجمة عبد الحليم النجار
القاهرة – مكتبة الخانجى – مطبعة السنة المحمدية (١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م) .
(١٨٢) **جون مارشال هولت** John Marshall Halt :
The Patriarchs of Israel.
(Vanderbilt University Press, Nashville 1964).
(١٨٣) **الجوينى** : إمام الحرمين (٤١٩ - ٤٧٨ هـ)
الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد
بتحقيق : محمد يوسف موسى ، وعلى عبد العظيم عبد الحميد
القاهرة – مكتبة الخانجى (سنة ١٩٥٠ م)
(١٨٤) **حاجى خليفة** : مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة وبكاتب شلبى (المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ)
كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون (جزءان)
إستامبول – مطبعة وكالة المعارف التركية (١٩٤١ – ١٩٤٣ م)
(١٨٥) **الحاكم النيسابورى** : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الحكم الضبى المعروف بالحاكم النيسابورى (المتوفى سنة ٤٠٥ هـ)
المستدرك على الصحيحين فى الحديث (٤ أجزاء)

حيدر آباد الهند – مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية (سنة ١٣٣٤ هـ)

(١٨٦) **الحجاوى المقدسى** : شرف الدين موسى (المتوفى سنة ٩٦٨ هـ)

الإقناع فى فقه الإمام أحمد بن حنبل

تصحيح وتعليق عبد اللطيف محمد موسى السبكى

القاهرة – المطبعة التجارية الكبرى (بدون تاريخ)

(١٨٧–١٩٠) **الحداد** : محمد بن على بن خلف الحسينى

(ا) **إرشاد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه فى رسم القرآن**

على ذيل كتاب : الرحيق المختوم فى نثر اللؤلؤ المنظوم لحسن بن خلف الحسينى

القاهرة – مطبعة المعاهد بالجمالية (١٣٤٢ هـ)

(ب) **السيوف الساحقة لمنكر نزول القراءات من الزنادقة**

القاهرة – مطبعة المعاهد بالجمالية (١٣٤٤ هـ)

(ج) **الكواكب الدرية فيما ورد فى إنزال القرآن على سبعة أحرف . . إلخ**

القاهرة – مطبعة مصطفى البابى الحلبى (محرم ١٣٤٤ هـ)

(د) **فتح المجيد فى علم التجويد**

القاهرة – مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه (الطبعة الثانية)

(١٩١) **حسن بن خلف الحسينى**

الرحيق المختوم فى نثر اللؤلؤ المنظوم على أرجوزة الشيخ المتولى

القاهرة – مطبعة المعاهد بالجمالية (١٣٤٢ هـ)

(١٩٢) **الحسن محمد بن أحمد** (ابن جبير) : الكتانى الأندلسى البلنسى (٥٤٠ – ٦١٤ هـ)

رحلة ابن جبير ، أو الرحلة إلى المشرق

بغداد – المكتبة العربية (١٩٣٧ م)

(١٩٣) **الحصرى القيروانى** : أبو إسحاق إبراهيم بن على بن تميم (٣٩٠ – ٥٤٣ هـ)

زهر الآداب وثمر الألباب (جزءان)

بتحقيق على محمد البجاوى

القاهرة – مطبعة عيسى البابى الحلبى (سنة ١٩٥٣ م)

(١٩٤) **حفنى ناصف** (١٢٧٣ – ١٣٣٨ هـ : ١٨٦٠ – ١٩١٩ م)

تاريخ رسم المصحف : مقدمة كتاب فى قواعد رسم المصحف

نشر بالمقتطف ع. أول يوليو ١٩٣٣ م (٨ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ) فى الجزء الثانى من المجلد ٨٣

(١٩٥) **حمزة فتح الله** (١٢٦٦ – ١٣٣٦ هـ : ١٨٤٩ – ١٩١٨ م)

المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية (جزءان)

الجزء الأول طبع بمطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٣١٢ هـ

والجزء الثانى طبع بالقاهرة فى ١٣٢٦ هـ – ١٩٠٨ م

(١٩٦) **الخازن** : علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الصوفى (٦٧٨ – ٧٤١ هـ)

تفسير القرآن الجليل ، المسمى : لباب التأويل فى معانى التنزيل (٤ أجزاء)

القاهرة – المطبعة الميرية ببولاق مصر المعزية (سنه ١٢٩٨ هـ)

(١٩٧) **الخراز** : محمد بن محمد الأموى الشريشى (أدرك آخر القرن السابع الهجرى وأول الثامن)

مورد الظمآن فى رسم القرآن (منظومة)

ضبطه وصححه عامر السيد عثمان

القاهرة – مطبعة الاستقامة (١٣٦٥ هـ)

(١٩٨ و ١٩٩) **الخطيب البغدادى** : أبو بكر أحمد بن على بن ثابت (٣٩٢ – ٤٦٣ هـ)

(ا) **تاريخ بغداد** ، أو مدينة السلام (١٢ مجلدا)

القاهرة – مكتبة الخانجى (١٩٣١ م)

(ب) **تقييد العلم**

حقّقه ، وعلّق عليه يوسف العشّى

دمشق – مطبوعات المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية (١٩٤٩ م)

(٢٠٠) **الخفاجى** : أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الحلبى (المتوفى سنة ٤٦٦ هـ)

سرّ الفصاحة

بتحقيق على فوده

القاهرة – مكتبة الخانجى (١٣٥٠ هـ – ١٩٣٢ م)

(٢٠١) **الدارمى** : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ)

سنن الدارمى

دمشق – طبع بعناية محمد أحمد دهمان (سنة ١٣٤٩ هـ)

(٢٠٢–٢١٢) **الدانى** : أبو عمرو عثمان بن سعيد (المتوفى بدانية بالأندلس فى سنة ٤٤٤ هـ)

(ا) **التيسير فى القراءات السبع**

تصحيح أوتو برتزل ، ونشر جمعية المستشرقين الألمانية

إستامبول – مطبعة الدولة (سنة ١٩٣٠ م)

(ب) ونسخ خطية منه بأرقام ١٤ و٣١٨ و٣٩٩ و٣٣٤ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

(حـ) **جامع البيان فى القراءات السبع المشهورة**

المخطوطة رقم ٣ م قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(د) **المحكم فى نقط المصاحف**

عنى بتحقيقه عزّة حسن

دمشق – وزارة الثقافة والإرشاد القومى – مديرية إحياء التراث القديم (١٣٧٩ هـ)

(هـ) **المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار** ،مع كتاب النقط بتحقيق محمد أحمد دهمان

دمشق – مطبعة الترقى (١٩٤٠ م)

(ز) نسخة خطية من هذا الكتاب رقم ٢٦٣ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(ح) **المكتفى فى الوقف والابتداء**

المخطوطة رقم ٢١٥ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(ط) **النقط**

المخطوطة رقم ٢٧ ، بدار الكتب ببلدية المنصورة

(٢١٣) **الداودى** : عبد السلام بن أبى الحسن على بن عمر

التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات

ضمن مجموعة خطية رقمها ١٠٣ م فى علم التفسير ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٢١٤) **دائرة معارف الأديان والأخلاق** (بالإنجليزية) Encyclopedia of Religions and Ethics.

Edited by Games Hastings.

(New york 1914)

(٢١٥) **دائرة المعارف الأمريكية** (بالإنجليزية) Ths Encyclopedia Americana. (30 Vols).

(1961 Edition in the U. S. A. by American Corporation).

(٢١٦) **الدجوى** : (يوسف أحمد نصر الدجوىّ)

الجواب المنيف فى الرّد على مدعى التحريف فى الكتاب الشريف

القاهرة (١٣٣١ هـ – ١٩١٣ م)

(٢١٧) **دروزه** : محمد عزه .

التفسير الحديث (جزءان) .

القاهرة – مطبعة عيسى البابى الحلبى (١٣٨١ هـ – ١٩٦٢ م) .

(٢١٨) **الدمياطى البنّا** : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد عبد الغنى (المتوفى بالمدينة المنّورة سنة ١١١٧ هـ)

إتحاف فضلاء البشر فى قراءات الأربعة عشر .

رواه ، وصححه ، وعلق عليه على محمد الضّباع .

القاهرة – عبد الحميد أحمد حنفى (١٣٥٩ هـ) .

(٢١٩–٢٢٢) **الذهبى** : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانى (٦٧٣ – ٧٤٨ هـ) .

(١) **سير أعلام النبلاء** (٣ أجزاء) .

(الأول) : بتحقيق صلاح الدين المنجد ، و (الثانى) بتحقيق إبراهيم الإبيارى ،

و (الثالث) بتحقيق محمد أسعد أطلس .

القاهرة — معهد المخطوطات العربية ، بالاشتراك مع دار المعارف (من ١٩٥٥ م) .

(ب) **كتاب تذكرة الحفاظ** (٣ أجزاء)

حيدر آباد — الهند — مطبعة دائرة المعارف النظامية (١٣٣٣ هـ) .

(ح) **ميزان الاعتدال فى نقد الرجال** (٤ مجلدات) .

تحقيق على محمد البجاوى .

القاهرة — دار إحياء الكتب العربية (١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣ م) .

(د) **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** (جزءان) .

بتحقيق وتعليق سيد جاد الحق .

القاهرة - دار الكتب الحديثة .

(٢٢٣) **الرازى** : فخر الدين أبو الفضل بن ضياء الدين بن الحسن بن الحسينى التيمى البكرى (٥٤٤ — ٦٠٦ هـ .

التفسير الكبير (٣٢ جزءاً) .

الأجزاء من ١ إلى ٣ ط . المطبعة المصرية (١٣٥٢ — ١٣٥٤ هـ) .

والأجزاء من ٤ إلى ٣٢ التزام عبد الرحمن محمد (من ١٣٥٧ هـ) .

(٢٢٤ و ٢٢٥) **الزرقانى** : أبو عبد الله محمد بن عبد الباقى الزرقانى المالكى (المتوفى سنه ١١٢٢ هـ) .

(ا) **شرح على المواهب اللدنية للقسطلانى** (٨ أجزاء) .

القاهرة — دار الطباعة المِيرية المصرية ، فى أيام الحضرة الخديوية السعيدية .

(ب) وطبعة ثانية بالمطبعة الأزهرية المصرية (سنة ١٣٢٨ هـ) .

(٢٢٦) **الزّرقانى** : محمد عبد العظيم الزرقانى .

مناهل العرفان فى علوم القرآن (جزءان) .

القاهرة — مطبعة الحلبى (١٣٦١ هـ) .

(٢٢٧) **الزركشى** : بدر الدين (٧٤٥ — ٧٩٤ هـ) .

البرهان فى علوم القرآن (٤ أجزاء) .

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

القاهرة — طبع ونشر عيسى البابى الحلبى (من ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م) .

(٢٢٨—٢٣١) **زكريا الأنصارى** : أبو يحيى (المتوفى سنة ٩٢٦ هـ) .

(ا) **الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبى يحيى زكريا الأنصارى** .

وقف على طبعها ، وصدّرها بترجمة للمؤلف أحمد عبيد .

دمشق — مطبعة الترقى (١٣٥٥ هـ) .

(ب) **تحفة نجباء العصر فى أحكام النون الساكنة والمدّ والقصر** .

المخطوطة رقم ٢١٦ و ٢١٧ و ٣٤ مجاميع ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢٣٢ و٢٣٣) **الزمخشري** : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (المتوفى سنة ٥٢٨ هـ) .
(ا) **أساس البلاغة .**
القاهرة (١٩٦٠ م) .
(ب) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل** (٤ أجزاء) .
القاهرة – مصطفى محمد (١٣٠٨ هـ) .

(٢٣٤) **الزنجانى** : أبو عبد الله .
تاريخ القرآن .
القاهرة – لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٣٥٤ هـ – ١٩٣٥ م)

(٢٣٥ و٢٣٦) **السبكى** : تاج الدين أبو نصر عبد الله بن تقى الدين بن عبد الكافى (٧٢٧ – ٧٧١ هـ)
(ا) **طبقات الشافعية الكبرى** (٦ أجزاء) .
القاهرة – المطبعة الحسينية (١٣٢٤ هـ) .
(ب) وطبعة أخرى بتحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح الحلو (صدر منها إلى الآن ٣ أجزاء) .
القاهرة – مطبعة عيسى البابى الحلبى (١٩٦٤ م) .

(٢٣٧) **ستانلى ا . ب .**
Stanely, A. P.
History of Jewish Church.

(٢٣٨) **السخاوى** : أبو الحسن على بن محمد بن عبد الصمد الهمدانى المصرى (٥٥٨ – ٦٤٣ هـ : ١١٦٣ – ١٢٤٥ م) .
جمال القراء .
المخطوطة رقم ٩ م قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢٣٩) **سليمان حسن عبد الوهاب .**
تحريف اليهود للقرآن قديماً وحديثاً .
نُشر فى مجلة منبر الإسلام ، (مجموعة سنة ١٣٨٥ هـ) .

(٢٤٠ و٢٤١) **سيبويه** : أبو بشر عامر (توفى فى أواخر القرن الثانى الهجرى) .
(ا) **كتاب سيبويه المشهور فى النحو ، واسمه « الكتاب » .**
اعتنى بتصحيحه هرتونغ ورنبرغ .
باريس – المطبع العامىّ الأشرف (سنة ١٨٨٥ م) .
(ب) طبعة أخرى ، بهامشها تقريرات وزبد من شرح أبى سعيد السيرافى .
القاهرة – المطبعة الأميرية ببولاق (سنة ١٣١٦ هـ) .

(٢٤٢) **السيورى** : جمال الدين المقداد بن عبد الله (المتوفى سنة ٨٢٦ هـ) .
كنز العرفان فى فقه القرآن .
علق عليه محمد باقر شريف زاده .

طهران – المطبعة المرتضوية (١٣٨٤ هـ) .

(٢٤٣–٢٤٨) **السيوطى** : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر (المتوفى سنة ٩١١ هـ) .

(ا) **الإتقان فى علوم القرآن** (جزءان) .

القاهرة – ط . محمود توفيق (سنة ١٩٣٥ م) .

(ب) **بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة** (جزءان) .

بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

القاهرة – مطبعة عيسى البابى الحلبى (١٩٦٤ – ١٩٦٥ م) .

(حـ) **حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة** (جزءان) .

القاهرة (١٢٩٩ هـ) .

(د) نسخة أخرى ، ط . المطبعة الشرقية بالقاهرة (١٣٢٧ هـ) .

(هـ) **الدر المنثور فى التفسير بالمأثور** .

القاهرة – المطبعة الميمنية (١٣١٤ هـ) .

(و) **المزهر فى علوم اللغة وأنواعها** .

القاهرة – المكتبة الأزهرية – مطبعة السعادة (١٣٢٥ هـ) .

(٢٤٩) **شارل ف . بفيفر**

Charles F. Pfeiffer

The Patriarchal Age

Baker Book House, Michigan (1961).

(٢٥٠ و٢٥١) **الشاطبى** : أبو إسحق إبراهيم بن موسى اللخمى (المتوفى سنة ٧٩٠ هـ) .

(ا) **الموافقات فى أصول الفقه** ، ويعرف بكتاب « التعريف بأسوار التكليف » (جزءان) .

تونس – فاس سنة (١٣٠٢ هـ) .

(ب) **الاعتصام** (٣ أجزاء) .

القاهرة – ط . المنار (١٣٣٢ هـ – ١٩١٤ م) .

(٢٥٢ و٢٥٣) **الشاطبى** : القاسم بن فيرُّه بن خلف بن أحمد الشاطبى (المتوفى سنة ٥٩٠ هـ) .

(ا) **عقيلة أتراب القصائد فى أسنى المقاصد** .

شرحه موسى جار الله روستو فلونى (١٧٧٩ – ١٧٨٣ م) .

قازان روسيا – المطبعة الكريمية (١٩٣٥ م) .

(ب) **متن الشاطبية المسمى حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع** .

صححه وراجعه متولى عبد الله الفقاعى – مكتبة صبيح بالقاهرة .

(٢٥٤ و ٢٥٥) **الشافعى** : أبو عبد الله محمد بن إدريس (المتوفى سنة ٢٠٤ هـ) .

(ا) **الرسالة** (٣ أجزاء) .

بتحقيق أحمد محمد شاكر .

القاهرة – مطبعة الحلبي (١٣٥٧ هـ – ١٩٣٨ م) .

(ب) **كتاب أحكام القرآن .**

جمعه البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، وعني بنشره عزت العطار الحسيني .

القاهرة – مكتبة الخانجي (١٣٧١ هـ – ١٩٥١ م) .

(٢٥٦) **الشرتوني** : القسّ سعيد بن عبد الله بن ميخائيل الشرتوني اللبناني الماروني .

أقرب الموارد في فُصَح العربية والشوارد (٣ مجلدات) .

الشام – مطبعة مرسلي اليسوعية (١٨٨٩ – ١٨٩٣ م) .

(٢٥٧) **الشعراني** : عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (المتوفى سنة ٩٧٣ هـ – ١٥٦٥ م) .

الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة .

نشره سميث (بطر سبورج سنة ١٩١٤ م) .

(٢٥٨) **شعلة** : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلي (المتوفى سنة ٦٥٦ هـ) .

شرح شعلة على الشاطبية المسمى كنز المعاني وشرح حرز الأماني .

تصحيح : متولي عبد الله الفقاعي ، ومحمد سليمان صالح .

وطبع على نفقة الاتحاد العام لجماعة القراء .

القاهرة (١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م)

(٢٥٩ و ٢٦٠) **الشهرستاني** : الأفضل أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (المتوفى سنة ٥٤٨ هـ – ١٢٥٣ م)

(ا) **الملل والنّحل** (غير كامل) .

خرّجه محمد بن فتح الله بدران .

القاهرة – مطبعة الأزهر (١٩٥١ م) .

(ب) ونسخة أخرى كاملة (٥ أجزاء) – بذيل الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم .

القاهرة – مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده .

(٢٦١) الشوكاني : محمد بن علي بن محمد (١١٧٢ – ١٢٥٥ هـ) .

نيل الأوطار ، شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار (٨ أجزاء) .

القاهرة – المطبعة العثمانية (سنة ١٣٥٧ هـ) .

(٢٦٢) **الصّبان** : محمد بن علي أبي العرفان الصّبان (المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ)

حاشية على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٤ أجزاء) .

القاهرة – طبع بولاق (١٢٩٤ هـ) .

(٢٦٣) **صديق حسن خان** : أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي (١٢٤٨ – ١٣٠٧ هـ : ١٨٣٢ – ١٨٩٠ م) .

أبجد العلوم المسمّى بالوشي المرقوم والسحاب المركوم والرحيق المختوم .

الهند – مدينة بهوبال (سنة ١٢٩٥ هـ) .

(٢٦٤ و ٢٦٥) **الصفاقسيّ** : علىٰ النّورى (المتوفى سنة ١١١٨ هـ) .

(ا) **غيث النفع فى القراءات السبّع (بذيل شرح ابن القاصح على الشاطبية)**

القاهرة – بولاق (١٢٩٣ هـ) .

(ب) ونسخة أخرى – ط . مصطفى محمد بالقاهرة (١٣٥٢ هـ – ١٩٣٤ م)

(٢٦٦) **الصّفدى** : صلاح الدين خليل بن أيبك (٦٩٦ – ٧٦٤ هـ) .

الوافى بالوفيات (٣ أجزاء) .

باعتناء هـ . ريتر – إستامبول – جمعية المستشرقين الألمانية (١٩٣١ – ١٩٥٣ م) .

(٢٦٧) **صلاح الدين المنجد** :

سجون بغداد زمن العبّاسيين .

بحث فى مجلة (الرسالة) ع ٦٤٠ فى ٨ أكتوبر ١٩٤٥ ص ١٠٨٩ وما بعدها .

(٢٦٨) **الصولى** : أبو بكر محمد بن يحيى الصولى (المتوفى سنة ٣٣٥ هـ) .

أخبار الراضى بالله والمتقى بالله – تاريخ الدولة العباسية من ٣٢٢ إلى ٣٣٣ هـ ، من كتاب الأوراق .

عنى بنشره ج . هيورث .

القاهرة – مطبعة الصاوى (١٩٣٤ م) .

(٢٦٩–٢٧٤) **الضّبّاع** : على محمد .

(ا) **إرشاد المريد إلى مقصود القصيد** (شرح الشاطبية) .

القاهرة – مطبعة صبيح (١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م) .

(ب) **بحث فى التجويد** .

القاهرة – مجلة كنوز الفرقان ع . مايو ويونية ١٩٥٠ م .

(حـ) **جواب على سؤال من مكة المكرمة** .

القاهرة – مجلة كنوز الفرقان ع ١ و ٢ سنة ١٣٦٩ هـ .

(د) **خطبة فى حفل للجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم** .

مجلة كنوز الفرقان ع . إبريل ١٩٤٩ م

(هـ) **سمير الطالبين فى رسم وضبط الكتاب المبين** .

القاهرة – عبد الحميد أحمد حنفى (١٣٥٧ هـ) .

(و) **مبتدعات القراءة فى قراءة القرآن الكريم** .

القاهرة – مجلة كنوز الفرقان ع . ربيع الأول ١٣٦٨ هـ .

(٢٧٥) **طاش كبرى زاده** : عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى بن خليل الشهير بطاش كبرى زاده (المتوفى سنة ٩٦٨ هـ – ١٥٦١ م) .

مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم (٣ أجزاء) .

بتحقيق عبد الوهاب أبو النور وكامل بكرى .

القاهرة – دار الكتب الحديثة (١٩٦٨ م)

(٢٧٦–٢٧٨) **طه حسين** :

(ا) **فى الأدب الجاهلى** .

القاهرة (١٩٢٧ م) .

(ب) **الفتنة الكبرى – عثمان** .

القاهرة – مطبعة المعارف (سنة ١٩٥١ م) .

(ﺟ) **مستقبل الثقافة فى مصر** .

القاهرة – مطبعة المعارف (١٩٣٨ م) .

(٢٧٩ و ٢٨٠) **الطبرسى** : أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى (المتوفى سنة ٥٤٨ ﻫ) .

مجمع البيان فى تفسير القرآن (٣٠ جزءاً) .

لبنان – بيروت – دار الفكر ، ودار الكتاب اللبنانى (١٣٧٤ ﻫ – ١٩٥٤ م)

والأربعة الأجزاء الأولى من طبعة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة .

(٢٨١ و ٢٨٣) **الطبرى** : أبو جعفر محمد بن جرير (المتوفى سنة ٣١٠ ﻫ) .

(ا) **تاريخ الأمم والملوك** (١٣ جزءاً فى ٧ مجلدات) .

القاهرة – المطبعة الحسينية المصرية .

(ب) **جامع البيان فى تفسير القرآن الشهير بتفسير الطبرى** (٣٠ جزءاً) .

القاهرة – المطبعة الكبرى الأميرية ، ببولاق بمصر المحمية (١٣٢٣ – ١٣٢٩ ﻫ) .

(ﺣ) والستة عشر جزءاً الأولى من طبعة دار المعارف بتحقيق محمود محمد شاكر .

(٢٨٤) **الطحاوى** : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدى (٢٣٩ – ٣٢١ ﻫ) .

مشكل الآثار (٤ أجزاء) .

حيدر آباد – الدكن (سنة ١٣٣٣ ﻫ) .

(٢٨٥) **الطرطوشى** : محمد بن الوليد أبو بكر الفهرى (٤٥١ – ٥٢٠ ﻫ) .

سراج الملوك

القاهرة – مطبعة بولاق (سنة ١٢٨٩ ﻫ) .

(٢٨٦) **الطريحى النجفى** : فخر الدين بن محمد على طريحة النجفى (٩٧٩ – ١٠٨٧ وقيل ١٠٨٩ ﻫ : ١٥٧١ – ١٦٧٤ م) .

مجمع البحرين فى غريبى القرآن والأحاديث

طهران – طبع حجر (١٢٧٧ ﻫ) .

(٢٨٧) **الطيالسى** : أبو داود سليمان بن داود بن الجارودى الفارسى البصرى (المتوفى سنة ٢٠٤ ﻫ) .

مسند أبى داود الطيالسى

حيدر آباد – الدكن (سنة ١٣٣٣ ﻫ) .

(٢٨٨) **العاملى** : بهاء الدين محمد بن الحسن العاملى (١٠٣٣ – ١١٠٤ ﻫ : ١٦٢٣ – ١٦٩٢ م) .

أعيان الشيعة (٥ مجلدات) .

دمشق (١٩٣٥ – ١٩٣٦) .

(٢٨٩) **عبد الحليم محمود**

السّنة فى مكانتها وفى تاريخها

(من توجيهات دار الحديث النبوى بالقاهرة) .

القاهرة – دار الكاتب العربى (المكتبة الثقافية) – ١٩٦٧ م .

(٢٩٠) **عبد الرحمن العدوى ومحمد سالم محيسن** :

زاد المستفيد

القاهرة (١٩٧١ م) .

(٢٩١) **عبد العزيز البخارى** : بن أحمد بن محمد علاء الدين البخارى (المتوفى سنة ٧٣٠ هـ) .

كشف الأسرار على أصول البزدوى (أبى الحسن على بن محمد بن حسين) (٤ أجزاء) .

الآستانة (١٣٠٨ هـ) .

(٢٩٢) **عبد العزيز فهمى**

الحروف اللاتينية لكتابة العربية .

القاهرة – مطبعة مصر (أغسطس ١٩٤٤ م) .

(٢٩٣) **عبد العلى محمد بن نظام الدين الأنصارى** :

فواتح الرحموت لشرح مسلّم الثبوت لمحبّ الله بن عبد الشكور .

(بذيل المستصفى للغزالى) .

بغداد – مكتبة المثنى (١٣٢٢ هـ) .

(٢٩٤) **عبد الفتاح إسماعيل شلبى** :

رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات .

القاهرة – مكتبة نهضة مصر ، بالفجالة (١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠ م) .

(٢٩٥) **عبد الفتاح بن هنيدى بن أبى المجد**

الأدلة العقلية فى حكم جمع القراءات النقلية .

القاهرة – مطبعة الجندى ، بزين العابدين ، بالسيدة زينب (١٣٤٤ هـ) .

(٢٩٦) **عبد المتعال الصعيدى** :

سبب مجهول من أسباب اختلاف القراءات .

مقال فى مجلة الرسالة ع ٤٨٨ فى ٩ نوفمبر ١٩٤٢ م .

(٢٩٧) **عبد الوهاب عبد السلام أبو النور** :

نظم التصنيف فى الوطن العربى : المشكلات والحلول المقترحة .

ضمن أبحاث مؤتمر الإعداد الببلوجرافى للكتاب العربى المنعقد فى الرياض بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .

(٢٩٨) **عثمان أمين :**

فلسفة اللغة العربية .

القاهرة – الدار المصرية للتأليف والترجمة (١٩٦٥ م) .

(٢٩٩) **العجّاج والزَّفَيان :**

مجموع أشعار العرب ، وهى تشتمل على ديوانى الأراجيز للعجاج والزَّفَيان

Die Diwane der Regez Dichter Elaggag und Ezzafayan.

W. Ahlwardt

اعتنى بتصحيحها وترتيبها وليم بن الورد البروسى

ليبزج (١٩٠٣ م) .

(٣٠٠) **عَرِيب بن سعد القرطبى :**

صلة تاريخ الطبرى (جزءان فى مجلد) .

القاهرة – المطبعة الحسينية (١٣٢٧ هـ) .

(٣٠١) **عز الدين بن عبد السلام** : عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم السلمى (٥٧٨ – ٦٦٠ هـ) .

فائدة من أمالى عز الدين بن عبد السّلام .

القاهرة

(٣٠٢) **عزت عبيد الدّعاس :**

فن التجويد .

حلب (١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م) .

(٣٠٣و٣٠٤) **العسكرى** : أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد (٢٩٣ – ٣٨٢ هـ) .

(أ) **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**

بتحقيق عبد العزيز أحمد كبير مفتشى اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم سابقاً

القاهرة – مطبعة مصطفى البابى الحلبى (١٣٨٣هـ – ١٩٦٣ م) .

(ب) ونسخة مخطوطة رقم ٢ ش مصطلح الحديث ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٣٠٥) **العقاد** : عباس محمود (١٨٨٩ – ١٩٦٤ م) .

أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب

دار المعارف بمصر (سنة ١٩٦٣ م) .

(٣٠٦و٣٠٧) **العكبرى** : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى (المتوفى سنة ٦١٦ هـ) .

(أ) **إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن**

تصحيح وتحقيق إبراهيم عطوة عوض

القاهرة – مطبعة مصطفى البابى الحلبى (١٩٦١ م) .

(ب) **اللباب فى علل البناء والإعراب**
المخطوطة رقم ٤٢٣ نحو ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٣٠٨) **على بن أبي طالب** (منسوب إليه الكتاب) .
نهج البلاغة (جمعه الشّريف الرضىّ) – (٣ أجزاء) .
بشرح محمد عبده ، ومعه زيادات من شروح ابن الحديد وابن ميثم البحرانى ، وأشرف على الطبع عبد العزيز سيد الأهل
بيروت (١٩٥٤ م) .

(٣٠٩-٣١٣) **على بن سلطان القارى** : على بن سلطان محمد الهروى (توفى سنة ١٠١٤ هـ) .
(ا) **شرح الشفا للقاضى عياض**
تركيا (١٣١٠ هـ) .
(ب) **شرح عقيلة أتراب القصائد** ، أو الهبات السّنية العلية
نسختان خطيتان رقم ٢٣ و ٢٤٨ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(حـ) **مرقاة المفاتيح** ، شرح **مشكاة المصابيح** (٥ أجزاء) .
القاهرة – المطبعة الميمنية (١٣٠٩ هـ)
(د) **المنح الفكرية على متن الجزرية** (وبهامشه شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصارى على مقدمة الجزرية) .
القاهرة – المطبعة العثمانية ، بحارة الفراخة ، بباب الشعرية (١٣٠٢ هـ) .

(٣١٤) **على الجرجانى** : على بن محمد بن على الجرجانى (٧٤٠ – ٨١٦ هـ) .
Ali Ben Mohammed Dschoroschani.
التعريفات
Definitiones
بإشراف جوستاف فلوجل
Justavus Flugel (Lipsiae, 1845)

(٣١٥-٣١٧) **على عبد الواحد وافى**
(ا) **الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام**
القاهرة – مكتبة نهضة مصر ، بالفجالة (١٩٦٤ م)
(ب) **علم اللغة**
القاهرة – لجنة البيان العربى – الطبعة الثالثة (١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م) .
(حـ) **فقه اللغة**
القاهرة – لجنة البيان العربى – الطبعة الثالثة (١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م)

(٣١٨) **على مبارك** : بن سليمان بن إبراهيم الروجى (١٢٣٩ – ١٣١١ هـ) .
الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة (٢٠ جزءاً فى ٥ مجلدات) .
القاهرة – المطبعة الأميرية (١٣٠٥ – ١٣٠٦ هـ) .

عياض : القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض (٤٧٦ – ٥٤٤ هـ) .
الشفا بتعريف حقوق المصطفى (جزءان)
القاهرة – دار الكتب العربية الكبرى ، سنة ١٣٢٩ هـ .
(٣٢٠ و٣٢١) الغزالى : أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ)
(ا) إحياء علوم الدين (٤ أجزاء)
القاهرة (١٩٣٣ م)
(ب) المستصفى من علم الأصول (وبذيله فواتح الرحموت لشرح مسلّم الثبوت)
بغداد – مكتبة المثنّى (١٣٢٢ هـ)
(٣٢١) الغمراوى : محمد أحمد (١٨٩٣ – ١٩٦٩ م) .
الإسلام فى عصر العلم (الدين ، والرسول ، والكتاب) .
إعداد : أحمد عبد السّلام الكردانى
القاهرة – مطبعة السعادة (١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م) .
(٣٢٣ و٣٢٤) الفارسى : أبو على الحسن بن عبد الغفار الفارسىّ النحوى (المتوفى سنة ٣٧٧ هـ)
(ا) الحجة فى القراءات (الجزء الأول) .
مخطوطة رقم ١٩٥٥٣ ب ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .
(ب) النسخة المطبوعة بتحقيق على النجدى ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبى ، ومراجعة محمد على النجار .
القاهرة – ط . الدار القومية (١٩٦٦ م) .
(٣٢٥) الفراء : أبو زكريا الفراء يحيى بن زياد (المتوفى سنة ٢٠٧ هـ) .
معانى القرآن (جزءان)
بتحقيق أحمد يوسف نجاتى ، ومحمد على النجار
القاهرة – ط . دار الكتب المصرية (سنة ١٩٥٥ م)
(٣٢٦) فوزى المغربى : عبد الله بن محمد بن عثمان
الفرائد الجليلة والفوائد الجميلة (منظومة)
المخطوطة رقم ٢٢٧٣٠ ب ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(٣٢٧) الفيروزابادى الشيرازى : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر (٧٢٩ – ٨١٧ هـ)
القاموس المحيط (٤ مجلدات)
القاهرة – مطبعة بولاق (سنة ١٢٧٢ هـ)
(٣٢٨) الفيومى : أحمد بن محمد بن على (المتوفى سنة ٧٧٠ هـ)
المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى

القاهرة : المطبعة الأميرية (سنة ١٩٢٦ م)

(٣٢٩) **القاسمي** : محمد جمال الدين (١٢٨٣ – ١٣٣٢ هـ : ١٨٦٦ – ١٩١٤ م)

تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (١٧ جزءاً)

وقف على طبعه وتصحيحه ، ورقمه ، وخرّج آياته وأحاديثه ، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي .

القاهرة – دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) – (١٩٥٧ م)

(٣٣٠) **القالي** : أبو علي إسماعيل بن القاسم بن هرون بن عيسى القالي (٢٨٨ – ٣٥٦ هـ)

الأمالي : (في مجلدين ومعهما ذيل الأمالي والنوادر) .

القاهرة – دار الكتب المصرية (١٩٢٦ م)

(٣٣١) **القرطبي** : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفى سنة ٦٧١ هـ)

الجامع لأحكام القرآن (٢٠ جزءاً)

دار الكتب المصرية (١٩٣٣ – ١٩٥٠ م)

(٣٣٢–٣٣٤) **القُسْطُلانيّ** : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني (المتوفى سنة ٩٢٣ هـ)

لطائف الإشارات في علم القراءات .

ثلاث نسخ خطية : الأولى رقم ٤٩ ، والثانية رقم ١٦١ ، والثالثة رقم ٤٠٦ – قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٣٣٥) **القفطي** : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (٥٦٨ – ٦٤٦ هـ)

إنباه الرواة على أنباه النحاة (ثلاثة مجلدات)

بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

القاهرة – دار الكتب المصرية (١٣٦٩ – ١٣٧٤ هـ : ١٩٥٠ – ١٩٥٥ م)

(٣٣٦) **القلقشندي** : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (٧٥٦ – ٨٢١ هـ)

صبح الأعشى في كتابة الإنشا (١٤ جزءاً)

القاهرة – دار الكتب المصرية (١٩١٠ – ١٩٢٠ م)

(٣٣٧) **الكاشي** : الفيض محمد بن مرتضى الكاشاني – ملا حسن فيض (١٥٩٨ – ١٦٧٩ م)

الصافي في تفسير كلام الله الوافي

طهران – طبع حجر (١٣١١ هـ – ١٨٩٣ م)

(٣٣٨) **الكتّاني** : عبد الحيّ بن عبد الكبير الحسني الكتاني الإدريسي الفاسي

التراتيب الإدارية ، والعمالات ، والصناعات ، والمتاجر ، والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنيّة الإسلامية في المدينة المنوّرة العلية (جزءان)

الرباط – (١٣٣٦ هـ) .

(٣٣٩) **كراوس** : **پول**

« **المصحف** » – بحث بمجلة الثقافة ، ع ١١ مايو ١٩٤٣

(٣٤٠) **الكرمانى** : محمد بن يوسف بن على بن سعيد شمس الدين (٧١٧ – ٧٨٦ هـ : ١٣١٧ – ١٣٨٤ م) .

الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى (٢٥ جزءاً)

القاهرة – المطبعة المصرية (١٣٥٣ هـ – ١٩٣٤ م) .

(٣٤١) **الكوثرى** : محمد زاهد بن الحسن الكوثرى (المتوفى سنة ١٣٧١ هـ)

مقالات الكوثرى

قام بطبعها ونشرها راتب حاكمى (١٣٨٨ هـ)

القاهرة (١٣٧٣ هـ)

(٣٤٢) **كوركيس عواد** :

نظرات فى دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) .

بحث فى مجلة الرسالة ع ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ م ص ٩٤٨ .

(٣٤٣) **لبيب السعيد** :

العلاقات العمالية الإنسانية وأيديولوجيتها فى المجتمع العربى (ج . ع . م)

القاهرة – الطبعة الثانية – مطبعة السعادة – (١٩٦٧ م) .

(٣٤٤) **لجنة الفتوى بمصر** :

فتوى فى شأن الرسم القرآنى صدرت فى سنة ١٩٣٧ م

نشرت بمجلة الأزهر ع . صفر سنة ١٣٦٨ هـ

(٣٤٥) **لجنة نشر الثقافة القانونية بالقاهرة** :

مجموعة أحكام مجلس الدولة (المجلد الخامس)

القاهرة

(٣٤٦) **مالك بن أنس بن مالك** (صاحب المذهب) ، (٩٥ – ١٧٩ هـ)

الموطأ

جزءان ، صححه ، ورقمه ، وخرّج أحاديثه ، وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقى .

القاهرة – دار إحياء الكتب العربية ، سنة ١٩٥١ م .

(٣٤٧) **الماوردى** : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المصرى الشهير بالماوردى (٣٦٤ – ٤٥٠ هـ) .

أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك

القاهرة – مكتبة الخانجى (سنة ١٩٢٩ م)

(٣٤٨) **المبرّد** : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمر بن حسّان بن مالك بن الحارث (٢١٠ – ٢٨٥ هـ) .

الكامل فى اللغة والأدب والنحو والتصريف

بشرح وضبط سيد بن على المرصفى ، واسم الشرح : رغبة الآمل من كتاب الكامل (٨ أجزاء) .

القاهرة – مطبعة النهضة (١٩٣٠ – ١٩٣٧ م)

(٣٤٩) متى : (من رسل المسيح)
إنجيل متى
(٣٥٠) متز : آدم (Mez)
الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى (جزءان)
ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده
القاهرة – بيت المغرب – المعهد الخليفى للأبحاث المغربية (١٩٤٠ م)
(٣٥١) مجلة آخر ساعة
مجموعات السنوات من ١٩٦١ إلى ١٩٦٥ م
(٣٥٢) مجلة الأدب : كان يصدرها أمين الخولى
مجموعة سنة ١٩٥٦
(٣٥٣) مجلة الأزهر :
مجموعات السنوات ١٣٦٦ – ١٣٨٥ هـ
(٣٥٤) مجلة الثقافة :
مجموعة سنة ١٩٤٣ م
(٣٥٥) مجلة الرسالة :
مجموعة السنوات ١٩٤٢ – ١٩٥٣ م .
(٣٥٦) مجلة الزهراء
مجموعتا السنتين ١٩٢٥ و ١٩٢٦ م .
(٣٥٧) مجلة الصداقة
مجموعة سنة ١٩٦٣
(٣٥٨) مجلة الفتح (العراقية) :
العدد ٥٥٧ الصادر فى ٢٩ من ربيع الآخر ١٣٥٦ هـ
(٣٥٩) مجلة كنوز الفرقان (كان يصدرها الاتحاد العام للقراء برياسة على الضباع شيخ المقارئ بالديار المصرية) .
مجموعات السنوات ١٣٦٨ – ١٣٧٢ هـ
(٣٦٠) مجلة لواء الإسلام :
مجموعة سنة ١٣٦٨
(٣٦١) مجلة المسلم (تصدرها العشيرة المحمدية)
مجموعات السنوات ١٣٨٣ – ١٣٨٦ هـ
ومجموعة سنة ١٩٥٨ .
(٣٦٢) مجلة المقتطف
مجموعة سنة ١٩٣٣

(٣٦٣) **مجلة منبر الإسلام :**

مجموعات السنوات ١٣٨٣ – ١٣٨٦ هـ

(٣٦٤) **مجلة نور الإسلام (التي كانت تصدر باسم الأزهر)**

مجموعة سنة ١٣٥٣ هـ

(٣٦٥) **مجمع اللغة العربية بمصر**

معجم ألفاظ القرآن الكريم

القاهرة – مطبعة بولاق (١٩٥٣ م)

(٣٦٦) **المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية**

توصيات الحلقة الثانية لبحث الموسيقى العربية (في المدة من ٢٦ / ١١ / ١٩٦١ إلى ١٨ / ٢ / ١٩٦٣) .

القاهرة (١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م)

(٣٦٧) **محسن الأمين :**

نقض الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ، لموسى جار الدين فاطمة التركستاني

بيروت (١٣٧٠ هـ – ١٩٥١ م) .

(٣٦٨) **محمد بخيت المطيعي :**

الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن

القاهرة (١٣٢٣ هـ)

(٣٦٩) **محمد بن أبي جمعة الهبطي :**

تقييد وقف القراءات

المخطوطة رقم ٢٤٣ ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٣٧٠) **محمد بن أحمد الإسكندراني الطبيب (كان موجوداً سنة ١٢٩٩ هـ)**

كشف الأسرار النورانية القرآنية (جزءان)

القاهرة – المطبعة الوهبية سنة ١٢٩٧ هـ .

(٣٧١) **محمد بن حبيب الله الشنقيطي :**

إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام

القاهرة – مطبعة المعاهد بالجمالية (سنة ١٣٤٥ هـ) .

(٣٧٢) **محمد بن الحسن الشيباني (صاحب أبي حنيفة) – (١٣٢ – ١٨٩ هـ) .**

كتاب الآثار

ط محمد عبد الحي اللكنوي

در مطبع أنوار محمدى طبع كرديد

(٣٧٣) **محمد الخضر الجكني الشنقيطي مفتي المالكية بالمدينة المنورة :**

قمع أهل الزيغ والإلحاد عن الطعن في تقليد أئمة الاجتهاد

القاهرة – مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه (شوال ١٣٤٥ هـ) .

(٣٧٤) **محمد راغب باشا** (المتوفى سنة ١١٧٩ هـ) :

سفينة الراغب ودفينة الطالب

القاهرة – المطبعة الخديوية ، ببولاق مصر المعزية ، تعلق الدائرة السنية (سنة ١٢٨٢ هـ) .

(٣٧٥و٣٧٦) **محمد رشيد رضا** (١٢٨٢ – ١٣٥٤ هـ : ١٨٦٥ – ١٩٣٥ م) .

(ا) **تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار** – على نهج تفسير محمد عبده (١٢ جزءاً) .

القاهرة – مطبعة المنار (١٣٤٦ هـ – ١٣٥٣ هـ) .

(ب) **فتاوى الإمام محمد رشيد رضا** (٦ مجلدات) .

جمعها صلاح الدين المنجد .

(٣٧٧) **محمد سعيد صفر المدنى** (المتوفى سنة ١١٩٢ هـ كما ذكر الجبرتى أو ١١٩٤ هـ كما ذكر عبد الحىّ الكتانى) .

رسالة الهدى فى اتباع سنة المصطفى (منظومة) .

القاهرة – المطبعة السلفية ١٣٧٧ هـ .

(٣٧٨) **محمد طاهر بن عبد القادر الكردى** :

تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه

جدّة (سنة ١٣٦٥ هـ) .

(٣٧٩) **محمد طاهر الفتنى** : جمال الدين محمد بن طاهر الصديقى الهندى الفتنى الملقب بملك المحدّثين .

مجمع بحار الأنوار فى غرائب التنزيل ولطائف الأخبار (٤ أجزاء) .

الهند – المطبع العالى (سنة ١٢٨٣ هـ) .

(٣٨٠) **محمد عبد الله دراز** :

النبأ العظيم – نظرات جديدة فى القرآن .

القاهرة – مكتبة دار العروبة (١٩٦٠ م) .

(٣٨١) **محمد على النجار** :

مباحث لغوية – الإبدال –

بحث فى مجلة الأزهر – مجلد العام ١٣٦٦ هـ .

(٣٨٢) **محمد غوث ناصر الدين محمد نظام الدين النائطى الأركانى** :

نثر المرجان فى رسم نظم القرآن (٧ أجزاء) .

حيدر آباد الدكن – مطبعة عثمان بريس (سنة ١٣١٣ هـ) .

(٣٨٣) **محمد قطة العدوى** (مقابلة وتصحيح . . .) .

ألف ليلة وليلة (جزءان) .

القاهرة – مطبعة بولاق (١٢٥٢ هـ) .

(٣٨٤ و ٣٨٥) محمد المتولى :

(ا) الفوائد المعتبرة

جمع وترتيب وتصحيح على محمد الضباع .

ضمن مجموعة « إتحاف البررة بالمتون العشرة » في القراءات والرسم والآى والتجويد .

القاهرة – مطبعة مصطفى البابى الحلبى (١٣٥٤ هـ – ١٩٣٥ م) .

(ب) الوجوه المسفرة فى القراءات الثلاث .

ضمن المجموعة المشار إليها آنفاً .

(٣٨٦) محمد المقرى الشهير بالقادرى

مسعف المقرئين ومعين المشتغلين بمعرفة الوقف والابتدا وعدّ الآى

المخطوطة رقم ٥٧ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٣٨٧) محمد مكى نصر الجريسى (من أبناء القرن الرابع عشر الهجرى) .

نهاية القول المفيد فى علم التجويد

القاهرة – المطبعة الأميرية ببولاق (سنة ١٣٠٨ هـ) .

(٣٨٨) محمود عرنوس :

قراءة القرآن بالألحان

بحث فى مجلة « لواء الإسلام » ع . شعبان ١٣٦٧ هـ – يونية ١٩٤٨ م .

(٣٨٩) محمود محمد شاكر

أباطيل وأسمار

القاهرة (١٣٨٤ هـ) .

(٣٩٠) المراكشى : أبو محمد عبد الواحد بن على محيى الدين التميمى المراكشى (المولود سنة ٥٨١ هـ) .

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب

ضبطه وصححه : محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى .

القاهرة – مطبعة الاستقامة (١٩٥٠ م) .

(٣٩١) المرتضى : الشريف على بن الحسين الموسوى العلوى (المتوفى سنة ٤٣٦ هـ) .

غرر الفوائد ودرر القلائد (جزءان) .

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

القاهرة – دار إحياء الكتب العربية ، (سنة ١٩٥٤ م) .

(٣٩٢ و ٣٩٣) مسلم بن الحجاج : بن مسلم القشيرى النيسابورى (٢٠٦ – ٢٦١ هـ) .

(ا) الجامع الصحيح (٨ أجزاء) .

استامبول (١٣٢٩ هـ) .

(ب) صحيح مسلم بشرح النووى : محيى الدين بن شرف بن مرسى المتوفى سنة

٦٧٦ هـ (١٨ جزءاً) .

القاهرة – ط . محمد محمد عبد اللطيف (١٩٢٩ م) .

(٣٩٤) **مصطفى خالدى ، وعمر فروخ :**

التبشير والاستعمار فى البلاد العربية .

بيروت – الطبعة الثانية (١٣٧٢ هـ – ١٩٥٣ م) .

(٣٩٥) **مصطفى الزرقا :**

العبادة فى الإسلام لا يجوز أن تصحبها الموسيقى

بحث فى مجلة الأزهر ع . المحرم ١٣٨٠ هـ .

(٣٩٦) **مصطفى السّباعى :**

السنّة ومكانتها فى التشريع الإسلامى

القاهرة – مكتبة دار العروبة (١٣٨٠ هـ – ١٩٦١ م) .

(٣٩٧) **مصطفى صادق الرافعى** (المتوفى سنة ١٩٣٦ م) .

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية

القاهرة – الطبعة الثانية (١٣٤٥ هـ – ١٩٢٦ م) .

(٣٩٨) **مصلحة الإحصاء والتعداد ، بالجمهورية العربية المتحدة**

الإحصاء السنوى العام لسنة ١٩٦٢ م .

(٣٩٩) **المعدّل** : موسى بن الحسين بن إسماعيل بن موسى المعدل المقرى (كان موجوداً سنة ٤٧٧ هـ) .

الجامع للأداء – روضة الحفاظ .

نسخة فى مجلد مأخوذة بالتصوير الشمسى عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة نور عثمانية بالآستانة المكتوبة فى منتصف شهر رمضان سنة ١١٥١ هـ . بخط مصطفى المدعو بإمام جيش المسلمين .

ورقم هذه النسخة المصورة ١٩٦٧٢ ب بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٤٠٠) **المقدسى المعروف بالبشارى** : شمس الدين أبو عبد الله أحمد بن أبى بكر البنا (من علماء القرن الرابع الهجرى) .

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم

ط . ليدن – مطبعة بريل ١٨٧٦ م .

(٤٠١و٤٠٢) **المقريزى** : تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد (٧٦٠ – ٨٤٥ هـ) .

(ا) **إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع .**

نشره محمود محمد شاكر

القاهرة – لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٤١) .

(ب) **السلوك لمعرفة دول الملوك** (٤ أجزاء) .

تحقيق محمد مصطفى زيادة .

القاهرة – لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٨ م) .

(حـ) **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** (جزءان) .

القاهرة – المطبعة الأميرية ببولاق (سنة ١٢٧٠ هـ) .

(٤٠٣) **مكى بن أبى طالب** : ابن حموش بن محمد بن مختار القيسى القيروانى (٣٥٥ – ٤٣٧ هـ) .

الإبانة عن معانى القراءات .

تقديم وتحقيق وتعليق وشرح عبد الفتاح إسماعيل شلبى .

القاهرة – مكتبة نهضة مصر (١٩٦٠ م) .

(٤٠٤ و٤٠٥) **المناوى** : شمس الدين محمد المدعوّ عبد الرؤوف (المتوفى سنة ٩١١ هـ) .

(ا) **شرح الجامع الصغير المسمى بالتيسير** (جزءان) .

القاهرة – مطبعة بولاق (سنة ١٢٨٦ هـ) .

(ب) **فيض القدير : شرح الجامع الصغير** (٦ أجزاء) .

القاهرة – مصطفى محمد (١٩٣٨ م)

(٤٠٦) **مؤلف لا يُعرف اسمُه** :

رسالة فى تجويد القراءات ، فيها رسم اللسان ومخارج الحروف

المخطوطة رقم ١٣٣٣ تيمورية ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(نقلاً عن نسخة الأصل المحفوظة بالمكتبة الأحمدية بالجامع الأحمدى بطنطا برقم ١٥ تفسير) .

(٤٠٧) **مؤلف لا يُعرف اسمُه** :

صورة الفم واللسان ، وباقى الفم من الأسنان ، مع بيان مخارج الحروف .

المخطوطة رقم ٦٠٦ تيمورية ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٤٠٨) **مير أحمد على** Mir Ahmed Ali—S. V.

A Preface to the Translation of the Holy Quran.

(The Holy Quran with English Translation of the Arabic Text and Commentary according to the version of the Holy Ahlul Bait, with Special notes from Ayotullah Agha Haji Mirza Mahdis Pooya Yazdi on the Philosophic Aspects of some of the verses).

(Karachi—Pakistan, 1954).

(٤٠٩) **النابلسى** : عبد الغنى بن إسماعيل المعروف بنابلسى (١٠٥٠ – ١١٤٣ هـ) .

ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث (٤ أجزاء فى مجلد) .

القاهرة – جمعية النشر والتأليف الأزهرية (سنة ١٣٥٢ هـ الموافقة ١٩٣٣ – ١٩٣٤ م) .

(٤١٠) **النباهى** : أبو الحسن بن عبد الله النباهى المالقى الأندلسى (ولد سنة ٧١٣ هـ ، وتوفى قبل نهاية القرن الثامن الهجرى) .

تاريخ قضاة الأندلس

نشره ليڤي برفنسيال
بيروت — المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع (بدون تاريخ)

(٤١١) **نجيب العقيقى**
المستشرقون (٣ أجزاء) .
القاهرة — دار المعارف (١٩٦٤ — ١٩٦٥ م) .

(٤١٢) **الندوى** : السيد سليمان .
تحقيق معنى السّنّة وبيان الحاجة إليها .
ترجمه إلى العربية عبد الوهاب بن عبد الجبار الدهلوى .
القاهرة — المطبعة السلفية — ١٣٧٧ هـ .

(٤١٣) **النسائى** : أبو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب (٢١٥ — ٣٠٣ هـ) .
سنن النسائى المسمى بالمجتبى (جزءان) .
القاهرة — المطبعة الميمنية (١٣١٢ هـ) .

(٤١٤) **نظام الدين النيسابورى** : الحسن بن محمد بن الحسين القمى (المتوفى سنة ٨٢٨ هـ) .
غرائب القرآن ورغائب الفرقان
(المطبوع منه إلى الآن ٤ أجزاء) بتحقيق إبراهيم عطوة عوض .
القاهرة — مطبعة مصطفى البابى الحلبى (١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م) .

(٤١٥) **نورس إدوارد** :
Nourse Edward E.
Sadducees
The Encyclopedia Americana (vol. 24).
1961 Edition in the U. S. A. by American Corporation.

(٤١٦ و٤١٧) **نولدكه** : تيودور (١٨٣٦ — ١٩٣٠ م) .
Nöldeke — Theodor
(a) Geschichte des Qorans (Gottingen, 1860).
(ب) **مذاهب التفسير الإسلامى**
ترجمه إلى العربية عبد الحليم النجار .
القاهرة (١٩٥٥ م) .

(٤١٨) **النووى** : أبو زكريا محيى الدين بن شرف (المتوفى سنة ٦٧٦ هـ) .
تهذيب الأسماء واللغات (مجلدان) .
القاهرة — ط . منير الدمشقى (بدون تاريخ) .

(٤١٩) **النويرى** : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ — ٧٣٣ هـ) .
نهاية الأرب فى فنون الأدب (المطبوع منه ١٨ جزءاً) .
القاهرة — دار الكتب المصرية (١٣٤٢ — ١٣٧٤ هـ : ١٩٢٣ — ١٩٥٥ م) .

(٤٢٠) الهيثمى : نور الدين أبو الحسن على بن أبى بكر بن سليمان بن أبى بكر الهيثمى (٧٣٥ – ٨٠٧ هـ) .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠ أجزاء) .

تحرير : العراقى وابن حجر

القاهرة – مكتبة القدسى (١٣٥٢ – ١٣٥٣ هـ) .

(٤٢١) الوصابى الحبشى (المتوفى سنة ٧٨٢ هـ) :

البركة فى فضل السعى والحركة

القاهرة – مطبعة الفجالة الجديدة .

(٤٢٢) وكيع محمد بن خلف بن حيان .

أخبار القضاة .

صححه ، وعلّق عليه ، وخرّج أحاديثه عبد العزيز مصطفى المراغى

القاهرة – مطبعة الاستقامة (١٣٦٦ هـ – ١٩٤٧ م) .

(٤٢٣) اليافعى : محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان عفيف الدين اليافعى .

مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٤ أجزاء) .

حيدر أباد الدكن (١٣٣٧ هـ) .

(٤٢٤–٤٢٦) ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى البغدادى ياقوت الرومى (٥٧٤ – ٦٢٦ هـ) .

(ا) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) – (٢٠ جزءاً) .

القاهرة : أحمد فريد رفاعى (١٣٥٥ – ١٣٥٧ هـ : ١٩٣٦ – ١٩٣٨ م) .

(ب) وطبعة أخرى فى ٦ أجزاء ، نشر د . س . مرجليوث – القاهرة – مطبعة هندية (١٩٢٦ م) .

(حـ) معجم البلدان (١٢ جزءاً) .

القاهرة (١٣٢٣ هـ – ١٩٠٦ م) .

(٤٢٧) يوسف داود (المطران) :

اللمعة الشهية فى نحو اللغة السّريانية .

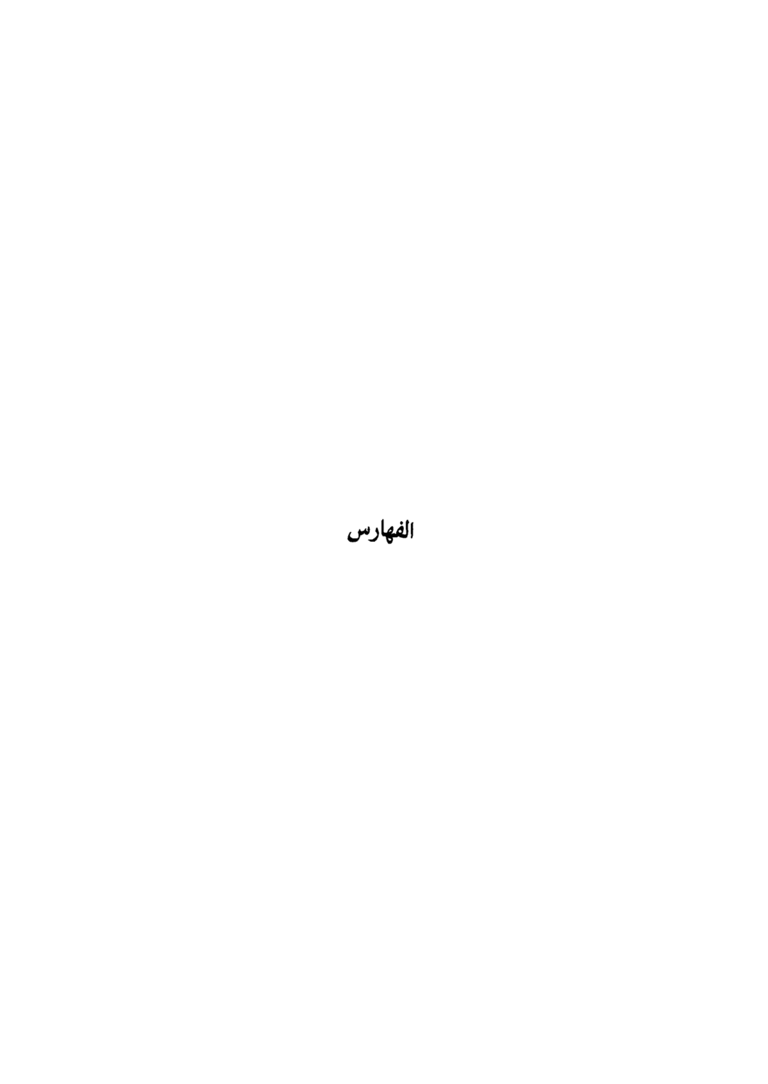
الموصل (سنة ١٨٧٩ م) .

(٤٢٨) يوسف على : Youssef Ali

Commentaries on the Quran.

The Holy Quran Text, Translation and Cammentary.

(Printed in the U. S. A. by the American International printing Company, Washington, D.C.)



الفهارس

١
الأشخاص
(١) الرجال

(ب)

(ت)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(غ)

(ف)

(ن)

(هـ)

(ب) النساء

(ج) المعروفون بألقاب خاصة

٢
البلاد والمواضع

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

٣

مسمّيات ومصطلحات

لم ترد فى الفهارس السابقة

(ب)

(خ)

(ر)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

(٤)

فهرس الموضوعات

القسم الأول

جمع القرآن كتابياً وصوتياً

الباب الأول

الجمعان الكتابيان

٢٩ – ٦٣

الفصل الأول : جمع أبى بكر

٣١ – ٤٣

(١)

« الجمع » فى كلام أهل القرآن .

(٢)

لم يُجمع القرآن على عهد النبي (ص) فى مصحف واحد – ما قيل فى أسباب ذلك – استحفاظ النبيّ أصحابه القرآن ، وأمره كتبةَ الوحْي بوضع كلّ آية فى موضعها المحدّد – كتابة القرآن مفرّقاً بين يدى النبيّ ، وبأمره ، وبإقراره – الجمع فى موضع واحد ، وترتيب السّور كانا ، على عهد النبى ، من حيث الحفظ فى الصدور لا من حيث الكتابة .

(٣)

قصة الجمع البكرى كما رواها البخارى – بروكلمان يتشكّك فى أن تكون واقعة اليمامة هى سبب الجمع البكرى – المسلمون لن يتركوا صحيح البخارى لمتشكك لا يؤمن بالقرآن أصلاً – تردّد الصدّيق ، بادئ ذى بدء ، فى قبول فكرة جمع القرآن كان لخوفه من التّواكل فى حفظه والتكاسل فى استظهاره .

(٤)

منهج هذا الجمع فيما اتسق لنا :

١ – كل من تلقى شيئاً من الرسول يأتي به ، وذلك بالأحرف السبعة .

٢ – التسجيل بالكتابة .

٣ – قصر التسجيل على : (ا) ما كتب بين يدى النبي لا من مجرد الحفظ (ب) وما ثبت عرضه عام وفاته (حـ) وما ثبت أنه من الوجوه التي نزل بها القرآن .

٤ – مراعاة ترتيب الآيات والسور وضبطها حسب التلقي عن الرسول .

٥ – عدم قبول شيء إلا بعد شهادة شاهدين بتلقيه سماعاً – تخطئة من قال بأن إثبات الآيتين الأخيرتين من سورة التوبة كان بناء على رواية فرديّة .

٦ – قيام عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت بكتابة ما يشهد عليه الشاهدان – التزام الجامعين قواعد هذا المنهج .

(٥)

رضى المسلمين عن عمل أبي بكر .

(٦)

اعتراض الروافض على الجمع البكرى ، وخُلاصة ما رُدَّ به عليهم .

(٧)

هل سبق آخرون أبا بكر إلى جمع القرآن ؟

الروايات الشيعية المغالية ، والردّ عليها :

رواية أنّ علياً سَبَق إلى هذا الجمع ، وتفنيد هذه الرواية علمياً – معنى الجمع عند عليّ .

رواية أن عمر بن الخطاب هو الآمر بجمع القرآن – رأينا : أن هذه الرواية لا تعدو الإخبار بأن عمر هو الذى أشار بالجمع – المستشرقان شفالى وبروكلمان يعارضان الروايات الإسلامية عن جمع القرآن، ويخبط ثانيهما فى الخطأ فينسب إلى ابن مسعود أنه أبقى سوراً على طولها ، وقسّم سوراً أخرى لطولها .

رواية أنّ سالم مولى أبى حذيفة هو أول من جمع القرآن ، والشكّ فى هذه الرواية .

رواية أنّ ابن عباس كان من الجامعين ، ونقض هذه الرواية .

* * *

الفصل الثانى : جمع عثمان

٤٤ – ٦٣

(١)

انتشار الصحابة بعيداً عن منزل الوحى ، ووقوع اختلافات يسيرة بينهم فى ألفاظ القرآن – نماذج الاختلافات .

(٢)

حذيفه بن اليمان فى العراق ، وغضبه من تنازع أهل الشام وأهل العراق فى القرآن – خوفه من اختلاف المسلمين فى القرآن اختلاف اليهود والنصارى فى كتابهم – أدلّة اختلاف أهل الكتاب فى كتابهم – سعى حذيفة لدى الخليفة عثمان لجمع الناس على مصحف واحد ، وإقرار الصحابة لفكرة هذا الجمع .

(٣)

إجراءات هذا الجمع ، واختيار من يقومون به ، وملابسات اختيار كل منهم ، ومناقشة هذه الاختيارات .

(٤)

غضب عبد الله بن مسعود لصرفه عن الجمع – أوجه أحقّيته بهذه المهمة – عذر عثمان من عدم اختياره – مزايا زيد بن ثابت التى توجب خصوصيته بهذا الجمع .

(٥)

إرسال المصاحف الأئمّة إلى الأمصار – تحريق المصاحف المخالفة ، ومنها ربعة حفصة – رضى الناس عن صنيع عثمان – الردّ على منكرى هذا الصنيع .

(٦)

قول الطحاوى بارتفاع الضرورة الوقتية التى كان القرآن قد نزل من أجلها على سبعة أحرف – مِثْلُ هذا رأى الباقلانى وابن عبد البرّ – نفى ابن حزم أن يكون عثمان أسقط ستة أحرف واقتصر على حرف واحد ، وإبطاله أن يكون عثمان جمع الناس على مصحف واحد – قول ابن قيّم الجوزيّة إن عثمان جمع الناس على حرف واحد لمصلحة الأمّة – فى عمل عثمان من النصح للمسلمين أكثر مما فيه من الجراءة .

(٧)

منهج عثمان فيما اتّسق لنا أيضاً
١ – الاعتماد على ربعة حفصة .
٢ – تعاهد الخليفة بنفسه للعمل .
٣ – الجمع على ملأ من المسلمين .
٤ – الرجوع – عند الاختلاف ، فى أية آية – إلى من يكون الرسول أقرأها إياه .
٥ – الاقتصار – عند الاختلاف – على لغة قريش .
٦ – الجمع على القراءة المتواترة عن النبى .
٧ – تحديد ما يُمنع من كتابته وسماعه .
٨ – الكلمات المتضمنة أكثر من قراءة ، ولم تنسخ فى العرضة الأخيرة :
(أ) المحتملة منها لما اشتملت عليه القراءات : تكتب برسم واحد فى المصاحف كلها – أمثلة توضيحية لذلك .
(ب) وغير المحتملة : تكتب فى بعض المصاحف برسم يدلّ على قراءة ، وفى بعضها برسم يدلّ على القراءة الأخرى – أغلب هذه الكلمات .
٩ – ترتيب آيات السور يكون على ما كان فى عهد النبى (ص) .
١٠– المراجعة أماناً من النسيان والخطأ – دراسة لما رُوى عن تدوين الآيتين الأخيرتين من سورة التوبة ، وآية من سورة الأحزاب .

الباب الثانى
الجمع الصوتى الأول ، أو المصحف المرتل

٦٥ – ٩٨

الفصل الأول : الفكرة

٦٧ – ٧٨

(١)

تاريخ تسمية مجموعة القرآن مصحفاً – تعريب لفظ (المصحف) عن الحبشية – تداول المسلمين لهذا اللفظ ، وروايات وروده فى بعض الأحاديث النبوية .

(٢)

تسمية الجمع الصوتى ، فى أول الأمر : (المصحف المسموع) – ما ورد فى القرآن فى شأن سماع الوحى – لفظ « السّماع » بالنسبة للقرآن .

(٣)

استبدال كلمة « المرتّل » بكلمة « المسموع » – الترتيل فى اللغة – الترتيل اصطلاحاً – الترتيل أفضل مراتب القراءة – الترتيل فى السّنّة الفعلية والقولية – أقلّ الترتيل عند الشافعى – استحباب الترتيل عند الغزالى وغيره – والردّ على من بدَّعوا مشروع المصحف المرتل بأن الجمع الكتابىّ كان عملا مستحدثاً لم يفعله النبى ، ولكنّ الصحابة فعلوه لمطلق المصلحة .

(٤)

خطأ إطلاق اسم « القرآن المرتل » على مادّيات المشروع – الصحابة لم يسيغوا إطلاق اسم « القرآن » على المادّة التى سُجِّل فيها القرآن – القرآن كلام الله القائم بذاته – كلام الله غير مخلوق – القرآن ليس شيئاً غير الوحى – لا يجوز على القرآن الانفصال عن ذات الله – رأى الأشاعرة فى هذا – الأصوات التى نقرأ بها ليست كلام الله – رفض قول الحشوية إنّ صوت القرآن هو عين كلام الله – مجافاة تلك التسمية للدين وللذوق السليم – اتفاقها مع استعمال الطاعنين على القرآن – إيقاظها فتنة خلق القرآن – رأينا فى وجوب تنزيه القرآن عن أن يكون متصلا بالأجسام وقائماً بالأجرام .

(٥)

إجمال بواعث التفكير فى الجمع الصوتى .

* * *

الفصل الثانى : التنفيذ وتاريخياته

٧٩ – ٩٨

(١)

التحرج من هذا الحديث – رأس حوافز الكلام عن المشروع – صاحب المشروع أقدر الناس على ذكر تفاصيله – الأمل فى الأجيال القادمة – حق هذه الأجيال فى الإحاطة بكل شىء عن المشروع – وجوب معرفة الحقائق فى غير تلوين أو تزييف .

(٢)

الخسارة الفادحة فى القراء الذين يموتون – تأخر تسجيل المصحف صوتياً أمداً غير قصير – أمشاج من الأفكار سُوِّيت فكانت فكرة الجمع الصوتى .

(٣)

المشروع سير فى الطريق التى نهجها أبو بكر وعثمان – بدء التحدث بالفكرة فى سنة ١٩٥٩م

(٤)

نصّ الاقتراح المقدم منا فى سنة ١٩٥٩ إلى مجلس إدارة الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم فى شأن هذا المشروع .

(٥)

تقرير المبادرة إلى تنفيذ الاقتراح – عقد اجتماع لمندوبى الأجهزة التى كان يرجى إسهامها فى خدمة المشروع، وآراء بعض هؤلاء المندوبين– مؤتمر صحفى دعا فيه صاحب المشروع رجال الفكر إلى موافاته بتوجيهاتهم وملاحظاتهم – المشروع بين التحبيذ والإنكار – ملابسات استبدال كلمة « المرتل » بكلمة « المسموع » ، وثناء الأزهر على المشروع رسمياً – عرض نموذج التلاوة المرسلة فى حفل كبير .

(٦)

مفاوضة مصنع الأسطوانات فى شأن التنفيذ – السّعى للتسجيل فى « استوديوهات » الإذاعة تلقاء الإذن لها فى إذاعة التسجيلات من محطاتها – صعوبة تمويل المشروع – البدء فى التسجيل بثلاث روايات : حفص عن عاصم ، وخلف عن حمزة ، وابن وردان عن أبى جعفر – بطء العمل بسبب العجز عن التمويل .

(٧)

وضع المشروع تحت الرعاية المالية للدولة – اهتمام وزير الأوقاف وقتئذ بالأمر – تشكيل لجنة عامة للإشراف على تنفيذ المشروع – تيسيرات نقدية وجمركية – تخفيض التكاليف – صاحب المشروع ينوب عن وزارة الأوقاف فى متابعة الإجراءات لدى الأجهزة الحكومية المختصة ولدى الإذاعة – المضىّ فى تسجيل رواية حفص بصوت الشيخ الحصرى .

(١)

عدم رضا بعض كبار القراء عن القراءة المرسلة غير التطريبية – أسباب ذلك فيما نظن – تصرفنا إزاء ذلك .

(٩)

شروطنا القرآنية للتسجيل ، والانتهاء من تسجيل المصحف المرتل برواية حفص – إذاعته من (دار الإذاعة بالقاهرة) ابتداء من الثامن من ربيع الثانى سنة ١٣٨١ هـ – إنشاء (إذاعات القرآن الكريم) فى مصر وبلاد إسلامية أخرى .

(١٠)

تسجيل رواية الدورى عن أبى عمرو – أماكن ذيوع هذه الرواية – مشيخة الأزهر تطلب منع ما سوى رواية حفص من الروايات ، وما سوى صوت قارئ معين من الأصوات – الاحتجاج على هذا الرأى لدى شيخ الأزهر ، ثم عدول المشيخة فوراً عن طلبها .

(١١)

دفاع عن فكرة جمع القرآن الكريم بكل قراءاته المتواترة والمشهورة .

(١٢)

النجاح فى تخفيض تكاليف المشروع – أمنية إتمام الجمع الصوتى للقرآن .

القسم الثانى

البواعث والمخططات

٩٩ – ٣٨٢

الباب الأول

الحفظ

٩٩ – ٢٣٨

الفصل الأول : تحقيق التلقى الشفوى

١٠٣ – ١٢٥

(١)

المسلمون يرون تلقى العلم من الأفواه – ابن مسعود وأبىّ بن كعب يتلقيان القرآن من النبى شفاها – رفض أخذ القرآن من المصاحف المكتوبة بدون معلم – من أشهر ما يروى عن الغلطات التصحيفية فى القرآن – اعتقادنا أن أغلب أخبار هذه الغلطات مجرّد نوادر موضوعة – إفراد المسلمين علماً خاصاً للتصحيف – من تاريخ هذا العلم ، ومن مؤلفات المسلمين وأقوالهم فيه – التصحيف لغةً – مناهج المسلمين فى التلقى الشفوى – الاكتفاء بالأخذ من المصحف المكتوب هو ، عند المسلمين ، حرام – أقوال حول التلقى الشفوى لابن حجر العسقلانى ، وللسيوطى ، ولابن الجزرى ، وللدمياطى البنا – فى السنّة أن جبريل علّم النبي القرآن مدارسة – بعث النبى إلى من كان بعيد الدار من الصحابة من يقرئهم القرآن – مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم يقرئان أهل المدينة – معاذ بن جبل يقرئ أهل مكة – عبادة بن الصامت يعلّم أهل الصّفّة القرآن – عبادة ، ومعاذ ، وأبو الدرداء يقرئون أهل الشام – بعث عثمان مع كلٍّ من المصاحف المكتوبة الأئمة عالماً لإقراء الناس ، فكأنما كان عثمان يتلمس فكرة كفكرة المصحف المرتل – المصاحف المكتوبة لم تمنع ، بزعم بعضهم ، اختلافات النطق لخلوها من النقط والشكل .

(٢)

المصحف المكتوب لا يكفى لتعلم أحكام القراءة – كتب تعلم التجويد ، مع كثرتها وقِدَمها ، لا تغنى عن التلقين الشفوى – الأحكام المكتوبة قد يصعب فهمها – الكتب التى تعلم التجويد بالرسم

لم تمنع ، على تقدّميّتها ، الحاجة إلى التلقين الشفوى المتكرر – إزراء بعضهم بقواعد التجويد – هذه القواعد يسهل تعلمها لو وجدت النماذج الصوتية الدقيقة – الوقف والابتداء ، ولهما أهميتهما فى فهم القرآن ، يحتاجان إلى التلقين الشفوى من المعلم المحسن .

(٣)

الخطأ أو الابتداع فى المصحف المكتوب يسهل درؤه ، أما الابتداع الصوتى فيصعب استكشافه .

(٤)

بعض العلماء يخرجون من التواتر ما يرون أنه لم يوقف على كيفيته بالسمع – روايات فى هذا عن : ابن الحاجب ، وأبى حنيفة ، وأحمد بن حنبل ، وابن خلدون ، ومصطفى صادق الرافعى – ثبوت أن النبى لقّن الصحابة كيفية المد – رد الزركشى فى شأن الإمالة والتفخيم وتخفيف الهمزة ونحوه – الدمامينى ينفى أن يكون نقل القراء لطرق الأداء أقل من نقل ناقلى العربية والأشعار والأقوال – الدجوى يستنبط أنّ كيفية التلاوة لا بدّ مأخوذة عن الرسول ، كما أنّ الأصل مأخوذ عنه (ص) – لو تقدم الزمن بمشروع الجمع الصوتى للقرآن لانعدم التشكك فى تواتر هيئات الأداء – المشروع يكفل التواتر بشكله الشرعى الواجب – فكرة الجمع الصوتىّ تدفع ما كان عمر بن الخطاب يخافه من انقطاع التواتر ، وما كان ابن مجاهد يخافه من قراء لا يعرفون الإعراب وآخرين ينسَوْن ويَهِمُون .

(٥)

الرد على من قد يقولون إن الإسناد لم يعد عالياً :

الإجماع على أن القرآن الآن ، بألفاظه وكيفية أدائه ، هُوَ هُوَ – الجهود الدائبة لصون الألسنة عن الخطأ فى النطق بالقرآن – استقباحهم اللحن فى الكلام فضلاً عن القرآن – نشأة علوم خاصة لكفالة إحكام قراءة القرآن – مناقشة دعوى أنّ ضبط حركات الألفاظ القرآنية مقتبس من الكلدان أو السّريان – سلامة المصاحف التى كتبت خلال أربعة عشر قرناً من التغيير والتبديل – الزمن بيننا وبين الرسول ليس متمادياً – قربنا كثيراً من الأسانيد المحكوم بعلوّها ، ومن الكتب المشهورة فى القراءة – فى إسناد القرآن يجتمع العلوّ والقوّة .

* * *

الفصل الثانى . المحافظة على القراءات المتواترة والمشهورة

١٢٦ — ٢٢٠

(١)

انشعاب اللهجات المتباينة من اللغات وأسبابه — صعوبة استبدال لهجة بأخرى — الأنفة والحمّة والجهالة بين القبائل — اختلاف القبائل العربية فى نبرات الأصوات وطريقة الأداء — الاختلاف بين القبائل فى شهرة بعض الألفاظ فى بعض المدلولات — الاختلافات المحدّدة لدى علماء القراءات فى بعض حروف القرآن وكيفياتها — هذه الاختلافات ليست من عند القبائل وإنّما هى متلقّاة عن شخص النبىّ نفسه (ص)

(٢)

إذا قرئت آية بقراءتين ، فهل قال الله بهما ؟ — خمسة آراء أوردها « الزركشى » فى كتــابه « البرهان » .

(٣)

كثرة القول فى موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف — خطورة الخطأ فى هذا الباب — مفتريات القسّيس (جولدزاك) فى هذا الباب ، وردّ الشيخ يوسف الدجوى عليه — المقصود من القراءات التى يعنى الجمع الصوتى الأول بالمحافظة عليها — اختلاف القراءات لا يعنى أنّ فيها تنافياً أو تضاداً أو تناقضاً . وكلها سواء فى الأسلوب والغاية .

(٤)

تفرق القراء فى البلاد واختلاف قراءاتهم — الاقتصار على قراءات الأئمة الفقهاء والأمناء كان ضرورياً — كثرة الاختيارات فى القراءة — إضافة القراءات إلى القراء ليس إضافة رأى واجتهاد ، وإنما إضافة اختيار وملازمة .

(٥)

أنواع القراءات :

(ا) المتواتر : تعريفه — قراؤه السبعة — تاريخ الاقتصار عليهم — أهمية النقل المتواتر — شروط ابن الجزرىّ لصحّة القراءة ، وردّ الصفاقسىّ عليه — أبو حامد الغزالى يوضّح فى (المستصفى) شرطاً مهماً من شروط التواتر .

(ب) المشهور : تعريفه – قراؤه الثلاثة – إسقاط القول بعدم تواتر القراءات المشهورة .
(ح) الآحاد : تعريفه .
(د) الشاذ : تعريفه .
(ه) الموضوع : مثاله .
(و) ما زيد على وجه التفسير : أمثلة له .

(٦)

سببان أوضحهما « الطبرسى » للاجتماع على القراءات المتواترة والمشهورة .

(٧)

احتمال رسم المصحف العثمانى للقراءات المتواترة والمشهورة تحقيقاً أو تقديراً .

(٨)

من تاريخ التأليف فى القراءات .

(٩)

القراءات سماعية وليست اختيارية أو اجتهادية .

الزمخشرى يعيب قراءة لابن عامر – ردّ ابن المنيّر على الزمخشرى – نقد من يهملون هذا الرد وأمثاله – ردود : أبى حيان الأندلسى ، ونظام الدين النيسابورى ، والفخر الرازى ، وابن الجزرى على الزمخشرى والنحويين .

الزمخشرى يعزو إحدى القراءات إلى فصاحة راويها – ردّ ابن المنيّر وغيره على الزمخشرى – ابن عامر الذى عاب الزمخشرى قراءته من أوائل التابعين ، وقراءته ليست هينة السند .

بعض النحويين ينكرون على بعض القراء اختياراتهم – ردود الزركشى والدانى على النحويين – لا يجوز الاعتماد على القياس فى أمور الدين – القراءات نقل خالص وليست متفاوتة القدر – ردّنا ، فى هذا الشأن ، على أبى العباس الطنافسى ، ومكى بن أبى طالب ، والطبرى ، وغيرهم – من دلائل عدم الاجتهاد فى القراءات : الاتفاق ، فى بعض المواضع ، على ياء أو تاء ، ثم التنوع فى مواضع أخرى – المسلمون جَرَؤا على منع ما لم ينقل متواتراً عن النبى – طرح بعض الناس لهذا الحق الواضح .

(١٠)

١ – طه حسين يعزو القراءات إلى القراء من القبائل .
ردنا عليه :

(ا) قوله يشكك فى كون قراءتنا هى نفس قراءة النبى .

(ب) على فرض أن اللهجات هى سبب اختلاف « الأصول » فإن اختلاف الْبِنْيَةِ والإعراب ، أو اختلاف المعنى دون الصورة لا يمكن إرجاعه إلى تباين اللهجات .

(حـ) قول طه يعنى ترك القرآن للناس يقرأونه بما يُؤْثِرون من قراءات ولهجات ، وهـــذا إلغاء للقرآن .

٢ – تشكك طه حسين فى تواتر القراءات السبع عن النبى ، متابعاً فى هذا نولدكه .

ردنا على هذا :

حجية الحديث النبوى الصحيح – معنى قول طه : جواز الإضافة والاستحداث فى القرآن ، وأن رواة القرآن جهلة أو كذابون تابعهم الناس ولم يتابعوا كلام السماء .

١ – ينكر طه حسين أن المسلمين كفّروا منكرى القراءات .

الرد على هذا :

(ا) تحقيق حديث : « فلا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر » (ب) قول للقاضى عياض (حـ) قول أبى عثمان الحداد (د) تحرز أبى العالية من إنكار أية قراءة ، وأقوال على القارى وابراهيم النخعى فى هذا الشأن . (هـ) الطحاوى يحل دم من يكفر بالقراءات غير روايات الآحاد (و) فتوى لشيخ الشافعية أبى الحسن على بن عبد الكافى بأن القراءات العشر متواترة عند كل مسلم . (ز) غضب المسلمين على ابن شنبوذ وابن مقسم العطار لما قرآ بالشواذ (ح) المسلمون لا يزالون ينكرون على الممارين فى قرآنية القراءات (ط) الصحابة ، بحكم الصحبة والتلقى عن النبى ، قولهم هو الأجدر بالقبول (ى) البداهة تقتضينا الحكم بأن القرآن ظفر من الصحابة بأدق دقة . (ك) حتى لو كان الاختلاف الذى يعنيه طه حسين هو الاختلاف فى الصورة والشكل لا فى المادة واللفظ فهو قول مخوف ، لأن الاختلاف فى الشكل يفضى إلى تغيير المعانى (ل) رفضنا إنكار قرآنية الأحرف السبعة التى أنزل عليها ، والقراءات السبع أو العشر المختارة فيما بعد عهد النبى (صلى الله عليه وسلم) .

٤ – تأثر طه حسين فى بعض آرائه بابن جرير الطبرى .

(١١)

عند « جواد على » أن اختلاف القراءات هو من خاصيّة القلم الذى دوّن به القرآن – هذا الرأى هو أصلا رأى المستشرقين : جولد تسيهر ونولدكه وبروكلمان – الحقيقة أن هذا الرأى أقدم من هؤلاء المستشرقين ، وقد دفعه علماء المسلمين وحاجّوا أصحابه – القراءات لم تقع بالتشهى ، ولكن بالسماع عن النبى .

تفنيد رأى « جواد على » :

(ا) يبعد منطقياً ترك القرآن للبشر يقرأونه بالاجتهاد لا بالتلقى (ب) التبديل فى القرآن بأى شكل معصية مخوفة (حـ) القرآن عاب المحرفين والمبدلين ، فكيف يدع المسلمون الذرائع ليقع فى القرآن نفس الذى عابه ؟ (د) العقيدة تمنع السماح بأى تغيير فى القرآن (هـ) المسلمون لم يعتمدوا على خط المصاحف ، وإنما على حفظ الصدور ، ولو كانت المصاحف المكتوبة هى المصدر الأوثق فى نقل القرآن لما اضطرّ القراء

إلى الارتحال المضنى من أجل المشافهة والسماع (و) لم يكن ثمة محل لقراءات غير التى أثرت عن الصحابة الآخذين عن النبي (ز) الإذن السماوى بإقراء القرآن على سبعة أحرف هو أصل اختلاف القراءات (ح) الاتفاق فى بعض مواضع القرآن على ياء أو تاء ، والاختلافات فى مواضع أخرى مماثلة ، مع إيراد الأمثلة (ط) عدم مطابقة خط المصحف ، فى بعض المواضع ، للقراءات ، حتى بعد الشكل والضبط (ى) ثمة قراءات لا يُقرأ بها ، مع أن الرسم يحتملها واللغة تجيزها (ك) الرأى الذى نعترض عليه يعنى أن القرآن ظل طوال عهد النبي وعهود الصحابة والتابعين غير محفوظ ولا مقطوع بكيفيات النطق به (ل) الإجماع على عدم التبديل ، والإجماع حجة (م) التاريخ يؤكد أن أصحاب القراءات كانوا لا يتعدون الأثر .

(١٢)

التواتر هو رأس شروط القراءات المطلوب جمعها صوتياً – التواتر اصطلاحاً – مدى تواتر القراءات فى الوقت الحاضر – خطورة نقص التواتر بالنسبة لبعض الروايات فى بعض البلاد – يُرجى أن يكون المشروع من أسباب تعميم التواتر – معارف عن (القراءة) و (الرواية) و (الطريق) و (الوجه) .

(١٣)

من مخططات الجمع الصوتى – القراءات والروايات والطرق التى نختارها لذلك الجمع .

(١٤)

التزام عدم اختلاط الروايات بعضها ببعض ، ومنع التلفيق بين الطرق والأوجه – تفصيل الطرق والأوجه المختارة لكل رواية ، لتكون مجرد نماذج .

١ – قراءة نافع : (ا) برواية ورش ، من طريق الأزرق (ب) برواية قالون من طريق أبى نشيط .

٢ – قراءة ابن كثير : (ا) برواية البزى ، من طريق أبى ربيعة (ب) برواية قنبل ، من طريق ابن مجاهد .

٣ – قراءة أبى عمرو البصرى : (ا) برواية الدورى ، من طريق أبى الزعراء (ب) برواية السوسى ، من طريق ابن جرير .

٤ – قراءة ابن عامر : (ا) برواية هشام ، من طريق الحلوانى (ب) برواية ابن ذكوان ، من طريق الأخفش .

٥ – قراءة عاصم (ا) برواية حفص ، من طريق عبيد بن الصباح (ب) برواية شعبة ، من طريق يحيى بن آدم .

٦ – قراءة حمزة : (ا) برواية خلف ، من طريق إدريس (ب) برواية خلاد ، من طريق ابن شاذان .

٧ – قراءة الكسائى : (ا) برواية أبى الحارث ، من طريق محمد بن يحيى (ب) برواية الدورى ،

من طريق جعفر النصيبي .

٨ – قراءة أبي جعفر : (ا) برواية ابن وردان ، من طريق الفضل بن شاذان (ب) برواية ابن جماز ، من طريق أبي أيوب الهاشمي .

٩ – قراءة يعقوب : (ا) برواية رويس ، من طريق التمار (ب) برواية رَوْح من طريق محمد ابن وهب .

١٠ – قراءة خلف البزار : (ا) برواية إسحق ، من طريق ابن شاذان (ب) برواية إدريس من طريق المطوعي .

(١٥)

القول بعدم صحة القراءة ببعض الروايات ، حتى لو صح سندها وحسنت روايتها هو قول سطحي .

(١٦)

إيثار بعض القراء المعاصرين التسجيل برواية حفص عن عاصم – التخطيط لتسجيل رواية حفص مرات بما يكفل عدم خلط الطرق بعضها ببعض :

(ا) التسجيل الأول – من طريق « الفيل » ، على ما في « روضة المعدل » .

(ب) التسجيل الثاني – من طريق « زرعان » ، على ما في « روضة المعدل » أيضاً .

(حـ) التسجيل الثالث – من طريق الهاشمي ، عن « عبيد بن الصباح » ، على ما في الشاطبية .

(١٧)

النعي على خلط الروايات بعضها ببعض .

* * *

الفصل الثالث : المنع من القراءة بالروايات الشواذ

٢٢١ – ٢٣٨

(١)

القراءات الشواذ في مصطلح علماء القراءات – أمثلة لها – من أشهر المعنيين بالقراءات الشواذ .

(٢)

الإختلاف في حكم القراءات الشاذة من حيث جواز القراءة بها في الصلاة أو عدمه :

(١) رأى نقله ابن عبد البر (٢) رأى لابن الصلاح شيخ الشافعية فى الشام (٣) رأى أصحاب الشافعى (٤) رأى فقهاء بغداد (٥) رأى المالكية : فى مدّونة مالك ، وعند ابن الحاجب المالكى (٦) روايتان عن أحمد بن حنبل (٧) رأى لمكى بن أبى طالب ولابن الجزرى (٨) رأى لبعض الفقهاء (٩) أحد القولين عند أصحاب الشافعى وأبى حنيفة ، وإحدى الروايتين عن مالك وأحمد ، ورأى ذكره النووى تبعاً للرافعى – الذى نراه أولى وأوثق هو رأى ابن الصلاح آنفاً .

(٣)

تقييم القراءات الشاذة – خطرها – تمسك بعض القراء بها – تجاوز ما سمح به جمهور الفقهاء فى شأنها – ضرورة إقفال كل باب يفضى إلى سبب من أسباب الشذوذ فى القراءة – أعمال السلف فى هذا .

(٤)

حول أصحاب الشواذ والمتكلمين فيها :

١ – ابن محيصن : خروجه على الإجماع – روايات عنه قد تحدو بالباطل إلى عدم الإنكار عليه .

٢ – عيسى الثقفى : مفارقته قراءة الجماعة ، واحتمال أن يكون لرأيه عند بعض الناس وزن .

٣ – ابن شنبوذ : بعض ما خالف فيه الجمهور – من تفاصيل محاكمته – ثناء بعض المترجمين له عليه قد يعطى مسلكه تأييداً – مناقشة الادعاء بأن دعاءه على الوزير ابن مقلة الذى رأس المحاكمة هو سبب نكبة هذا الأخير – دفاع عن الوزير – نَقْض ابن شنبوذ توبته ، بعد ابن مقلة ، وعودة الحكومة إلى معاقبته .

٤ – ابن مقسم العطار : استخراجه وجوهاً للقراءة من اللغة والمعنى ، وذلك بالرأى دون الأثر – استهوال الناس هذه البدعة – إذعانه بالتوبة – منزلته العلمية قد تمنح عمله عطف غير المتعمقين .

٥ – ابن هرمز الأهوازى : نعت بعضهم له بالكذب – مصنفاته قد تكسب فعلاته لوناً كلون الأعمال المشروعة .

٦ – الزركشى : كان يقدر القراءات الشاذة .

٧ – ابن الجزرى : أورد نقولاً ضعيفة الإسناد ، وكان يرى أن الشواذ لا تخالف شيئاً من الأحرف السبعة – إنكارنا هذا عليه .

٨ – لا زالت القراءة بالشواذ محل ولع قلة نادرة من القراء .

٩ – مبررات الخوف من تسلل الشاذ إلى القرآن .

(٥)

القراءات الشاذة أفضت إلى الادعاء الكاذب بأن نص القرآن قد اعتراه تغيير – فكرة الجمع الصوتى إجراء إيجابى حاسم يمنع من توهم وجود ما يخالف النص الذى استقر عليه المسلمون .

الباب الثانى

٢٣٩ – ٣١٥

التعليم

٢٣٩ – ٣١٥

الفصل الأول : وضع النماذج الصوتية للترتيل الشرعى الذى تستطيعة الكافة

٢٤١ – ٢٧٧

(١)

ابتداع ما ليس فى قوانين الأداء القرآنى – قراءة القرآن بطريقة الغناء – تحذير النبى من ذلك – اللحن فى اللغة – حُسْن الصوت بالترتيل – القراءة الواجبة هى القراءة المتدبرة .

(٢)

السنّة تؤكد استحباب تحسين الصوت بالقرآن – الصحابة والتابعون يتابعون هذه السنة – فى الآثار المتداولة عند المسلمين ما يؤيد احتفالهم بالصوت الحسن – من أخبار المجتمع الإسلامى فى شأن حسن الصوت بالقرآن .

(٣)

وجوب تنوع أساليب التلاوة بتنوع أغراض القرآن – تلحين القرآن أمر قديم – من تعاريف الترتيل – وجه التحزين فى قراءة القرآن – من تاريخ قراءة القرآن بالألحان – بكاء النبى (ص) عند سماع بعض القرآن – أبو بكر كان إذا قرأ غَلَبَه البكاء – كان يحدث لبعض التابعين الصَّعْق والغشْى عند سماع القرآن

(٤)

للقرآن موسيقاه الخاصة .

من أنواع بدائع القرآن : (١) الانسجام (٢) ائتلاف اللفظ مع اللفظ (٣) ائتلاف اللفظ مع المعنى (٤) الإبدال (٥) التفويف (٦) التعديد (٧) المضارع (٨) حسن النسق (٩) المشاكلة (١٠) التجنيس (١١) الطباق بنوعيه : الحقيق والمجازى (١٢) رد الأعجاز على الصدور . (١٣) التسجيع وصحة المقابلات (١٤) التوشيح (١٥) الترديد (١٦) التعطف (١٧) التسميط (١٨) المماثلة .

القرآن يوفر الانسجام بين ألفاظه وأصواته – الموسيقى فى عبارات القرآن تساير المعانى .

(٥)

اختلاف الحكم على القراءة المقتبسة من الغناء :

ما روى ضدها :

(ا) رواية عن النبى تحذّر من ترجيع القرآن ترجيع الغناء (ب) أنس بن مالك ينكر التطريب (حـ) قول بأن هذه الألحان محدثة (د) أبو هريرة يخاف ان يدركه اتخاذ الناس القرآن مزامير (هـ) بعض التابعين الذين كرهوا القراءة بالألحان (و) من تابعى التابعين الذين كرهوا الألحان أيضاً (ز) بعض الفقهاء يردّون شهادة أصحاب القراءات التلحينية باعتبار أن تلحين القرآن بغير شروطه مسقطٌ للعدالة ، وفيه سخف ودناءة . (ح) ابن خلدون ينكر اجتماع التلحين والأداء المعتبر فى القرآن . (ط) الحارث ابن مسكين قاضى قضاة مصر كان يضرب الذين يقرأون القرآن بالألحان (ى) القرطبى المفسّر يقول عن القراءة المجاوزة للحدود إنّها حرامٌ باتفاق (ك) إنكار « ابن الحاج » على الطريقة الّتى كان قرّاء مصر يتبعونها .

الذين أجازوا الألحان فى القرآن :

(ا) كان عمر بن الخطاب يدعو إلى التغنى بالقرآن ، وكان أبو موسى الأشعرى يقرأ « وبتلاحن » .

(ب) وروى أن ابن عباس وابن مسعود كانا يجيزان قراءة الألحان .

(حـ) وأن أبا حنيفة وأصحابه كانوا يستمعون هذه القراءة ، وأن الشافعى رؤى مع بعض أصحابه يسمعها ، وأن الطبرى اختار هذا .

(د) وروى عن ابن جريج أنه لم يجد بها بأساً .

(هـ) قول بحلها ما دامت لا تخرج الكلام عن وضعه .

(و) رأى صاحب « زاد المعاد » ، وتميزه بين ما يجوز وما لا يجوز .

(ز) سماع النساء للرجال حلال : قصة فى هذا الشأن عن أبى موسى الأشعرى – رأى للعقاد .

(ح) تجميل قراءة المصحف كتجميل كتابته .

فكرة تلحين القرآن بمصاحبة الموسيقى :

١ – رأى خاطئ نشرته مجلة الأدب سنة ١٩٥٦ ، ورددنا عليه .

٢ – تلحين أحد مفتشى الموسيقى سوراً من القرآن تلحيناً موسيقياً – خطر هذا .

٣ – القول بأن زكريا أحمد كان يفكر فى تلحين القرآن – حقيقة رغبته حسبما عرف منه صاحب مشروع الجمع الصوتى للقرآن أو المصحف المرتل .

الردّ على فكرة التلحين الموسيقى – مصطفى الزرقا يفتى مصيباً بأنّ العبادة فى الإسلام لا يجوز أن تصحبها الموسيقى .

(٦)

الابتداع الصوتى المثير للنقد منذ قديم .

أهم المبتدعات الصوتية تفصيلاً .

المماراة فى الأمور الصوتية يسيرة – تفشى المبتدعات واقتضاء اتخاذ الوسائل لمنعها – شرف تلاوة المعنى – القرآن أولى بالجمع والتسجيل من التراث الغنائى مثلاً – المصاحف المرتلة الأئمّة نماذج يحتكم ، عند الاختلاف ، لديها .

* * *

الفصل الثانى : تيسير القرآن للحفظ والتعليم

٢٨٥ – ٢٨٨

(١)

عناية المسلمين ، منذ قديم ، بتعليم أولادهم القرآن – القرآن أصل كل تعليم عندهم – القرآن مطلوب الحفظ لفظاً ومعنى – القرآن لازم الحفظ لتصحّ الصّلاة .

(٢)

السنّ المناسبة لتعليم الطفل القرآن عند المسلمين – الاختلاف فى طريقة تعليم القرآن للصبية – الكتاتيب فى البلاد الإسلامية منذ قديم – عمر وإنشاء المكاتب وتقرير الراحة الأسبوعية لها – مسلمون يقرأون القرآن ولهم كتاتيب عند سد يأجوج ومأجوج .

(٣)

وقف الأموال على تعليم القرآن – معاهد الإقراء فى مصر – ترتيل القرآن فى مختلف المناسبات – الاعتقاد ببركة القرآن – دفع الله العذاب بقراءة الصبيان الكتاب – حفظ القرآن كان رأس واجبات المتعلم – الحفاظ كانوا «شتلات» صالحة تنقل إلى الأزهر فيزكو نباتها – مدارس كانت لا تقبل غير الحفاظ المجودين .

(٤)

قيام التعليم الرسمى المصرى أخيراً على أساس الوحدة العامة – صرف النشء إلى التعليم المدنى – الترخص فى شرط حفظ القرآن لطلاب الأزهر – التبطل بين الأزهريين، والأمل فى علاج هذا بعد قانون

سنة ١٩٦١ الذى يستهدف تأهيل الأزهرى للتخصص فى أعمال الخبرة والإنتاج – الجهود الشعبية فى تحفيظ القرآن – خطر نقص الحفاظ .

(٥)

النساء ومدى إفادتهن من المصاحف المرتلة :

المرأة فى ظل الإسلام – نساء النبى اللائى كانت لهن مصاحف خاصة – نساء خدمن القرآن – إمكان وجود الجارية العالمة بالقراءات – تعليم المرأة القرآن يصح أن يكون مهراً لها – جارية مؤثرة القراءة بالألحان – تلقى المرأة العلم عن الرجال مقيّد – المصحف المرتل كمعلم نموذجى يطمئن إليه ، بإطلاق ، الوضع الاجتماعى الإسلامى .

(٦)

المكفوفون وحفظ القرآن – المكفوفون المسلمون غير قليلين – طريقة « بريل » لا تحقق كل الأمل – المصحف المرتل هو للمكفوفين المعلم التقليدى المجوِّد الدقيق .

(٧)

استعمال اللاقط الصوتى فى الجهات غير المكهربة .

* * *

الفصل الثالث : علاج مشكلة اختلاف الرسم القرآنى عن الرسم الإملائى

٢٨٩ – ٣١٥

(١)

جريان مصطلح الرسم على غير قياس

(٢)

أمثلة لاختلاف الرسم الإملائى – نشأة علم الرسم القرآنى بسبب هذه الاختلافات – إجمال صاحب (اتحاف فضلاء البشر) حاصل خط المصحف .

(٣)

مخالفة الرسم الاصطلاحى ، وحجج القائلين بجواز هذا – أقوال ابن خلدون ، وعز الدين ابن عبد السلام ، وأحمد حسن الزيات ، وابن الخطيب .

(٤)

القول بعدم جواز القياس فى الرسم القرآنى وتوقيفيته – من دلائل التوقيفية : كلمات : بسم ، وتبارك ، وبنات ، وأعناب ، وسبحان ، ورحمة .

(٥)

حجج المتمسكين بالرسم القرآنى المأثور :

١ – كُتب القرآن بحضرة النبى ، فكأنه أقره – رأينا : أن الله تعالى لم يكن ليدع الخطأ فى كتابة أصل شريعته وعماد دينه ، ولا يلهم نبيه تصحيحه .

٢ – القول بأن اختلاف الرسم الاصطلاحى عن القياس هو لأسرار إلهية .

٣ – إجماع الصحابة على الرسم الاصطلاحى ، والإجماع حجة – الشافعى يؤيد آراء الصحابة – أبو البقاء العكبرى يقرر أن العمل هو على المصحف الإمام – ردنا على القول بجهل الصحابة بقواعد الكتابة .

٤ – إجماع الفقهاء على الرسم الاصطلاحى – الـــرد على من يكفرون المخالفين فى الرسم الاصطلاحى .

٥ – تخطئة الرسم الاصطلاحى تنفى الحفظ الذى أكده الله .

٦ – وجوب إبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابة ، سداً للذرائع .

٧ – تغيير الرسم القرآنى يهدم كثيراً من علوم الأداء .

٨ – قواعد الإملاء العادى متطورة ، ومختلف فيها ، والخير تنزيه القرآن عنها – وجوب الاحتياط من التحريف – رد على الذاهبين إلى أن تيسير قراءة المصحف المكتوب يكون بكتابته بالرسم الإملائى .

٩ – لا حاجة إلى التغيير ما دامت المصاحف مضبوطة بالشكل التام ، ومذيلة بالبيانات الإرشادية .

١٠ – مرجع الخلاف هو ما فى الكلمات من قراءات يحتملها الرسم – قرار مجمع اللغة العربية بمصر : الوقوف عند الرسم المعهود للمصحف – رشيد رضا يرى أن الاتباع فى رسم المصحف يفيد مزيد ثقة واطمئنان فى حفظ القرآن كما هو .

١١ – فى الرسم العثمانى فوائد منها : (ا) الدلالة على الأصل والشكل والحروف (ب) النص على بعض اللغات الفصيحة (حـ) إفادة المعانى المختلفة بالقطع والفصل فى بعض الكلمات (د) أخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم برسم واحد ، وأمثلة لهذا (هـ) منع أهل الكتاب من تحريف القرآن .

١٢ – اختلاف صورة الرسم عن صورة النطق : له نظائر فى اللغات الأجنبية .

١٣ – العبرة بالأخذ من أفواه الرجال ، وكراهية تجهيل الناس بأوليتهم .

(٦)

التلقى السليم من المصحف المكتوب وحده يشقّ حتى على المثقفين. وأمثلة لهذا – بعض الكلمات

مرسومة فى بعض المواضع بما يغاير القواعد الإملائية ، ومرسومة فى مواضع أخرى حسب هذه القواعد ، ونماذج لهذا – ثمة كلمات رسمت فى المصحف بشكل الجمع ، واختلف القراء فى إفرادها وجمعها – بيان هذه الكلمات .

(٧)

المشارقة والمغاربة يعانون من الصعوبة الخطيّة إذا قرأ أحد الفريقين فى مصحف الآخر – اختلاف علامات الضبط فى المصاحف – اختلاف مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام بعضها عن بعض – مصاحف المصر الواحد قد يكون فيها اختلاف فى الرسم – الادعاء الباطل بأن اختلاف الرسم يعنى اختلاف المصاحف – الشكل فى المصاحف لا يقى وحده من اللحن والخطأ – المصحف المرتّل هو الحلّ الأمثل لهذه المشكلات جميعها .

(٨)

المصحف المرتل كفيل بكل أغراض علامات الترقيم الحديثة ومصطلحات الضبط التى تُذيَّل بها المصاحف الآن .

الباب الثالث

الدفاع

٣١٧ – ٣٨٢

الفصل الأول : معاضدة المصحف العثمانى المجمع عليه

٣١٩ – ٣٦١

(١)

الادّعاء بأن المصحف العثمانى يخالف فى مواضع مصاحف بعض الصحابة وآل البيت ، وخطر هذا الادعاء – هذه المزاعم نوقشت منذ قديم وثبت بطلانها .

(٢)

المصاحف المقول بمخالفتها للمصحف العثمانى – تعدّد الكتب عن اختلاف المصاحف – إشارات إلى هذا الاختلاف فى بعض كتب اللغة – روايات عن مصاحف الشيعة – كتاب نشره « منجانا » و « آجنس سميث » استعملا فيه لفظ « قرآن » بالإنجليزية بالجمع – جفرى جَمَع الاختلافات المنسوبة

إلى مصاحف الصحابة والتابعين – المستشرقون يفتحون ، من هذا الطريق ، أبواب الشكوك والزيغ – المستشرقون يصفون مصحف عثمان بأنه أدنى المصاحف إلى الأصل ، ولا يقولون إنه الأصل – فساد آرائهم – أسباب ما قد يكون موجوداً فى المصحف من اختلافات يسيرة – الثابت أن المصاحف أُحرِقت فيما خلا مصحف عثمان ، ففيم المناقشة وليس بين أيدينا ما نناقشه ؟

(٣)

التسجيل الصوتى للجمع العثمانى هو حق العلم فضلاً عن الدين – هذا التسجيل تأييد للجمع الذى انعقد به تصديق المسلمين منذ عهد الصحابة .

أشهر التحريفات المدّعاة ، وتفنيد كل منها :

١ – ما نسب إلى ابن مسعود من أنه أسقط الفاتحة من مصحفه .

٢ – ما نسب إلى ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير من أنهم قرأوا : « ليسَ عَليكمْ جُناحٌ أنْ تبتغُوا فضلاً من رَّبكُم »، بزيادة : (فى مواسم الحج) .

٣ – ما قيل من أنّ عائشة خطّأت رسم المصحف فى الآيات : « وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ » و « إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّٰبِئُونَ » و « إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ » .

٤ – القول بتجاوز نصّ الآيتين : « . . . ثمانيةَ أزواجٍ من الضأنِ اثنين ، وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ، وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ . . . » .

٥ – ما نسب إلى ابن عباس وعلىّ من أنهما كانا يقرآن : « أَفَلَمْ يَاْيْئَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ... » : أفلم يتأسّ الذين آمنوا . . .

٦ – ما نسب إلى ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من أن قوله تعالى « وَقضى رَبُّكَ » هو : « ووصّى ربّك » .

٧ – ما رُوى من أن ابن عباس كان يقرأ : « ضياءً » بغير واو فى قوله تعالى : « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَاءً » .

٨ – ما نسب إلى عائشة من أنها قرأت « والذينَ يؤتونَ مَا أَتَوا » مقصوراً من الإتيان .

٩ – ما نسب إلى أبىّ وابن عباس وسعيد بن جبير من أنهم قرأوا : « حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا » فى سورة النور : « حتى تستأذنوا » .

١٠ – ما نسب إلى ابن عباس من أنه كان يقول فى قوله تعالى : « مَثَلُ نوره كمشكوةٍ » إنما هو : « مثل نور المؤمن كمشكاة » .

١١ – ما ادّعوه من أن ابن مسعود وأبا الدرداء قرآ : « والذّكر والأنثى » بدلاً من : « وَمَا خَلَقَ الذكرَ والأنثى » .

١٢ – ما نسب إلى ابن مسعود من أنه كان لا يرى المعوذتين من القرآن .

١٣ – رواية أن مصحف ابن مسعود تضمّن سورتين هما . « الحفد » و« الخلع » ، وأنه قُرئَ بهما .

تسجيل المصحف العثمانى صوتياً هو ما يعاضده ، ويردّ عملياً على دُعاة الاختلافات .

(٤)

دعوى أنه لما كُتبت المصاحف عُرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللّحن – الرد على هذه الدعوى .

(٥)

ما قيل من أن مصحفاً من مصاحف عثمان أدقّ من مصحف – تهافت هذه الرواية – اقتضاء التسجيل الصوتى .

(٦)

ما روى من أن علىّ بن أبى طالب قال : رأيت كتابَ الله يزاد فيه – تفنيد هذه الرواية .

(٧)

الزعم بأن عثمان بل أبا بكر وعمر حرّفوا القرآن ، وأسقطوا كثيراً من آياته وسوره – الاختلاق والبطلان فى هذا الزعم .

(٨)

الادّعاء بأن سورة يوسف ليست من القرآن – ردّ هذا الأدعاء – الادّعاء بأنه كان فى القرآن ما سمّوه : « فضائح المهاجرين والأنصار » – إبطال هذه الرواية – براءة علماء الشيعة من هذه المزاعم .

(٩)

ما قيل من أن ترتيب السّور والآى اختلف فى مصاحف الصحابة عما هو فى مصحف عثمان – مناقشة هذا .

* * *

الفصل الثانى : درء التحريف

(١)

القرآن يقرر أن اليهود حرّفوا ما أُوحى به الله – صفة هذا التحريف ، وبعض تاريخه .

من مؤيدات التحريف : فرقة الصادوقيين لا تؤمن بأوّليات ما جاءت به الأديان السماوية – التوراة الحاضرة تعارض أشياء يراها المسلمون حقائق – نظرتها إلى الأنبياء – عباراتها وألفاظها تحمل ما ينم عن زمن كتابتها ، وهو متأخر كثيراً عن عهد موسى .

(٢)

التوراة الحاضرة يسهل اكتشاف ما فيها من تغيير :

(ا) الله – فيها – ليس مخالفاً للحوادث .

(ب) قبائح مستبشعة تنسبها إلى الأنبياء والرسل : (١) نسبت إلى إبراهيم الكذب والمتاجرة بزوجته (٢) وإلى لوط الزنا بابنتيه (٣) وإلى داود الزنا بامرأة محارب شجاع شهم ، مع تدبير القتل لهذا المحارب (٤) وإلى هارون أنه صنع العجل الذهب الذى عبده اليهود ، وأنه بنى له مذبحاً .

(حـ) الخلو من ذكر الآخرة والبعث والحشر والنشر . . . إلخ .

(٣)

أسفار المسيحية الحاضرة من وجهتى النظر الإسلامية والعامة :

(ا) تقرر شركا يأباه المسلمون (ب) وتختلف فى نَسَب المسيح وفى أخباره (حـ) وليست مما نزل على عيسى ، ولكنها – بشهادة العلماء المسيحيين – من كتابة بعض حوارييه وأتباعه ، فيما بين السنة المائة والسنة الخمسين بعد المائة من الميلاد (د) ظلت الأسفار المسيحية أربعة قرون موضع شك فى محتوياتها ونسبتها إلى أصحابها (هـ) آراء بعض العلماء المسيحين فى هذه الكتب .

(٤)

سلامة القرآن من كل تحريف – أسباب هذه السلامة – التسجيل الصوتى وسيلة أكيدة إلى القضاء تماماً على كل محاولة تحريفية .

(٥)

محاولة إسرائيل تحريف القرآن وتوزيع النسخ المحرّفة فى مختلف البلاد – الوسائل والمظاهر التحريفية التى اكتشفت .

اهتمام المسلمين بهذا الحادث الخطير اهتماماً كبيراً – الإفادة من مشروعنا فى ردّ هذا العدوان ومنعه .

* * *

الفصل الثالث : التمكين للغة العربية والوحدة الإسلامية

(١)

أعداء الإسلام يحقدون عليه ، ويحاولون تعويق وحدة أبنائه – أسباب دينية وسياسية لهذا .

(٢)

أعداء الوحدة الإسلامية يدركون خطر لغة القرآن على مطامعهم العدوانية .

القرآن واللغة العربية يصنعان وحدة وثيقة ممتدة ، وكل منهما يمكّن للآخر – تعلم العربية ، عند المسلمين ، من الديانة – علاقة اللغة بنفسية أمتها – اللغة العربية لها من خصائصها ما جعل لها الغلبة على بعض زميلاتها السامية ، وما جعل أثرها يزحف إلى مجتمعات أجنبية عنها – اللغة العربية من أهم أركان القومية بين الناطقين بها .

أعداء الوحدة الإسلامية يرون أن لا يجتمع العرب والمسلمون على القرآن ولغته – محاولتهم صرف المسلمين إلى اللهجات العامية المتغايرة – خطر هذا .

(٣)

الغرب ينفذ خطته ضد ترابط المسلمين – من تفاصيل هذه الخطة – خطرها الشديد .

(٤)

بعض المسلمين يعوزهم حسن الأداء القرآنى ، ويلتمسون وسيلة ميسورة لتعلم هذا الأداء – انتشار القرآن بالوسيلة الصوتية هو أوسع وأيسر ، وطلابه أكثر – أملنا أن تصبح اللغة العربية ، بفضل مشروع المصحف المرتل ، فى الصف الأول من اللغات العالمية – من معضدات هذا الرأى – مشروعنا سيكون سبباً خطيراً فى زيادة توثق العلاقات بين المسلمين شرقاً وغرباً – التنبيه إلى هذا منذ فجر المشروع .

خاتمة

٣٨٤ – ٣٩٠

تقييم سريع للمشروع – دنيا العروبة والإسلام أحسنت هذا التقييم ، وأكدت تقديرها للمشروع – تفاصيل فى هذا .

المصادر والمراجع

٣٩١ – ٤٣٣

الفهارس

٤٣٣ – ٥١٢

١ – الأعلام
(ا) الرجال
(ب) النساء
(حـ) المعروفون بألقاب خاصة .
٢ – البلاد والمواضع .
٣ – المصطلحات والمسميات التى لم ترد فى الفهارس الأخرى .
٤ – الموضوعات .

التصويبات

٥١٥ – ٥١٦

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨	٩	الغابة	الغاية
١٥	٧	الْعَلَى	الْعُلَى
١٦	١٣	للمَسلمين	للمُسْلمين
١٧	٥	البحث	البحت
١٨	١	الكِتَبَ	الكِتَبِ
١٨	١	من الكِتَبِ	من الكِتَبِ
٢٠	١٠	فأفقهم	فأفْقَهُهُم
٢٠	٣٢	مجب	محب
٢١	١٠	ءاتَيْنَكَ	ءاتَيْنَكَ
٢١	١٣	ذِكَرى	ذِكْرِى
٢١	٣٠	ذِكَرى	ذِكْرِى
٢٢	٩	رَزَقْنَاهُمْ	رزَقْنَاهم
٢٢	١٥	أَنْزَلْنَه	أَنْزَلْنَه
٢٤	٢٠	وحّدا	وحدًا
٣٢	١٣	توضع علامة « في	نهاية السطر
٣٤	٢	وقُتِل	وقُتِل
٣٤	١٩	من	في
٣٨	٢٠	زنبا	زَنْبًا
٤٠	١	الدَّغِنَة	الدُّغُنَّة
٤٢	١٥	ص ١٤٠ و ١٢٦	ص ١٤٠
٤٣	١١	تثبيت	تثبّت
٤٦	١٣	الغُلماء	الغلمان
٥٠	٤	يُسْمِعُهُمُوه	يُسْمِعُهُمُوه
٥٧	٨	رُجِع	يُرجع
٦٢	٢	تَحتُحها الأنهرُ	تَحْتِها الأنْهَرُ
٦٢	٥	الحميدٌ	الحميدُ
٦٩	٢٠	أُتُوا	أُوتُوا
٦٩	٢١	كفَرُوا	كفَرُوا
٧١	٨	ورثَّتُهُ	وَرَثْتُهُ
٧٤	٥	مرثِيَّة	مرثِيَّة
٨٢	١٠	مع	من
٨٣	٦	العاملين	العالمين
٩١	٢٠	ومع	ومعى
٩٢	١٣	وعمربن أبي سلمة	وعمروبن أبي سلمة
٩٧	٢٥	مِلِك	مَلِك
٩٨	١	بالعدد	بالعدد الشرعى
١٠٦	١٤	قَبَّحه	قبحه
١٠٧	٢٥	والمصحفين	التصحيف والمصحفين
١٠٧	٢٦	نذكرة	تذكرة
١٠٨	٢	الثارى	الثورى
١٠٨	٣	إنّ	أنّ
١١٣	٢٥	أحكام الدولة	أحكام مجلس الدولة
١١٦	٥	صلى ألم	صلى الله
١١٨	٥	دْحض	دحْض
١١٩	١٥	ولعلَ	ولعلً
١٢٠	١٧	المنّون	المنّون
١٢٠	٢٨	ض ٦	ص ٤٦
١٢١	٨	يشطب	السطر كله لأنه مكرر
١٢١	١٥	فقط	نقط
١٢١	٣٢	منظمونة	منظومة
١٢٣	١٦	يزز	برز
١٢٣	١٦	أئمه	أئمة
١٢٤	١٩	ستدراك	استدراك
١٢٥	١	ومن	من
١٢٧	٣	نبّيه	نبيّه
١٢٨	١٩	« تشريع	تشريع
١٢٩	٣	السبع	السبعة
١٢٩	٦	الخطاً	الخطأ
١٣٦	١٦	كتابة	كتابه
١٣٧	٦	المتوفىً	المتوفَّى
١٣٩	٣	ا	أ
١٣٩	١٢	رماهم	رماهم به

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٨	٩	قُمتُّم	قُمتُم
١٤٨	١٤	المُّهجرين	المُهَجرين
١٦٢	٢٥	ولا أدَرَيٰكم	ولا أدْرِيٰكُم
١٦٣	١	عَلَيْنا	علْينا
١٦٣	٨	وجعلُنا	وجعلْنا
١٦٣	١٠	الذى ظلموا قولا غير الذين	الذين ظلموا منهم قولا غير الذى
١٦٨	٢٠	دباعها	رباعيًا
١٦٩	٢٢	ابن الجذرى	ابن الجزرى
١٧٠	٣	النقّط	النّقط
١٧٤	٧	من طريق	من طريق
١٧٩	١٦	خيرٌ أَم	خيرٌ أم
١٩٨	١٨	برواية رَوحْ	برواية روْح
٢١٧	٥	يلهق	يلهثْ
٢١٨	٢	خلقكمّ مِن	خلقكم مِّن
٢١٩	٧	الأوّلِيّة	الأوْلية
٢٢٠	٢٥	لأقليم	الإقليم
٢٢٧	٩	كتتا	كُتباً
٢٣١	١٤	الحُّسن	الحُسْن
٢٣٣	١٩	فَحمُلَ	فحُمل
٢٣٧	١٣	قيد	قيد(٢)
٢٣٨	١٢	قولرس	فولرس
٢٤٦	٤	بك	بك (٢)
٢٤٦	٣١	بعدَ	بعدُ
٢٥٠	٢٢	القراءة	القرّاء
٢٥٢	٦	فليصل	سُبْحٰنَ
٢٥٢	١٩	تغبطًا	تغيُّظاً
٢٥٣	١٦	لِمِسْكِين	لِمَسٰكينَ
٢٥٦	٧	الفَلْكُ	الفُلْك
٢٥٧	٢١	الجبّارٌ المُّتكبر	الجبّارُ المتكبِّر
٢٦١	٢٣	Modem	Modern
٢٦٦	٦	المعّوج	المعوجّ
٢٦٧	٢٣	للأرعن	للأرغن
٢٦٩	٢٦	(١)	(٣)
٢٧٧	٣	فقلت	ولقد كنت
٢٨٢	٨	أبواب مدارس	مدارس
٢٨٣	٢٢	النهى على	النهى عن
٢٨٤	١٩، ٢٠	لدول القرآن	الأول للقرآن
٢٨٧	١٨	الفا	ألفا(٥)
٢٩٥	١٣	سماهُم	سيماهم
٢٩٥	١٣	وَجوههم	وُجوههم
٣٠٦	٨	البناء	البنا(٣)
٣٠٦	١٩	بَنَيْنٰها	بَنَيْنٰها
٣٠٧	١٢	يُستبدل بنصّ هذا السّطر النصّ الآتى : وقد قيل : «إن الحكمة فى الرسم : ألا يعتمد القارئ على المصحف ، بل يأخذ	
٣١٠	١٠	سيئةٌ	سيئةٍ
٣١٥	٤	للجنة	لجنة
٣٢٠	٣	«	،
٣٢١	٣	ينقل هذا السطر كله إلى السطر ٧ ، ويصدر برقم ١٠ وذلك قبل رقم ١١ مباشرة ، وتصحح أرقام الكتب على هذا الأساس .	
٣٢١	١٠	إلاّ أنّ	إنّ
٣٢٣	١	ومجاهد	ومجاهد(٤)
٣٢٦	٢٨	هـ	هـ :
٣٢٧	٢	أبر	أبو
٣٢٧	٧	ربكمٌ	رَبّكمْ
٣٢٩	١٢	النٓازلون	النازلون
٣٣٠	٢٦	الكتانى	الكنانى
٣٣٢	٢١	أرّحام الانثيينٌ	أرْحام الأُنْثَيَيْنِ
٣٤٢	٢٠	تسجيلاً	جمعاً
٣٤٣	١٧	كلُّهم	كلّهم
٣٤٧	٢	نقلها »	نقلها »(١)
٣٤٩	١٢	فبل	قبل
٣٥٢	٥	التواتر	التواتر(٢)
٣٥٥	١٤	لأن الزيادة : فيه	لأن الزيادة فيه :
٣٥٦	٤	الطباطبانى	الطباطبائى
٣٥٧	٣	معتقدنا »	معتقدنا »(١)
٣٥٧	٤	بالصّدوق	بالصّدوق(٢)
٣٥٨	٢٠	ترتيبًا	ترتيباً

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٥٨	٢٠	الحوافر	الحوافز
٣٦٠	٢	السورة	السّور
٣٦١	٣	والضَحى	والضُّحى
٣٦١	٣	نشرح	نشرح »(١)
٣٦٢	١١	تكملة الآية الكريمة تبدأ من أول السطر	
٣٦٣	١٤	بعص	بعض
٣٦٤	١٧	قّل	قل
٣٦٧	١٧	ويوأهم	وبوأهم
٣٦٧	٢٣	(هدى ونور)	(هدى ونورٌ) ؟
٣٦٩	٦	يونس	يوحنا
٣٧٠	١٢	والأخبار	والأحبار
٣٨٤	١٥	أَحَسَنَتَ	أحْسَنْت
٣٨٧	٣	الشروع	المشروع
٣٨٩	١٨	بقلبي	بقلبي

وسقط من قائمة المصادر والمراجع الكتابان الآتية بياناتهما :

١ – العمرى – ابن فضل الله

التعريف بالمصطلح الشريف

القاهرة .

وكان رقمه فى القائمة ٣١٩ .

٢ – يوسف الدجوى : يوسف أحمد نصر الدجوى

الجواب المنيف على مدعى التحريف فى القرآن الشريف .

القاهرة – مطبعة النهضة الأدبية (١٩١٣م) .

وبإضافة هذين الكتابين يصبح عدد المصادر والمراجع ٤٣١

رقم الإيداع	١٩٧٨/١٨١٤
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ – ٢٤٧ – ١٨٢ – ٣

١/٧٧/٥٣٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

هذا الكتاب

هو – من مشروع الجمع الصوتى الأول للقرآن – بمثابة الدليل الموضّح أو الملحق الشّارح .

وقد أحسنَتْ الدوائر العلمية شرقاً وغرباً استقبال المشروع وكتابه ، وكمثال ، نجتزئ ببعض ما سجّله العلماء الأكاديميون الذين ترجموا الكتاب للإنجليزية وهم ثلاثة : مسلم ونصرانىّ ويهودىّ :

قالوا : « هذا الكتاب مرجع أساسىّ ، وهو – فى ميدان الدراسات الإسلامية والقراءات المأثورة والبحوث الدينية المقارنة – مساهمة ذات عون وشأن ؛ والكتاب فى الوقت ذاته وبالنسبة للقارئ العامّ المهتم بالشرق الأوسط وبالعالم الإسلامىّ هو كتاب هذا الزمن » .

ومما قالوه : « . . . إنّ ثمرات هذا المشروع الخارق استُقبِلَتْ بالترحيب ، واعتُبِرتْ معْلَماً على الطريق فى أرض الدراسات الدينية » .

* * *

والكتاب قسمان :

(القسم الأول) ويدرس تفصيلاً المرّات الثلاث لجمع الكتاب العزيز : جمع الصّدّيق أبى بكر ، وجمع ذى النورين عثمان ، ثم هذا الجمع الصّوتىّ المستمسك بسابقيْه والثالث تاريخاً والأوّل من حيث نوعيته .

و(القسم الثانى) وهو عن أغراض المشروع ، ويتضمّن ثلاثة أبواب :

(أولها) عن حفظ القرآن فى ذاته ، وهنا تفصيل عن أهمّية التلقى الشفوى للقرآن ، ودراسة موسّعة عن القراءات المتواترة والمشهورة ومخطّطات للجمع الصّوتىّ من واقعها ، ودعوة إلى تعميم التواتر الشرعىّ للقرآن بكل بقعة بها مسلمون ، مع منع القراءات الشواذّ من الذيوع .

وأما (الباب الثانى) وهو عن الغرض التعليمى ، فهو عن المصاحف المرتّلة ميسّرةً لتعلم القرآن ، ونماذجَ للأداء السليم الذى تستطيعه الكافّة ، وحلاً وحيداً لمشكلة اختلاف الرسم العثمانىّ عن الرسم الإملائىّ .

وفى (الباب الثالث) ، وهو عن المهمة الدفاعية للمشروع ، لقِفَ المؤلف المطاعن الموجّهَة ضلالاً للكتاب المكنون ، ووازن موضوعياً بين حظّ القرآن من الحفظ وحظّ الكتب الدينية الأخرى ، وأوضح كيف يمكّن الجمع الصوتىُّ للّغة العربيّة وللوحدة الإسلاميّة .

